



<http://www.masaha.org>

الأغاني

الجزء الحادي والعشرون

تأليف

ابو الفرج علي بن الحسين الأصفهاني

جميع الحقوق محفوظة لفريق مساحة حرة



<http://www.masaha.org>

الجزء الحادي و العشرون

تتمة التراجم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ*

1- أخبار المنخل و نسبه

هو المنخل بن عمرو- و يقال: المنخل بن مسعود- بن أفلت بن عمرو بن كعب بن سواءة بن غنم بن حبيب بن يشكر بن بكر بن وائل. و ذكر أبو محلم النسابة: أنه المدخل بن مسعود بن أفلت بن قطن بن سواءة بن مالك بن ثعلبة بن حبيب بن غنم بن حبيب بن كعب بن يشكر. و قال ابن الأعرابي: هو المنخل بن الحارث بن قيس ابن عمرو بن ثعلبة بن عدي بن جشم بن حبيب بن كعب بن يشكر.

يتهمه النعمان بالمتجرده فيقتله

:

شاعر مقل من شعراء الجاهلية، و كان النعمان بن المنذر قد اتهمه بامرأته المتجرّدة- و قيل: بل وجدته معها، و قيل: بل سعي به إليه في أمرها فقتله، و قيل: بل حبسه، ثم غمض خبره، فلم تعلم له حقيقة إلى اليوم. فيقال: إنه دفنه حيًا، و يقال: إنه غرقه. و العرب تضرب به المثل كما تضربه بالقارظ العنزّي [1] و أشباهه ممن هلك و لم يعلم له خبر. و قال ذو الرّمة: تقارب حتى تطمع التابع الصّبا # و ليست بأدنى من إياب المنخل

و قال النّمر بن توبل: و قولي إذا ما أطلقوا عن بغيرهم # تلاقونه حتى يتوب المنخل

تفصيل سبب قتله

:

أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان، قال: أخبرني أحمد بن زهير قال: أخبرني عبد الله بن كريم قال: أخبرني أبو عمرو الشيباني قال: كان سبب قتل المنخل أن المتجرّدة- و اسمها ماوية و قيل: هند بنت المنذر بن الأسود الكلبيّة- كانت عند ابن عم لها يقال له: حلم، و هو الأسود بن المنذر/ بن حارثة الكلبي، و كانت أجمل أهل زمانها، فرآها المنذر بن المنذر الملك اللّخميّ فعشّقها، فجلس ذات يوم على شرابه و معه حلم و امرأته المتجرّدة، فقال المنذر لحلم: إنه لقبيح بالرجل أن يقيم على المرأة زمانا طويلا حتى لا يبقى

في رأسه و لا لحيته شعرة بيضاء إلا عرفتها، فهل لك أن تطلق امرأتك المتجرّدة و أطلق امرأتي سلمى؟ قال: نعم، فأخذ كل واحد منهما على صاحبه عهدا. قال: فطلق المنذر امرأته سلمى، و طلق حلم امرأته المتجرّدة، فتزوجها المنذر و لم يطلق لسلمى أن تتزوج حلما، و حجبها - و هي أمّ ابنه النعمان بن المنذر- فقال النابغة الذبياني يذكر ذلك: قد خادعوا حلما عن حرّة خرد # حتى تبطنها الخدّاع ذو الحلم

[1] هو يذكر بن عنزة، أو عامر بن رهم، و كلاهما من عنزة، خرجا في طلب القرظ فلم يرجعا.

قال: ثم مات المنذر بن المنذر، فتزوَّجها بعده النعمان بن المنذر ابنه، و كان قصيرا دميما أبرش، و كان ممن يجالسه و يشرب معه النابغة الذبيانيَّة- و كان جميلا عفيفا- و المنخل اليشكريَّة- و كان يُّتهم-بالمجردة.

فأما النابغة فإن النعمان أمره بوصفها فقال قصيدته التي أولها: من آل مية رائج أو معتدى # عجلان ذا زاد و غير مزود

و وصفها فأفحش فقال:

و إذا طعنت طعنت في مستهدف # رابي المجسنة بالعبير مقرمد[1]

و إذا نزعت نزعت عن مستحصف[2] # نزع الحزور[3] بالرشاء المحصد[4]

فغار المنخل من ذلك، و قال: هذه صفة معين، فهم النعمان بقتل النابغة حتى هرب منه، / و خلا المنخل بمجالسته، و كان يهوى المتجردة و تهواه، و قد ولدت للنعمان غلامين جميلين يشبهان المنخل، و كانت العرب تقول: إنهما منه. فخرج/النعمان لبعض غزواته-قال ابن الأعرابي: بل خرج متصيِّدا-فبعثت المتجردة إلى المنخل فأدخلته قبتِّها، و جعل يشربان، فأخذت خلخالها و جعلته في رجله، و أسدلت شعرها فشددت خلخالها إلى خلخاله الذي في رجله من شدة إعجابها به. و دخل النعمان بعقب ذلك فرآها على تلك الحال، فأخذه فدفعه إلى رجل من حرسه من تغلب يقال له: عكب، و أمره بقتله، فعذبه حتى قتله.

يحرص على عكب قاتله

:

فقال المنخل يحرص قومه عليه: ألا من مبلغ الحيين عني # بأن القوم قد قتلوا أبا

فإن لم تتأروا لي من عكب # فلا رؤيتم أبدا صديا

و قال أيضا:

طل وسط الندى قتلى بلا جر # م و قومي ينتجون السخالا[5]

من شعره في المتجردة

:

و قال في المتجردة:

ديار للتي قتلتك غصبا # بلا سيف يعد و لا نبال

بطرف ميّت في عين حيّ # له خبل يزيد على الخبال

و قال أيضا:

و لقد دخلت على الفتاة # في الخدر في اليوم المطير

[1] مقرمد: مطلى.

[2] مستحصف: قليل البلولة ضيق.

[3] الحزور: الرجل القوي.

[4] المحصد: الحبل الشديد الفتل.

[5] السخال: أولاد الغنم من الضأن و المعز ساعة: يولد.

الكاعب الخنساء[1] تر # فل في الدّمقس و في الحرير
 دافعتها فتدافعت # مشى القطاة إلى الغدير
 و لثمتها فتنفّست # كتنفّس الطبي البهير[2]
 و رنت و قالت يا منحّ # ل هل بجسمك من فتور؟[3]
 /ما مس جسمي غير حبّ # ك فاهدئي عني و سيري
 يا هند هل من نائل # يا هند للعاني الأسير؟
 و أحبّها و تحبّني # و يحبّ ناقتها بعيري
 و لقد شربت من المدى # مة بالكبير و بالصغير
 فإذا سكرت[4] فإنني # ربّ الخورنق[5] و السرير
 و إذا صحت فإنني # ربّ الشّوبهة و البعير
 يا ربّ يوم-للمنحّ # ل قد لها فيه-قصير

رواية أخرى لخبر المنخل مع المتجرّدة

:
 و أخبرني بخبر المنخل مع المتجرّدة أيضا عليّ بن سليمان الأخفش
 قال: أخبرني أبو سعيد السكريّ عن محمد بن حبيب عن ابن الأعرابيّ قال:
 كانت المتجرّدة امرأة النعمان فاجرة، و كانت تتهم بالمنخل، و قد ولدت
 للنعمان غلامين جميلين يشبهان المنخل، فكان يقال: إنهما منه، و كان جميلا
 و سيما، و كان النعمان أحمر أبرش قصيرا دميما. و كان للنعمان يوم يركب
 فيه فيطيل المكث، و كان المنخل من ندمائه لا يفارقه، و كان يأتي
 المتجرّدة في ذلك اليوم الذي يركب فيه النعمان فيطيل عندها، حتى إذا جاء
 النعمان أذنتها بمجيئه وليدة لها موكلّة بذلك فتخرجه.

فركب النعمان ذات يوم و أتاها المنخل كما كان يأتيها فلا عبته، /و
 أخذت قيذا، فجعلت إحدى حلقتيه في رجله و الأخرى في رجلها، و غفلت
 الوليدة عن ترقب النعمان؛ لأن الوقت الذي يجيء فيه لم يكن قرب بعد، و
 أقبل النعمان حينئذ و لم يطل في[6]مكثه كما كان يفعل، فدخل إلى
 المتجرّدة، فوجدها مع المنخل قد قيّدت رجلها، و رجله بالقيد، فأخذه
 النعمان فدفعه إلى عكبّ صاحب سجنه ليعدّبه-و عكبّ/رجل من لحم-فعدّبه
 حتى قتله.

و قال المنخل قبل أن يموت هذه الأبيات، و بعث بها إلى ابنه: ألا من مبلغ الحزين عني # بأن القوم قد قتلوا أبا

[1]الخنس بالتحريك: تأخر الأنف عن الوجه مع ارتفاع قليل في الأرنبة، و في جـ: «الحسنة» .

[2]البهير: المتتابع الأنفاس.

[3]رواية «الحماسة» :

فدنت و قالت يا منخ # ل ما بجسمك من حرور

[4]في جـ: «شربت» .

[5]الخورنق: قصر للنعمان الأكبر. و في «الحماسة» : «السدير» ، و هو نهر بناحية الحيرة.

[6]في جـ. ف: «و لم يطل في وجهه» .

وإن لم تتأروا لي من عكَبٍ # فلا أرويتما أبداً صدياً
يطوِّف بي عكَبٌ في معدٍّ # و يطعن بالصَّمْلَةَ [1] في قفياً

الأصح أن قاتله هو النعمان لا عمرو بن هند

:
قال ابن حبيب: و زعم ابن الجصاص أن عمرو بن هند هو قاتل المنخل،
و القول الأول أصح.

قصيدته في المتجرّدة

:
و هذه القصيدة التي منها الغناء يقولها في المتجرّدة، و أولها قوله: إن
كنت عاذلتني فسيري # نحو العراق و لا تحوري

لا تسألني عن جلٍّ ما # لي و اذكري كرمي و خيري

و إذا الرياح تناوحت # بجوانب البيت الكسير [2]

ألفيتني هشّ النديّ # بمزّ قدحي أو شجيري [3]

-الشجير: القدح الذي لم يصلح حسناً، و يقال: بل هو القدح العارِيّة.-

و نهى أبو أفعى فقلّ # دني أبو أفعى جريري [4]

و جلالة [5] خطّارة [6] # هو جاء جائلة الصّفور [7]

/تعدو بأشعث قد وهى # سر باله باقي المسير [8]

فضلا [9] على ظهر الطر # يق إليك علقمة بن صير

الواهب الكوم [10] الصّفا [11] # يا و الأوانس في الخدور

يصفيك حين تجيئه # بالعصب [12] و الحلي الكثير

[1] ب، س: «الصميلة»، تحريف، و زاد في ف بعد الأبيات: «الصملة:

الحرية» .

[2] البيت الكسير: الذي له كسور، و هي ما مس الأرض من هدابة، و

في ف: «الكبير» .

[3] في «حماسة» أبي تمام «و اللسان»: ألفيتني هشّ اليديين بمرى

قدحي أو شجيري.

و يقول التبريزي في «شرحه» : الشجير: القريب، و إنما يعني قدحا يتبرك به فيستعار. يقول: تجدني خفيف اليد بمسح القداح و عند حضور الأيسار، سواء القدح الذي جريته و الذي لم أجره حبا للندی.

[4]الجريـر: الزمام، و حبل يجعل للبعير بمنزلة العذار للدابة. و المراد منعه أن يعمل ما يريد.

[5]جلالة: ناقة مسنة.

[6]خطارة: تضرب بذنبها يمينا و شمالا.

[7]الصفور: جمع صفر كحبل، و هو ما يشد البعير به من مصفور.

[8]باقي المسير: لم يستنفد القدرة على المسير.

[9]فضلا: متفضلا في ثوب واحد. و في ف:

«قصدا على: وضح الطريق»

[10]الكوم: جمع كوما، و هي الناقة العظيمة السنام.

[11]الصفايا: النوق الغزيرة اللبن.

[12]العصب: هو ضرب من البرود. و في ب، س: «بالغض» .

و فوارس كأوار[1] حرّ # النار أحلاس[2] الذكور
شدّوا دوابر بيضهم # في كلّ محكمة القتير[3]
فاستلأموا[4] وتلبّوا # إن التلبّ للمغير
و على الجياد المضمرا # ت فوارس مثل الصقور
يخرجن من خلل الغبا # ر يجفن بالنعم الكثير
فشفت نفسي من أول # نك و الفوائح بالعبير
يرفلن في المسك الذكيّ # و صائك[5] كدم التّحير
يعكفن[6] مثل أساود التّ [7] # توم لم تعكف لزور
و لقد دخلت على الفتا # ة الخدر في اليوم المطير
الكاعب الخنساء[8] تر # فل في الدمقس و في الحرير
/فدفعتها فتدافعت # مشى القطاة إلى الغدير
و لثمتها فتنفّست # كتنفّس الطبي البهير
فدنت و قالت يا منحّ # ل ما بجسمك من حرور؟
ما شفّ جسمي غير حبّك # فاهدئي عنيّ و سيري
و لقد شربت من المدى # مة بالصغير و الكبير
و لقد شربت الخمر بال # خيل الإناث و بالذكور
و لقد شربت الخمر بال # عبد الصحيح و بالأسير
فإذا سكرت فإنني # ربّ الخورنق و السدير
و إذا صحوت فإنني # ربّ الشّوبهة و البعير
يا ربّ يوم للمنحّ # ل قد لها فيه قصير
يا هند هل من نائل # يا هند للعاني الأسير[9]

[1]الأوار: اللهب و الوهج.

[2]أحلاس: ملازمون، جمع جلس بكسر فسكون، من جلس البيت، و هو الكساء يبسط تحت حر الثياب.

[3]القتير: رعوس مسامير الدروع.

[4]استلأموا: لبسوا اللأمات، و هي الدروع، و تلبّوا: تحزموا، و في ب، س: «فاستلبثوا و تلبثوا # .. إن التلبث» ..

[5]صائك: وصف من صاك به الطيب يصيك: لزق.

[6]يعكفن: يمشطن أو يظفرن شعورهن.

[7]التنوم: شجر يسود كله، شبه ضفائرهن بفروعه.

[8]ف «الحسنا» .

[9]جاء هذا البيت في من مو، هد، مد، و لم يرد في سائر النسخ.

و من الناس من يزيد في هذه القصيدة: و أحبّها و تحبّني # و يحبّ
ناقتها بعيري
و لم أجده في رواية صحيحة.

صوت

لمن شيخان قد نشدا كلابا # كتاب الله لو قبل الكتابا

أناشده فيعرض في إباء # فلا و أبي كلاب ما أصابا

الشعر لأميّة بن الأسكر الليثيّ، و الغناء لعبد الله بن طاهر، رمل
بالوسطى. صنعه و نسبه إلى لميس جاريتة، و ذكر الهشاميّ أن اللحن لها، و
ذكره عبيد الله بن عبد الله بن طاهر في جامع أغانيهم و وقع إليّ، فقال:
الغناء فيه للدّار الكبيرة، و كذلك كان يكتّى عن أبيه، و عن إسحاق بن
إبراهيم بن مصعب و جواربهم، و يكتّى عن نفسه و جاريتة شاجي و ما يصنع
في دور إخوته بالدار الصغيرة.

2- أخبار أمية بن الأسكر و نسبه

نسبه

:

هو أمية بن حرثان بن الأسكر بن عبد الله بن سراييل الموت بن زهرة بن زينة[1] بن جندع بن ليث بن بكر بن عبد مناة بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار.

شاعر فارس مخضرم أدرك الجاهلية و الإسلام، و كان من سادات قومه و فرسانهم، و له أيام ماثورة مذكورة.

عمر يستعمل ابنه كلابا على الأبله

:

و كان له أخ يقال له: أبو لاعق الدم، و كان من فرسان قومه و شعرائهم، و ابنه كلاب بن أمية أيضا أدرك النبي صلى الله عليه و سلم فأسلم مع أبيه، ثم هاجر إلى النبي صلى الله عليه و سلم فقال أبوه فيه شعرا، ذكر أبو عمرو الشيباني أنه هذا الشعر، و هو خطأ، إنما خاطبه بهذا الشعر لما غزا[2] مع أهل العراق لقتال الفرس، و خبره في ذلك يذكر بعد هذا.

قال أبو عمرو في خبره: فأمره صلى الله عليه و سلم بصلة أبيه و ملازمته طاعته.

و كان عمر بن الخطاب استعمل كلابا على الأبله[3]، فكان أبواه ينتابانه، يأتيه أحدهما في كل سنة، ثم أبطئا عليه و كبرا فضعفا عن لقائه، فقال أبياتا و أنشدها عمر، فرق له و رده/إليهما، فلم يلبث معهما إلا مدة حتى نهشته أفعى؛ فمات و هذا أيضا و هم من أبي عمرو، و قد عاش كلاب حتى ولي لزياد الأبله، ثم استعفى، أعفاه. و سأذكر خبره في ذلك و غيره هاهنا إن شاء الله تعالى.

شعره لابنه كلاب لما أغزاه عمر و طالت غيبته عنه

:

فأما خبره مع عمر فإن الحسن بن علي أخبرني به، قال: حدثني الحارث بن محمد قال: حدثني المدائني عن أبي بكر الهذلي عن الزبير عن عروة بن الزبير قال:

/هاجر كلاب بن أمية بن الأسكر إلى المدينة في خلافة عمر بن الخطاب، فأقام بها مدّة، ثم لقي ذات يوم طلحة بن عبيد الله و الزبير بن العوّام، فسألهما: أيّ الأعمال أفضل في الإسلام؟ فقالا: الجهاد، فسأل عمر فأغراه في جيش، و كان أبوه قد كبر و ضعف، فلما طال غيبة كلاب عنه قال:

لمن شيخان قد نشدا كلابا # كتاب الله إن [4] قبل الكتابا

أناديه فيعرض في إباء # فلا و أبي كلاب ما أصابا

[1] في ب، س: «زينة» .

[2] ف: «بهذا الشعر لما غزا» .

[3] الأبله: بلدة غربي البصرة، و نهرها معدود من أجمل متنزهات الدنيا.

[4] في ف: «لو قبل» ، و الأبيات في «أمالي القالي» 3: 108 بترتيب

مخالف.

إذا سجعت[1] حمامة بطن واد # إلى[2] بيضاتها دعرا كلابا
 أتاه مهاجران تكنفاه # ففارق[3] شيخه خطأ[4] و خابا
 تركت أباك مرعشة يداه # و أمك ما تسيع لها شرابا
 تمسح مهرة شفا علىه # و تجنبه أباعرها الصعابا

-قال: تجنبه و تجنبه واحد، من قول الله عز و جل: **وَ اجْتَنِبِي وَ بَنِيَّ
 أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ** [5]. قال: -

فإنك قد تركت أباك شيخا # يطارق[6] أينقا شزبا[7] طرابا
 /فإنك و التماس الأجر بعدي # كباغي الماء يتبع السرابا[8]

ينشد عمر شعرا ليرد له كلابا فيبكي عمر رحمة له و يرده عليه
 :

فبلغت أبياته عمر، فلم يردد كلابا و طال مقامه[9] فأهتر أمية و خلط
 جزعا عليه، ثم أتاه يوما و هو في مسجد رسول الله صلى الله عليه و سلم
 و حوله المهاجرون و الأنصار، فوقف عليه ثم أنشأ يقول: أعاذل قد عدلت
 بغير قدر # و لا تدرين عاذل ما ألاقى

فإما كنت عاذلتي فردي # كلابا إذ توجه للعراق
 و لم أفض اللبانة من كلاب # غداة غد و أذن بالفراق
 فتى الفتيان في عسر و يسر # شديد الركن في يوم التلاقي
 فلا و الله ما باليت وجدي # و لا شفقي عليك و لا اشتياقي
 و إبقائي عليك إذا شتونا # و ضمك تحت نحري و اعتناقني
 فلو فلق الفؤاد شديد وجد # لهم سواد قلبي بانفلاق
 سأستعدى على الفاروق ربّا # له دفع الحجيج إلى بساق[10]
 و أدعو الله مجتهدا عليه # ببطن الأخشيين إلى دفاق
 إن الفاروق لم يردد كلابا # إلى شيخين هامهما زواق

- [1] في «الأمالي»: «هتفت» .
- [2] في «الأمالي»: «على» .
- [3] في «الأمالي»: «ليترك» .

[4] كذا في «الأمالي» و السمط. و في ب، س، ف: «خطا و طابا»
تحريف.

[5] سورة إبراهيم، آية: 35.

[6] يطارق: يطابق.

[7] شزبا: ضامرة. و في «الأمالي» .

و إن إياك حيث علمتماه # يطارد أينقا شسبا طرابا

[8] هذا البيت ساقط من «الأمالي» .

[9] في ب، س: «أمية» ، تحريف.

[10] بساق: موضع بعينه.

عمر يسأل كلابا عن مبلغ بره بأبيه فيصفه له

قال: فبكى عمر بكاء شديدا، و كتب برّد كلاب إلى المدينة، فلما قدم دخل إليه، فقال: ما بلغ من برّك / بأبيك؟ قال: كنت أوثره [1] و أكفيه أمره، و كنت أعتد إذا أردت أن أحلب له لبنا أغزر ناقة في إبله و أسمنها فأريحها [2] و أتركها حتى تستقرّ، ثم أغسل أخلافها حتى تبرد ثم أحتلب له [2] فأسقيه.

عمر يرد كلابا عليه و يأمره أن يلزم أبويه

فبعث/عمر إلى أمية من جاء به إليه، فأدخله يتهادى و قد ضعف بصره و انحنى. فقال له: كيف أنت يا أبا كلاب؟ قال: كما تراني يا أمير المؤمنين. قال: فهل لك من حاجة؟ قال: نعم، أشتهي أن أرى كلابا فأشمه شمة، و أضمه ضمّة قبل أن أموت. فبكى عمر، ثم قال: ستبلغ من هذا ما تحبّ إن شاء الله تعالى. ثم أمر كلابا أن يحتلب لأبيه ناقة كما كان يفعل، و يبعث إليه. بلبنها، ففعل فناوله عمر الإناء، و قال: دونك هذا يا أبا كلاب [3].

فلما أخذه و أدناه إلى فمه قال: لعمر: و الله يا أمير المؤمنين، إني لأشمّ رائحة يدي كلاب من هذا الإناء، فبكى عمر، و قال: هذا كلاب عندك حاضرا قد جئناك به، فوثب إلى ابنه و ضمّه إليه و قبّله، و جعل عمر يبكي و من حضره، و قال لكلاب: الزم أبويك فجاهد فيهما ما بقيا، ثم شأنك بنفسك بعدهما، و أمر له بعطائه، و صرفه مع أبيه، فلم يزل معه مقيما حتى مات أبوه.

يخرجه قومه لأن إبله أصيبت بالهيام

و نسخت من كتاب أبي سعيد السكريّ أن أمية كانت له إبل هائمة-أي أصابها الهيام و هو داء يصيب الإبل من العطش- فأخرجته بنو بكر مخافة أن يصيب إبلهم، فقال لهم: يا بني بكر، إنما هي ثلاث ليال: ليلة بالبقعاء [4] و ليلة بالفرع [5]، و ليلة بلقف [6] في سامر من بني بكر، فلم ينفعه ذلك و أخرجوه، فأتى مزينة فأجاروه، و أقام عندهم إلى أن صحّت إبله، و سكنت، فقال يمدح مزينة: تكتّفها الهيام و أخرجوها # فما تأوى إلى إبل صحاح

/فكان إلى مزينة منتهاها # على ما كان فيها من جناح
و ما يكن الجناح فإنّ فيها # خلائق ينتمين إلى صلاح
و يوما في بني ليث بن بكر # تراعى تحت قعقعة الرماح
فإمّا أصبحن شيخا كبيرا # وراء الدار يثقلني سلاحي
فقد آتى الصريخ إذا دعاني # على ذي منعة [7]عتد [8]وقاح

[1] في ب، س: «أدثره» . و في «المختار»: «كنت أبره» .

(2-2) زيادة: من هد، ف.

[3] في ب، س: «يا كلاب» .

[4]البقعاء: ماء لعبس، و قيل: مياه لبني السليط، تلقاء نجد على 24
ميلا من المدينة.

[5]الفرع: قرية من ناحية المدينة.

[6] «لقف» موضع أيضا، و في ب، س: «تلقف» ، تحريف.

[7] و في ج. ف: «مiece» و هي جري الفرس و نشاطه.

[8]عتد أي شديد نام الخلق. و الوقاح: ذو الصلابة و في ب، س:
«عند» ، تحريف.

و شرّ أخي مؤامرة خذول # على ما كان مؤتكل [1] و لاح

شعره حين ضحك راع منه و قد عمر حتى خرف

:

أخبرني عمي قال: حدثنا محمد بن عبد الله الحزنبلي عن عمرو بن أبي عمرو الشيباني عن أبيه، و أخبرني به محمد بن خلف بن المرزبان قال: حدثنا أبو توبة عن أبي عمرو قال: عمّر أمية بن الأسكر عمرا طويلا حتى خرف، فكان ذات يوم جالسا في نادي قومه و هو يحدث نفسه، إذ نظر إلى راعي ضأن لبعض قومه يتعجب منه، فقام لينهض فسقط على وجهه، فضحك الراعي منه، و أقبل ابناه إليه، فلما رأهما أنشأ يقول: يا بني [2] أمية إني عنكما غان # و ما الغنى غير أني مرعش فان

يا بني أمية إلا تحفظا كبرى # فإنما أنتما و التكل سيان [3]

هل لكما في تراث تذهبان به # إن التراث لهيان بن بيان

-يقال: هيان بن بيان، و هي ترى للقريب و البعيد-

/

أصبحت هزاء [4] لراعي الضأن يسخر بي [5] # ما ذا يربيك مني راعي الضأن

/ أعجب لغيري إني تابع سلفي # أعمام مجد و أجدادي و إخواني

و انعق بضأنك في أرض تطيف بها # بين الأساف [6] و أنتجها بجلدان [7]

-جلدان [8]: موضع بالطائف-

ببلدة لا ينام الكالان بها # و لا يقرّ بها أصحاب ألوان

الإمام علي يتمثل بشعر له

:

و هذه الأبيات تمثّل بها أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب صلوات الله عليه في خطبة له على المنبر بالكوفة.

حدثنا بها أحمد بن عبيد الله بن عمار و أحمد بن عبد العزيز الجوهري، قالوا: حدثنا عمر بن شبة قال: حدثنا محمد بن أبي رجاء، قال: حدثنا إبراهيم بن سعد، قال: قال عبد الله بن عديّ بن الخيار: شهدت الحكمين، ثم أتيت الكوفة و كانت لي إلى عليّ عليه السلام حاجة، فدخلت عليه، فلما رأني

قال: مرحبا بك يا ابن أمّ قتّال، أ زائرا جئنا أمّ لحاجة؟ فقلت: كلّ جاء بي،
جئت لحاجة، و أحببت أن أجدّ بك عهدا، [1]مؤتكل: غاضب هائج.

[2] في ب، س: «بني أمية» .

[3] في ف: «مثلان» .

[4] في ب، س: «قردا» .

[5] ف: «يلعب بي» .

[6] الأساف: البقاع التي لا تنبت، جمع أسافة، كسحابة و كناسة.

[7] في «الأمالي» : «جمدان» كعثمان، و هو اسم واد، و اسم جبل.

في ب، س: «بخلدان» .

[8] في ب، س: «خلدان» . .

و سألته عن حديث فحدثني على ألاّ أحدث به وإحدًا[1]، فبينما أنا يوماً بالمسجد في الكوفة إذا عليّ صلوات الله عليه متنكب قرنا[2]له. فجعل يقول: الصلاة جامعة. و جلس على المنبر، فاجتمع الناس، و جاء الأشعث بن قيس فجلس إلى جانب المنبر. فلما اجتمع الناس، و رضي منهم قام فحمد الله و أثنى عليه، ثم قال:

/أيها الناس، إنكم تزعمون أن عندي من رسول الله-صلى الله عليه و سلّم- ما ليس عند الناس، ألا و إنه ليس[3]عندي إلا ما في قرني هذا، ثم نكت[4]كناتته، فأخرج منها صحيفة فيها: المسلمون تتكافأ دماؤهم، و هم يد على من سواهم.

من أحدث حدثاً أو آوى محدثاً فعليه لعنة الله و الملائكة و الناس أجمعين». فقال له الأشعث بن قيس: هذه و الله عليك لا لك، دعها تترحل، فخفض عليّ-صلوات الله عليه-إليه بصره، و قال: ما يدريك ما عليّ مما لي! عليك لعنة الله و لعنة اللاعنين، حائك ابن حائك، منافق ابن منافق، كافر ابن كافر. و الله لقد أسرك الإسلام مرة و الكفر مرة، فما فداك من واحد منهما حسبك و لا مالك، ثم رفع إليّ بصره فقال: يا عبيد الله:

أصبحت قنّاً لراعي الضأن يلعب بي # ما ذا يريك منّي راعي الضان

فقلت: بأبي أنت و أمي، قد كنت و الله أحبّ أن أسمع هذا منك. قال: هو و الله ذلك، قال:

فما قيل من بعدها من مقالة # و لا عقلت مني جديدا و لا درسا

يعود كلاب إلى البصرة بعد موت أبيه و يولي الأبله ثم يستعفى منها

:

أخبرني الحسن بن عليّ قال: حدثنا الحارث، عن المدائنيّ قال:

لما مات أمية بن الأسكر عاد ابنه كلاب إلى البصرة، فكان يغزو مع المسلمين، منها مغازيهم، و شهد فتوحات كثيرة، و بقي إلى أيام زياد، فولاه الأبله، فسمع كلاب يوما عثمان بن أبي العاص يحدث أن داود نبيّ الله-عليه السلام-كان يجمع أهله في السّحر فيقول: ادعوا ربكم فإن في السّحر ساعة لا يدعو فيها عبد مؤمن إلا غفر له، إلا أن يكون عشّارا[5]أو عريفا[6].

/فلما سمع ذلك كلاب كتب إلى زياد، فاستغفاه من عمله فأعفاه.

قال المدائني: و لم يزل كلاب بالبصرة[7]حتى مات، و المربعة
المعروفة بمربعة كلاب بالبصرة[7]منسوبة /إليه.

شعر أمية و قد ظفر بنو ليث بقومه

:

و قال أبو عمرو الشيباني: كان بين بني غفار قومه و[7]و بني ليث
حرب، فظفرت بنو ليث بغفار، فحالف رخصه بن خزيمة بن خلاف بن حارثة
بن غفار و قومه[7]جميعا بني أسلم بن أفضى بن خزاعة، فقال أمية بن
الأسكر [1]في ب، س: «حديثاً» ، تحريف.

[2]قرنا: جعبة.

[3]في ف: «و إنه و الله» .

[4]في ب، س: «نكب» ، تحريف.

[5]العشار: جابى عشر الأموال.

[6]العريف: الرئيس، أو النقيب، و هو دون الرئيس.

(7-7) تكملة من ف.

في ذلك، و كان سيد بني جندع بن ليث و فارسهم:

لقد طبت نفسا عن مواليك يا رحضا # آثرت أذنان الشوائل و الحمضا[1]

تعللنا بالتصر في كل شتوة # و كل ربيع أنت رافضنا رفضا

فلو لا تأسينا و حد رماحنا # لقد جر قوم لحمنا تربا قضا

-القض و القضيض: الحضا الصغار-

عبد الله بن الزبير يتمثل بشعره

:

أخبرني الحسن بن عليّ قال: حدثني أحمد بن زهير قال: حدثنا مصعب بن عبد الله عن أبيه قال: افتعل عمرو بن الزبير كتابا عن معاوية إلى مروان بن الحكم بأن يدفع إليه مالا، فدفعه إليه، فلما عرف معاوية خبره كتب إلى مروان بأن يحبس عمرا حتى يؤدّي المال، فحبسه مروان، و بلغ الخبر عبد الله بن الزبير، فجاء إلى مروان و سأله عن الخبر، فحدّثه به، فقال: ما لكم في ذمتي، فأطلق عمرا، و أدّى عبد الله المال عنه، و قال: و الله إنني لأؤديه عنه و إنني لأعلم أنه غير شاكر، ثم تمثّل قول أمية بن الأسكر الليثي: /

فلو لا تأسينا و حد رماحنا # لقد جر قوم لحمنا تربا قضا

سيدان يخطبان بنتا له و يتفاخران في الظفر بها

:

و قال ابن الكلبي: حدثنا بعض بني الحارث بن كعب قال: اجتمع يزيد بن عبد المدان و عامر بن الطفيل بموسم عكاظ، فقدم أمية بن الأسكر، و معه بنت له من أجمل أهل زمانها، فخطبها يزيد و عامر، فقالت أمّ كلاب امرأة أمية: من هذان الرجلان؟ قال: هذا ابن الديان، و هذا عامر بن الطفيل. قالت: أعرف ابن الديان، و لا أعرف عامرا. قال: هل سمعت بملاعب[2] الأسنة؟ قالت: نع و الله. قال: فهذا ابن أخيه.

و أقبل يزيد فقال: يا أمية أنا ابن الديان، صاحب الكتيب، و رئيس مذبح، و مكلم العقاب، و من كان يصوب أصابعه فتتطف دما، و يدلك راحتيه فتخرجان[3] ذهبا. قال أمية: بخ بخ.

فقال عامر: جدّي الأحزم، و عمّي أبو الأصبع، و عمّي ملاعب الأسنة، و جدّي الرّحال، و أبي فارس قرزل.

قال أمية: بخ بخ، مرعى و لا كالسعدان[4]، فأرسلها. مثلا.

فقال يزيد: يا عامر، هل تعلم شاعرا من قومي رحل بمدحه إلى رجل من قومك؟ قال: لا، قال: فهل تعلم أن شعراء قومك يرحلون بمدحهم إلى قومي؟ قال: نعم. قال: فهل لك نجم يمان أو برد يمان أو سيف يمان أو ركن يمان؟ فقال: لا، قال: فهل ملكناكم و لم تملكونا؟ قال: نعم، فنهض يزيد و قام، ثم قال: [1]الشوائل: جمع شائلة، و هي التي أتى على حملها سبعة أشهر، و الحمض: نبت ترعاه الإبل. و في ب، س، السوالك و المحضا» .

[2] في ب، س: «ملاعب» .

[3] في ب، س: «فتخرج» ، تحريف.

[4]السعدان: نبت من أفضل مراعي الإبل. مثل يضرب للشيء يفضل على أقرانه: و في «مجمع الأمثال» للميداني: أنه للخنساء.

/

أمي يا ابن الأسكر بن مدلج # لا تجعلن [1] هوازنا كمذحج
 إنك إن تلهج بأمر تلجج [2] # ما التبع في مغرسه كالعوسج
 و لا الصريح المحض كالممّج

و قال مرّة بن دودان العقيلي، و كان عدوّا لعامر بن الطفيل: يا ليت
 شعري عنك يا يزيد # ما ذا الذي من عامر تريد؟

لكلّ قوم فخرهم عتيد # أ مطلقون نحن أم عبيد؟

/ لا بل عبيد زادنا الهبيد [3]

فروّج أمية يزيد [4] فقال يزيد في ذلك:

يا للرجال لطارق الأحزان # و لعامر بن طفيل الوسنان
 كانت إتاوة قومه لمحرق [5] # زمنا و صارت بعد للنعمان
 عدّ [6] الفوارس من هوازن كلّها # كنفنا [7] عليّ و جئت بالديان
 فإذا لي الفضل الميين بوالد # ضخم الدسيعة [8] أزانّي [9] و يمان
 يا عام إنك فارس متهورّ # غضّ الشباب أخو ندى و قيان
 / و اعلم بأنك يا ابن فارس قرزل # دون الذي تسمو له و تدانى
 ليست فوارس عامر بمقرّة # لك بالفضيلة في بني عيلان
 فإذا لقيت بني الخميس و مالكا # و بني الصّباب و حيّ آل قنان
 فاسأل من المرء المنوّه باسمه # و الدافع الأعداء عن نجران؟
 يعطى المقادة في فوارس قومه # كرما لعمرك و الكريم يمان [10]

فقال عامر بن الطفيل مجيبا له:

يا للرجال لطارق الأحزان # و لما يجيء به بنو الدّيان
 فخرُوا عليّ بحبوة لمحرق # و إتاوة سلفت من النعمان

[1] في ب، س: «لا تخلن» تحريف.

[2] في ف: «تلهج» .

[3] الهبيد: الحنظل.

[4] في ف: «يزيد بن عبد المدان ابنته» .

[5] ممن يلقبون بالمحرق: عمرو بن هند، و الحارث بن عمرو.

[6] في ب، س: «غدت» .

[7] الكثف: الكثرة و الالتفاف.

[8] الدسيعة: الجفنة و المائدة الكريمة.

[9] أزانبي: لغة في يزني، نسبة إلى يزن، بطن من حمير، و واد لهم: حماه أحد ملوكهم، فسمي بذي يزن. و في ف: «زانني و نماني» .

[10] في ب، س: «معان» .

ما أنت و ابن محرق و قبيله # و إتاوة اللخميّ في عيلان؟
 فاقصد بذرعك قصد أمرك[1]قصده # ودع القبائل من بني قحطان
 إذ كان سالفنا الإتاوة فيهم # أولى ففخرتك فخر كل يمان
 و افخر[2]برهط بني الحماس[3]و مالك # و ابن الصّباب و زعبل و قيان
 و أنا المنخل و ابن فارس فرزل # و أبو نزار زانني و نماني[2]
 و إذا تعاطمت الأمور موازنا # كنت المنوّه باسمه و الثاني
 فلما رجع القوم إلى بني عامر وثبوا على مرّة بن دودان، و قالوا: أنت
 شاعر بني عامر و لم تهج بني الديان، فقال: /

تكلّفني هوازن فخر قوم # يقولون الأنام لنا عبيد
 أبوهم مذحج و أبو أبيهم # إذا ما عدّت الآباء-هود
 و هل لي إن فخرت بغير فخر # مقال و الأنام له شهود؟
 فإنا لم نزل لهم قطينا[4] # تجيء إليهم منا الوفود
 فإنا[5]نضرب الأحلام صفحا # عن العلياء أو[6]من ذا بكيد؟
 فقولوا يا بني عيلان كنا # لكم قتًا و ما عنكم محيد[7]

و هذا الخبر مصنوع من مصنوعات ابن الكلبيّ، و التوليد فيه بين، و
 شعره شعر ركيك غثّ، لا يشبه أشعار القوم، و إنما ذكرته لئلا يخلو الكتاب
 من شيء قد روي.

شعره حين أصيب رهط من قومه يوم المريسيع

:

و قال محمد بن حبيب فيما روى عنه أبو سعيد السكّريّ، و نسخته من
 كتابه، قال أبو عمرو الشيبانيّ: أصيب قوم من بني جندع بن ليث بن بكر بن
 هوازن رهط أمية بن الأسكر يقال لهم/ بنو زينة، أصابهم أصحاب النبي-
 صلى الله عليه و سلم-يوم المريسيع[8]في غزوته بني المصطلق، و كانوا
 جيرانه يومئذ-و معهم ناس من بني لحيان من هذيل، و مع بني جندع رجل
 من خزاعة يقال له: طارق، فاتهمه بنو ليث بهم، و أنه/دلّ عليهم. و كانت
 خزاعة مسلمها[9]و مشركها يميلون إلى النبي-صلى الله عليه و سلم-على
 قريش. فقال أمية بن الأسكر لطارق الخزاعيّ: [1]في ف: «قصد قومك
 قصره» .

(2-2) زيادة من ف.

[3] ذكروا في شعر يزيد باسم «بني الخميس» .

[4] قطينا: أتباعا.

[5] في ب، س: «وإني» .

[6] في ف: «أم» .

[7] في ف: «لهم قنا و ما عنها» .

[8] المريسيع: بئر أو ماء الواحة.

[9] في ف: «مسلموها و مشركوها».

لعمرك إني و الخزاعي طارقا # كنعجة عاد حتفها تتحفر
 أثارت عليها شفرة بكراعتها # فطلت بها من آخر الليل تجزرا[1]
 شمت بقوم هم صديقك أهلكوا # أصابهم يوم من الدهر أعسر
 كأنك لم تنبأ بيوم ذؤالة # و يوم الرجيع إذ تنخر حبترا[2]
 فهلاً أباكم في هذيل و عمكم # ثأرتم و هم أعدى قلوبا و أوتر
 و يوم الأراك يوم أردف سبيكم[3] # صميم سراة الدبل عبد و يعمر
 و سعد بن ليث إذ تسل نساؤكم # و كلب بن عوف نخروكم و عقروا[4]
 عجت لشيخ من ربيعة مهتر[5] # أمر له يوم من الدهر منكر

شعر طارق الخزاعي يجيبه فيه

فأجابه طارق الخزاعي فقال:

لعمرك ما أدري و إني لقائل # إلى أي من يطنني[6] أتعدّر؟
 أعنف أن كانت زينة أهلكت # و نال بني لحيان شرّ و نفروا

ابن عباس و معاوية يتمثلان بشعره و شعر صاحبه

و هذه الأبيات: الابتداء، و الجواب تمثّل بابتدائها ابن عباس في رسالة إلى معاوية، و تمثّل بجوابها معاوية في رسالة أجابه بها.

حدّثني بذلك أحمد بن عيسى بن أبي موسى العجليّ العطار بالكوفة، قال: حدثنا الحسين بن نصر بن مزاحم المنقريّ قال: حدثنا زيد بن المعدّل الثمريّ، قال: حدثنا يحيى بن شعيب الخراز، قال: حدثنا أبو مخنف، قال: لما بلغ معاوية مصاب أمير المؤمنين عليّ-عليه السلام- دسّ رجلا من بني القين إلى البصرة يتجسس الأخبار و يكتب بها إليه، فدلّ على القينيّ بالبصرة في بني سليم، فأخذ و قتل.

و كتب ابن عباس من البصرة إلى معاوية: أما بعد، فإنك و دسك أخوا بني القين إلى البصرة تلتمس من غفلات قريش مثل الذي ظفرت به من يمانيتك لكما قال الشاعر: لعمرك إني و الخزاعي طارقا # كنعجة عاد حتفها تتحفر

أثارت عليها شفرة بكراعتها # فطلت بها من آخر الليل تجزرا

- [1] في ف: «تنحر» .
- [2] في ف: «خير» .
- [3] في ب، س: «سيبكم» .
- [4] في ب، س: «عقر» ، تحريف.
- [5] المهتر: الرجل يفقد عقله من الكبر أو المرض أو الحزن.
- [6] يظنني: يتهمني.

شمتّ يقوم هم صديقك أهلكوا # أصابهم يوم من الدهر أمعر[1]

فأجابه معاوية: أما بعد، فإن الحسن قد كتب إليّ بنحو مما كتبت به و
أبني/بما لم أجن[2]ظنا و سوء رأي، و إنك لم تصب مثلنا، و لكن مثلنا و
مثلكم كما قال طارق الخزاعيّ: فو الله ما أدري و إني لصادق # إلى أيّ
من يظنّني أتعدّر؟

أعتّف أن كانت زينة أهلكت # و نال بني لحيان شرّ و نقرّوا

صوت

أ بنيّ إني قد كبرت و رابني # بصريّ و فيّ لمصلح مستمتع

فلئن كبرت نقد دنوت من[3]البلى # و حلت لكم مّنيّ خلائق أربع

عروضه من الكامل، و الشعر لعبدّة بن الطيب، و الغناء لابن محرز، و
لحنه من القدر الأوسط من الثقيل الأول بالبنصر في مجراها عن إسحاق، و
فيه لمعبد خفيف ثقيل أول بالبنصر في مجراها عنه أيضا.

[1]الأمعر: القليل الخير، و في ب، س: «أصعر» .

[2]في ب، س: «أجز» ، تحريف.

[3]في ف: «إلى» و رواية «المفضليات» : (146) : فلئن هلكت لقد

بنيت مساعيا # تبقى لكم منها مآثر أربع

3-نسب عبدة بن الطبيب و أخباره

نسبه و اسم الطبيب أبيه

:

هو فيما ذكر ابن حبيب عن ابن الأعرابي، و أبو نصر أحمد بن حاتم عن الأصمعيّ و أبي عمرو الشيبانيّ و أبي فروة العكليّ: عبدة بن الطبيب، و الطبيب اسمه يزيد بن عمرو بن وعلة بن أنس بن عبد الله بن عبد تيم بن جشم بن عبد شمس. و يقال: عبشمس بن سعد بن زيد مناة بن تميم. و قال ابن حبيب خاصة: و قد أخبرني أبو عبيدة قال: تميم كلها كانت في الجاهلية يقال لها: عبد تيم، و تيم: صنم كان لهم يعبدونه.

كان شاعرا مجيدا ليس بالمكثر

:

و عبدة شاعر مجيد ليس بالمكثر، و هو مخضرم، أدرك الإسلام فأسلم، و كان في جيش النعمان بن المقرّن الذين حاربوا معه الفرس بالمدائن. و قد ذكر ذلك في قصيدته التي أولها: هل حبل خولة بعد الهجر موصول # أم أنت عنها بعيد الدار مشغول؟

حلّت خويلة في دار مجاورة # أهل المدينة [1] فيها الديك و الفيل

يقارعون رءوس العجم ضاحية # منهم فوارس لا عزل و لا ميل [2]

أرثى بيت قالته العرب من شعره

:

أخبرني محمد بن العباس اليزيديّ قال: حدّثني عبد الرحمن ابن أخي الأصمعي عن عمه قال: أرثى بيت قالته العرب قول عبدة بن الطبيب:

فما كان قيس هلكه هلك واحد # و لكنه بنيان قوم تهديّما

/و تمام هذه الأبيات: أنشدناه عليّ بن سليمان الأخفش عن السكري و المبرّد و الأحول [3] لعبدة يرثي قيسا: عليك سلام الله قيس بن عاصم # و رحمته ما شاء أن يترحمّا

تحية من أوليته منك نعمة # إذا زار عن شحط بلادك سلّما

و ما كان قيس هلكه هلك واحد # و لكنه بنيان قوم تهديّما

[1] في «المفضليات»: «المدائن» .

[2]میل: جمع أمیل، و هو الجبان و السيئ الركوب. أو من لا ثرمل معه
و لا سيف و لا رمح.

[3]في ب، س: «الأقول» ، تحريف.

يترفع عن الهجاء

:
أخبرني محمد بن الحسن بن دريد قال: حدثنا أبو عثمان الأشنانداني عن التّوّزيّ عن أبي عبيدة عن يونس قال: قال رجل لخالد بن صفوان: كان عبدة بن الطبيب لا يحسن أن يهجو، فقال: لا تقل ذلك، فوالله ما أبى من عبيّ، و لكنه كان يترفع عن الهجاء و يراه ضعة، كما يرى تركه مروءة و شرفاً، قال: و أجراً من رأيت بظهر غيب # على عيب الرجال أولو[1]العيوب

عبد الملك بن مروان يروي أفضل ما ذكره في شعر له

:
/أخبرني محمد بن القاسم الأنباريّ قال: حدثنا أحمد بن يحيى ثعلب، عن ابن الأعرابيّ: أن عبد الملك بن مروان قال يوماً لجلسائه: أيّ المناديل أشرف؟ فقال قائل منهم: مناديل مصر، كأنها غرقىء[2]البيض. و قال آخرون: مناديل اليمن، كأنها نور الربيع. فقال عبد الملك: مناديل أخي بني سعد عبدة بن الطبيب، قال: لمّا نزلنا نصبنا ظلّ أخبية[3] # و فار للقوم باللحم المراجيل

/ورد و أشقر[4] ما يؤنيه[5]طابخه # ما غير الغلي منه فهو مأكول

ثمّت قمنا إلى جرد مسؤمة # أعرافهنّ لأيدينا مناديل

يعني بالمراجيل: المراجل، فزاد فيها الياء ضرورة.

صوت

إن الليالي أسرع في نقضي # أخذن بعضي و تركن بعضي

حنين طولي و طوين عرضي # أقعدنني من بعد طول نهض

عروضه من الرّجز، الشعر للأغلب العجليّ، و الغناء لعمر بن بانه، هزج بالبنصر.

[1] في ف: «أخو» .

[2]الغرقىء: القشرة الملتزقة ببياض البيض.

[3] في «المفضليات»: 141: «لما وردنا رفعنا ظل أردية» .

[4] في «المفضليات» : «وردا» . شبه ما أخذ فيه النضج من اللحم بالورد، و ما لم ينضج بالأشقر.

[5] يؤنيه، أي يمعله. و في «المفضليات» : «لم ينهئه» أي ينضجه و في ب، س «ما ينهئه» ، تحريف.

4- أخبار الأغلّب و نسبه

نسبه

:

هو-فيما ذكر ابن قتيبة-الأغلّب بن جشم بن سعد بن عجل بن لجيم بن صعب بن عليّ بن بكر بن وائل.

إسلامه و استشهاده

:

و هو أحد المعمّرين، عمّر في الجاهلية عمرا طويلا، و أدرك الإسلام فأسلم، و حسن إسلامه و هاجر، ثم كان فيمن توجّه إلى الكوفة مع سعد بن أبي وقاص، فنزلها، و استشهد في وقعة بنهاوند[1]، فقبّره هناك في قبور الشهداء.

هو أول من رجز الأراجيز الطّوال

:

و يقال: إنه أوّل من رجز الأراجيز الطّوال من العرب، و إياه عنى الحجاج بقوله مفتخرا:

إني أنا الأغلّب أمسى قد نشد[2]

قال ابن حبيب: كانت العرب تقول الرجز في الحرب و الحداء و المفاخرة و ما جرى هذا المجرى، فتأتي منه بأبيات يسيرة، فكان الأغلّب أول من قصّد الرجز، ثم سلك الناس بعده طريقته.

كانت له سرحة يصعد عليها و يرتجز

:

أخبرنا الفضل بن الحباب الجمحيّ أبو خليفة في كتابه إلينا، قال: أخبرنا محمد بن سلام، قال: حدثنا الأصمعيّ.

و أخبرنا أحمد بن محمد أبو الحسن الأسديّ قال حدثنا الرياشيّ، قال حدثنا معمر بن عبد الوارث عن أبي عمرو بن العلاء، قال:

كانت للأغلّب سرحة[3] يصعد عليها، ثم يرتجز:

قد عرفنتي سرحتي فأطّت[4] # و قد شمطت بعدها و اشمطت

فاعترضه رجل من بني سعد، ثم أحد بني الحارث بن عمرو بن كعب بن سعد، فقال له:

/

قبحت من سالفة[5]و من قفا # عبد إذا ما رسب القوم طفا

[1]نهاوند: من بلاد الجبل. جنوبي همذان.

[2]في ف: «نثر» .

[3]السرحية: كل شجرة لا شوك فيها.

[4]أطت: صوتت.

[5]أصل السالفة: مقدم عنق الفرس. و المراد ذمه بقبح وجهه و قفاه.

كما شرار الرّعي [1] أطراف السّفى

ينقص عمر عطاءه لقبوله الإنشاد من شعر في الجاهلية

:
أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ، قال: حدثنا عمر بن شبة، قال: حدثني محمد بن عباد بن حبيب المهلبيّ، قال: حدثني نصر بن ناب عن داود بن أبي هند عن الشعبيّ، قال:

كتب/عمر بن الخطاب إلى المغيرة بن شعبة و هو على الكوفة: أن أستنشد من قبلك من شعراء قومك [2] ما قالوا في الإسلام، فأرسل إلى الأغلب العجليّ فاستنشدته فقال:

لقد سألت هينا موجودا # أرجزا تريد أم قصيدا؟

ثم أرسل إليّ لبيد فقال له: إن شئت مما عفا الله عنه-يعني الجاهلية- فعلت. قال: لا، أنشدني ما قلت في الإسلام. فانطلق لبيد فكتب سورة البقرة في صحيفة، و قال: أبدلني الله عزّ و جلّ بهذه في الإسلام مكان الشعر.

فكتب المغيرة بذلك إلى عمر، فنقص عمر من عطاء الأغلب خمسمائة، و جعلها في عطاء لبيد؛ فكتب إلى عمر: يا أمير المؤمنين، أ تنقص عطائي أن أطعتك [3]! فرد عليه خمسمائة و أقرّ عطاء لبيد على ألفين و خمسمائة.

أخبرني محمد بن عبد العزيز [4]، قال: حدثنا عمر بن شبة، قال: حدثنا محمد بن حاتم، قال: حدثنا عليّ بن القاسم، عن الشعبيّ قال:
/دخل الأغلب على عمر، فلما رآه قال: هيه، أنت القائل:

أرجزا تريد أم قصيدا؟ # لقد سألت هينا موجودا

فقال: يا أمير المؤمنين إنما أطعتك، فكتب عمر إلى المغيرة: أن أردد عليه الخمس المائة [5] و أقرّ الخمس المائة للبيد.

شعر في سجاح حين تزوجت مسيلمة

:
أخبرنا أبو خليفة عن محمد بن سلام قال: قال الأغلب العجليّ في سجاح لما تزوجت مسيلمة الكذاب:

لقد لقيت سجاح من بعد العمى # ملوِّحا[6] في العين مجلود القرا[7]
مثل العتيق[8] في شباب قد أتى # من اللّجيميّين أصحاب القرى

[1]الرعي: ما يرعى.

[2]في ف: «مصرّك» .

[3]ف: «إنما أطعتك» .

[4]ف: «أحمد بن عبد العزيز» .

[5]في ب، س: «الخمسمائة» .

[6]ملوِّحا: وصف من لوحة السفر و نحوه، أي غيره و أضمره، أو من
لوحت الشيء بالنار بمعنى أحميته.

[7]القرا: الظهر.

[8]العتيق: الجواد الرائع، و الفحل من النخل. و قد تكون محرفة عن
الفنيق، و هو الفحل المكرم لا يؤذي لكرامته على أهله و لا يركب. -

ليس بذي واهنة[1] و لا نسا[2] # نشأ بلحم و بخبز ما اشترى[3]
حتى شتا[4] ينتج[5] ذفراه[6] الندى # خاظى[7] البضيع[8] لحمه خطا بظا[9]
/ كأنما جمّع من لحم الخصى # إذا تمطّى بين برديه صأى[10]
كأنّ عرق أيره إذا ودى[11] # حبل عجوز ضفّرت سبع قوى
يمشي على قوائم خمس زكا[12] # يرفع وسطاهنّ من برد الندى
قالت: متى كنت أبا الخير متى؟ # قال حديثا لم يغيّرني البلى
و لم أفارق خلّة لي عن قلى # فانتسفت[13] فيشته ذات الشوى[14]
كأن في أجلادها[15] سبع كلى[16] # ما زال عنها بالحديث و المنى
و الخلق السّفساف يردى في الردى # قال: أ لا ترينه قالت: أرى
قال: أ لا أدخله؟ قالت: بلى # فشام فيها مثل محراث[17] الغضى[18]
يقول لما غاب فيها و استوى # لمثلها كنت أحسيك الحسا

من أخبار سجاح

:

و كان من خبر سجاح و ادعائها النبوة و تزويج مسيلمة الكذاب إياها ما أخبرنا به إبراهيم بن النسوي يحيى، عن أبيه عن شعيب عن سيف: إنّ سجاح التميمية ادعت النبوة بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه و سلم، و اجتمعت/عليها بنو تميم، فكان فيما ادّعت أنه أنزل/عليها: يا أيها المؤمنون المتقون، لنا نصف الأرض، و لقريش نصفها، و لكنّ قريشا قوم ييغون.
[1] الواهنة: ريح تأخذ في المنكبين، أو في العضد، أو في الأذنين عند الكبر.

[2] النسا: عرق من الورك إلى الكعبين، كأنه يريد أن نساها صحيح.

[3] في ف، مد: «ما اشتهى» .

[4] في ف: «نشا» .

[5] ينتج: يخرج.

[6] الذفري: العظم الشاخص خلف الأذن.

[7] خاظى: مكتنز.

[8] البضيع: ما انماز من لحم الفخذ، جمع بضيفة.

- [9] و خطأ: اكننز و ركب لحمه بعضه بعضا، و بظا: و توكيد لما قبله.
- [10] صأى: صوت.
- [11] ودى: المراد نعظ، أي قام.
- [12] أصل الزكا: الشفع من العدد. و قيل في الشفع و الوتر: الأعداد كلها شفع و وتر. فيكون خمس زكا، خمس عددا.
- [13] انتسف اللون بالبناء للمجهول: التمع، و انتسف الطائر الشيء: نقره. و في «المختار»: «فانتفشت» .
- [14] الشوى: في الأصل: قحف الرأس.
- [15] أجلاها: أصل الأجلاد من الإنسان جسمه أو حملة شخصه.
- [16] من معاني الكلية: مقعد حمالة القوس.
- [17] المحراث: ما تحرك به النار.
- [18] في ب، س «الفضا» ، و في ف: «القضا» . و كل تحريف.

و اجتمعت بنو تميم كلها إليها لتنصرها. و كان فيهم الأحنف بن قيس، و حارثة بن بدر، و وجوه تميم كلها.

و كان مؤدنها شبيب بن ربعي الرياحي، فعمدت في جيشها إلى مسيلمة الكذاب و هو باليمامة، و قالت: يا معشر تميم، أقصدوا اليمامة، فاضربوا فيها كل هامة، و أضرموا فيها نارا ملهامة، حتى تتركوها سوداء كالحمامة[1].

و قالت لبني تميم: إن الله لم يجعل هذا الأمر في ربيعة، و إنما جعله في مضر، فاقصدوا هذا الجمع، فإذا فضضتموه كررتم على قريش. فسارت في قومها و هم الدّهم[2]الداهم. و بلغ مسيلمة خبرها، فضاقت بها ذرعا، و تحصن في حجر حصن اليمامة. و جاءت في جيوشها فأحاطت به، فأرسل إلى وجوه قومه و قال: ما ترون؟ قالوا: نرى أن نسلّم هذا الأمر إليها و تدعنا، فإن لم نفعل فهو البوار.

و كان مسيلمة ذا دهاء، فقال: سأنظر في هذا الأمر. ثم بعث إليها: إن الله-تبارك و تعالى-أنزل عليك وحيا، و أنزل عليّ. فهلّمّي نجتمع، فنندارس ما أنزل الله علينا، فمن عرف الحق تبعه، و اجتمعنا فأكلنا العرب أكلا بقومي و قومك.

فبعثت إليه: أفعال، فأمر بقبّة أدم فضربت، و أمر بالعود المندليّ[3]فسجر فيها، و قال: أكثروا من الطيب و المجرم[4]، فإن المرأة إذا شمّت رائحة الطيب ذكرت الباه، ففعلوا ذلك.

/و جاءها رسوله يخبرها بأمر القبّة المضروبة للاجتماع، فأنته فقالت: هات ما أنزل عليك. فقال: أ لم تر كيف فعل ربك بالحلي، أخرج منها نطفة تسعى، بين صفاق[5]و حشا، من بين ذكر و أنثى، و أموات و أحياء، ثم إلى ربهم يكون المنتهى. قالت: و ما ذا؟ قال: أ لم تر أن الله خلقنا أفواجا، و جعل النساء لنا أزواجا، فنولج فيهن الغراميل إيلاجا، و نخرجها منهن إذا شئن إخراجا. قالت: فباي شيء أمرك؟ قال: ألا قومي إلى التّيك # فقد هبّي لك المضجع

فإن شئت[6]ففي البيت # و إن شئت في المخدع

و إن شئت سلقناك[7] # و إن شئت على أربع

و إن شئت بثلثه # و إن شئت به أجمع

قال: فقالت: لا، إلاّ به أجمع. قال: فقال: كذا أوحى الله إليّ، فواقعها. فلما قام عنها قالت: إن مثلي لا يجري أمرها هكذا، فيكون وصمة على قومي و عليّ، و ليكن مسلمة النبوة إليك، فاخطبني إلى أوليائي يزوّجوك، ثم أقود تميمة معك.

فخرج و خرجت معه، فاجتمع الحيّان من حنيفة و تميم، فقالت لهم سجاح: إنه قرأ عليّ ما أنزل عليه، [1]عبارة الطبري (2: 239) : ... و دفوا دفيف الحمامة.

[2]الدهم: العدد الكثير.

[3]العود المندي: هو المطري بالمسك و العنبر. و اللبان. منسوب إلى مندل: قرية بالهند.

[4]المجمر: ما يوضع فيه الجمر.

[5]الصفاق: الجلد الأسفل الذي تحت الجلد الذي عليه الشعر.

[6]وصلت تاء الفاعل المكسورة بالياء لهجة لربيعة.

[7]سلقها: بسطها فجامعها.

فوجدته حقًا، فاتبعته، ثم خطبها، فرؤجوه إياها، و سألوه عن المهر، فقال: قد وضعت عنكم صلاة العصر، فبنو تميم إلى الآن بالزّمل لا يصلونها، ويقولون: هذا حق لنا، و مهر كريمة منا لا نردّه. قال: و قال شاعر من بني تميم يذكر أمر سجاح في كلمة له: أضحت نبئتنا أنثى نطيف بها # و أصبحت أنبياء الله ذكرانا

قال: و سمع الزبيرقان بن بدر لأحنف يومئذ، و قد ذكر مسيلمة و ما تلاه عليهم، فقال/الأحنف: و الله ما رأيت أحق من هذا النبي قط. فقال الزبيرقان: و الله لأخبرن بذلك مسيلمة. قال: /إذا و الله أحلف أنك كذبت فيصدّقني و يكذبك. قال: فأمسك الزبيرقان، و علم أنه قد صدق.

قال: و حدّث الحسن البصريّ بهذا الحديث، فقال: أمن و الله أبو بحر من نزول الوحي. قال: فأسلمت سجاح بعد ذلك و بعد قتل مسيلمة، و حسن إسلامها.

صوت

كم ليلة فيك بتّ أسهرها # و لوعة من هواك أضمرها

و حرقه و الدموع تطفئها # ثم يعود الجوى فيسعرها

بيضاء رود[1]الشباب قد غمست # في خجل دائب يعصفرها

الله جار لها فما امتلأت # عيناى إلا من حيث أبصرها

الشعر للبحتريّ، و الغناء لعريب، رمل مطلق من مجموع أغانيها، و هو لحن مشهور في أيدي الناس، و الله أعلم.

[1]الرود: مخفف الرؤد، و هي الشابة الحسنة السريعة الشباب مع حسن غذاء.

5- أخبار البحري و نسبه

نسبه و كنيته

:

هو الوليد بن عبيد الله [1] بن يحيى بن عبيد بن شمال بن جابر بن سلمة بن مسهر بن الحارث بن خيثم [2] ابن أبي حارثة بن جدي بن تدول بن بحتري بن عتود بن عثمة [3] بن سلامان بن ثعل بن عمرو بن الغوث بن جلهمة و هو طييء بن أدد بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان.

شاعريته و ندره هجائه

:

و يكنى أبا عبادة، شاعرٌ فاضل فصيح حسن المذهب، نقيّ الكلام، مطبوع، كان مشايخنا رحمة الله عليهم يختمون به الشعراء، و له تصرّف حسن فاضل نقيّ في ضروب الشعر، سوى الهجاء، فإن بضاعته فيه نزره، و جيده منه قليل. و كان ابنه أبو الغوث يزعم أن السبب في قلة بضاعته في هذا الفن أنه لما حضره الموت دعا به، و قال له:

اجمع كلّ شيء قلته في الهجاء. ففعل، فأمره بإحراقه، ثم قال له: يا بني، هذا شيء قلته في وقت، فشفيت به غيظي، و كافأت به قبيحا فعل بي، و قد انقضى أربي في ذلك، و إن بقي روي، و للناس أعقاب يورثونهم العداء و المودة، و أخشى أن يعود عليك من هذا شيء [4] في نفسك أو معاشك لا فائدة لك و لي فيه، قال: فعلمت أنه قد نصحتني و أشفق عليّ، فأحرقته.

أخبرني بذلك عليّ بن سليمان الأحفش عن أبي الغوث.

و هذا-كما قال أبو الغوث- لا فائدة لك و لا لي فيه، لأن الذي وجدناه و بقي في أيدي الناس من هجائه أكثره ساقط، مثل قوله في ابن شير زاد:

/

نفقت نفوق الحمار الذكر # و بان ضراطك عنا فمر

و مثل قوله في عليّ بن الجهم [5]:

و لو أعطاك ربك ما تمئى [6] # لزدك منه في غلظ الأبور

علام طفقت تهجوني مليا # بما لقت من كذب و زور

[1] مم، ف: «عبيد» .

[2]ف: «جشم» .

[3]ف: عمير» .

[4]ف: «شر» .

[5]ف: «مروان بن أبي الجنوب» بدل «علي بن الجهنم» و المثبت في «الديوان» هو ما ذكرناه.

[6]تمنى هنا ليس فعلا ماضيا، و لكنه مضارع محذوف أحد التاءين.

و أشباه لهذه الأبيات، و مثلها[1] لا يشاكل طبعه، و لا تليق بمذهبه، و تنبئ بركاكتها و غثائه/الفاظها عن قلة حظه في الهجاء، و ما يعرف له هجاء جيّد إلا قصيدتان إحداهما قوله في ابن أبي قماش: مرّت على عزمها و لم تقف # مبدية للشنان و الشنف

يقول فيها لابن أبي قماش:

قد كان في الواجب المحقق أن # تعرف ما في ضميرها النطف
بما تعاطيت في العيوب و ما # أوتيت من حكمة و من لطف
أ ما رأيت المرّيح قد مازج الرّ # هرة في الجدّ منه و الشرف
و أخبرتك التّحوس أنكما # في حالتي ثابت و منصرف
من أين أعملت ذا و أنت على # التّقويم و الرّيح جدّ منعكف[2]
أ ما زجرت الطيرّ العلا أو تعي # فت المها[3] أو نظرت في الكتف
رذلت في هذه الصناعة أو # أكديت أو رمتها على الخرف
لم تخط باب الدّهليز منصرفا # إلا و خلخالها مع الشنف[4]

/و هي طويلة، و لم يكن مذهبي ذكرها إلا للإخبار عن مذهبه في هذا الجنس، و قصيدته في يعقوب بن الفرج النّصرانيّ، فإنها-و إن لم تكن في أسلوب هذه و طريققتها-تجري مجرى التّهكم باللفظ الطيبّ الخبيث المعاني، و هي: تظنّ شجوني لم تعتلج # و قد خلج البين من قد خلج

و كان البحتريّ يتشبهه بأبي تمام من شعره، و يحذو مذهبه، و ينحو نحوه في البديع الذي كان أبو تمام يستعمله، و يراه صاحبا و إماما، و يقدمه على نفسه، و يقول في الفرق بينه و بينه قول منصف: إنّ جيّد أبي تمام خير من جيّده، و وسطه و رديئه خير من وسط أبي تمام و رديئه[5]، و كذا حكم هو على نفسه.

هو و أبو تمام

:

أخبرني محمد بن يحيى الصولي: قال: حدثني الحسين بن علي الياقظاني: قال: قلت للبحتري: أيّما أشعر أنت أو أبو تمام؟ فقال: جيّده خير من جيّدي، و رديئي خير من رديئه.

حدثني محمد بن يحيى قال: حدثني أبو الغوث يحيى بن البحتري: قال: كان أبي يكتبُ أبا الحسن، و أبا عبادة، فأشير عليّ [6] في أيام المتوكل بأن أقتصر [7] على أبي عبادة، فإنها أشهر، فاقتصرت [8] عليها.

[1] ف، م: «من جنسها» .

[2] البيت ساقط من ب، س.

[3] لعلها: «تعيفت لها» بدل «تعيفت المها» .

[4] الشَّنْف: ما علّق بالأذن، و في ف: «الكتف» .

[5] كذا في ف: و في باقي النسخ: «و وسطه خير من وسط أبي تمام و رديئه» و هذا أسلم للعبارة.

[6] ف، م: «فأشير عليه... بأن يقتصر... فاقتصر» .

حدثني محمد قال:

سمعت عبد الله بن الحسين بن سعد يقول للبحثريّ-و قد اجتمعنا في دار عبد الله بالخلد، و عنده المبرّد في سنة ست و سبعين و مائتين، و قد أنشد البحثريّ شعرا لنفسه قد كان أبو تمام قال في مثله:- أنت و الله أشعر من أبي تمام في هذا الشعر، /قال: كلاً و الله، إن أبا تمام للرئيس و الأستاذ، و الله ما أكلت الخبر إلا به، فقال له المبرّد: لله درك يا أبا الحسن، فإنك تأبى إلا شرفا من جميع جوانبك.

حدثني محمد: قال: حدثني الحسين بن إسحاق: قال:

قلت للبحثريّ: إن الناس يزعمون أنك أشعر من أبي تمام، فقال: و الله ما ينفعني هذا القول، و لا يضّر أبا تمام، و الله ما أكلت الخبر إلا به، و لوددت أنّ الأمر كان كما قالوا، و لكنني و الله تابع له آخذ منه لئذ به، نسيمي يركد عند هوائه، و أرضي تنخفض عند سمائه.

حدثني محمد بن يحيى: قال: حدثني سوّار بن أبي شراعة، عن البحثريّ: قال: و حدثني أبو عبد الله الألويسيّ، عن علي بن يوسف [1]، /عن البحثريّ: قال:

كان أوّل أمري في الشعر و نباهتي أنّي صرت إلى أبي تمام، و هو بحمص، فعرضت عليه شعري، و كان الشعراء يعرضون عليه أشعارهم، فأقبل عليّ، و ترك سائر من حضر، فلما تفرّقوا قال لي: أنت أشعر من أنشدني، فكيف بالله حالك؟ فشكوت خلة [2] فكتب إلى أهل معرة النعمان، و شهد لي بالحدق بالشعر، و شفّع لي إليهم و قال: امتدحهم، فصرت إليهم، فأكرموني بكتابه، و وطفوا لي أربعة آلاف درهم، فكانت أول مال أصبته. و قال عليّ بن يوسف في خبره: فكانت نسخة كتابه: «يصل كتابي هذا على يد الوليد أبي عبادة الطائيّ، و هو-على بذاذته [3]-شاعر، فأكرموه» .

يعشق غلاما. فيلتحي

:

حدثني جحظة: قال: سمعت البحثريّ يقول: كنت أتعشق غلاما من أهل/منبج يقال له شقران، و اتّفق لي سفر، فخرجت فيه، فأطلت الغيبة، ثم عدت، و قد التحى، فقلت فيه، و كان أول شعر قلته:

نبتت لحية شقرا # ن شقيق النفس بعدي

خلقت[4]، كيف أته # قبل أن ينجز وعدي!

و قد روى في غير هذه الحكاية أن اسم الغلام شندان.

بدء التعارف بينه و بين أبي تمام

:

حدثني عليّ بن سليمان: قال: حدثني أبو الغوث بن البحتريّ عن أبيه، و حدثني عمي: قال: حدثني علي بن العباس التّوبختيّ، عن البحتريّ، و قد جمعت الحكايتين، و هما قريبتان: قال:

[1]ف، مم: «علي بن سيف» .

[2]الخلّة: الحاجة.

[3]بذ بذاذة و بذوذة: ساءت حاله و رُتت هيئته.

[4]خلقت بالبناء للمجهول: جملة دعائية، و في بعض النسخ: خلقت، و

هو تصحيف.

أول ما رأيت أبا تمام أُنِّي دخلت على أبي سعيد محمد بن يوسف، و قد مدحته بقصيدتي:

أ أفاق صبّ من هوى فأفيقا # أو خان عهدا أو أطاع شفيقا؟

فسر بها أبو سعيد، و قال: أحسنت و الله يا فتى و أجدت، قال: و كان في مجلسه رجل نبيل رفيع المجلس منه، فوق كل من حضر عنده، تكاد تمسّ ركبته ركبته، فأقبل عليّ ثم قال: يا فتى، أ ما تستحي منّي! هذا شعر لي تنتحله، و تنشده بحضرتي! فقال له أبو سعيد: أ حقا تقول! قال: نعم، و إنما علقه مني، فسبقني به إليك، و زاد فيه، ثم اندفع فأنشد أكثر هذه القصيدة، حتى شككتني-علم الله-في نفسي، و بقيت متحيّرا، فأقبل عليّ أبو سعيد، فقال: يا فتى، قد كان في قرابتك منا و ودك لنا ما يغنيك عن هذا، فجعلت أحلف له بكل محرّجة من الأيمان أنّ الشعر لي ما سبقني إليه أحد، و لا سمعته منه، و لا انتحلته، فلم ينفع ذلك شيئا، و أطرق أبو سعيد، و قطع بي، حتى تمّيت أني سخت في الأرض، فقمت منكسر البال أجرّ رجليّ، فخرجت، فما هو إلا أن بلغت باب الدار حتّي خرج الغلمان فرّدوني، فأقبل عليّ الرّجل، فقال: الشعر لك يا بني، و الله/ما قلته قط، و لا سمعته إلا منك، و لكنني ظننت أنّك تهاونت بموضعي، فأقدمت على الإنشاد بحضرتي من غير معرفة كانت بيننا، تريد بذلك مضاهاتي و مكاثرتي، حتى عرّفني الأمير نسبك و موضعك، و لوددت ألاّ تلد أبدا طائيّة إلا مثلك، و جعل أبو سعيد يضحك، و دعاني أبو تمام، و ضمّني إليه، و عانقني، و أقبل يقرّظني، و لزمته بعد ذلك، و أخذت عنه، و اقتديت به، هذه رواية من ذكرت.

إنشاد له بأبي سعيد محمد بن يوسف الثغري

و قد حدثني عليّ بن سليمان الأخفش أيضا قال: حدثني عبد الله بن الحسين بن سند القطريليّ:

أن البحريّ حدثه أنّه دخل على/أبي سعيد محمد بن يوسف الثغريّ، و قد مدحه بقصيدة، و قصده بها، فألقى عنده أبا تمام و قد أنشده قصيدة له فيه، فاستأذنه البحريّ في الإنشاد و هو يومئذ حديث السنّ، فقال له: يا غلام أ تنشدني بحضرة أبي تمام؟ فقال: تآذن و يستمع[1]، فقام، فأنشده إياها، و أبو تمام يسمع و يهتّر من قرنه إلى قدمه استحسانا فلما فرغ منها قال: أحسنت و الله يا غلام، فممن أنت؟ قال: من طيّء، فطرب أبو تمام و

قال: من طيّء، الحمد لله على ذلك، لوددت أن كل طائفة تلد مثلك، و قبل بين عينيه، و ضمّه إليه و قال لمحمد بن يوسف:

قد جعلت له جائزتي، فأمر محمد بها، فضمّت إلى مثلها، و دفعت [2] إلى البحتريّ، و أعطى أبا تمام مثلها، و خصّ به، و كان مدّاحا له طول أيامه و لابنه بعده، و رثاهما بعد مقتليهما، فأجاد، و مرّاثيه فيهما أجود من مدائحهم، و روى أنه قيل له في ذلك فقال: من تمام الوفاء أن تفضل المرّاثي المدائح [3] لا كما قال الآخر- و قد سئل عن ضعف مرّاثيه فقال:- كنا نعمل للرّجاء، نحن نعمل اليوم للوفاء. و بينهما بعد.

كان بخيلا زري الهيئة

:

حدثني حكم بن يحيى الكنتحي قال:

/كان البحتريّ من أوسخ خلق الله ثوبا و آلة و أبخلهم على كل شيء [4]، و كان له أخ و غلام معه في داره، [1] ف، مم: «تأذن و تستمع» .

[2] ف: «و دفعتا» .

[3] زيادة «لا» عن مم، ف، و هي زيادة ضرورية، لأن مذهب الشاعرين على طرفي نقيض.

[4] مم: «و أبخلهم على الطعام» .

فكان يقتلها جوعاً، فإذا بلغ منهما الجوع أتياه يبكيان، فيرمي إليهما بئمن أقواتهما مضيّقا مقترأ، و يقول: كلا، أجاج الله أكبادكما[1] و أعرى أجلاذكما[1] و أطال إجهادكما.

قال حكم بن يحيى: و أنشدته يوما من شعر أبي سهل بن نوبخت، فجعل يحرك رأسه، فقلت له: ما تقول فيه؟ فقال: هو يشبه مضغ الماء ليس له طعم و لا معنى.

و حدثني أبو مسلم محمد بن بحر الأصبهانيّ الكاتب، قال: دخلت على البحتريّ يوما فاحتبسني عنده، و دعا بطعام له، و دعاني إليه، فامتنعت من أكله، و عنده شيخ شاميّ لا أعرفه، فدعاه إلى الطّعام، فتقدّم، و أكل معه أكلا عنيفا، فغاضه ذلك، و التفت إليّ، فقال لي: أ تعرف هذا الشيخ؟ فقلت: لا، قال: هذا شيخ من بني الهجيم الذين يقول فيهم الشاعر: و بنو[2] الهجيم قبيلة ملعونة # حصّ اللحي[3] متشابهو الألوان

لو يسمعون بأكلة أو شربة # بعمان أصبح جمعهم بعمان[4]

قال: فجعل الشيخ يشتمه، و نحن نضحك.

ماء من يد حسناء

:

و حدثني جحظة: قال: حدثني عليّ[5] بن يحيى المنجم: قال: اجتازت جارية بالمتوكل معها كوز ماء، و هي أحسن من القمر، فقال لها: ما اسمك؟ / قالت: برهان، قال: و لمن هذا الماء؟ قالت: لستيّ قبيحة، قال: صبيّه في حلقي، فشربه عن آخره، ثم قال للبحتريّ: قل في هذا شيئا، فقال البحتريّ: ما شربة[6] من رحيق كأسها ذهب # جاءت بها الحور من جئات رضوان

يوما بأطيب من ماء بلا عطش # شرته عبثا من كف برهان

أخبرني عليّ بن سليمان الأخفش، و أحمد بن جعفر جحظة: قال: حدثنا أبو الغوث بن البحتريّ: قال: كتبت إلى أبي يوما أطلب منه نبیذا، فبعث إليّ بنصف قنينة درديّ[7]، و كتب إليّ: دونكها يا بنيّ، فإنها تكشف القحط، و تضبط الرّهط. قال الأخفش، و تقيت الرّهط.

قصته مع أحمد بن علي الإسكافي

:

حدثني أبو الفضل عباس بن أحمد بن ثوابة قال: (1-1) التكملة من:
ف، مم.

[2] ب، س: «و بني الهجيم» .

[3] حص اللحي: قليلو شعر اللحية.

[4] عمان الأولى ممنوعة من الصرف، و عمان الثانية مصروفة، و ليس
في هذا ضرورة شعرية. لأنه يجوز فيها الأمران، كقريش و تميم و نحوهما،
على معنى حي أو قبيلة.

[5] كذا في النسخ، و في نسخة بيروت: «يحيى بن علي المنجم» .

[6] ف: «قهوة» .

[7] الدردي: ما رسب أسفل العسل و الزيت و نحوهما من كل شيء
مائع كالأشربة و الأدهان.

قدم البحتريّ الثَّيْلُ [1] على أحمد/بن عليّ الإسكافيّ مادحا له، فلم يثبه ثوابا يرضاه بعد أن طالّت مدّته عنده، فهجاه بقصيدته التي يقول فيها: ما كسبنا من أحمد بن عليّ # و من الثَّيْلُ غير حمى الثَّيْلُ
و هجاه بقصيدة أخرى أولها:

قصة الثَّيْلُ فاسمعوها عجا به

فجمع إلى هجائه إياه هجاء أبي ثوابة، و بلغ ذلك أبي، فبعث إليه بألف درهم و ثياب و دابة بسرجها و لجامها، فردّه إليه، و قال: قد أسلفتكم إساءة لا يجوز معها قبول رفقكم [2]، فكتب إليه أبي: أمّا الإساءة فمغفورة و أما المعذرة فمشكورة، و الحسنات/يذهبن السيئات، و ما يأسو جراحك مثل يدك. و قد رددت إليك ما رددته عليّ، و أضعفته، فإن تلافيت ما فرط منك أثنا و شكرنا، و إن لم تفعل احتملنا و صبرنا. فقبل ما بعث به، و كتب إليه: كلامك و الله أحسن من شعري، و قد أسلفتني ما أخلّني، و حمّلتني ما أثقلني، و سيأتيك ثنائي. ثم غدا إليه بقصيدة أولها: ضلال لها ما ذا أرادت إلى الصّد

و قال فيه بعد ذلك:

برق أضاء العقيق من ضرمه

و قال فيه أيضا:

دان دعا داعي الصّبا فأجا به

قال: و لم يزل أبي يصله بعد ذلك، و يتابع برّه لديه حتى افترقا.

شعره في نسيم غلامه

:

أخبرني لحظة قال:

كان نسيم غلام البحتريّ الذي يقول فيه: دعا عبرتي تجري على الجور
و القصد # أظنّ نسيمًا قارف الهمّ من بعدي

خلا ناظري من طيفه بعد شخصه # فيا عجا للدّهر فقد [3] على فقد

غلاما روميًا ليس بحسن الوجه، و كان قد جعله بابا من أبواب الحيل
على النّاس، فكان يبيعه و يعتمد أن يصيّرهُ إلى ملك بعض أهل المروءات و

من ينفق عنده الأدب، فإذا حصل في ملكه شَبَب به، و تشوُّقه، و مدح مولاہ، حتى يهبه له، فلم يزل ذلك دأبه حتى مات نسيم، فكفي النَّاس أمره.

خبره مع محمد بن علي القمي و غلامه:

أخبرني عليّ بن سليمان الأخفش قال: [1]النيل: بليدة في سواد الكوفة، و نهر من أنهار الرقة، عن «معجم ياقوت» .

[2]ف: «صلتكم» .

[3]فقد بالرفع على أنها خبر لمبتدأ محذوف، و في ف: فقد بالنصب على الحالية. -

كتب البحتريّ إلى أبي محمد بن عليّ القمّيّ [1] يستهديه نبذا، فبعث إليه نبذا مع/غلام له أمرد، فجمّشه [2] البحتريّ، فغضب الغلام غضبا شديدا، دلّ البحتريّ على أنه سيخبر مولاه بما جرى، فكتب إليه: أبا جعفر كان تجميشنا # غلامك إحدى الهنات الدنيّه

بعثت إلينا بشمس المدام # تضيء لنا مع شمس البريّة

فليت الهدية كان الرسول # و ليت الرسول إلينا الهدية

فبعث إليه محمد بن عليّ الغلام هديّة، فانقطع البحتريّ عنه بعد ذلك مدة، خجلا مما جرى، فكتب إليه محمد بن عليّ: هجرت كأنّ البرّ أعقب حشمة # و لم أر وصلا قبل ذا أعقب الهجرا

فقال فيه قصيدته التي أولها:

فتى مذحج عفوا فتى مذحج عفرا [3]

و هي طويلة. و قال فيه أيضا:

أ مواهب [4] هاتيك أم أنواء # هطل و أخذ ذاك أم إعطاء

إن دام ذا أو بعض ذا من فعل ذا # ذهب [5] السخاء فلا يعدّ [6] سخاء

/ليس الذي حلّت تميم وسطه # الدهناء، لكن صدرك الدهناء [7]

ملك أغر لآل طلحة مجده # كفاه بحر سماحة و سماء [8]

/و شريف أشراف إذا احتكّت بهم # جرب القبائل أحسنوا و أساءوا [9]

أ محمد بن عليّ أسمع عذرة # فيها شفاء للمسيء و داء

ما لي إذ ذكر الكرام رأيتني # مالي مع الثّفر الكرام و فاء؟

يضفو عليّ العذل و هو مقارب # و يضيق عني العذر و هو فضاء

إني هجرتك إذ هجرتك حشمة # لا العود يذهبها و لا الإبداء

[1]نسبة إلى بلدة «قم» قال ياقوت: و هي مدينة إسلامية لا أثر للأعاجم فيها بين أصبهان و ساوة.

[2]التجميش: المغازلة و الملاعبة.

[3]مذحج كمجلس: أكمة، ولدت مالكا و طيئا أمهما عندها، فسموا

مذحجا، و في ب: «فتى مذحج عفرا فتى مذحج عفرا»، و المثبت من ف، و هو الوجه.

[4] مواهب بالتنوين للضرورة.

[5] في «المختار» : فني السخاء.

[6] في «الديوان» :

«فلا يحس سخاء»

.

[7] الدهناء: الصحراء.

[8] ف: «و عطاء» .

[9] ب، مم: «إذا احتلت» بدل «إذا احتكت» . و «حرب» بدل «جرب»
و المثبت من ف.

أخجلتني بندي يدك فسوّدت # ما بيننا تلك اليد البيضاء[1]
 و قطعنتي بالبرّ حتى إنني # متوهّم أن لا يكون لقاء
 صلة غدت في الناس و هي قطيعة # عجا و برّ راح و هو جفاء
 ليواصلنك ركب شعري سائرا # تهدي به في مدحك الأعداء[2]
 حتى يتمّ لك التّناء مخلّدا # أبدا كما دامت لك التّعماء
 فتطلّ تحسدك الملوك الصيد بي # و أطلّ يحسدني بك الشّعراء

كان موته بالسكّة

:
 أخبرني عليّ بن سليمان الأخفش: قال: سألني القاسم بن عبيد الله
 عن خبر البحتريّ، و قد كان أسكت، و مات من تلك العلة، فأخبرته بوفاته، و
 أنه مات في تلك السكّة، فقال: ويحه رمي في أحسنه[3].

أبو تمام يلقن البحتريّ درسا في الاستطراد

:
 أخبرني محمد بن يحيى: قال: حدثني محمد بن عليّ الأنباريّ: قال:
 سمعت البحتريّ يقول: أنشدني أبو تمام يوما لنفسه:

و سابح هطل التّعداء هتّان # على الجراء أمين غير خوّان[4]
 أظمي الفصوص و لم تظما قوائمه # فخلّ عينيك في ظمآن ربّان[5]
 فلو تراه مشيحا و الحصى زيم[6] # بين السنابك من منّي و وحدان
 أيقنت إن لم تثبّت أنّ حافره # من صخر تدمر أو من وجه عثمان[7]

ثم قال لي: ما هذا الشعر؟ قلت: لا أدري، قال: هذا هو المستطرد، أو
 قال الاستطراد. قلت: و ما معنى ذلك؟ قال: يريك أنه يريد وصف الفرس و
 هو يريد هجاء عثمان، و قد فعل البحتريّ ذلك، فقال في صفة الفرس: ما إن
 يعاف قذى و لو أوردته # يوما خلّاق حمدويه الأحول

و كان حمدويه الأحول عدوّا لمحمد بن عليّ القمّي الممتدح بهذه
 القصيدة فهجاه في عرض مدحه محمدا.
 و الله أعلم.

[1] لعله يريد بتسويد النعمة البيضاء، ما فرط منه من تجميشه للغلام،
أو يريد أن هذه النعمة جعلته له رقيقا على حد قول الشاعر: كلما قلت أعتق
الله رقي # صيرتني له المكارم عبدا

[2] في ب: «لأوصلنك» . و في مم: «تهذي» بدل «تهدي» و في
«المختار»: «يرويه فيك لحسنه الأعداء» .

[3] لعله يريد بأحسن ما فيه، لسانه.

[4] ب: «الشعراء» بدل «التعداء» و هو تحريف، و الجراء: جمع جرو، و
هو ولد الكلب و كل سبع.

[5] الفصوص: المفاصل، و ظمؤها: ضمورها، و جر «ريان» و كذا
عثمان في البيت الأخير لضرورة الشعر، و في «المختار»: «فجل بعينيك في
ظمان ريان» .

[6] زيم: جمع زيمة، و هو القطعة من الشيء.

[7] تثبت: فعل مضارع حذفته منه إحدى التاءين. و تدمر: قال ياقوت:
تدمر: مدينة قديمة مشهورة في برية الشام، و المقصود وصف وجه عثمان
بالصفاة، حتى كأنه قطعة قدت من صخر، و عثمان هو عثمان بن إدريس.

أبو تمام يشيد به

حدثني علي بن سليمان الأخفش: قال: حدّثني أبو الغوث بن البحتري: قال: حدّثني أبي: قال: قال لي أبو تمام: بلغني أنّ بني حميد أعطوك مالا جليلا فيما مدحتهم به، فأنشدني شيئا منه، فأنشدته بعض ما قلته فيهم، فقال لي: كم أعطوك؟ فقلت: كذا و كذا، فقال: ظلّموك، و الله ما و فوك حقّك، فلم استكثرت ما دفعوه إليك؟/ و الله لبيت منها خير مما أخذت، ثم أطرق قليلا، ثم قال: لعمرى لقد استكثرت ذلك، و استكثرت لك لما مات الناس و ذهب/الكرام، و غاضت المكارم، فكسدت سوق الأدب، أنت و الله يا بني أمير الشعراء غدا بعدي، فقمّت فقيلت رأسه و يديه و رجليه، و قلت له: و الله لهذا القول أسرّ إلى قلبي و أقوى لنفسى مما وصل إليّ من القوم.

أبو تمام ينعي نفسه

حدثني محمد بن يحيى عن الحسن بن علي الكاتب: قال: قال لي البحتري: أنشدت أبا تمام يوما شيئا من شعري، فتمتّل بيت أوس بن حجر: إذا مقرر منا ذرا حدّ نابه # تخمّط فينا ناب آخر مقرر[1]

ثم قال لي: نعت و الله إليّ نفسي، فقلت: أعيدك بالله من هذا القول، فقال: إنّ عمري لن يطول، و قد نشأ في طيء مثلك، أما علمت أنّ خالد بن صفوان رأى شبيب بن شيبه، و هو من رهطة يتكلم، فقال: يا بني، لقد نعي إليّ نفسي إحسانك في كلامك، لأنّ أهل بيت ما نشأ فينا خطيب قطّ إلا مات من قبله، فقلت له: بل يبقيك الله، و يجعلني فداءك. قال: و مات أبو تمام بعد سنة.

يشمخ بأنفه فيعري به المتوكل الصيمري

حدثني أحمد بن جعفر جحظة: قال: حدّثني أبو العنيس الصميري: قال: كنت عند المتوكل و البحتري ينشده:

عن أيّ ثغر تتسم # و بأيّ طرف تحتكم؟

حتى بلغ إلى قوله:

قل للخليفة جعفر الـ # متوكل بن المعتصم
/المبتدي للمبتدي [2] # و المنعم بن المنتقم
أسلم لدين محمد # فإذا سلمت فقد سلم

قال: و كان البحتريّ من أبغض الناس إنشادا، يتشادق و يتزاور [3] في مشيه مرة جانبا، و مرّة القهقري، و يهزّ [1] المقرم: السيد المقدم، تشبيها بالمقرم من الإبل، و هو المكرم الذي لا يحمل عليه و لا يذلل، و ذرا حد نابه: انكسر، و التخمط: الأخذ و القهر بغلبة، و البيت في معنى قول الآخر: إذا مات منا سيد قام صاحبه

[2] ب، مم: «المبتدي للمبتدي» ، و ما أثبتناه من ف. و هو أبلغ في المدح، لأن المراد أن يعطي قبل السؤال.

[3] يتزاور: ينحرف.

رأسه مَرَّةً، و منكبیه أخرى، و يشير بكمّه، و يقف عند كل بيت، و يقول: أحسنت و الله، ثم يقبل على المستمعين، فيقول: ما لكم لا تقولون أحسنت؟ هذا و الله ما لا يحسن أحد أن يقول مثله: فضجر المتوكل من ذلك و أقبل عليّ، و قال: أ ما تسمع يا صيمريّ ما يقول؟ فقلت: بلى يا سيدي، فمرني فيه بما أحببت، فقال: بحياتي أهجه على هذا الرّويّ الذي أنشدنيه، فقلت: تأمر ابن حمدون أن يكتب ما أقول، فدعا بداوة و قرطاس، و حضرني على البديهة أن قلت: أدخلت رأسك في الرّحم # و علمت أنّك تنهزم

يا بحتريّ حذار ويحك # من قضاقة ضغم[1]
 فلقد أسلت بواديي # ك[2] من الهجا سيل العرم
 فبأيّ عرض تعنصم # و بهتكه جفّ القلم؟
 و الله حلفة صادق # و بقبر أحمد و الحرم
 و بحقّ جعفر الإما # م ابن الإمام المعتصم
 لأصيرتُك شهرة # بين المسيل إلى العلم
 /حيّ الطلّول[3] بذى سلم # حيث الأراكة و الخيم
 يا بن الثّقيلة و الثّق # يل على قلوب ذوي التّعّم
 /و على الصغير مع الكب # ير من الموالي و الحشم
 في أيّ سلاح ترتطم # و بأيّ كفّ تلتقم؟
 يا بن المباحة للورى # أ من العفاف أم التّهم[4]
 إذ رحل أختك للعجم # و فراش أمك في الظلم
 و بباب دارك حانة # في بيته يؤتى الحكم

قال: فغضب، و خرج يعدو، و جعلت أصيح به:

أدخلت رأسك في الرّحم # و علمت أنّك تنهزم

و المتوكل يضحك، و يصفّق حتى غاب عن عينه.

هكذا حدثني لحظة عن أبي العنيس.

و وجدت هذه الحكاية بعينها بخط الشاهيني حكاية عن أبي العنيس، فرأيتها قريبة اللفظ، موافقة المعنى لما ذكره لحظة، و الذي يتعارفه الناس أن أبا العنيس قال هذه الأبيات ارتجالاً، و كان واقفا خلف البحتريّ، فلما ابتدأ

و أنشد قصيدته: [1]القضاقض: الأسد، و جمعه قضاقضة، و ضغمه: عضه
بملاء فيه، فهو ضاغم، و جمعه ضغم.

[2]ب، مم: «بوالديك» و المثبت من ف.

[3]ب، س: «حيث الطلول» .

[4]ب: «أ من العقاب أم الفهم» و المثبت من مم، ف، و المستفهم
عنه ما ورد في البيتين التاليين.

عن أيّ ثغر تبتسم # و بأيّ طرف تحتكم

صاح به أبو العنيس من خلفه:

في أيّ سلح ترتطم # و بأيّ كفّ تلتقم

أدخلت رأسك في الرّحم # و علمت أنك تنهزم

/فغضب البحتريّ، و خرج، فضحك المتوكّل حتى أكثر، و أمر لأبي العنيس بعشرة آلاف درهم و الله أعلم.

و أخبرني بهذا الخبر محمد بن يحيى الصّوليّ، و حدثني عبد الله بن أحمد بن حمدون عن أبيه: قال: و حدثني يحيى بن عليّ عن أبيه: إن البحتريّ أنشد المتوكّل- و أبو العنيس الصّيمريّ حاضر- قصيدته: عن أيّ ثغر تبتسم # و بأيّ طرف تحتكم؟

[1] إلى آخرها، و كان إذا أنشد يختال، و يعجب بما يأتي به، فإذا فرغ من القصيدة ردّ البيت الأول، فلما رده بعد فراغه منها. و قال: عن أيّ ثغر تبتسم # و بأيّ طرف تحتكم [1]

قال أبو العنيس و قد غمزه المتوكّل أن يولع به: في أي سلح ترتطم # و بأيّ كفّ تلتقم

أدخلت رأسك في الرّحم # و علمت أنك تنهزم

فقال نصف البيت الثاني، فلما سمع البحتريّ قوله ولى مغضبا، فجعل أبو العنيس يصيح به: و علمت أنك تنهزم

فضحك المتوكّل من ذلك حتى غلب، و أمر لأبي العنيس بالصّلة التي أعدت للبحتريّ.

قال أحمد بن زياد [2]: فحدّثني أبيّ قال:

/جاءني البحتريّ، فقال لي: يا أبا خالد أنت عشيرتي و ابن عمّي و صديقي، و قد رأيت ما جرى عليّ، أ فتأذن لي [3] أن أخرج إلى منبج بغير إذن، فقد ضاع العلم، و هلك الأدب؟ فقلت: لا تفعل من هذا شيئا، فإن الملوك تمزح بأعظم مما جرى، و مضيت معه إلى الفتح، فشكا إليه ذلك، فقال له نحو من قولي، و وصله، / و خلع عليه، فسكن إلى ذلك.

الصيمري يسترسل في سخريته به بعد موت المتوكّل:

حدثني لحظة عن عليّ بن يحيى المنجم: قال:

لَمَّا قَتَلَ الْمُتَوَكِّلُ قَالَ أَبُو الْعَنْبَسِ الصَّيْمَرِيُّ: (1-1) التَّكْمَلَةُ مِنْ هَدٍ، هَج.

[2] مَم، ف: «أحمد بن يزيد» .

[3] ف: «أفتري لي» . و منبع: بلدة الشاعر شمالي سوريا.

يا وحشة الدنيا على جعفر # على الهمام الملك الأزهر[1]
 على قتيل من بني هاشم # بين سرير الملك و المنبر
 و الله ربّ البيت و المشعر # و الله أن لو قتل البحري
 لثار بالشّام له نائر # في ألف نغل[2] من بني عض خرى
 يقدمهم كلّ أخي ذلّة # على حمار دابر أعور

فشاعت الأبيات حتى بلغت البحريّ، فضحك، ثم قال: هذا الأحمق يرى
 أنّي أجيبه على مثل هذا، فلو عاش امرؤ القيس. فقال، من كان يجيبه[3]؟.

[1] البيت من مم، ف، و هو ساقط من ب، س.

[2] ب: «نفل» بدل «نغل» و النغل ابن الزنا، أما عض خرى فلعله اسم
 قبيلة اخترعها للصيمري اختراعاً لمجرد السخرية.

[3] في «المختار»: «و لو عاش امرؤ القيس. فقال مثل قوله لم
 أجبه» .

6- ذكر نتف من أخبار عريب مستحسنة

منزلتها في الغناء و الأدب

:

كانت عريب مغنّية محسنة، و شاعرة صالحة الشعر، و كانت مليحة الخط و المذهب في الكلام، و نهاية في الحسن و الجمال و الطّرف، و حسن الصورة و جودة الصّرب، و إتقان الصنعة و المعرفة بالنغم و الأوتار، و الرواية للشعر و الأدب، لم يتعلق بها أحد من نظرائها، و لا رئي في النساء بعد القيان الحجازيّات القديمات، مثل جميلة و عزة الميلاء و سلامة الزرقاء و من جرى مجراهن-على قلة عددهن-نظير لها، و كانت فيها من الفضائل التي وصفناها ما ليس لهنّ مما يكون لمثلها من جوارى الخلفاء، و من نشأ في قصور الخلافة و غدّي برقيق العيش، الذي لا يدانيه عيش الحجاز، و النش بين العامة و العرب الجفاة، و من غلظ طبعه، و قد شهد لها بذلك من لا يحتاج مع شهادته إلى غيره.

أخبرني محمد بن خلف وكيع، عن حماد بن إسحاق: قال: قال لي أبي:

ما رأيت امرأة أضرب من عريب، و لا أحسن صنعة و لا أحسن وجهها، و لا أخفّ روحا، و لا أحسن خطابا، و لا أسرع جوابا، و لا أعب بالشطرنج و الترد، و لا أجمع لخصلة حسنة لم أر مثلها في امرأة غيرها. قال حماد:

فذكرت ذلك ليحيى بن أكثم في حياة أبي، فقال: صدق أبو محمد، هي كذلك، قلت: أ فسمعتها؟ قال: نعم هناك، يعني في دار المأمون، قلت: أ فكانت كما ذكر أبو محمد في الحدق؟ فقال يحيى: هذه مسألة الجواب فيها على أبيك، فهو أعلم مني بها، فأخبرت بذلك أبي، فضحك، ثم قال: ما استحيت من قاضي القضاة أن تسأله عن مثل هذا.

هي و إسحاق و الخليفة المعتصم

:

أخبرنا يحيى بن علي بن يحيى: قال: حدثني أبي، قال:

قال لي إسحاق: كانت عندي صنّاجة^[1] كنت بها معجبا، و اشتهاها أبو إسحاق المعتصم في خلافة المأمون، فبينما أنا ذات يوم في منزلي، إذ أتاني إنسان يدقّ الباب دقا/شديدا، فقلت: انظروا من هذا؟ فقالوا: رسول أمير المؤمنين، فقلت: ذهبت صنّاجتي، تجده ذكرها له ذاك، فبعث إليّ فيها. فلما مضى بي الرسول انتهيت إلى الباب، و أنا مثخن، فدخلت، فسلمت، فردّ عليّ السلام، و نظر إلى تغيّر وجهي، فقال لي: أسكن، فسكنت، فقال لي:

غَنَّ صوتاً [2] وقال لي: أ تدري لمن هو؟ فقلت: أسمع، ثم أخبر أمير المؤمنين إن شاء الله ذلك، فأمر جارية من وراء الستارة، فغنته و ضربت، فإذا هي قد شبّهته بالغناء القديم، فقلت: زدني معها عوداً آخر، فإنه أثبت لي، فزادني عوداً آخر، / فقلت: هذا الصوت محدث لامرأة ضاربة، قال: من أين قلت ذلك؟ قلت: لمّا سمعت لينة [1] الصنّاجة: آلة موسيقية ذات أوتار.

[2] ف، مم: «فسألني عن صوت» .

عرفت أنه محدث من غناء النساء، و لما رأيت جودة مقاطعه علمت أنّ صاحبتّه ضاربة، و قد حفظت مقاطعه و أجزاءه، ثم طلبت عودا آخر، فلم أشكّ، فقال: صدقت، الغناء لعريب.

قال ابن المعتز: و قال يحيى بن عليّ [1]:

أمرني المعتمد على الله أن أجمع غناءها الذي صنعته، فأخذت منها دفاترها و صحفها التي كانت قد جمعت فيها غناءها فكتبته فكان ألف صوت.

أصواتها كمّا و كيفا

:

و أخبرني علي بن عبد العزيز، عن ابن خرداذبه:

أنه سأل عريب عن صنعتها، فقالت: قد بلغت إلى هذا الوقت ألف صوت.

و حدثني محمد بن إبراهيم قريض [2] أنه جمع غناءها من ديواني ابن المعتز، و أبي العبيس بن حمدون، و ما أخذه عن بدعة جارتها التي أعطاه إياها بنو هاشم، فقابل بعضه ببعض، فكان ألفا و مائة و خمسة و عشرين صوتا.

و ذكر العنّابي أنّ أحمد بن يحيى حدثه: قال:

سمعت أبا عبد الله الهشاميّ يقول- و قد ذكرت صنعة عريب-: صنعتها مثل قول أبي دلف في خالد بن يزيد حيث يقول: /

يا عين بكيّ خالدًا # ألفا و يدعى واحدا

يريد أنّ غناءها ألف صوت في معنى واحد، فهي بمنزلة صوت واحد و حكى عنه أيضا هذه الحكاية ابن المعتز.

و هذا تحامل لا يحلّ [3]، و لعمرى إن في صنعتها لأشياء مردولة لئنة، و ليس ذلك مما يضعها، و لا عري كبير أحد من المغنّين القدماء و المتأخرين من أن يكون صنعته النادر و المتوسط سوى قوم معدودين مثل ابن محرز و معبد في القدماء، و مثل إسحاق وحده في المتأخرين، و قد عيب بمثل هذا ابن سريج في محله، فبلغه أن المغنّين يقولون: إنما يغنى ابن سريج الأرمال و الخفاف، و غناؤه يصلح للأعراس و الولائم، فبلغه ذلك فتغنى بقوله: لقد حبّبت نعم إلينا بوجهها # مساكن [4] ما بين الوتائر فالنّقع

ثم توفِّي بعدها، و غناؤه يجري مجرى المعيب[5]عليه، و هذا إسحاق يقول في أبيه: -على عظيم محله في هذه الصناعة و ما كان إسحاق يشيد به من ذكره و تفضيله على ابن جامع و غيره- و لأبي ستمائة صوت، منها مائتان تشبّه فيها بالقديم، و أتى بها في نهاية من الجودة، و مائتان غناء وسط مثل أغاني سائر الناس، و مائتان فلسية[6]وددت أنه [1]ف: «علي بن يحيى» و المثبت من ب، مم.

[2]ب: «محمد بن القاسم قريض» .

[3]ف، مم: «لا يجمل» .

[4]ف: «منازل» ، و الوتار: موقع بين مكة و الطائف، و البيت لعمر بن أبي ربيعة.

[5]ف: «ثم توفي بعدها فجرى مجرى المعتب عليه» .

[6]ف، مم: «فلسية» و لعله يقصد أنها تافهة، فينسبها إلى الفليس المقابل للدرهم و الدينار.

لم يظهرها و ينسبها لنفسه، فأسترها عليه، فإذا كان هذا قول إسحاق في أبيه فمن يعتذر بعده من أن يكون له جيد و رديء، و ما عري أحد في صناعة من الصناعة من جال ينقصه عن الغاية، لأن الكمال شيء تفرد الله العظيم به، و النقصان جلة طبع بني آدم [1] عليها، و ليس ذلك إذا وجد في بعض أغاني عريب مما يدعو إلى إسقاط سائرهما، و يلزمه اسم الضعف و اللين، و حسب المحتج لها شهادة إسحاق بتفضيلها، و قلما شهد/لأحد، أو سلم خلق-و إن تقدّم و أجمع على فضله-من شينه [2] إياه و طعنه عليه، لنفاسته في هذه الصناعة، و استصغاره أهلها، فقد تقدّم في أخباره مع علوية، و مخارق، و عمرو بن بانه، و سليم بن سلام، و حسين بن محرز، و من قبلهم/و من فوقهم مثل ابن جامع و إبراهيم بن المهديّ و تهجينه إياهم، و موافقته لهم على خطئهم فيما غنّوه و صنعوه مما يستغنى به عن الإعادة في هذا الموضوع، فإذا انضاف فعله هذا بهم، و تفضيله إياها، كان ذلك أدلّ على التحامل ممّن طعن عليها، و إبطاله فيما ذكرها به، و لقائل ذلك-و هو أبو عبد الله الهشاميّ-سبب كان يصطنعه عليها، فدعاه إلى ما قال، نذكره بعد هذا إن شاء الله تعالى.

و مما يدلّ على إبطاله أنّ المأمون أراد أن يمتحن إسحاق في المعرفة بالغناء القديم و الحديث، فامتحنه بصوت من غنائها من صنعتها، فكاد يجوز عليه، لو لا أنه أطال الفكر و التلّوم و استثبت، مع علمه بالمذاهب في الصنعة، و تقدّمه في معرفة النغم و عللها، و الإيقاعات و مجاريها.

و أخبرنا بذلك يحيى بن عليّ بن يحيى: قال: حدثني أبي عن إسحاق: فأما السبب الذي كان من أجله يعاديه الهشاميّ، فأخبرني به يحيى بن محمد بن عبد الله بن طاهر قال: ذكر لأبي أحمد عبيد الله بن عبد الله بن طاهر عمي أنّ الهشاميّ زعم أن أحسن صوت صنعته عريب: صاح قد لمت ظالما

و إن غناءها بمنزلة قول أبي دلف في خالد: يا عين بكّي خالدًا # ألفا و يدعى واحدا

فقال: ليس الأمر كما ذكر، و لعريب صنعة فاضلة متقدّمة، و إنما قال هذا فيها/ظلما و حسدا، و غمطها ما تستحقّه من التّفضيل، بخبر لها معه طريف، فسألناه عنه، فقال: أخرجت الهشاميّ معي إلى سرّ من رأى، بعد وفاة أخي، يعني أبا محمد بن عبد الله بن طاهر، فأدخلته على المعتزّ، و هو

يشرب، و عريب تغني، فقال له: يا بن هشام، غنّ، فقال: تبت من الغناء قتل سيدي المتوكل، فقالت له عريب: قد و الله أحسنت حيث تبت، فإن غناءك كان قليل المعنى، لا متقن[3] و لا صحيح و لا مطرب، فأضحكت أهل المجلس جميعا منه، فخجل؛ فكان بعد ذلك يبسط لسانه فيها، و يعيب صنعتها، و يقول: هي ألف صوت في العدد، و صوت واحد في المعنى.

و ليس الأمر كما قاله، إن لها لصنعة تشبّهت فيها بصنعة الأوائل، و جودت، و برزت فيها، منها: أ إن سكنت نفسي و قلّ عويلها

و منها:

[1] كذا في ب على أن فاعل طبع ضمير ذى الجلال، و في ف، مم: «طبع بالبناء للمجهول» .

[2] مم: «تليه» .

[3] كان القياس لا متقنا، و لا صحيحا، و لا مطربا بالنصب، فلعل هنا مبتدأ مقدر «لا هو متقن...» إلخ. -

تقول همّي يوم ودّعتها

و منها:

إذا أردت انتصافا كان ناصركم

و منها:

بأبي من هو دائي [1]

و منها:

أسلموها في دمشق كما

و منها:

فلا تتعّني ظلما و زورا [2]

/و منها:

لقد لام ذا الشوق الخليّ من الهوى [3]

و نسخت ما أذكره من أخبارها، فأنسبه إلى ابن المعتزّ من كتاب دفعه إليّ محمد بن إبراهيم الجراحيّ المعروف بقريظ، و أخبرني أن عبد الله بن المعتز دفعه إليه، من جمعه و تأليفه، فذكرت منها ما استحسنته من أحاديثها، إذا كان فيها حشو كثير، و أضفت إليه ما سمعته و وقع إليّ غير مسموع مجموعا و متفرقا، و نسبت كل رواية إلى راويها.

برمكية النسب

:

قال ابن المعتز: حدّثني الهشاميّ أبو عبد الله و أخبرني علي بن عبد العزيز، عن ابن خرداذبه قال:

كانت عريب لعبد الله بن إسماعيل صاحب مراكب الرّشيد، و هو الذي ربّأها، و أدّبها، و علّمها الغناء.

قال ابن المعتزّ: و حدّثني غير الهشاميّ، عن إسماعيل بن الحسين خال المعتصم: أنها بنت جعفر بن يحيى، و أنّ البرامكة لما انتهوا سرقت و هي صغيرة.

قال: فحدّثني عبد الواحد بن إبراهيم بن محمد بن الخصيب: قال:

حدّثني/من أثق به، عن أحمد بن عبد الله بن إسماعيل المراكبي: أنّ أمّ عريب كانت تسمّى فاطمة، و كانت قيّمة لأمّ عبد الله بن يحيى بن خالد، و كانت صبيّة نظيفة، فرآها جعفر بن يحيى، فهويها، و سأل أمّ عبد الله أن تزوّجه إياها، ففعلت، و بلغ الخبر يحيى بن خالد، فأنكره؛ و قال له: أتتزوج من لا تعرف لها أمّ و لا أب؟ اشتر مكانها مائة [4]جارية و أخرجها، فأخرجها، و أسكنها دارا في ناحية باب الأنبار سرّاً من أبيه. و وكلّ بها من يحفظها، و كان يتردّد إليها، فولدت عريب في سنة/إحدى و ثمانين و مائة، فكانت سنوها إلى أن ماتت ستا و تسعين سنة، قال:

و ماتت أمّ عريب في حياة جعفر، فدفعها إلى امرأة نصرانية، و جعلها داية لها، فلما حدثت الحادثة بالبرامكة باعها [1]ب: «دان» بدل: «دائي» .

[2]ساقطة من ب، و هي في مم، ف.

[3]ب، س، مم:

«لقد نام ذو الشوق القديم من الهوى»

[4]ف: «ألف جارية» .

من سننيس النخّاس، فباعها من المراكبي.

قال ابن المعتز: و أخبرني يوسف بن يعقوب: إنه سمع الفضل بن مروان يقول: كنت إذا نظرت إلى قدمي عريب شبّهتهما بقدمي جعفر بن يحيى، قال: و سمعت من يحكي أن بلاغتها في كتبها ذكرت لبعض الكتاب فقال: فما يمنعها من ذلك و هي بنت جعفر بن يحيى؟.

و أخبرني جحظة قال: دخلت إلى عريب مع شروين المغني و أبي العبيس بن حمدون، و أنا يومئذ غلام عليّ قباء و منطقة، فأنكرتني و سألت عني، فأخبرها شروين، و قال: هذا فتى من أهلك، هذا ابن جعفر بن موسى بن يحيى بن خالد، و هو يغني بالطنبور، فادنتني، و قرّبت مجلسي، و دعت بطنبور، و أمرتني بأن أغني فغنيت أصواتا، فقالت: قد أحسنت يا بنيّ و لتكونن مغنيا، و لكن إذا حضرت بين هذين الأسدين ضعت أنت و طنبورك بين عوديهما، و أمرت لي بخمسين ديناراً.

قال ابن المعتز: و حدّثني ميمون بن هارون: قال: حدّثتني عريب قالت: بعث الرشيد إلى أهلها [1]-تعني البرامكة-رسولا يسألهم عن حالهم، و أمره ألا يعلمهم أنه من قبله، قالت: فصار إلى عمي الفضل، فسأله، فأنشأ عمي يقول:

صوت

سألونا عن حالنا كيف أنتم # من هوى نجمه فكيف يكون؟

نحن قوم أصابنا عنت الدّهر # فظلنا لربيّه نستكين

/ذكرت عريب أنّ هذا الشعر للفضل بن يحيى، و لها فيه لحنان: ثاني ثقيل و خفيف ثقيل، كلاهما بالوسطى، و هذا غلط من عريب، و لعله بلغها أنّ الفضل تمثل بشعر غير هذا، فأنسيته و جعلت هذا مكانه.

فأمّا هذا الشعر فللحسين بن الضحّاك، لا يشكّ فيه، يرثي به محمدا الأمين بعد قوله: نحن قوم أصابنا حادث # الدّهر فظلنا لربيّه نستكين

تتمنى من الأمين إيابا # كلّ يوم و أين ممّا الأمين؟

و هي قصيدة.

تعشق، و تهرب إلى معشوقها

:

قال ابن المعتز: و حدّثني الهشامي:

إنّ مولاها خرج إلى البصرة، و أدبها و خرّجها و علّمها الخطّ و النّحو و الشعر و الغناء، فبرعت في ذلك كله، و تزايدت حتى قالت الشعر، و كان لمولاها صديق يقال له حاتم بن عديّ من قوّاد خراسان، و قيل: إنه كان يكتب /لعجيف على ديوان الفرض، فكان مولاها يدعوه كثيرا، و يخالطه، ثم ركبته دين فاستتر عنده، فمدّ عينه إلى عريب، فكاتبها، فأجابته، و كانت المواصلة بينهما، و عشقته عريب، فلم تزل تحتال حتى اتخذت سلما من [1]ف، مم: «أهلنا» .

عقب[1]، و قيل: من خيوط غلاظ، و سترته، حتى إذا همت بالهرب إليه بعد انتقاله عن منزل مولاها بمدّة-و قد أعدّها لها موضعا-لقت ثيابها و جعلتها في فراشها بالليل، و دثرتها بدثارها، ثم تسوّرت من الحائط، حتى هربت، فمضت إليه، فمكثت عنده زمنا، قال: و بلغني أنها لما صارت عنده بعث إلى مولاها يستعير منه عودا تغنيّه به، فأعاره عودها، و هو لا يعلم أنها عنده، و لا يتهمه بشيء من أمرها، فقال عيسى بن عبد الله بن إسماعيل المراكبي، و هو عيسى ابن زينب يهجو أباه و يعيره بها، و كان كثيرا ما يهجو: /

قاتل الله عربيا # فعلت فعلا عجيبا
 ركبت و الليل داج # مركبا صعبا مهوبا[2]
 فارتقت متصلا بالنجم # أو منه قريبا
 صبرت حتى إذا ما # أقصد التوم الرقيا[3]
 مثلت بين حشايا # ها لكيلا تستربيا[4]
 خلفا منها إذا نو # دي لم يلف مجيبا
 و مضت يحملها الخو # ف قضيبا و كنيبا
 محّة[5] لو حرّكت خفت # عليها أن تذوبا
 فتدلّت لمحّب # فتلقّاه حيبيا
 جدلا قد نال في الدّنيا # من الدّنيا نصيبا
 أيها الطّبي الذي تسحر # عيناه القلوبا
 و الذي يأكل بعضا # بعضه حسنا و طيبا
 كنت نهبا لذتاب # فلقد أطعمت ذيبا
 و كذا الشاة إذا لم # يك راعيها ليبيا
 لا يبالى و بأ المر # عى إذا كان خصيبا[6]
 فلقد أصبح عبد الله م # كشخان حربيا[6]
 /قد لعمرى لطم الوجه # و قد شقّ الجيوبا
 و جرت منه دموع # بكت الشّعير الخصبيا

و قال ابن المعتز: حدّثنا محمد بن موسى بن يونس: [1]العقب:
 العصب الذي تعمل منه الأوتار.

[2] ف، مم: «المختار» «مهيبا» بدل «مهوبا» و كلاهما صحيح.

[3] أقصد النوم الرقيا أي أصاب الرقيب سهم النوم.

[4] المراد: أنها مثلت في مخدع نومها شبها يوهم أنه هي حتى لا تبعث الريبة.

[5] المحة: صفرة البيض، يشبهها بمح البيضة في اللين.

[6] الكشخان: الديوث، و الحريب: المسلوب المال، و في مم: «كشخان مربيا» ، و في «المختار» «كشخانا حريبا» .

أَنَّهَا مَلَّتْهُ بَعْدَ ذَلِكَ، فَهَرَبَتْ مِنْهُ، فَكَانَتْ تَغْنِي عِنْدَ أَقْوَامٍ عَرَفْتَهُمْ بِبَغْدَادٍ، وَ هِيَ مَتَسْتَرَّةٌ مَتَخْفِيَةٌ، فَلَمَّا كَانَ يَوْمٌ مِنَ الْأَيَّامِ اجْتَازَ ابْنُ أَخٍ لِلْمَرَكَبِيِّ بِبِسْتَانَ كَانَتْ فِيهِ مَعَ قَوْمٍ تَغْنِي، فَسَمِعَ غِنَاءَهَا، فَعَرَفَهَا، فَبَعَثَ إِلَى عَمِّهِ مِنْ وَقْتِهِ، وَ أَقَامَ هُوَ بِمَكَانِهِ، فَلَمْ يَبْرَحْ حَتَّى جَاءَ عَمُّهُ، فَلَبَّيْهَا [1] وَ أَخَذَهَا، فَضْرِبَهَا مِائَةَ مَقْرَعَةٍ، وَ هِيَ تَصِيحُ: يَا هَذَا لِمَ تَقْتُلْنِي! أَنَا لَسْتُ أَصْبِرُ عَلَيْكَ، أَنَا امْرَأَةٌ حَرَّةٌ إِنْ كُنْتُ مَمْلُوكَةً فَبِعْنِي، لَسْتُ أَصْبِرُ عَلَى الصَّيْقَةِ، / فَلَمَّا كَانَ مِنْ غَدٍ نَدِمَ عَلَى فَعْلِهِ، وَ صَارَ إِلَيْهَا فَقَبَّلَ رَأْسَهَا وَ رَجَلَهَا، وَ وَهَبَ لَهَا عَشْرَةَ أَلْفِ دِرْهَمٍ، ثُمَّ بَلَغَ مُحَمَّدًا الْأَمِينَ خَبْرَهَا، فَأَخَذَهَا مِنْهُ، قَالَ: وَ كَانَ خَبْرَهَا سَقَطَ إِلَى مُحَمَّدٍ فِي حَيَاةِ أَبِيهِ، فَطَلَبَهَا مِنْهُ، فَلَمْ يَجِبْهُ إِلَى مَا سَأَلَ، وَ قَبْلَ ذَلِكَ مَا كَانَ طَلَبَ مِنْهُ خَادِمًا عِنْدَهُ، فَاضْطَغَنَ لِذَلِكَ عَلَيْهِ، فَلَمَّا وُلِيَ الْخِلَافَةَ جَاءَ الْمَرَكَبِيَّ، وَ مُحَمَّدٌ رَاكِبٌ، لِيَقْبَلَ يَدَهُ، فَأَمَرَ بِمَنْعِهِ وَ دَفَعَهُ، فَفَعَلَ ذَلِكَ الشُّكْرِيُّ، فَضْرِبَهُ الْمَرَكَبِيُّ وَ قَالَ لَهُ: أَمْ تَمْنَعُنِي مِنْ يَدِ سَيِّدِي أَنْ أَقْبِلَهَا؟ فَجَاءَ الشُّكْرِيُّ لَمَّا نَزَلَ مُحَمَّدٌ فَشَكَاهُ، فَدَعَا مُحَمَّدٌ بِالْمَرَكَبِيِّ، وَ أَمَرَ بِضَرْبِ عُنُقِهِ، فَسُئِلَ فِي أَمْرِهِ، فَأَعْفَاهُ، وَ حَبَسَهُ، وَ طَالَبَهُ بِخَمْسِمِائَةِ أَلْفِ دِرْهَمٍ مِمَّا اقْتَطَعَهُ مِنْ نَفَقَاتِ الْكِرَاعِ، وَ بَعَثَ، فَأَخَذَ عَرِيبٌ مِنْ مَنْزِلِهِ مَعَ خَدَمٍ كَانُوا لَهُ، فَلَمَّا قَتَلَ مُحَمَّدٌ هَرَبَتْ إِلَى الْمَرَكَبِيِّ، فَكَانَتْ عِنْدَهُ، قَالَ: وَ أَنَشِدُنِي بَعْضَ أَصْحَابِنَا لِحَاتِمِ بْنِ عَدِيِّ الَّذِي كَانَتْ عِنْدَهُ لَمَّا هَرَبَتْ إِلَيْهِ، ثُمَّ مَلَّتْهُ فَهَرَبَتْ مِنْهُ، وَ هِيَ آيَاتٌ عَدَّةٌ، هَذَا مِنْهَا:

و رَشُّوا عَلَى وَجْهِهِ مِنَ الْمَاءِ وَ انْدَبُوا # قَتِيلَ عَرِيبٍ لَا قَتِيلَ حُرُوبٍ

فَلَيْتَكَ إِنْ عَجَّلْتَنِي فَقَتَلْتَنِي # تَكُونِينَ مِنْ بَعْدِ الْمَمَاتِ نَصِيبِي

/ قَالَ ابْنُ الْمَعْتَرِّ: وَ أَمَّا رِوَايَةُ إِسْمَاعِيلَ بْنِ الْحُسَيْنِ، خَالَ الْمَعْتَصِمِ فَإِنَّهَا تَخَالَفُ هَذَا، وَ ذَكَرَ أَنَّهَا إِنَّمَا هَرَبَتْ مِنْ دَارِ مَوْلَاهَا الْمَرَكَبِيِّ إِلَى مُحَمَّدِ بْنِ حَامِدِ الْخَاقَانِيِّ الْمَعْرُوفِ بِالْخَشَنِ، أَحَدِ قَوَادِ خِرَاسَانَ قَالَ: وَ كَانَ أَشْقَرُ أَصْهَبَ الشَّعْرَ أَزْرَقَ، وَ فِيهِ تَقُولُ عَرِيبٌ- وَ لَهَا فِيهِ هَزَجٌ وَ رَمَلٌ مِنْ رِوَايَتِي الْهَشَامِيِّ وَ أَبِي الْعَبَّاسِ:-

بِأَبِي كَلِّ أَزْرَقَ # أَصْهَبَ اللَّوْنَ أَشْقَرَ [2]

جَنَّ قَلْبِي بِهِ وَ لَ # يَسُ جَنُونِي بِمَنْكَرٍ

تَذَكُّرُ نَاسِيَا

:

قَالَ ابْنُ الْمَعْتَرِّ: وَ حَدَّثَنِي ابْنُ الْمَدْبَرِّ قَالَ:

خرجت مع المأمون إلى أرض الروم، أطلب ما يطلبه الأحداث من الرزق، فكنا نسير مع العسكر، فلما خرجنا من الرقة رأينا جماعة من الحرم في العماريات على الجمّازات[3] وكنّا رفقة، وكنّا أترابا، فقال لي أحدهم:

على بعض هذه الجمّازات عريب، فقلت: من يراهنني أمرّ في جنبات هذه العماريات، و أنشد أبيات عيسى ابن زينب؟.

قاتل الله عريبا # فعلت فعلا عجيبا

فراهنني بعضهم و عدّل الرهنان[4] و سرت إلى جانبها فأنشدت الأبيات رافعا صوتي بها، حتى أتممتها، فإذا أنا [1]لبّتها: أخذ بتلابيبها، و هي مجتمع ثيابها عند العنق، و في مم: «فكبيها» بدل «لبّتها» .

[2]ف:

«بأبي كل أصهب # أزرق العين أشقر»

[3]ف: «رأينا جماعة من الخدم معهم جماعة الحرام» . و العماريات: الهوادج، و الجمّازات جمع جمّاز و توصف بها النياق السريعة.

[4]عدّل الرهنان: سوّى بين المبلغين اللذين تراهن عليهما المتراهنان.

بامرأة قد أخرجت رأسها فقالت: يا فتى أنسيت [1] أجود الشعر و
أطيبه؟ أنسيت قوله: و عريب رطبة الشَّف # رين قد نيكت ضروبا [2]
/ اذهب فخذ ما بايعت فيه، ثم أَلقت السَّجف، فعلمت أنها عريب، و
بادرت إلى أصحابي خوفا من مكروه يلحقني من الخدم.

رقيب يحتاج إلى رقيب

:

أخبرني إسماعيل بن يونس قال: قال لنا عمر بن شبة:

كانت للمراكبيّ جارية يقال لها مظلومة، جميلة الوجه، بارعة الحسن،
فكان يبعث بها مع عريب إلى الحمّام، أو إلى من تزوره من أهله و معارفه،
فكانت ربما دخلت معها إلى ابن حامد الذي كانت تميل إليه، فقال فيها بعض
الشعراء و قد رآها عنده: لقد ظلموك يا مظلوم لما # أقاموك الرّقيب على
عريب

/و لو أولوك إنصافا و عدلا # لما أخلوك أنت من الرّقيب

أ تنهين المريب عن المعاصي # فكيف و أنت من شأن المريب

و كيف يجانب الجاني ذنوبا # لديك و أنت داعية الذّنوب

فإن يسترقبوك على عريب # فما رقبوك من غيب القلوب [3]

و في هذا المعنى، و إن لم يكن من جنس ما ذكرته ما أنشدني عليّ
بن سليمان الأخفش في رقية مغنّية استحسنت و أظنه للتأشئ: فديتك لو
أنهم أنصفوا # لقد منعوا العين عن ناظريك [4]

أ لم يقرءوا ويحهم ما يرو # ن من وحي طرفك في مقلتيك

و قد بعثوك رقبيا لنا # فمن ذا يكون رقبيا عليك

تصدّين أعيننا عن سواك # و هل تنظر العين إلا إليك

من بلاط الأمين إلى بلاط المأمون

:

قال ابن المعتز: و حدثني عبد الواحد بن إبراهيم، عن حماد بن إسحاق،
عن أبيه، و عن محمد بن إسحاق البغويّ، عن إسحاق بن إبراهيم: أنّ خير
عريب لما نمي إلى محمد الأمين بعث في إحضارها و إحضار مولاها،

فأحضرا، و غنّت بحضرة إبراهيم بن المهديّ تقول: [1] و لو قرئت (أ أنسيت)
بالبناء للمجهول على أن الجملة خبرية لا إنشائية لكان ذلك حسنا.

[2]المعروف: إن رطوبة الشفرين ليست من الصفات المستحسنة في
المرأة، فلعل الشاعر يكنى بذلك عن استدامة غشيان الرجال لها بدليل تنمة
البيت.

[3]ف: «من ريب القلوب» .

[4]ف، «و المختار» :

«فديتك لو أنهم أنصفوك # لما منعوا العين عن ناظريك»

لكل أناس جوهر متنافس # و أنت طراز الأنسات الملائح

فطرب محمد، و استعاد الصوت مرارا، و قال لإبراهيم: يا عمّ كيف سمعت؟ قال: يا سيدي، سمعت حسنا، و إن تناولت بها الأيام، و سكن روعها ازداد غناؤها حسنا، فقال للفضل بن الربيع: خذها إليك، و ساوم بها، ففعل، فاشتت مولاها في السوم، ثم أوجبها له بمائة ألف دينار، و انتقض أمر محمد، و شغل عنها، و شغلت عنه، فلم يأمر لمولاها بثمانها حتى قتل بعد أن أفتضها، فرجعت إلى مولاها، ثم هربت منه إلى حاتم بن عدي، و ذكر باقي الخبر كما ذكره من تقدم.

و قال في خبره: إنها هربت من مولاها إلى ابن حامد[1]، فلم تزل عنده حتى قدم المأمون بغداد، فتظلم إليه المراكبي من محمد بن حامد[2]، فأمر بإحضاره فأحضر، فسأله عنها فأنكر، فقال له المأمون: كذبت قد سقط إليّ خبرها. و أمر صاحب الشرطة أن يجرده في مجلس الشرطة، و يضع عليه السياط حتى يردها، فأخذه، و بلغها الخبر فركبت حمار مكار، و جاءت و قد جرد ليضرب، و هي مكشوفة الوجه، و هي تصيح: أنا عريب، إن كنت مملوكة فليعني، و إن كنت حرّة فلا سبيل له عليّ، فرفع خبرها إلى المأمون، فأمر بتعديلها[3] عند قتيبة بن زياد القاضي، فعذلت عنده، و تقدّم إليه المراكبي مطالباً بها، فسأله البيّنة على ملكه إياها، فعاد متظلماً إلى المأمون، و قال: قد طولبت بما لم يطالب به أحد في رقيق، و لا يوجد مثله في يد من ابتاع عبداً أو أمة.

/و تظلمت إليه زبيدة، و قالت: من أغلظ ما جرى عليّ بعد قتل محمد ابني هجوم المراكبي على داري و أخذه عريباً منها. فقال المراكبي: إنما أخذت ملكي، لأنّه لم ينقذني الثمن، فأمر المأمون بدفعها إلى محمد بن عمر الواقديّ-و كان قد ولاه القضاء بالجانب/الشرقي-فأخذها من قتيبة بن زياد، فأمر ببيعها ساذجة، فاشتراها المأمون بخمسين ألف درهم، فذهبت به كلّ مذهب ميلاً إليها و محبة لها.

قال ابن المعتز: و لقد حدثني علي بن يحيى المنجم أن المأمون قبّل في بعض الأيام رجلها، قال: فلما مات المأمون بيعت في ميراثه، و لم يبع له عبد و لا أمة غيرها، فاشتراها المعتصم بمائة ألف درهم، و أعتقها، فهي مولاته.

و ذكر حمّاد بن إسحاق عن أبيه أنّها لمّا هربت من دار محمد حين قتل
تدلّت من قصر الخلد بحبل إلى الطريق، و هربت إلى حاتم بن عديّ.

و أخبرني جحظة، عن ميمون بن هارون:

أنّ المأمون اشتراها بخمسة آلاف دينار، و دعا بعبد الله بن إسماعيل،
فدفعها إليه و قال: لو لا أنّي حلفت ألاّ أشتري مملوكا بأكثر من هذا لزدتك،
و لكنني سأوليك عملا تكسب فيه أضعافا لهذا الثمن مضاعفة، و رمى إليه
بخاتميين من ياقوت أحمر، قيمتها ألف دينار، و خلع خلعا سنّيّة، فقال: يا
سيدي، إنّما ينتفع الأحياء بمثل هذا، و أما أنا فإنني ميّت لا محالة، لأنّ هذه
الجارية كانت حياتي، و خرج عن حضرته، فاختلط و تغيّر عقله، و مات بعد
أربعين يوما.

[1] ف: «حاتم» .

[2] ف: «حاتم بن عدي» .

[3] عدل الشيء أو الحكم: أقامه و سواه. و تعديلها عند قتيبة بن زياد
إقامة العدل في أمرها عنده.

قال ابن المعتز: فحدثني عليّ بن يحيى قال: حدثني كاتب الفضل بن مروان: قال: حدثني إبراهيم بن رباح قال:

كنت أتولّي نفقات المأمون، فوصف له إسحاق بن إبراهيم الموصليّ عريب، فأمره أن يشتريها، فاشتراها بمائة ألف درهم، فأمرني المأمون بحملها، و أن أحمل إلى إسحاق مائة ألف درهم أخرى. ففعلت ذلك، و لم أدر كيف/أثبتها، فحكيت في الديوان أن المائة الألف خرجت في ثمن جوهرة، و المائة الألف الأخرى خرجت لصائغها و دلّالها، فجاء الفضل بن مروان إلى المأمون، و قد رأى ذلك، فأنكره، و سألني عنه، فقلت: نعم هو ما رأيت، فسأل المأمون عن ذلك، و قال: أوجب وهب لدلال و صائغ مائة ألف درهم، و غلظ القصة، فأنكرها المأمون، فدعاني، و دنوت إليه، و أخبرته أنه المال الذي خرج في ثمن عريب و صلة إسحاق، و قلت: أيما أصوب يا أمير المؤمنين: ما فعلت أو أثبت في الديوان أنها خرجت في صلة مغنّ و ثمن معنّية؟ فضحك المأمون و قال: الذي فعلت أصوب، ثم قال للفضل بن مروان: يا نبطي، لا تعترض على كاتبني هذا في شيء.

و قال ابن المكي: حدثني أبي عن تحرير الخادم: قال: دخلت يوما قصر الحرم، فلمحت عريب جالسة [1] على كرسي ناشرة شعرها تغتسل، فسألت عنها، فقيل: هذه عريب [1] دعا بها سيدها اليوم، فافتصّها.

قال ابن المعتز: فأخبرني ابن عبد الملك البصريّ: أنّها لما صارت في دار المأمون احتالت حتى وصلت إلى محمد بن حامد، و كانت قد عشقته و كاتبته بصوت قائلته، ثم احتالت في الخروج إليه، و كانت تلقاه في الوقت بعد الوقت، حتى حبلت منه و ولدت بنتا، و بلغ ذلك المأمون فزوّجه إياها.

و أخبرنا إبراهيم بن القاسم بن زرور، عن أبيه، و حدّثني به المظفر بن كيغلق عن القاسم بن زرور، قال: لما وقف المأمون على خبرها مع محمد بن حامد أمر بالباسها جبّة صوف و ختم زيقتها [2] و حبسها في كنيف مظلم شهرا لا ترى الضوء، يدخل إليها خبز و ملح و ماء من تحت الباب/في كل يوم، ثم ذكرها، فرقّ لها، و أمر بإخراجها، فلما فتح الباب عنها، و أخرجت لم تتكلم بكلمة حتى اندفعت تغني: /

حجبه عن بصري فمئل شخصه # في القلب فهو محجّب لا يحجب

فبلغ ذلك المأمون، فعجب منها، و قال: لن تصلح هذه أبدا، فزوّجها

إياها.

نسبة هذا الصوت صوت

لو كان يقدر أن يبنيك ما به # لرأيت أحسن عاتب يتعتب
حجبه عن بصري فمئل شخصه # في القلب فهو محجب لا يحجب

(1-1) التكملة من: مم، ف.

[2] زيق القميص و نحوه: ما أحاط بالعنق منه.

الغناء لعريب ثقيل أول بالوسطى.

رقعة منها في تركه

:

قال ابن المعتز: وحدثني لؤلؤ صديق علي بن يحيى المنجم: قال: حدثني أحمد بن جعفر بن حامد: قال: لما توفي عمي محمد بن حامد صار جدّي إلى منزله، فنظر إلى تركته، و جعل يقلب ما خلف، و يخرج إليه منها الشيء بعد الشيء إلى أن أخرج إليه سفت مختوم، ففضّ الخاتم، و جعل يفتحه، فإذا فيه رقاع عريب إليه، فجعل يتصفّحها و يتنسم، فوقع في يده رقعة، فقرأها، و وضعها من يده و قام لحاجة، فقرأتها فإذا فيها قوله:

صوت

ويلي عليك و منكاً # أ وقعت في الحق شكاً

زعمت أنّي خئون # جوراً عليّ و إفكاً

إن كان ما قلت حقاً # أو كنت أزعمت تركاً

فأبدل الله ما بي # من ذلّة الحبّ نسكاً

/لعريب في هذه الأبيات رمل و هزج، عن الهشاميّ و الشّعريّ لها.

تجيب على قبلة بطعنة

:

قال ابن المعتز: وحدثني عبد الوهاب بن عيسى الخراسانيّ، عن يعقوب الرّخاميّ: قال: كتّأ مع العباس بن المأمون بالرّقة و علي شرطته هاشم-رجل من أهل خراسان-فخرج إليّ، و قال: يا أبا يوسف، ألقى إليك سرّاً لثقتي بك، و هو عندك أمانة، قلت: هاته، قال: كنت واقفاً على رأس الأمين[1] و بي حرّ شديد، فخرجت عريب، فوقففت معي، و هي تنظر في كتاب[2] فما ملكت نفسي أن أومأت بقبلة، فقالت: كحاشية البرد. فوالله ما أدري ما أرادت، فقلت: قالت لك: طعنة.

قال: و كيف ذاك؟ قلت: أرادت قول الشاعر:

رمى ضرع ناب فاستمرّ بطعنة # كحاشية البرد اليماني المسهّم[3]

و حكى هذه القصة أحمد بن أبي طاهر، عن بشر بن زيد، عن عبد الله بن أيوب بن أبي شمر، أنهم كانوا عند المأمون و معهم محمد بن حامد، و

عريب تغيبهم، فغنت تقول: رمى ضرع ناب فاستمر بطعنة # كحاشية البرد
اليماني المسهم: فقال لها المأمون: من أشار إليك بقبلة، فقلت له طعنة؟
فقلت له: يا سيدي، من يشير إليّ بقبلة من [1]ف: «الأمير» .

[2]ف: «و هو ينظر في كتاب» .

[3]الناب: الناقة المسنة، و المراد أن الطعنة كانت نافذة فأحدثت
بالضرع ما يشبه النقش المسهم في البرود اليمانية، و يعتبر قولها: كحاشية
البرد، من الكنايات الخفية، كأنها تقول لمن أوماً إليها بالقبلة: رميت بمثل
هذه الطعنة.

يفهم من هذا أن قصة القبلة الأولى و ما لابسها من الطعنة المشار
إليها في هذا البيت كانت قد شاعت و تدوولت حتى أوحى تكرار البيت أمام
المأمون أن ثمة قبلة أخرى أوماً بها مومئ إلى عريب، فوقف الغناء و جعل
يتحرى مصدر هذه القبلة.

مجلسك؟ فقال: بحياتي عليك! قالت: محمد بن حامد، فسكت.

تحب أميرا و تتزوج خادما

:

قال ابن المعتز: و حدثني محمد بن موسى: قال:

اصطحب المأمون يوما و معه ندماءؤه، و فيهم محمد بن حامد و جماعة من المغنين، و عريب معه على مصلاه، فأوما محمد بن حامد إليها بقبلة، فاندفعت تغني ابتداء.

/

رمى ضرع ناب فاستمرّ بطعنة # كحاشية البرد اليمانيّ المسهم

تريد بغنائها جواب محمد بن حامد بأن تقول له: طعنة، فقال لها المأمون: أمسكي، فأمسكت، ثم أقبل على الندماء فقال: من فيكم أوماً إلى عريب بقبلة؟ و الله لئن لم يصدقني لأضربن عنقه، فقام محمد، فقال: أنا يا أمير المؤمنين أوماً إليها، و العفو أقرب للتقوى، فقال: قد عفوت.

فقال: كيف استدللّ أمير المؤمنين على ذلك؟ قال: ابتدأت صوتا، و هي لا تغني ابتداء إلا لمعنى، فعلمت أنها لم تبدئ بهذا الصوت إلا لشيء أومئ به إليها، و لم يكن من شرط هذا الموضع إلا إيماء بقبلة، فعلمت أنها أجابت بطعنة.

قال ابن المعتز: و حدثني عليّ بن الحسين:

أنّ عريب كانت تتعشق أبا عيسى بن الرشيد و روى غيره أنها كانت لا تضرب المثل إلا بحسن وجه أبي عيسى و حسن غنائها، و كانت تزعم أنها ما عشقت أحدا من بني هاشم و أصفته المحبّة من الخلفاء و أولادهم سواه.

قال ابن المعتز: و حدثني بعض جوارينا:

إنّ عريب كانت تتعشق صالحا المنذريّ الخادم، و تزوّجته سرّاً، فوجّه به المتوكل إلى مكان بعيد في حاجة له، فقالت فيه شعرا، و صاغت لحنه في خفيف الثقل و هو:

صوت

أما الحبيب فقد مضى # بالرغم منّي لا الرضا

أخطأت في تركي لمن # لم ألق منه معوضاً[1]

قال: فغثته يوما بين يدي المتوكل، فاستعاده، و جعل جواريه يتغامزن و
يضحكن، فأصغت إليهنّ سرّاً من المتوكل، فقالت: يا سخّاقات، هذا خير من
عملكنّ.

قبلي سالفتي تجدي ريح الجنة

:

قال: و حدّثت عن بعض جوارى المتوكل، أنها دخلت يوما على عريب،
فقال لها: تعالي وبحكّ إليّ، فجاءت. قال: فقالت: قبلي هذا الموضع منّي
فإنك تجدين ريح الجنّة فأومأت إلى سالفتها[2]، ففعلت، ثم قالت لها: ما
السبب في هذا؟ قالت: قبّلتني صالح المنذريّ في ذلك الموضع.

[1] ب، مم: «عوضاً» و المثبت من ف، و هو أرجح؛ لأن البيتين من
مجزوء الكامل لا مجزوء الرجز. و في «المختار»: «لم ألف» .

[2] السالفة: ناحية مقدم العنق من لدن معلق القرط إلى نقرة
الترقوة.

وقت انسجام لا وقت ملام

:

قال ابن المعتز: و أخبرني أبو عبد الله الهشاميّ قال: حدثني حمدون بن إسماعيل، قال: حدثني محمد بن يحيى الواثقيّ، قال: قال لي محمد بن حامد ليلة: أحبّ أن تفرغ لي مضربك، فإني أريد أن أجيئك، فأقيم عندك، ففعلت، و وافاني، فلما جلس جاءت عريب، فدخلت.

و قد حدّثني به لحظة: قال: حدثني أبو عبد الله بن حمدون: أنّ عريب زارت محمد بن حامد، و جلّسا جميعا، فجعل يعاتبها، و يقول: فعلت كذا، و فعلت كذا، فقالت لي: يا محمد، هذا عندك رأي [1]؟ ثم أقبلت عليه، فقالت: يا عاجز خذ بنا فيما نحن فيه و فيما جئنا إليه.

/و قال لحظة في خبره:

اجعل سراويلي مخنقتي، و ألصق خلخالي بقرطي، فإذا كان غد فاكتب إليّ بعتابك في طومار حتى أكتب إليك بعذري في ثلاثة، ودع هذا الفضول، فقد قال الشاعر:

صوت

دعي عدّ الذنوب إذا التقينا # تعالي لا أعدّ و لا تعدّي [2]

و تمام هذا قوله:

فأقسم لو هممت بمدّ شعري # إلى نار الجحيم لقلت مدّي

الشعر للمؤمّل: و الغناء لعريب، خفيف رمل، و فيه لعلوية رمل بالبنصر من رواية عمرو بن بانه:

مع ثمانية من الخلفاء

:

أخبرني أبو يعقوب إسحاق بن الضحّاك بن الخصيب: قال:

حدثني أبو الحسن/عليّ بن محمد بن الفرات قال: كنت يوما عند أخي أبي العباس، و عنده عريب جالسة على دست مفرد لها، و جواربها يغنيين بين يدينا و خلف ستارتنا، فقلت لأخي-و قد جرى ذكر الخلفاء-: قالت لي عريب: ناكني منهم ثمانية ما اشتهيت منهم أحدا إلا المعتزّ، فإنه كان يشبه أبا عيسى بن الرشيد. قال ابن الفرات: فأصغيت إلى بعض بني أخي، فقلت

له: فكيف ترى شهوتها الساعة، فضحك و لمحته، فقالت: أيّ شيء قلتُم؟ فجددتها. فقالت لجواربها: أمسكن، ففعلن، فقالت: هنّ حرائر لئن لم تخبراني بما قلتُم لينصرفن جميعا، و هنّ حرائر[3]. إن حردت من شيء جرى، و لو أنها تسفيل، فصدقته. فقالت: و أيّ شيء في هذا؟ أما الشهوة فبحالها، و لكن الآلة قد بطلت[4] أو قالت: قد كلت، عودوا إلى ما كنتم فيه.

[1] الجملة استفهامية حذف منها أداة الاستفهام، كأنها تقول له: أ توافق على أن هذا وقت عتاب.

[2] لا في «لا أعد» نافية؛ لأن المرء لا ينهى نفسه؛ و لا الثانية ناهية بدليل حذف النون.

[3] استئناف لكلام جديد، تبين فيه أنها لن تغضب مما يتسارون به في شأنها مهما يكن.

[4] و لكن الآلة قد بطلت: تريد أن شبابها ولى.

شرطان فاحشان

:

و حدّثني الحسن بن علي بن مودّة: قال: حدّثني إبراهيم بن أبي العبيس: قال: حدّثنا أبي: قال:

دخلنا على عريب يوما مسلّمين، فقالت: أقيموا اليوم عندي حتى أطعمكم لوزنيجة صنعتها بدعة بيدها من لوز رطب، و ما حضر من الوظيفة، و أغنيكم أنا و هي، قال: فقلت لها على شريطة، قالت: و ما هي؟ قلت: شيء أريد أن أسألك عنه منذ سنين، و أنا أهابك؟ قالت: ذاك لك، و أنا أقدم الجواب قبل أن تسأل، فقد علمت ما هو، فعجبت لها، و قلت: فقولي، فقالت: تريد أن تسألني عن شرطي أي شرط هو؟ فقلت: إي و الله ذاك الذي أردت.

قالت: شرطي أير صلب، و نكهة طيبة، فإن انضاف إلى ذلك حسن يوصف، و جمال يحمد فقد زاد قدره عندي، و إلا فهذان ما لا بدّ لي منهما.

تلغن حبيبها درسا في كيف تكون الهدية

:

و حدّثني الحسن بن علي، عن محمد بن ذى السّيفين إسحاق بن كنداجيق[1]. عن أبيه: قال:

كانت عريب تولع بي و أنا حديث السن، فقالت لي يوما: يا إسحاق قد بلغني أنّ عندك دعوة فابعث إليّ نصيبي منها، قال: فاستأنفت طعاما كثيرا. و بعثت إليها منه شيئا كثيرا؛ فأقبل رسولي من عندها مسرعا. فقال لي:

لما بلغت إلى بابها، و عرفت خبري أمرت بالطعام فأذهب و قد وجّهت إليك برسول. و هو معي، فتحيّرت و ظننت أنها قد استقصرت فعلي، فدخل الخادم و معه شيء مشدود في منديل و رقعة، فقرأتها، فإذا فيها: بسم الله الرحمن الرحيم، يا عجميّ يا غبيّ، ظننت أنّي من الأتراك و وخش[2] الجند، فبعثت إليّ بخبز و لحم و حلواء، الله المستعان عليك، يا فدتك نفسي، قد وجهت إليك زلة[3] من حضرتي، فتعلم ذلك من الأخلاق و نحوه من الأفعال، و لا تتعامل أخلاق العامة، /في ردّ الطرف. فيزداد العيب و العتب عليك إن شاء الله، فكشفت المنديل، فإذا طبق و مكبه من ذهب منسوج على عمل الخلف، و فيه زبديّة فيها لقمتان من رقاق، و قد عصبت طرفيهما و فيها

قطعتان من صدر درّاج مشوي و نقل و طلع[4] و ملح. و انصرف رسولها[5].

أيهما أعلى: الخلافة أم الخل الوفي؟

قال ابن المعتز: حدثني الهشاميّ أبو عبد الله. عن رجل ذكره، عن علوية قال:

أميرين المأمون و سائر المغنين في ليلة من الليالي أن نصير إليه بكرة ليصطحب، فغدونا و لقيني المراكبيّ مولى عريب، و هي يومئذ عنده، فقال لي: يا أيها الرجل الظالم المعتدي، أ ما ترقّ و لا ترحم و لا تستحي؟ عريب هائمة تحلم بك في النوم ثلاث مرات في كل ليلة، قال علوية: فقلت: أمّ الخلافة زانية[6]. و مضيت معه، فحين/دخلت قلت: استوثق من الباب، فإني أعرف خلق الله بفضول البوّابين و الحجاب، و إذا عريب جالسة على كرسيّ تطبخ، [1]ب: «كنداجيق» .

[2]الوخش: الرديء من كل شيء.

[3]الزلة: ما يحمل إلى الصديق من مائدة صديقه.

[4]الطلع: ثمر النخل أول ظهوره. و في ف: «و طلع» و الطلح: الموز.

[5]تشير هذه القصة و الرسالة التي بعثت بها عريب إلى أن هذا الطعام إنما يقدم للطعام، أما ما يقدم لمثلها فشيء فوق ذلك يعتمد على الكيف لا على الكم، و قد شفعت رأيها هذا بالنموذج الذي بعثت به إليه.

[6]أم الخلافة زانية، يريد بهذه العبارة تنبيه عريب، و الاستخفاف بموعد الخليفة كائنة ما تكون النتيجة.

و بين يديها ثلاث قدور من دجاج، فلما رأته قامت تعانقني و تقبّلني، ثم قالت: أيما أحب إليك أن تأكل من هذه القدور، أو تشتهي شيئاً يطبخ لك، فقلت: بل قدر من هذه تكفيننا، فغرفت قدرا منها، و جعلتها بيني و بينها، فأكلنا و دعونا[1]بالنيذ، فجلسنا نشرب حتى سكرنا، ثم قالت: يا أبا الحسن، صنعت البارحة صوتا في شعر لأبي العتاهية، فقلت: و ما هو؟ فقالت هو: عذيري من الإنسان لا إن جفوته # صفا لي و لا إن كنت طوع يديه[2]

و قالت لي: قد بقي فيه شيء، فلم نزل نرده أنا و هي حتى استوى، ثم جاء الحجاب/فكسروا باب المراكبي و استخرجوني، فدخلت على المأمون، فلما رأيته أقبلت أمشي إليه برقص و تصفيق، و أنا أغني الصوت، فسمع و سمع من عنده ما لم يعرفوه و استظرفوه، و سألتني المأمون عن خبره، فشرحته له. فقال لي: ادن و رده، فردّته عليه سبع مرات. فقال في آخر مرة: يا علوية. خذ الخلافة و اعطني هذا الصاحب.

نسبة هذا الصوت

صوت

عذيري من الإنسان لا إن جفوته # صفا لي و لا إن كنت طوع يديه

و إني لمشتاق إلى قرب صاحب # يروق و يصفو إن كدرت عليه[3]

الشعر من الطويل و هو لأبي العتاهية، و الغناء لعريب، خفيف ثقيل أول بالوسطى، و نسبه عمرو بن بانة في هذه الطريقة و الأصغ إلى علوية.

لما ذا غضب الواصل و المعتصم عليها

:

قال ابن المعتز: و حدثني القاسم بن زرور: قال: حدثني عريب قالت: كنت في أيام محمد[4] ابنة أربع عشرة سنة، و أنا حينئذ أصوغ الغناء.

قال القاسم: و كانت عريب تكايد الواصل فيما يصوغه من الألحان و تصوغ في ذلك الشعر بعينه لحننا أجود من لحنه، فمن ذلك: لم آت عامدة ذنبا إليك بلى # أقرّ بالذنب فاعف اليوم عن زللي

لحنها فيه حفيف ثقيل، و لحن الواصل رمل، و لحنها أجود من لحنه، و منها: أشكو إلى الله ما ألقى من الكمد # حسبي برّبي و لا أشكو إلى أحد

لحنها و لحن الواصل جميعا من الثقيل الأول، و لحنها أجود من لحنه.

[1] مم: «و دعت» .

[2] ف:

«و لا إن صرت»

بدل:

«و لا إن كنت»

.

[3] ف:

«و إني لمشتاق إلى ظل صاحب # يرق و يصفو أن كدرت عليه

[4] تقصد محمدا الأمين.

نسبة هذين الصوتين صوت

لم آت عامدة ذنبا إليك بلى # أقرّ بالذنب فاعف اليوم عن زلي
فالصّبح من سيّد أولى لمعتذر # وراك ربك يوم الخوف ووجل

الغناء للوائق رمل، و لعريب خفيف ثقيل و ذكر ذكاء وجه الرزة أن
لطالب بن يزداد فيه هزجا/مطلقا.

صوت

أشكو إلى الله ما ألقى من الكمد # حسبي بربي و لا أشكو إلى أحد
أين الزمان الذي قد كنت ناعمة # في ظلّه بدنوّي منك يا سندي
و أسأل الله يوما منك يفرحني # فقد كحلت جفون العين بالسّهد
شوقا إليك و ما تدري بما لقيت # نفسي عليك و ما بالقلب من كمد[1]

الغناء لعريب ثقيل أول بالوسطى، و للوائق ثقيل أول بالبنصر.

قال ابن المعتز: و كان سبب انحراف الواثق عنها. و كياها آياه، و
انحراف[2]المعتصم عنها أنه وجد لها كتابا إلى العباس بن المأمون ببلد
الرّوم: اقتل أنت العليج ثم، حتى أقتل أنا الأعور الليلي هاهنا. تعنى الواثق، و
كان يسهر بالليل، و كان المعتصم استخلفه ببغداد.

تغضب على جارية مبتذلة

:

قال: و حدثني أبو العبيس بن حمدون قال:

غضبت عريب على بعض جواريتها المذكورات- و سمّاها لي-فجئت إليها
يوما. و سألتها أن تعفو عنها.

فقال في بعض ما تقوله، مما تعتد به عليها من ذنوبها: يا أبا العبيس/
إن كنت تشتتهي أن ترى زناي و صفاقة وجهي و جرائتي على كل
عظيمة[3]أيام شبابي[3]فانظر إليها و اعرف أخبارها.

كانت تجيد ركوب الخيل

:

قال ابن المعتز: و حدثني القاسم بن زرور قال: حدثني المعتمد، قال:

حدثتني عريب أنها كانت في شبابها يقدّم إليها برزون. فتطفر عليه بلا ركاب.

تندمج في الصوت فلا تحس لدغ العقرب

:

قال: و حدثني الأسديّ: قال: حدثني صالح بن علي بن الرشيد المعروف بزعفرانة: قال: تمارى خالي أبو عليّ مع المأمون في صوت، فقال المأمون: أين عريب؟ فجاءت و هي محمومة، فسألها عن [1] البيت ساقط من ب. و التكملة من ف. مم.

[2] انحراف. بالكسر عطفًا على انحراف الأولى، أي و كان سبب انحراف المعتصم أنه... إلخ.

(3-3) التكملة من ف، مم.

الصوت فقالت فيه بعلمها، فقال لها: غنيّة، فولّت لتجيء بعود، فقال لها: غنية بغير عود، فاعتمدت على الحائط للحمي و غنّت، فأقبلت عقرب، فرأيتها قد لسعت يدها مرتين أو ثلاثا، فما نحت يدها، و لا سكتت. حتى فرغت من الصوت، ثم سقطت و قد غشي عليها.

غسالة رأسها تنقسمها جواربها

:

قال ابن المعتز: و حدثني أبو العباس بن الفرات: قال: قالت لي تحفة جارية عريب: كانت عريب تجد في رأسها بردا، فكانت تغلف شعرها مكان العلة [1] بسنين ثقلا مسكا و عنبرا، و تغسله من جمعة إلى جمعة، فإذا غسلته أعادته، و تنقسم الجوارب غسالة رأسها بالقوارير و ما تسرحه منه بالميزان.

ترتجل معارضة لصوت

:

حدثني أحمد بن جعفر جحظة، عن علي بن يحيى المنجم: قال: دخلت يوما على عريب مسلما عليها، فلما اطمأنتت جالسا هطلت السماء بمطر عظيم، فقالت: أقم عندي اليوم حتى أغنيك أنا و جواربي، و ابعث إلى من أحببت من إخوانك، فأمرت بدوابي فردت، و جلسنا نتحدث، فسألني عن خبرنا بالأمس في مجلس الخليفة، و من كان يغينا، و أي شيء استحسنا من الغناء، فأخبرتها أنّ صوت الخليفة كان لحنا صنعه بنان من الماخوري، فقالت: و ما هو؟ فأخبرتها أنه:

صوت

تجافي ثم تنطبق # جفون حشوها الأرق

و ذى كلف بكى جزعا # و سفر القوم منطلق

/به قلق يملله # و كان و ما به قلق

جوانحه على خطر # بنار الشوق تحترق

فوجّهت رسولا إلى بنان، فحضر من وقته، و قد بلّته السماء، فأمرت بخلع فاخرة، فخلعت عليه، و قدّم له طعام فاخر، فأكل و جلس يشرب معنا، و سألته عن الصوت، فغناها إياه فأخذت دواة و رقعة و كتبت فيها: أجاب الوابل الغدق # و صاح الترجس الغرق

و قد غنّى بنان لنا: # جفون حشوها الأرق

فهاث الكأس مترعة # كأنّ حبابها حدق

قال عليّ بن يحيى: فما شربنا بقيّة يومنا إلا على هذه الأبيات.

رموز برموز

:

حدّثني محمد بن خلف بن المرزبان، عن عبد الله بن محمد المروزيّ:
قال: [1] مم، ب: «الغسلة» .

قال لي الفضل بن العباس بن المأمون: زارتنني عريب يوما و معها عدّة من جواربيها، فوافقتنا و نحن على شرابنا، فتحدثنا ساعة. و سألتها أن تقيم عندي، فأبت و قالت: دعاني جماعة من إخواني من أهل الأدب و الطرف، و هم مجتمعون في جزيرة المؤيّد، فيهم إبراهيم بن المدبّر و سعيد بن حميد و يحيى بن عيسى بن منارة، و قد عزمت على المسير إليهم، فحلفت عليها. فأقامت عندنا، و دعت بدواة و قرطاس فكتبت: بسم الله الرحمن الرحيم و كتبت بعد ذلك في سطر واحد ثلاثة أحرف متفرقة لم تزد عليها، و هي: أردت، و لو لا، و لعلني[1].

/و وجهت به إليهم، فلما وصلت الرقعة عيوا بجوابها، فأخذ إبراهيم بن المدبّر الرقعة، فكتب تحت أردت: ليت، و تحت لو لا: ما ذا، و تحت لعلني: أرجو. و وجهوا بالرقعة فصفقت و نعتت[2] و شربت رطلا و قالت لنا: أترك هؤلاء و أقعد عندكم؟ إذا تركني الله من يديه، و لكّني أخلف عندكم من جواربي من يكفيكم، و أقوم إليهم، ففعلت ذلك و خلفت عندنا بعض جواربيها، و أخذت معها بعضهن، و انصرفت.

لها حكم النظام

:
أخبرنا محمد بن خلف، عن سعيد بن عثمان بن أبي العلاء، عن أبيه قال: عتب المأمون على عريب، فهجرها أياما، ثم اعتلت فعادها، فقال لها: كيف وجدت طعم الهجر؟ فقالت: يا أمير المؤمنين، لو لا مرارة الهجر ما عرفت حلاوة الوصل، و من ذمّ بدء الغضب أحمد عاقبة الرضا، قال: فخرج المأمون إلى جلسائه، فحدثهم بالقصة، ثم قال: أ ترى هذا لو كان من كلام النظام أ لم يكن كبيرا[3]؟.

لا تريد دخيلا بينها، و بين المأمون:

حدثني محمد بن خلف، عن أبي العيلاء، عن أحمد بن أبي داود: قال: جرى بين عريب و بين المأمون كلام، فكلّمها المأمون بشيء غضبت منه، فهجرته. أياما، قال أحمد بن أبي داود: فدخلت على المأمون. فقال لي: يا أحمد، اقض بيننا، فقالت عريب: لا حاجة لي في قضائه و دخوله فيما بيننا، و أنشأت تقول: و تخلط الهجر بالوصال لا # يدخل في الصّحح بيننا أحد

ما ذا كانت تفعل في خلوتها مع محمد بن حامد

:

حدّثني محمد بن خلف قال: حدثني محمد بن عبد الرحمن، عن أحمد بن حمدون، عن أبيه، قال: كنت حاضرا مجلس المأمون ببلاد الروم بعد صلاة العشاء الآخرة في ليلة ظلماء ذات رعود و بروق، فقال لي المأمون: اركب الساعة فرس التوبة و سر إلى عسكر أبي/إسحاق-يعني المعتصم-فأدّ إليه رسالتي في كيت و كيت، قال: فركبت/و لم تثبت مع شمعة، و سمعت وقع حافر دابة، فرهبت ذلك، و جعلت أتوقّاه، حتى صكّ ركابي [1] لعل المراد برموزها: أردت الحضور إليكم، و لو لا أنهم منعوني ما تخلفت، و لعلّي أستطيع الإفلات، و لعل المراد برموز بن المدبر: ليت ما أردته نفذ، و ما ذا عساهم يفعلون لو تركتهم، و أرجو تنفيذ ما رجوته.

[2] نعرت نعيرا و نعارا: صاحت: و صوتت بخيشومها.

[3] ف: «كثيرا». و يريد بالنظام الفيلسوف المعروف عند علماء الكلام.

ركاب تلك الدّابة، و برقت بارقة فأضاءت وجه الراكب، فإذا عريب، فقلت: عريب؟ قالت: نعم، حمدون، قلت: نعم. ثم قتل: من أين أقبلت [1] في هذا الوقت؟ قالت: من عند محمد بن حامد، قلت: و ما صنعت عنده؟ قالت عريب: [2] يا تكش، عريب [2] تجيء من عند محمد بن حامد في هذا الوقت خارجة من مضرب الخليفة و راجعة إليه، تقول لها: أيّ شيء عملت عنده؟ صليت معه التراويح؟! أو قرأت عليه أجزاء من القرآن، أو دارسته شيئا من الفقه، يا أحق تعابتنا، و تحادثنا، و اصطلحنا، و لعبنا، و شربنا، و غيننا، و تنايكننا، و انصرفنا، فأجلبتني و غاظتني، و افترقنا، و مضيت فأديت الرسالة، ثم عدت إلى المأمون و أخذنا في الحديث و تناشد الأشعار، و هممت و الله أن أحدثه حديثها، ثم هبته فقلت: أقدم قبل ذلك تعريضا بشيء من الشعر، فأنشدته: ألا حيّ أطلالا لواسعة الجبل [3] # ألوف تسوي صالح القوم بالردل

فلو أن من أمسى بجانب تلعة # إلى جبلي طي فساقتة الجبل

جلوس إلى أن يقصر الظلّ عندها # لراحوا و كلّ القوم منها على وصل

فقال لي المأمون: اخفض صوتك لا تسمعك عريب فتغضب، و تظنّ أنّا في حديثها، فأمسكت عما أردت أن أخبره، و خار الله لي في ذلك.

تعشق و لا تعشق

:

حدثني محمد بن أحمد الحكيمي: قال: أخبرني ميمون بن هارون، قال: قال لي/ابن اليزيدي: حدثني أبي قال: خرجنا مع المأمون في خروجه إلى بلد الرّوم، فرأيت عريب في هودج، فلما رأته قالت لي: يا يزيد، أنشدني شعرا قلته حتى أصنع فيه لحنا [4] فأنشدتها: ما ذا بقلبي من دوام الخفق [5] # إذا رأيت لمعان البرق

من قبل الأردنّ أو دمشق # لأنّ من أهوى بذاك الأفق

فإن فيه و هو أعزّ الخلق # عليّ و الرّور خلاف الحق [6]

ذاك الذي يملك منّي رقيّ # و لست أبغي ما حبيت عتقي

قال: فتنفّست تنفّسا ظننت أن ضلوعها قد تقصّفت منه، فقلت: هذا و الله تنفس عاشق، فقالت: اسكت يا عاجز [7] أنا أعشق، و الله لقد نظرت نظرة مريية في مجلس، فادّعاها من أهل المجلس عشرون رئيسا طريقا.

[1] لفظ «أقبلت» من ف.

(2-2) تكملة من ف، و لم نجد لتكش أصلا في العربية.

[3] واسعة الحبل: كناية عن أنها لا ترد يد لامس، و الأبيات الثلاثة في وصف امرأة متهتكة غاية التهتك. و في «المختار»: «... لقاطعة الحبل # ... تساوي صالح القوم بالنذل»

[4] ب: «أنشدني شعرا قلت حتى أسمع فيه لحننا» .

[5] في «المختار»: «من أليم الخفق» .

[6] هذا البيت من «المختار» .

[7] ف: «يا عاض» و المعضوض محذوف لمعرفته.

بيتا عباس بن الأحنف يصلحان بينها و بين حبيبها:

حدثني محمد بن خلف: قال: حدثني أحمد بن أبي طاهر: قال: حدثني أحمد بن حمدون: قال: وقع بين عريب و بين محمد بن حامد شرًّا، و كان يجد بها الوجد كله، فكادا يخرجان من شرهما إلى القطيعة، و كان في قلبها منه أكثر مما في قلبه منها، فلقيته يوما، فقالت له: كيف قلبك يا محمد؟ قال: أشقى و الله ما كان [1] و أقرحه، / فقالت له: استبدل تسل [2]، فقال لها: لو كانت البلوى باختيار لفعلت: فقالت: لقد طال إذا تعبك، فقال: و ما يكون؟ أصبر مكرها، أ ما سمعت قول العباس بن الأحنف.

تعب يطول [3] مع الرجاء بذى الهوى # خير له من راحة في اليأس

لو لا كرامتكم لما عاتبتكم # و لكنتم عندي كبعض الناس

/ قال: فذرفت عيناها، و اعتذرت إليه و أعتبته، و اصطلحا، و عادا إلى أفضل ما كانا عليه.

اختلاف في فن عريب

:

حدثني أحمد بن جعفر جحظة: قال: قال لي أبو العباس بن حمدون-و قد تجاذبنا [4] غناء عريب- ليس غناؤها مما يعتدُّ بكثرتها، لأن سقطه كثير، و صنعتها ساذجة، فقلت له: و من يعرف في الناس كلهم من مغني الدولة العباسية سلمت صنعته كلها حتى تكون مثله! ثم جعلت أعدُّ ما أعرفه من جيّد صنعتها و متقدّمها و هو يعترف بذلك، حتى عددت نحوا من مائة صوت مثل لحنها في: يا عزّ هل لك في شيخ فتى أبدا

و

سيسليك عما فات دولة مفضل

و

صاح قد لمت ظالما

و

ضحك الزمان و أشرقت

و نحو هذا، ثم قال لي: ما خلّفت عريب بعدها امرأة مثلها في الغناء و الرواية و الصنعة، فقلت له: لا، و لا كثيرا من الرجال أيضا.

قصة لحن في بيت يتيم

:

و لعريب في صنعتها:

يا عزّ هل لك في شيخ فتى أبدا

/خبر أخبرني ببعضه أحمد بن عبيد الله بن عمار، عن ميمون بن هارون.

و ذكر ابن المعتز أن عبد الواحد بن إبراهيم بن الخصيب حدّثه عمّن يثق به، عن أحمد بن عبد الله بن إسماعيل المراكبيّ: قال: [1]أشقى: مضافة إلى «ما» ، و القسيم فاصل بين المتضايقين، يريد أن يقول: قلبي أشقى ما كان و أقرحه و الله.

[2]ب: «استبدل بديلا» .

[3]ب: «يكون» . و في «المختار» : «لذي الهوى» .

[4]ب: «تجارينا» .

قالت لي عريب: حج بي أبوك و كان مضعوفا، فكان عديلي، و كنت في طريقي أطلب الأعراب فأستنشدهم الأشعار، و أكتب عنهم النوادر و سائر ما أسمعه منهم، فوقف شيخ من الأعراب علينا يسأل، فاستنشدته، فأنشدني: يا عزّ هل لك في شيخ فتى أبدا # و قد يكون شباب غير فتیان

فاستحسنته، و لم أكن سمعته قبل ذلك، قلت: فأنشدني باقي الشعر، فقال لي: هو يتيم، فاستحسن قولهُ و برّته، و حفظت البيت و غيّت فيه صوتا من الثقل الأول، و مولاي لا يعلم بذلك لضعفه، فلمّا كان في ذلك اليوم عشياً قال لي: ما كان أحسن ذلك البيت الذي أنشدك إياه الأعرابي، و قال لك: إنه يتيم. أنشدني إن كنت حفظته، فأنشدته، إياه، و أعلمته أني قد غيّت فيه، ثم غيّته له، فوهب لي ألف درهم بهذا السبب، و فرح بالصوت فرحا شديدا.

قال ابن المعتز: قال ابن الخصيب: فحدثني هذا المحدث أنه قد حضر بعد ذلك بمجلس أبي عيسى بن المتوكل-و من هاهنا تتصل رواية ابن عمّار، عن ميمون، و قد جمعت الروايتين إلا أن ميمون بن هارون ذكر أنهم كانوا عند جعفر بن المأمون، و عندهم أبو عيسى، و كان عندهم عليّ بن يحيى، و بدعة جارية عريب تغنيهم-فذكر عليّ بن يحيى أن الصنعة فيه لغير عريب، و ذكر أنها لا تدعى هذا و كابر فيه، فقام جعفر بن المأمون، فكتب رقعة إلى عريب-و نحن لا نعلم-يسألها عن أمر الصوت و أن تكتب إليه بالقصة، ففعلت، فكتبت إليه بخطها: /بسم الله الرحمن الرحيم.

هنيئا لأرباب البيوت بيوتهم # و للعزب المسكين ما يتلمّس

أنا المسكينة، و حيدة فريدة بغير مؤنس، و أنتم فيما أنتم فيه، و قد أخذتم أنسى و من كان يلهيني، تعني جاريتها: بدعة و تحفة-فأنتم في القصف و العزف، و أنا في خلاف ذلك، هناكم الله و أبقاكم[1]، و سألت-مدّ الله في عمرك-عما اعترض فيه فلان، و القصّة في هذا الصوت/كذا و كذا، و قصّت قصّتها مع الأعرابي كما حدّثت به، و لم تخرم حرفا منها، فجاء الجواب إلى جعفر بن المأمون فقرأه و ضحك. ثم رمى به إلى أبي عيسى، و رمى به أبو عيسى إليّ، و قال: اقرأه، و كان عليّ بن يحيى جالسا إلى جنبي، فأراد أن يستلب الرقعة، فمنعته، و قمت ناحية، فقرأتها: فأنكر ذلك، و قال: ما هذا؟ فورّينا الأمر عنه لئلا تقع عريضة، و كان-عفا الله عنا و عنه-مبغضا لها.

تروي قصة غرامية عن أبي محلم

:

قال ابن المعتز: و حدثني أبو الخطّاب العباس بن أحمد بن الفرات، قال: حدّثني أبي، قال: كنا يوما عند جعفر بن المأمون نشرب و عريب حاضرة إذا غنى بعض من كان هناك: يا بدر إئتك قد كسيت مشابها # من وجه ذاك المستنير اللأح

و أراك تمصح[2] بالمحاق، و حسنها # باق على الأيام ليس ببارح

فضحكت عريب و صفقت و قالت: ما على وجه الأرض أحد يعرف خبر هذا الصّوت غيري، فلم يقدم أحد منا [1]ف: «و أمراكم» .

[2]مصح يمصح مصوحا: ذهب و انقطع، و المراد هنا ذهاب الضوء، و في ف: «تمسح» ، و في «المختار» : «تسمح بالمحاق» . -

على مسألتها عنه غيري، فسألتها، فقالت: أنا أخبركم بقصته، و لو لا أن صاحب القصة قد مات لما أخبرتكم، إن أبا محلم قدم بغداد، فنزل بقرب دار صالح المسكين في خان هناك، فاطلعت أم محمد [1] ابنة صالح يوماً، فرأته / يبول، فأعجبها متاعه [2]. و أحببت مواصلته، فجعلت لذلك علة بأن وَّجَّهت إليه تقترض منه مالا، و تعلمه أنها في ضيقة و أنها تردّه إليه بعد جمعة، فبعث إليها عشرة آلاف درهم، و حلف أنه لو ملك غيرها لبعث به، فاستحسنت ذلك و واصلته، و جعلت القرض سببا للوصلة، فكانت تدخله إليها ليلا، و كنت أنا أعطي لهم، فشرينا ليلة في القمر، و جعل أبو محلم ينظر إليه، ثم دعا بدواة و رقعة، و كتب فيها قوله: يا بدر إنك قد كسيت مشابها # من وجه أم محمد ابنة صالح

و البيت الآخر، و قال لي: عني فيه، ففعلت و استحسنتاه و شربنا عليه، فقالت لي أم محمد في آخر المجلس: يا أختي، قد تبيّلت [3] في هذا الشعر إلا أنه سيبقى عليّ فضيحة آخر الدهر، فقال أبو محلم: و أنا أغيره، فجعل مكان أم محمد ابنة صالح، «ذاك المستنير اللائح». و عنيته كما غيّر، و أخذه الناس عني، و لو كانت أم محمد حيّة لما أخبرتكم بالخبر.

فأما نسبة هذا الصوت

فإنّ الشعر لأبي محلم النسابة، و الغناء لعريب ثقيل أول مطلق في مجرى الوسطى من رواية الهشاميّ و غيره، و أبو محلم اسمه عوف بن محلم.

تستزير حبيبها فيخشي على نفسه

:

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي، عن ميمون بن هارون: قال: كتبت عريب إلى محمد بن حامد-الذي كانت تهواه-تستزيره، فكتب إليها: إني أخاف على نفسي، فكتبت إليه.

صوت

إذا كنت تحذر ما تحذر # و تزعم أنك لا تجسر
فمالي أقيم على صوتي # و يوم لفائك لا يقدر

/فصار إليها من وقته.

لعريب في هذين البيتين و بيتين آخرين بعدهما لم يذكر في الخبر
رمل، /و لشاريه خفيف رمل، جمعاً من رواية ابن المعتز، و البيتان الآخران:
تبينت عذري و ما تعذر # و أبلت جسمي و ما تشعر

[1]ف: «أم صاح» و هو تحريف بدليل ما جاء في النص الوارد في
البيت الثاني.

[2]متاعه: قبله.

[3]ف: «يا بنتي إنك قد غنيت» . و تنبلت: أظهرت مهارة و حذقا.

ألفت السُّرور و خَلِّيتني[1] # و دمعي من العين ما يفتر

و ذكر ميمون في هذا الخبر أن محمد بن حامد كتب إليها يعاتبها في شيء كرهه، فكتبت إليه تعتذر، فلم يقبل، فكتبت إليه بهذين البيتين الآخرين اللذين ذكرتهما بعد نسبة هذا الصوت.

صوت

أحببت من شعر بشار لحبكم # بيتا، كلفت به من شعر بشار

يا رحمة الله حلّي في منازلنا[2] # و جاورينا فدتك النفس من جار

إذا ابتهلت سألت الله رحمته # كنييت عنك و ما يعدوك إضماري

الشعر لأبي نواس منه البيت الأول، و الثاني لبشار ضمنه أبو نواس، و الغناء لعريب ثقل أول بالبنصر، و لعمر بن بانة في الثاني و الثالث رمل. و هذا الشعر يقوله أبو نواس في رحمة بن نجاح عمّ نجاح بن سلمة الكاتب.

رحمة حبيبة بشار و رحمة حبيب أبي نواس

:

أخبرني بخبره عليّ بن سليمان الأخفش، عن محمد بن يزيد النحويّ: قال: كان بشار يشيب بامرأة يقال لها رحمة، و كان أبو نواس يتعشق غلاما اسمه رحمة بن نجاح، عمّ نجاح بن سلمة الكاتب، و كانت متقدما في جماله، و كان أبوه/قد ألزمه و أخاه[3] رجلا مدنيا، و كان معهم كأحدهم، و أكثر أبو نواس التشبيب برحمة في إقامته ببغداد و شخوصه عنها، و كان بشار قد قال في رحمة المرأة التي يهواها.

يا رحمة الله حلّي في منازلنا # حسبي برائحة الفردوس من فيك

يا أطيب الناس ريقا غير مختبر # إلا شهادة أطراف المساويك

فقال أبو نواس، و ضمّن بيت بشار.

أحببت من شعر بشار لحبكم # بيتا كلفت به من شعر بشار

الآيات الثلاثة...

و قال فيه:

يا من تأهّب مزمعا لرواح # متيمّما ببغداد غير ملاح

في بطن جارية كفتك بسيرها # رملا و كلّ سباحة السَّبَّاح [4]
بنيت على قدر و لاءم بينها # صنفان من قار و من ألواح

[1] ف، مم: «و خلفتني» .

[2] يريد بشار رحمة محبوبته كما يشير إلى ذلك البيت الثالث، و كما ورد في القصة، و المضمن-كما يدل سياق القصة أيضا-هو المصراع الأول من البيت الثاني، لا البيت كله.

[3] أخاه معطوف على الهاء في ألزمه.

[4] جارية: يقصد سفينة جارية، و الرَّمْل: ضرب من السَّير، و هو الهرولة، و يريد أن السفينة كفته مئونة السير على القدم و اجتياز النهر سباحة.

و كأنها-و الماء ينضح صدرها # و الخيزرانة[1] في يد الملاح-
جون[2] من الغربان يبتدر الدّجى # يهوي بصوت و اصطفاق جناح
سَلَّم على شاطئ الصّراة[3] و أهلها # و اخصص هناك مدينة الوصّاح
/و اقصد-هديت[4]-و لا تكن متحيّرا # في مقصد عن طيبي آل نجاح
عن رحمة الرحمن و اسأل من ترى # سيماه سيما شارب للزّاح
فإذا دفعت إلى أغرّ و ألثغ # و منعم و مكحل و رداح[5]
و كشمسنا و كبدرنا حاشى التي # سمّيتها منه بنور أقاحي
/فاقصد لوقت لقائه في خلوة # لتبوح عني ثمّ كلّ مباح
و اخبر[6] بما أحببت عن حالي التي # ممساي فيها واحد و صباحي

قال: فافتدى أبو رحمة من أبي نواس ذكر ابنه بأن عقد بينه و بينه
حرمة، و دعاه إلى منزله، فجاءه أبو نواس و المدينيّ لا يعرفه، فمأزحه
مأزحا أسرف عليه فيه، فقام إليه رحمة، فعرفه أنه أبو نواس، فأشفق
المدينيّ من ذلك، و خاف أن يهجوّه و يشهر اسمه، فسأل رحمة أن يكلمه
في الصفح له و الإغضاء عن الانتقام، فأجابه أبو نواس و قال: اذهب سلمت
من الهجاء و لذعه # و أما و لثغة رحمة بن نجاح

لو لا فتور في كلامك يشتهي # و ترقّقي لك بعد و استملاحي
و تكسّر في مقلتيك هو الذي # عطف الفؤاد عليك بعد جماح
لعلمت أنك لا تمازح شاعرا # في ساعة ليست بحين مزاح

مدخل إلى ترجمة معقل بن عيسى

:

صوت

أ أبكاك بالعرف المنزل # و ما أنت و الطلل المحول؟
و ما أنت ويك و رسم الدّيار # و سنك قد قاربت تكمل؟

/عروضه من المتقارب، و الشعر للكميت بن زيد الأسديّ، و الغناء
لمعقل بن عيسى أخي أبي دلف العجليّ، و لحنه من الثقليل الأول بالبصرة، و
هذان البيتان من قصيدة مدح الكميت بهما عبد الرحمن بن عنبسة بن سعيد
بن العاصي بن أمية.

[1]الخيزرانة: مجداف السفينة.

[2]جون: خبر كأن، و الجون: الأبيض و الأسود، و المراد به هنا الأسود.

[3]الصّراة: نهر بالعراق، و في ب، مم: «الصّراة» .

[4]ف:

«و اقصد هناك»

[5]الرداح: الثقيل الأوراك.

[6]وصلت همزة (أخبر) لضرورة الشعر.

أخبرني الحسن بن عليّ قال: حدثني الحسن بن عليل العنزيّ، عن عليّ بن هشام[1]، عن محمد بن عبد الأعلى بن كناسة: قال: كان بين بني أسد و بين طيء بالحصّ - وهي قريبة من قادسيّة الكوفة- حرب، فاصطلحوا و بقي لطيّئ دماء رجلين، فاحتمل ذلك رجل من بني أسد، فمات قبل أن يؤدّيّه، فاحتمله الكميّ بن زيد، فأعانه فيه عبد الرحمن بن عنبسة، فمدحه بقوله: أ أبكاك بالعرف المنزل # و ما أنت و الطلل المحول

فأعانه الحكم بن الصلت الثقفيّ، فمدحه بقصيدته التي أولها: رأيت الغواني وحشا نفورا

و أعانه زياد بن المغلّل الأسديّ، فمدحه بقصيدته التي أولها: هل للشباب الذي قد فات من طلب؟

ثم جلس الكميّ و قد خرج العطاء، فأقبل الرجل يعطي الكميّ المائتين، و الثلاث المائة، و أكثر و أقل، قال: و كانت دية الأعرابي حينئذ ألف بغير و دية الحضريّ عشرة آلاف درهم، و كانت قيمة الجمل عشرة دراهم، فأدّى الكميّ عشرين ألفا عن قيمة ألفي بغير.

نسبة ما في أشعار الكميّ هذه من الأغاني صوت

منها:

هل للشباب الذي قد فات من طلب # أم ليس غابره الماضي بمنقلب
/دع البكاء على ما فات من طلب # فالدهر يأتي بألوان من العجب

غناه إبراهيم الموصليّ خفيف رمل بالسبابة في مجرى الوسطى من رواية إسحاق.

[1]ف: «حدثنا أبو مسلم علي بن مسلم» بدل «عن علي بن هشام» .

7- ذكر معقل بن عيسى

شاعر مغن

:

كان معقل بن عيسى فارسا شاعرا جوادا، مغنّيا فهما بالنغم و الوتر، و ذكره الجاحظ مع ذكر أخيه أبي دلف و تقريظه في المعرفة بالنغم، و قال: إنه من أحسن أهل زمانه و أجود طبiquته صنعة؛ إذ سلم ذلك له أخوه معقل، و إنما أحمّل ذكره ارتفاع شأن أخيه، و هو القائل لأبي دلف في عتب عتبه عليه: أخي مالك ترميني فتقصدني # و إن رميتك سهما لم يجر كبدي

أخي مالك مجبولا على ترتي # كأن أجسادنا لم تغذ [1] من جسد

و هو القائل لمخارق، و قد كان زار أبا دلف إلى الجبل، ثم رجع إلى العراق، أخبرني بذلك علي بن سليمان الأخفش عن أبي سعيد السكري:

صوت

لعمري لئن قرّت بقرتك أعين # لقد سخنت بالبين منك عيون

فسر أو أقم وقف عليك محبتي [2] # مكانك من قلبي عليك مصون

فما أوحش [3] الدنيا إذا كنت نازحا # و ما أحسن الدنيا بحيث تكون

عروضه من الطويل، و الشعر لمعقل بن عيسى، و الغناء لمخارق، و لحنه من التّقيّل الأول بالوسطى، و فيه لحن لمعقل بن عيسى خفيف رمل، و فيه ثاني ثقيل يقال: إنه لمخارق، و يقال: إنه لمعقل.

/و من شعر معقل قوله يمتدح المعتصم، و فيه غناء للزبير بن دحمان من التّقيّل الأول بالبنصر:

صوت

الدار هاجك رسمها و طلولها # أم بين سعدى يوم جدّ رحيلها

كلّ شجاك فقل لعينك أعولي # إن كان يغني في الديار عويلها

و محمد زين الخلائف و الذي # سنّ المكارم فاستبان سبيلها

[1] ف: «لم تغد» .

[2] ف: «مودتي» .

[3] ف: «فما أقبح» .

صوت

أليس إلى أجيال شمخ إلى اللوى # لوى الرّمل يوما للنفوس معاد؟
بلاد بها كئا، و كنا من اهلها # إذ التّاس ناس و البلاد بلاد

الشعر لرجل من عاد فيما ذكروا، و الغناء لابن محرز، و لحنه من
الثّقل الأول بالبنصر عن ابن المكي، و قيل:
إنه من منحوله إليه:

خبر رجل من عاد

:
أخبرني ابن عمار[1] عن أبي سعد، عن محمد بن الصّبّاح: قال: حدثنا
يحيى بن سلمة بن أبي الأشهب التيمي[2] عن الهيثم بن عديّ: قال: أخبرني
حمّاد الرّواية: قال:

حدثني ابن أخت لنا من مراد: قال: و ليت صدقات قوم من العرب،
فبينما أنا أقسمها في أهلها إذ قال لي رجل منهم: أ لا أريك عجبا؟ قلت: بلى،
فأدخلني في/شعب من جبل، فإذا أنا بسهم من سهام عاد، فتى قد نشب
في ذروة الشّعب و إذا على الجبل تجاهي مكتوب:

/
ألا هل إلى أبيات شمخ إلى اللوى # لوى الرّمل يوما للنفوس معاد؟
بلاد بها كئا و كنا من أهلها # إذ التّاس ناس و البلاد بلاد

ثم أخرجني إلى ساحل البحر، و إذا أنا بحجر يعلوه الماء طورا، و يظهر
تارة، و إذا عليه مكتوب: يا ابن آدم يا ابن عبد ربه، اتّق الله، و لا تعجل في
أمرك، فإنك لن تسبق رزقك، و لن ترزق ما ليس لك، و من البصرة إلى
الديل ستمائة فرسخ، فمن لم يصدق بذلك فليمش الطريق على الساحل
حتى يتحقّقه، فإن لم يقدر على ذلك فلينتطح برأسه هذا الحجر.

صوت

يا بيت عاتكة الذي أنعزل # جذر العدا و به الفؤاد موكل
إني لأمنحك الصّدود و إنني # قسما إليك مع الصّدود لأميل

أ تعزله: أتجنبه و أكون بمعزل عنه. العدا: جمع عدو، و يقال عدا بالضم و عدا بالكسر، و أمنحك: أعطيك.

و المنيحة: العطية. و في الحديث أن رجلا منح بعض ولده شيئاً من ماله، فقال له النبي صلى الله عليه و سلم: أ كلّ ولدك منحت مثل هذا؟ قال: لا، قال: فارجه.

الشعر للأحوص بن محمد الأنصاري، من قصيدة يمدح بها عمر بن عبد العزيز الغناء لمعبد ثاني ثقل بالخنصر في مجرى البنصر، عن إسحاق و يونس و غيرهما، و فيه لابن سريج خفيف ثقل الأول بالبنصر عن الهشامي و ابن المكي و علي بن يحيى.

[1]ف: «أحمد بن عبيد الله بن عمّار» .

[2]ف: «التميمي» .

8-الأحوص و بعض أخباره

الأحوص يعارض ابن أبي دباكل أو يسرقه

:

أخبرني بخبر الأحوص في هذا الشعر الحرميّ عن الزبير[1]قال: حدثني عمر بن أبي بكر المؤملي، و أخبرنا به الحسين بن يحيى، عن حماد، عن أبيه، عن مصعب الزبيري، عن المؤملي، عن عمر بن أبي بكر الموصلي، عن عبد الله بن أبي عبيدة بن عمار بن ياسر: قال: خرجت أنا و الأحوص بن محمد مع عبد الله بن الحسن بن الحسن إلى الحج، فلما كنا بقديد قلنا لعبد الله بن الحسن: لو أرسلت إلى سليمان بن أبي دباكل، فأنشدنا شيئاً من شعره، فأرسل إليه فاتاناً، فاستنشدناه، فأنشدنا قصيدته التي يقول فيها: يا بيت خنساء الذي أتجئب # ذهب الشباب و حبها لا يذهب

أصبحت أمنحك الصدود[2] و إنني # قسماً إليك مع الصدود لأجنب

ما لي أحنّ إلى جمالك قرّبت # و أصدّ عنك و أنت مّني أقرب

لله دّرّك هل لديك معوّل # لمنيّم أم هل لوّدك مطلب؟

فلقد رأيتك قبل ذاك و إنني # لموكلّ بهواك أو متقرّب

إذ نحن في الزمن الرخيّ و أنتم # متجاورون كلامكم لا يرقب

تبكي الحمامة شجوها فتهيجني # و يروح عازب همّي المتأوّب

و تهبّ جارية الرياح من ارضكم[3] # فأرى البلاد لها تطلّ و تخصب

/و أرى السّمية باسمكم فيزيدني # شوقاً إليك رجاؤك المتنسّب[4]

/و أرى العدوّ يوّدكم فأودّه # إن كان ينسب منك أو لا ينسب

و أخالف الواشين فيك تجمّلاً # و هم عليّ ذو و ضغائن دوّب

ثم اتخذتهم عليّ وليجة[5] # حتى غضبت و مثل ذلك يغضب

[1]ف: «الحرمي بن أبي العلاء، قال: حدثنا الزبير بن بكار» .

[2]ف: «إني لأمنحك الصدود» ، و كاف الخطاب مكسورة على اعتبار أن المخاطب محبوبته الخنساء، أو مفتوحة على أن المخاطب بيتها و الأول أنسب.

[3]وصل همزة أرض لضرورة الشعر.

[4]هذا البيت تكملة من ف، و هو ساقط من باقي النسخ.

[5]وليجة: أصدقاء و أعوان.

قال: فلما كان من قابل حجّ أبو بكر بن عبد العزيز بن مروان، فقدم المدينة، فدخل عليه الأحوص، و استصحبه، فأصحبه، فلما خرج الأحوص قال له بعض من عنده: ما ذا تريد بنفسك؟ تقدم بالأحوص الشام، و بها من ينافسك من بني أبيك، و هو من الأفن و السّفه على ما قد علمت فيعيونك به. فلما رجع أبو بكر من الحج دخل عليه الأحوص منتجّزا لما وعده من الصحابة [1] فدعا له بمائة دينار و أثواب و قال: يا خال، إني نظرت فيما سألتني من الصحابة فكرهت [1] أن أهجم بك على أمير المؤمنين من غير إذنه، فيجبهك فيشمت بك عدوّي من أهل بيتي، و لكن خذ هذه الثياب و الدنانير، و أنا مستأذن لك أمير المؤمنين، فإذا أذن لك كتبت إليك، فقدمت عليّ، فقال له الأحوص: لا و لكن قد سبعت [2] عندك، و لا حاجة لي بعطيتك، ثم خرج من عنده، فبلغ ذلك عمر بن عبد العزيز، فأرسل إلى الأحوص و هو يومئذ أمير المدينة، فلما دخل عليه أعطاه مائة دينار، و كساه ثيابا فأخذ ذلك، ثم قال له: يا أخي هب لي عرض أبي بكر، قال: هو لك، ثم خرج الأحوص، فقال في عروض قصيدة سليمان بن أبي دباكل قصيدة مدح بها عمر بن عبد العزيز.

/و قال حماد: قال أبي: سرق أبيات سلميان بأعيانها، فأدخلها في شعره، و غير قوافيها فقط، فقال: يا بيت عاتكة الذي أتعزّل # حذر العدا و به الفؤاد موكل

أصبحت أمنحك الصّدود و إئني # قسما إليك مع الصّدود لأميل
فصدت عنك و ما صدت لبغضة # أخشى مقالة كاشح لا يعقل
هل عيشنا بك في زمانك راجع # فلقد تفاحش [3] بعدك المتعلّل؟
إني إذا قلت استقام يحطّه # حلف كما نظر الخلاف الأقبل [4]
لو بالذي عالجت لين فؤاده # فأبى يلان به للان الجندل [5]
و تجنّبي بيت الحبيب أوّده # أرضي البغيض به، حديث معصل
و لئن صدت لأنت لو لا رقبتي # أهوى من اللائي أزور و أدخل
إنّ الشّباب و عيشنا اللدّ [6] الذي # كئنا به زما نسرّ و نجدل
ذهبت بشاشته و أصبح ذكره # حزنا يعلّ به الفؤاد و ينهل
إلّا تذكّر ما مضى و صباية # منيت لقلب متيمّ لا يذهل
أودى الشّباب و أخلقت لذّاته # و أنا الحزين على الشّباب المعول
/يبكي لما قلب الزمان جديده # خلقا و ليس على الزّمان معول [7]

(1-1) التكملة من ف، مم. و جاء مكانها: «فقال له كرهت... إلخ» في النسخ الأخرى.

[2] سيع فلان فلانا: شتمه و وقع فيه، يريد: أنك تغيرت علي بسبب الوشاية.

[3] ف: «تقاعس» .

[4] ب، س، مم:

«بأبي إذا قلت... الأحول»

. القبل: الحول، أو إقبال نظر كل من العينين على الأخرى.

[5] معنى البيت: لو أنني عالجت الجندل بما عالجت به فؤاده فلم يلن للآن الجندل، فهنا محذوف يفهم من سياق الكلام.

[6] اللذّ: اللذيد، و في ف:

«كنا به زمنا نعل و ننهل»

و هي رواية مرجوحة لما جاء في البيت التالي.

[7] قلب: بمعنى صيّر، و خلقا مفعول ثان له.

و الرأس شامله البياض كأنه # بعد السّواد به الثّغام المحجل [1]
 و سفية هبت عليّ بسحرة # جهلا تلوم على الثّواء و تعذل [2]
 فأجبتها أن قلت لست مطاعة # فذري تنصّحك الذي لا يقبل
 /إني كفاني أن أعالج رحلة # عمر و نبوة من يضنّ و يبخل
 بنوال ذي فجر تكون سجاله # عمما إذا نزل الرّمان المحجل
 ماض على حدث الأمور كأنه # ذو رونق [3] غضب جلاه الصّيقل
 تبدي الرجال إذا بدا إعظامه # حذر البغاث هوى لهنّ الأجدل [4]
 فيرون أنّ له عليهم سورة # و فضيلة سبقت له لا تجهل
 متحمّل ثقل الأمور حوى له # سبق المكارم سابق متمهّل
 و له إذا نسبت قريش منهم # مجد الأرومة و الفعال الأفضل
 و له بمكة إذ أمية أهلها # إرث إذا عدّ القديم مؤنل
 /أعيت قرابته و كان لزومه # أمرا أبان رشاده من يعقل [5]
 و سموت عن أخلاقهم فتركتمهم # لنداك إنّ الحازم المتحوّل
 و لقد بدأت أريد ودّ معاشر # و عدوا مواعد أخلفت إن حصلوا
 حتى إذا رجع اليقين مطامعي # بأسا و أخلفني الذين أوّمل
 زابلت ما صنعوا إليك برحلة # عجلي و عندك عنهم متحوّل
 و وعدتني في حاجة فصدقتني # و وفيت إذ كذبوا الحديث و بدّلوا
 و شكوت غرما فادحا فحملته # عني و أنت لمثله متحمّل
 فلأشكرنّ لك الذي أوليتني # شكرا تحلّ به المطي و ترحل
 مدحا تكون لكم غرائب شعرها # مبدولة و لغيركم لا تبدل
 فإذا تنحّلت القريض فإته # لكم يكون خيار ما أنتحل
 و لعمر من حجّ الحجيج لبيته # تهوي به قلص المطي الدّمّل

[1] الثغام: نبت أبيض، و يقال: أثغم الرأس: صار كالثغام بياضا، و المحجل من الحجل، و هو البياض في رجل الفرس و نحوه، فهو صفة مؤكدة: و في ب، مم: «المحول» بدل «المحجل» أي الثغام الذي مضى عليه الحول، و الرواية الأولى أرجح، و في ب «شاملة البياض» و قد رجحنا رواية ف، مم؛ لأن الرأس مذكر.

[2] بسحرة إنها تعذلني وقت السحر، و في ب «الثراء» بدل «الثواء» و المثبت من ف و هو أوفق لما في الأبيات التالية.

[3] ذو رونق: صفة لموصوف محذوف، و التقدير: كأنه سيف ذو رونق.

[4] ف «الحمام» بدل «البغاث» و الأجدل: الصقر. يريد أن الرجال يهابون عمر كما يهاب البغاث أو الحمام الصقر.

[5] مو، ب، مم:

«أعيت قرائنه و كان لزومه # أثرا أبان و شاده من يعقل»

و الصواب ما أثبتناه، و المعنى عليه: أن الالتجاء إلى الممدوح أمر أشار به ذو و التجربة و الخبرة.

إنّ امرأ قد نال منك قرابة # يبغي منافع غيرها لمضلل
تغفوا إذا جهلوا بحلمك عنهم # و تنيل إن طلبوا التّوال فتجزل
و تكون معقلهم إذا لم ينجهم # من شرّ ما يخشون إلاّ المعقل [1]
حتى كأنك يتّقى بك دونهم # من أسد بيثشة خادر متبسّل [2]
و أراك تفعل ما تقول و بعضهم # مذق [3] الحديث يقول ما لا يفعل
و أرى المدينة حين صرت أميرها # أمن البريء بها و نام الأعزل
فقال عمر: ما أراك أعفيتني مما استعفيت منه، قال: لأنه مدح عمر و
عرّض بأخيه أبي بكر.

نسبة ما مضى في هذه الأخبار من الأغاني صوت

مالي [4] أحنّ إذا جمالك قرّبت # و أصدّ عنك و أنت منّي أقرب؟
و أرى البلاد إذا حللت بغيرها # وحشا و إن كانت تظللّ و تخصب
/ يا بيت خنساء الذي أتجّّب # ذهب الشباب و حبّها لا يذهب
تبكي الحمامة شجوها فتهيجني # و يروح عازب همّي المتأوّب
الشعر لسليمان بن أبي دباكل، و الغناء لمعبد خفيف ثقيل أول بالبنصر،
عن عمرو.
و قال ابن المكيّ: فيه خفيف ثقيل آخر لابن محرز، و أوله: تبكي
الحمامة شجوها فتهيجني

من هي عاتكة؟

أخبرني الحسين بن يحيى قال: قال حماد: قرأت على أبي، و قال
محمد بن كناسة: حدثني أبو دكين بن زكريا بن محمد بن عمار بن ياسر:
قال: رأيت عاتكة التي يقول فيها الأحوص: يا بيت عاتكة الذي أتعزل
و هي عجوز كبيرة و قد جعلت بين عينيها هلالا من نيلج [5] تتملّح به.
أخبرني الحرميّ عن الزبير، عن محمد بن محمد العمريّ: قال: عاتكة
التي يشبّب بها الأحوص عاتكة بنت عبد الله بن يزيد بن معاوية.
[1]مو:

«من شر ما يخشى و نعم المعقل»

[2] بيشة: مكان اشتهر بأسده، الخادر: الذي لزم عرينه، متبسل: عابس
غضبا، أو شجاعة.

[3] مذاق الحديث: مخلوطة غير خالصة، و أصله من مذاق اللبن: خلطه
بالماء.

[4] ف: «إني أحنّ» .

[5] النيلج: «دخان الشحم يعالج به الوشم ليخضر» .

أخبرني الحرمي، عن الزبير، عن إسحاق بن عبد الملك: /إن الأحوص كان ليّنا، و أن عاتكة التي ينسب بها ليست عاتكة بنت عبد الله بن يزيد بن معاوية، و إنما هو رجل كان ينزل قري كانت بين الأشراف كنى عنه بعاتكة.

أخبرني الحرمي عن الزبير عن يعقوب بن حكيم: قال: كان الأحوص ليّنا، و كان يلزم نازلا بالأشراف، فنهاه أخوه عن ذلك، فتركه فرقا من أخيه، و كان يمرّ قريبا من خيمة النازل بالأشراف و يقول: يا بيت عاتكة الذي أتعزّل # حذر العدا و به الفؤاد موكل

يكنى عنه بعاتكة و لا يقدر أن يدخل عليه.

الفرزدق و كثير يزوران الأحوص

:

أخبرني الحرمي، عن الزبير، عن محمد بن إسماعيل بن جعفر بن إبراهيم: قال: حدثني عبد العزيز بن عمران: قال: قدم الفرزدق المدينة، فقال لكثير: هل لك بنا في الأحوص نأتيه و نتحدث عنده؟ فقال له: و ما صنع به؟ إذا و الله نجد عنده عبدا حالكا أسود حلوكا يؤثره علينا، و يبيت مضاجعه ليلته حتى يصبح، قال الفرزدق: فقلت: إن هذا من عداوة الشعراء بعضهم لبعض، قال: فانهض بنا إليه إذا-لا أب لغيرك-قال الفرزدق: فأردفت كثيرا ورائي على بغلتي، و قلت: تلفف[1] يا أبا صخر، فمثلك لا يكون رديفا، فخمّر رأسه و ألصق في وجهه، فجعلت لا أجتاز بمجلس قوم إلا قالوا: من هذا وراءك يا أبا فراس؟ فأقول: جارية وهبها لي الأمير، فلما أكثرت عليه من ذلك، و اجتاز على بني زريق، و كان يبغضهم، فقلت لهم ما كنت أقول قبل ذلك، كشف عن رأسه و أومض[2] و قال: كذب، و لكني كرهت أن أكون له رديفا[3] و كان حديثه لي معجبا[3]، فركبت وراءه، و لم تكن لي دابة أركبها إلا دابته، فقالوا: لا تعجل يا أبا صخر، هاهنا دواب كثيرة تركب/منها ما أردت، فقال: دوابكم و الله أبغض إلى من ردفه، فسكتوا عنه. و جعل يتغشّم[4] عليهم، حتى جاوز أبصارهم، فقلت: و الله ما قالوا لك بأسا، فما الذي أغضبك عليهم؟ فقال: و الله ما أعلم نفرا أشدّ تعصبا للقرشيين من نفر اجتزت بهم، قال: فقلت له: و ما أنت-لا أمّ[5] لك و لقريش-قال: أنا و الله أحدهم، قلت: إن كنت أحدهم فأنت و الله دعيتهم، قال: دعيتهم خير من صحيح نسب العرب، و إلا فأنا و الله من أكرم بيوتهم، أنا أحد بني الصلت بن النضر، قلت: إنما قريش ولد فهر بن مالك، فقال: كذبت. فقال: ما علمك يا

بن الجعراء بقريش؟ هم بنو النضر بن كنانة، أ لم تر إلى النبي صلى الله عليه
و سلم انتسب إلى النضر بن/كنانة، و لم يكن ليجاوز أكرم نسبه، قال:
فخرجنا حتى أتينا الأحوص، فوجدناه في مشربة له، فقلنا له: أ نرقى إليك أم
تنزل إلينا؟ قال: لا أقدر على ذلك، عندي أم جعفر، و لم أرها منذ أيام، و لي
فيها شغل، فقال كثير: [1] يريد بتلفه أن يتنكر، حتى لا يعرفه الناس.

[2] أومض: أشار إشارة خفيفة رمزا أو غمزا.

(3-3) التكملة من مو، ف.

[4] يتغنم: يتجنى.

[5] ب، مو: مم: «لا أرض لك» .

أم جعفر و الله بعض عبيد الزرانيق[1] فقلنا له: فأنشدنا بعض ما أحدثت به، فأنشدنا قوله: يا بيت عاتكة الذي أتعزل # حذر العدا و به الفؤاد موكل

حتى أتى على آخرها، فقلت لكثير: قاتله الله، ما أشعره، لو لا ما أفسد به نفسه، قال: ليس هذا إفسادا، هذا خسف إلى التّخوم، فقلت: صدقت، و انصرفنا من عنده، فقال: أين تريد؟ فقلت: إن شئت فمنزلي، و أحملك على البغلة، و أهب لك المطرف، و إن شئت فمنزلك و لا أرزؤك شيئا، فقال: بل منزلي، و أبذل لك ما قدرت عليه، و انصرفنا إلى منزله، فجعل يحدثني و ينشدني حتى جاءت الظهر، فدعا لي بعشرين/دينارا و قال: استعن بهذه يا أبا فرس علي مقدمك، قلت: هذا أشد من حملان بني زريق، قال: و الله إنك ما تأنف من أخذ هذا من أحد، غير الخليفة، قال الفرزدق: فجعلت أقول في نفسي: تالله إنه لمن قريش، و هممت ألا أقبل منه. فدعتني نفسي- و هي طمعة- إلى أخذها منه، فأخذتها.

من هي الجعراء؟

معنى قول كثير للفرزدق: يا بن الجعراء: يعيره بدعة، و هي أم عمرو بن تميم، و بها يضرب المثل في الحماسة، فيقال: هي أحقق من دعة، و كانت حاملا، فدخلت الخلاء، فولدت، و هي لا تعلم ما الولد، و خرجت و سلاها[2] بين رجليها، و قد استهل ولدها، فقالت: يا جارتا، أ يفتح الجعر فاه[3] فقالت جارتها: نعم يا حمقاء، و يدعو أباه، فبنو تميم يعيرون بذلك، و يقال للمنسوب منهم: يا بن الجعراء.

ملاحظة بينه و بين السريّ

:

أخبرني الحرميّ، عن الزبير قال: حدّثني سليمان بن داود المجمعيّ: قال: اجتاز السريّ بن عبد الرحمن بن عتبة بن عويمر بن ساعدة الأنصاريّ بالأحوص و هو ينشد قوله: يا بيت عاتكة الذي أتعزل

فقال السريّ:

يا بيت عاتكة المنوّة باسمه # اقعد على من تحت سقفك و اعجل

فواتبه الأحوص، و قال في ذلك:

فأنت و شتمي في أكارس[4] مالك # و سبّي به كالكلب إذ ينيح النّجما

/تداعى[5]إلى زيد و ما أنت منهم # تحقّ أبا إلاّ الولاء و لا أمّا
و إنّك لو عدّدت أحساب مالك # و أيامها فيها و لم تنطق الرّجما
أعادتك عبدا أو تنقلت كاذبا[6] # تلمّس في حيّ سوى مالك جذما

[1]الزرنوق: النهر الصغير، و تزرناق: استقى على الزرنوق بالأجرة،
فالمراد بعبيد الزرائيق الذين يكرون للسقي.

[2]السلا: جلدة يكون فيها الولد من الناس و المواشي.

[3]الجعر: ما يبس من العذرة.

[4]الأكاريس: جمع أكراس، و أكراس جمع كرس بمعنى الجماعة، و
في مو: «و سبّي له» .

[5]تداعى: مضارع حذفته منه إحدى التاءين، و في ف: «تدعى» ، و
المعنى على كليهما: تنسب إلى زيد و لست منهم.

[6]ب: «أعادتك عبدا و انتقلت مكذبا» .

و ما أنا بالمحسوس في جذم مالك # و لا بالمسمّى ثم يلتزم الإِسْمَا
و لكن أبي لو قد سألت وجدته # توَسَّطَ منها العرّ و الحسب الصُّخْمَا

فأجابه السّرّيّ فقال:

سألت جميع هذا الخلق طرّاً # متى كان الأحيوص من رجالي

و هي أبيات ليست بجيدة و لا مختارة، فألغيت ذكرها.

شعره يسعف دليل المنصور

:

أخبرني محمد بن أحمد بن الطّلاس/أبو الطّيب، عن أحمد بن الحارث
الخَرّاز، عن المدائني، و أخبرني به الحرميّ، عن الزبير: قال: حدثني عمي-و
قد جمعت روايتيهما-.

أنّ المنصور أمر الرّبيع لما حجّ أن يسايره برجل[1] يعرف المدينة و
أهلها و طرقها و دورها و حيطانها، فكان رجل من أهلها قد انقطع إلى الربيع
زمانا، و هو رجل من الأنصار، فقال له: تهاياً فإني أظن جدك قد تحرّك، إن
أمير المؤمنين قد أمرني أن أسايره برجل يعرف المدينة و أهلها و طرقها و
حيطانها و دورها فتحسّس[2] موافقته و لا تبدئه بشيء حتى يسألك، و لا
تكتمه شيئاً، و لا تسأله حاجة، فغدا عليه بالرجل، و صلى المنصور، فقال: يا
ربيع، الرجل، فقال: ها هو ذا، فسار معه يخبره عما سأل حتى ندر[3] من
أبيات المدينة، فأقبل عليه المنصور، فقال: من أنت أولاً؟ فقال: من لا تبلغه/
معرفةك-هكذا ذكر الخَرّاز و ليس في رواية الزبير-فقال: ما لك من الأهل و
الولد؟ فقال: و الله ما تزوجت، و لا لي خادم، قال: فأين منزلك؟ قال: ليس
لي منزل، قال: فإن أمير المؤمنين قد أمر لك بأربعة آلاف درهم، فرمى
بنفسه فقَبِلَ رجله، فقال له: اركب، فركب، فلما أراد الانصراف قال للربيع:
يا أبا الفضل، قد أمر لي أمير المؤمنين بصلة، قال: إيه، قال: إن رأيت أن
تنجّزها لي، قال: هيهات، قال: فأصنع ما ذا؟ قال: لا أدري و الله- و في رواية
الخراز أنه قال: ما أمر لك بشيء، و لو أمر به لدعاني، فقال: أعطه أو وقّع
إليّ-فقال الفتى: هذا همّ لم يكن في الحساب، فلبثت أياما، ثم قال المنصور
للربيع: ما فعل الرجل؟ قال: حاضر، قال: سايرنا به الغداة، ففعل، و قال له
الربيع: إنه خارج بعد غد، فاحتل لنفسك، فإنه و الله إن فاتك فإنه آخر العهد
به، فسار معه، فجعل لا يمكنه شيء حتى انتهى إلى مسيره، ثم رجع و هو

كالمعرض عنه، فلما خاف فوته أقبل عليه فقال: يا أمير المؤمنين، هذا بيت عاتكة، قال: و ما بيت عاتكة؟ قال: الذي يقول فيه الأحوص.

يا بيت عاتكة الذي أ تعزل

قال: فمه، قال: إنه يقول فيها: إنّ امرأ قد نال منك وسيلة # يرجو منافع غيرها لمضلل

و أراك تفعل ما تقول و بعضهم # مذق الحديث يقول ما لا يفعل

فقال الزبير في خبره: فقال له: لقد رأيتك أذكرت بنفسك، يا سليمان بن مخلد، أعطه أربعة آلاف درهم، فأعطاه إياها، و قال الخزاز في خبره: فضحك المنصور، و قال: قاتلك الله، ما أظرفك، يا ربيع أعطه ألف درهم، [1] مم، مو، ف: «أن يبغيه رجلا» .

[2] ف، مم: «فتحر» بدل «فتحسس» ، و في ب: «فتحسن» .

[3] ندر: خرج.

فقال: يا أمير المؤمنين إنها كانت أربعة آلاف درهم، فقال: ألف يحصل خير من أربعة آلاف لا تحصل.

ابن المقفع يتمثل بمطلع لاميته

:

و قال الخراز في خبره: حدّثني المدائني: قال:

أخذ قوم من الزنادقة، و فيهم ابن لابن المقفع، فمّر بهم على أصحاب المدائن، فلما رأهم ابن المقفع خشي أن يسلم عليهم فيؤخذ، فتمثّل: /

يا بيت عاتكة الذي أتعزّل # حذر العدا و به الفؤاد موكل

الأبيات، ففطنوا لما أراد، فلم يسلموا عليه، و مضى.

هو و معبد يردان اعتبار جارية

:

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ عن ابن شبة: قال: بلغني أنّ يزيد بن عبد الملك كتب إلى عامله أن يجهّز إليه الأحوص الشاعر و معبدا المغنيّ.

فأخبرنا محمد بن خلف وكيع: قال: حدثنا عبد الله بن شبيب: قال: /
حدثني إسماعيل بن أبي أويس: قال: حدّثني أبي: قال: حدثنا سلمة بن صفوان الرّزقي، عن الأحوص الشاعر- و ذكر إسماعيل بن سعيد[1]الدمشقي:- أنّ الرّبير بن بكار حدّثه عن ابن أبي أويس، عن أبيه، عن مسلمة بن صفوان، عن الأحوص، و أخبرني به الحرمي، عن الزبير، عن عمه، عن جرير المدنيّ المغني، و أبو مسكين: قالوا جميعا: كتب يزيد بن عبد الملك في خلافته إلى أمير المدينة- و هو عبد الواحد بن عبد الله النّصريّ- أن يحمل إليه الأحوص الشاعر و معبدا المغني مولى ابن قطن قال: فجهّزنا و حملنا إليه، فلما نزلنا عمان أبصرنا غديرا و قصورا، فقعدنا على الغدير و تحدّثنا و ذكرنا المدينة، فخرجت جارية من بعض تلك القصور، و معها جرة تريد أن تستقي فيها ماء، قال الأحوص: فتغنّت بمدحي في عمر بن عبد العزيز: يا بيت عاتكة الذي أتعزّل

فتغنّت بأحسن صوت ما سمعته قط، ثم طرّبت، فألقت الجرة فكسرتها، فقال معبد: غنائي و الله، و قلت: شعري و الله، فوثبنا إليها، و قلنا لها: لمن أنت يا جارية؟ قالت: لآل سعيد بن العاص- و في خبر جرير

المغني: لآل الوليد بن عقبة-ثم اشتراني/رجل من آل الوحيد بخمسين ألف درهم، و شغف بي، فغلبته بنت عم له طرأت عليه، فتزوَّجها على أمري، فعاقبت منزلتها منزلتي، ثم علا مكانها مكاني، فلم تزدها الأيام إلا ارتفاعا، و لم تزدني إلا اتضاعا، فلم ترض منه إلا بأن أخدمها، فوكلتني باستقاء الماء، فأنا على ما تريان، أخرج أستقي الماء، فإذا رأيت هذه القصور و الغدران ذكرت المدينة، فطربت إليها، فكسرت جرتي، فيعذلني أهلي، و يلومونني، قال: فقلت لها: أنا الأحوص، و الشعر لي، و هذا معبد، و الغناء له، و نحن ماضيان إلى أمير المؤمنين، و سنذكرك له أحسن ذكر. و قال جرير في خبره و وافقه وكيع، و رواية عمر بن شبة: قالوا: فانشأت الجارية تقول: إن تروني الغداة أسعى بجرّ # أستقي الماء[2] نحو هذا الغدير

[1]ف: «أحمد بن سعيد» .

[2]ف: أستقي فيه ماء» .

فلقد كنت في رضاء من الـ # عيش و في كل نعمة و سرور
 ثم قد تبصران ما فيه أمسـ # يت و ما ذا إليه صار مصيري
 فإلى الله أشتكى ما ألقى # من هوان و ما يجنّ ضميري
 أبلغا عني الإمام و ما يعـ # رف صدق الحديث غير الخبير[1]
 أنني أضرب الخلائق بالعو # د و أحكامهم بيمّ وزير[2]
 فلعلّ الإله ينقذ مما # أنا فيه فأئني كالأسير
 ليتني متّ يوم فارقت أهلي # و بلادي فزرت أهل القبور
 فاسمعا ما أقول لقاكما # الله نجاحا في أحسن التيسير

فقال الأحوص من وقته:

صوت

إنّ زين الغدير من كسر الجر # و عني غناء فحل مجيد
 /قلت: من أنت يا طعين فقالت: # كنت فيما مضى لآل الوليد

و في رواية الدمشقي:

قلت: من أين يا خلوب فقالت: # كنت فيما مضى لآل سعيد
 ثم أصبحت بعد حيّ قريش # في بني خالد لآل الوحيد
 فغنائي لمعبد و نشيدي # لفتى الناس الأحوص الصنديد
 فتباكيت ثم قلت: أنا الأحر # وص و الشيخ معبد فأعيدي
 فأعادت لنا بصوت شجيّ # يترك الشيخ في الصبا كالوليد

و في رواية أبي زيد:

فأعادت فأحسننت ثم ولّت # تتهادى فقلت قول عميد
 يعجز المال عن شراك و لكن # أنت في ذمة الهمام يزيد[3]
 و لك اليوم ذمتي بوفاء # و على ذاك من عظام العهود
 أن سيجري لك الحديث بصوت # معبديّ يرّد جبل الوريد[4]
 يفعل الله ما يشاء فطّبي # كلّ خير بنا هناك و زيدي

[1] ف: «مثل الخبير» .

[2] مو: «بالعود و قد كنت في سرير الوزير» و اليم و الزير من آلات

للطرب.

[3] ف: «الإمام» .

[4] ب، مو: «يدر» بدل «يرد» .

قالت القينة الكعاب:

إلى الله أموري # و أرتجي تسديدي

غناه معبد ثاني ثقيل بالبنصر من رواية حبش و الهشامي و غيرهما، و هي طريقة هذا الصوت، و أهل العلم بالغناء لا يصحونه لمعبد.

/قال الأحوص: وضع فيه معبد لحنا فأجاده، فلما قدمنا على يزيد قال: يا معبد أسمعني أحدث غناء غنيت و أطراه، فغناه معبد: إن زين الغدير من كسر الجرّ # و غنى غناء فحل مجيد

فقال يزيد: إن لهذا لقصة فأخبراني بها، فأخبراه، فكتب لعامله بتلك الناحية: إن لآل فلان جارية، من حالها «زيت و زيت» ، فاشترها بما بلغت، فاشتراها بمائة ألف درهم، و بعث بها هديّة، و بعث معها بالطاق كثيرة، فلما قدمت على يزيد رأى فضلا بارعا فأعجب بها، و أجازها، و أخدمها، و أقطعها، و أفرد لها قصرا، قال: فو الله ما برحنا حتى جاءتنا منها جوائز و كسا و طرف.

يزيد بن عمر بن هبيرة يتمثل بشعره عند النكسة

:

و قال الزبير في خبره عن عمّه: قال:

أظن القصة كلّها مصنوعة، و ليس يشبه الشعر الأحوص، و لا هو من طرازه، و كذلك ذكر عمر بن شبة في خبره.

أخبرني الحرميّ، عن الزبير قال:

سمعت هشام بن عبد الله بن عكرمة يحدث [1] عن عتبة بن عمر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام: قال: كنت مع يزيد بن عمر بن [1] هبيرة ليلة الفرات، فلما انهزم الناس التفت إليّ فقال: يا أبا الحارث، أمسينا و الله و هم كما قال الأحوص: أبكي لما قلب الزمان جديده # خلقا و ليس على الزمان معول

بيتان من شعره يؤذنان بزوال الدولة الأموية

:

أخبرني الحرميّ عن الزبير عن محمد بن محمد العمري: أنّ عاتكة بنت عبد الله بن يزيد بن معاوية رثيت في النّوم قبل ظهور دولة بني العباس

على بني أمية كأنها عريانة ناشرة شعرها تقول: /

أين الشباب و عيشنا اللدّ الذي # كئنا به زمنا نسرّ و نجدل

ذهبت بشاشته و أصبح ذكره # حزنا يعلّ به الفؤاد و ينهل

فتأول الناس ذلك بزوال دنيا بني أمية، فكان كما قالوا: أخبرني بهذا
الخبر الحسن بن يحيى، عن حماد، عن أبيه، عن الجمحي، عن شيخ من
قريش: (1-1) التكملة من ف، مم، مو.

أنه رأى في النوم امرأة من ولد عثمان بن عفان على منائم على دار عثمان المقبلة على المسجد، وهي حاسرة في يديها عود وهي تضرب به و تغني: أين الشباب و عيشنا اللدّ الذي # كنا به يوما نسرّ و نجدل

ذهبت بشاشته و أصبح ذكره # حزنا يعلّ به الفؤاد و ينهل[1]

قال: فما لبثنا إلا يسيرا حتى خرج الأمر عن أيديهم، و قتل مروان.
[2] قال إسحاق: المنامة: الدكان و جمعها منائم[2].

صوت

/

يا هند إنك لو عل # مت بعاذلين تتابعا

قالا فلم أسمع لما[3] # قالوا و قلت بل اسمعا

هند أحبّ إليّ من # مالي و روجي فارجعا

و لقد عصيت عواذلي # و أطعت قلبا موجعا

الشعر لعبد الله بن الحسن بن الحسن عليهم السلام، و الغناء لابن سريح، و لحنه فيه لحنان أحدهما من القدر الأوسط من الثقيل، الأوّل بالسبّابة في مجرى الوسطى عن إسحاق و الآخر رمل بالوسطى عن عمرو، و فيه خفيف ثقيل، ذكر أبو العبيس أنه لابن سريح و ذكر الهشامي و ابن المكّي أنه للغريص، و ذكر حبش أن لإبراهيم فيه رملا آخر بالبندر، و قال أحمد بن عبيد: الذي صح فيه ثقيل الأوّل و خفيفه و رمله، و ذكر إبراهيم أن فيه لحنا لابن عبّاد.

[1] التكملة من هد، هج.

(2-2) التكملة من ف.

[3] في «المختار»: «قالا فلم يسمع لما...» .

9- ذكر عبد الله بن الحسن بن الحسن عليهم السلام و نسبه و أخباره و خبر هذا الشعر

نسبه

:

عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب-عليهم السلام-و قد مضى نسبه في أخباره عمّه الحسين صلوات الله عليه في شعره الذي يقول فيه:

لعمرك إنني لأحبّ داراً # تحلّ بها سكينه و الرّباب

و يكنى عبد الله بن الحسن أبا محمد، و أمّ عبد الله بن الحسن فاطمة بنت الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام، و أمّها أم إسحاق بنت طلحة بن عبيد الله، و أمّها الجرباء بنت قسامه بن رومان عن طيّه.

سميت جدته الجرباء لحسنها

:

أخبرني أحمد بن سعيد: قال: حدثنا يحيى بن الحسن: قال:

إنما سمّيت الجرباء لحسنها، كانت لا تقف إلى جنبها امرأة، و إن كانت جميلة إلا استقبح منظرها لجمالها، و كان النساء يتحامين أن يقفن إلى جنبها، فشبهت بالنّاقة الجرباء التي تتوقّأها الإبل مخافة أن تعديها.

و كانت أم إسحاق من أجمل نساء قريش و أسوئهن خلقاً، و يقال: إن نساء بني تيم كانت لهنّ حظوة عند أزواجهنّ عليّ سوء أخلاقهنّ، و يروى أن أمّ إسحاق كانت ربّما حملت و ولدت و هي لا تكلم زوجها.

أخبرني الحرّميّ بن أبي العلاء عن الزبير بن بكار عن عمّه بذلك: قال:

و قد كانت أم إسحاق عند الحسن بن عليّ بن أبي طالب صلوات الله عليه قبل أخيه الحسين عليه السلام، فلما حضرته الوفاة دعا بالحسين صلوات الله عليه فقال له: يا أخي إنني أَرْضِي هذه المرأة لك، فلا تخرجنّ من بيوتكم، فإذا انقضت عدّتها فتزوّجها. فلما توفّي الحسن عنها تزوّجها الحسين عليه السلام، و قد كانت ولدت من الحسن عليه/السلام[1]ابنه طلحة بن الحسن، فهو أخو فاطمة لأمها[1]و ابن عمها، و قد درج طلحة و لا عقب له.

جمال و سوء خلق

:

و من طرائف أخبار التَّيْمِيَّاتِ من نساء قريش في حظوتهن و سوء أخلاقهن ما أخبرنا به الحرميُّ بن أبي العلاء عن الزبير بن بكار عن محمد بن عبد الله. قال:

كانت أمُّ سلمة بنت محمد بن طلحة عند عبد الله بن الحسن [2] و كانت تقسو عليه قسوة عظيمة و تغلظ، له، و يفرق منها و لا يخالفها، فرأى يوماً منها طيب نفس، فأراد أن يشكو إليها قسوتها، فقال لها: يا بنت محمد، قد أحرق و الله قلبي... فحدّدت/له النَّظْرَ، و جمعت وجهها و قالت له: أحرق قلبك ما ذا؟ فخافها فلم يقدر على أن (1-1) التكملة من ف.

[2]ف: «موسى بن عبد الله بن الحسن» .

يقول لها: سوء خلقك، فقال لها: حبّ أبي بكر الصّدّيق، فأمسكت عنه.
و تزوّج الحسن بن الحسن فاطمة بنت الحسين في حياة عمّه، و هو-
عليه السلام-زوّجه إياها.

زواجه فاطمة بنت الحسين

:

أخبرني الطّوسيّ و الحرّميّ، عن الزبير، عن عمه بذلك، و حدثني أحمد
بن محمد بن سعيد عن يحيى بن الحسين عن إسماعيل بن يعقوب قال:
حدثني جدّي عبد الله بن موسى بن عبد الله بن الحسن، قال:

خطب الحسن بن الحسن إلى عمه الحسين-صلوات الله عليه- و سأله
أن يزوّجه إحدى ابنتيه، فقال له الحسين عليه السلام: اختر يا بنيّ أحبّهما
إليك، فاستحيا الحسن، و لم يجر جوابا، فقال له الحسين عليه السلام:

فإنّي اخترت منهما لك ابنتي فاطمة، فهي أكثر شبها بأمي فاطمة بنت
رسول الله صلى الله عليه و سلم.

أخبرني الطّوسيّ و الحرّميّ عن الزبير عن عمه مصعب:

/إنّ الحسن لما خيّر عمّه اختار فاطمة، و كانوا يقولون: إنّ امرأة،
سكينة مردودتها، لمنقطة القرين في الجمال.

أخبرني الطّوسيّ و الحرّميّ بن أبي العلاء، عن الزبير بن بكار، و
أخبرني محمد بن العباس اليزيديّ، عن أحمد بن يحيى و أحمد بن زهير، عن
الزبير، و أخبرني أحمد بن سعيد، عن يحيى بن الحسن، عن الزبير بن بكار و
اللفظ للحسن بن علي، و خبره أتمّ: قال: قال الزبير: حدثني عمي مصعب و
لم يذكر أحدا.

ليس لمخضوب البنان يمين

:

و أخبرني محمد بن يحيى عن أيوب، عن عمر بن أبي الموالي قال
الزبير: و حدثني عبد الملك بن عبد العزيز بن يوسف بن الماجشون، و قد
دخل حديث بعضهم في بعض حديث الآخرين:

أنّ الحسن بن الحسن لما حضرته الوفاة جزع، و جعل يقول: إني لأجد
كربا ليس إلا هو كرب الموت، و أعاد ذلك دفعات، فقيال له بعض أهله: ما

هذا الجزع، تقدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو جدك و على عليّ و الحسن و الحسين -صلوات الله عليهم- و هم أبأؤك؟ فقال: لعمرى إن الأمر لكذلك، و لكن كأنى بعبد الله بن عمرو بن عثمان حين أموت و قد جاء في مضرّتين [1] أو ممضرتين و هو يرّجل جمته يقول: أنا من بني عبد مناف جئت لأشهد ابن عمّي، و ما به إلا أن يخطب فاطمة بنت الحسين، فإذا جاء فلا يدخل عليّ، فصاحت فاطمة: أسمع؟ قال: نعم، قالت:

أعتقت كل مملوك لي، و تصدقت بكل ملك لي إن أنا تزوجت بعدك أحدا أبدا، قال: فسكن الحسن و ما تنفس و لا تحرّك حتى قضى، فلما ارتفع الصّياح أقبل عبد الله على الصّفة التي ذكرها الحسن، فقال بعض القوم: ندخله. و قال بعضهم: لا يدخل، و قال قوم: لا يضّرّ دخوله، فدخل و فاطمة تصكّ وجهها، فأرسل إليها وصيفا كان معه، فجاء يتخطى الناس حتى دنا منها فقال لها: يقول لك مولاي أبى على وجهك فإن لنا فيه أربا، قال: /فأرسلت يدها في كمّها و اختمرت و عرف ذلك منها، فما لطمت وجهها حتى دفن صلوات الله عليه. فلما انقضت عدّتها خطبها فقالت: فكيف لي بنذري و يميني؟ فقال: نخلف عليك بكل عبد عبيد، و بكل شيء شيئين، ففعل و تزوجته، و قد قيل في تزويجه إياها غير هذا.

[1] ضرج الثوب: صبغه باللون الأحمر. -

أخبرني به أحمد بن محمد بن إسماعيل الهمداني، عن يحيى بن الحسن العلوي، عن أخيه أبي جعفر، عن إسماعيل بن يعقوب، عن محمد بن عبد الله البكري:

أن فاطمة لما خطبها عبد الله أبت أن تتزوج، فحلفت عليها أمها لتتزوجته، وقامت في الشمس، وآلت لا تبرح حتى تتزوج، فكرهت فاطمة أن تخرج، فتزوجته.

و كان عبد الله بن الحسن بن الحسن شيخ أهله و سيّدا من ساداتهم و مقدّما فيهم فضلا و علما و كرما، و حبسه أبو جعفر المنصور في الهاشمية بالكوفة لمّا خرج عليه ابناه محمد و إبراهيم فمات في الحبس، و قيل: إنّه سقط عليه، و قيل غير ذلك.

كان من أجمل الناس و أفضلهم

:

أخبرني أحمد بن محمد بن سعيد، عن يحيى بن الحسن بن علي بن أحمد الباهلي: قال: سمعت مصعبا الزبيري يقول:

انتهى كلّ حسن إلى عبد الله بن حسن، و كان يقال: من أحسن الناس؟ فيقال: عبد الله بن الحسن، و يقال: من أفضل الناس؟ فيقال: عبد الله بن الحسن.

حدثني محمد بن الحسن الخثعمي الأشثاني [1] و الحسن بن علي السلولي قالا: حدثنا عبّاد بن يعقوب قال:

حدثنا تلميذ بن سليمان، قال: رأيت عبد الله بن الحسن، و سمعته يقول: أنا أقرب الناس إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم، ولدتني بنت [2] رسول الله صلى الله عليه و سلم مرتين.

/حدثني أحمد بن محمد بن سعيد عن يحيى بن الحسن، عن إسماعيل بن يعقوب، عن عبد الله بن موسى، قال:

أول من اجتمعت له ولادة الحسن عليه السلام و الحسين-صلوات الله عليهما- عبد الله بن الحسن عليه السلام:

حدثني محمد بن الحسن الأشثاني، عن عبد الله بن يعقوب، عن بندقة بن محمد بن جحادة الدهان قال:

رأيت عبد الله بن الحسن، فقلت: هذا و الله سيّد الناس، كان مكسوًّا
نورا من قرنه إلى قدمه.

قال عليّ بن الحسين: و قد روي ذلك في أخبار أبي جعفر محمد بن
عليّ عليه السلام، و أمّه أمّ عبد الله بنت الحسن بن عليّ عليه السلام.

حدثني أحمد بن محمد بن سعيد، عن يحيى بن الحسن، عن القاسم بن
عبد الرزّاق: قال:

جاء منظور بن زيّان الفزاريّ إلى حسن بن حسن- و هو جدّه أبو أمّه-
فقال له: لعلك أحدثت بعدي أهلا، قال: نعم، تزوجت بنت عمّي الحسين بن
عليّ-عليهما السلام-قال: بتسما صنعت، أ ما علمت أن الأرحام إذا التقت
أضوت[3]، كان ينبغي أن تتزوج في الغرب، قال: فإن الله جلّ و عزّ قد
رزقني منها ولدا، قال: أرنيه، فأخرج [1]ب: «الأشنانداني» .

[2]ف، مو، مم: «ولدني رسول الله» ، أي أنه ينتسب إلى الرسول من
جهتين.

[3]مو: «إذا تشابكت أضوت» . و أضوت: دقت و ضعفت.

إليه عبد الله بن الحسن فسّر به، و قال: أنجبت، هذا و الله ليث غاب و معدو عليه، قال: فإن الله تعالى قد رزقني منها ولدا ثانيا، قال: فأرنيه[1]، فأخرج إليه حسن بن حسن بن حسن، فسّر به، و قال: أنجبت، و هذا دون الأول، قال: فإن الله قد رزقني منها ولدا ثالثا، قال: فأرنيه[1]. فأراه إبراهيم بن الحسن.

غمزة ترحى بها شفاعة

:

حدثني أبو عبيد محمد بن أحمد الصيرفي: قال: حدثنا محمد بن علي بن خلف قال: حدثنا عمر بن عبد الغفار قال: حدثنا سعيد بن أبان القرشي قال: كنت عند عمر بن عبد العزيز، فدخل عبد الله بن الحسن عليه، و هو يومئذ شاب في إزار و رداء، فرحّب به و أدناه و حيّاه، و أجلسه إلى جنبه و ضاحكه، ثم غمز عكنة من بطنه، و ليس في البيت حينئذ إلا أمويّ، ف قيل له: ما حملك على غمز بطن هذا الفتى؟ قال: إني لأرجو بها[2] شفاعة محمد صلى الله عليه و سلم.

يعطي جائزة

:

حدثني عمر بن عبد الله بن جميل العتكي، عن عمر بن شبة، عن إسماعيل بن جعفر الجعفري: قال: حدثني سعيد بن عقبة الجهني: قال: إني لعند عبد الله بن الحسن إذ أتاني أت، فقال: هذا رجل يدعوك، فخرجت، فإذا أنا بأبي عديّ/الشاعر الأمويّ، فقال: أعلم أبا محمد، فخرج إليه عبد الله، و هم خائفون، فأمر له بأربعمائة دينار، و هُند[3] بمائتي دينار، فخرج بستمائة دينار. و قد روى مالك بن أنس عن عبد الله بن الحسن الحديث.

كان يسدل شعره

:

حدثني أحمد بن محمد بن سعيد عن يحيى بن الحسن قال: حدثنا عليّ بن أحمد الباهليّ عن مصعب بن عبد الله قال: سئل مالك عن السّدل[4] قال: رأيت من يرضى بفعله؛ عبد الله بن الحسن يفعل، و السبب في حبس عبد الله بن الحسن و خروج ابنه و قتلها يطول ذكره. و

قد أتى عمر بن شبة منه بما لا يزيد عليه أحد إلا اليسير، و لكن من أخباره ما يحسن ذكره ها هنا فنذكره.

السبب في حبسه و قتل ابنه

:

أخبرني عمر بن عبد الله العتكي عن عمر بن شبة، قال: حدثني موسى بن سعيد/بن عبد الرحمن و أبوب بن عمر عن إسماعيل بن أبي عمرو قالوا: لمّا بنى أبو العباس بناءه بالأنبار الذي يدعى الرّصافة: رصافة أبي العباس قال لعبد الله بن الحسن: ادخل فانظر و دخل معه، فلما رآه تمثل: أ لم تر حوشبا أمسى يبني # بناء نفعه لبني نفيلة[5]

(1-1) التكملة من مم، ف.

[2] «إني لأرجو بها» أي بالغمزة المفهومة من المقام، لا بالبطن.

[3]الهند: المائة من الإبل، و في ف: «بمد بمائتي دينار و آنية بأربعمائة دينار» .

[4]سدل الشعر سدلا: أرخاه.

[5]مو: «قصورا نفعها» بدل «بناء نفعه» . و حوشب: اسم رجل. و في «المختار»: أ لم تر حوشبا يبني قصورا # ليبقى نفعها لبني نفيلة

يؤمّل أن يعمر عمر نوح # و أمر الله يحدث كل ليلة [1]

فاحتمله أبو العباس [2] و لم يبكته بها.

أخبرني عمّي عن ابن شبة عن يعقوب بن القاسم عن عمرو بن شهاب، و حدّثني أحمد بن محمد بن سعيد عن يحيى بن الحسن عن الزبير عن محمد بن الصّحّاح عن أبيه قالوا: إن أبا العباس كتب إلى عبد الله بن الحسن في تغيب ابنه: أريد حياته و يريد قتلي # عذيرك من خليك من مراد [3]

قال عمر بن شبة: و إنما كتب بها إلى محمد، قال عمر بن شبة: فبعثوا إلى عبد الرحمن بن مسعود مولى أبي حنين [4]، فأجابه [5]: و كيف يريد ذاك و أنت منه # بمنزلة الثّيات من الفؤاد

/و كيف يريد ذاك و أنت منه # و زندك حين تقدح من زند [6]

و كيف يريد ذاك و أنت منه # و أنت لهاشم رأس و هاد

أخبرني عمر بن عبد الله بن شبة عن عيسى بن عبد الله بن محمد بن عمر بن علي بن أبي طالب عليهم السلام عن الحسن بن زيد عن عبد الله بن الحسن قال: بينا أنا في سمر أبي العباس، و كان إذا تئأب أو ألقى المروحة من يده قمنا، فألقاها ليلة فقمنا، فأمسكني فلم يبق غيري، فأدخل يده تحت فراشه، و أخرج إضبارة كتب و قال: اقرأ يا أبا محمد، فقرأت فإذا كتاب من محمد بن هشام بن عمرو التّغلبيّ يدعوه [7] إلى نفسه، فلما قرأته قلت له: يا أمير المؤمنين، لك عهد الله و ميثاقه ألا ترى منهما شيئاً تكرهه ما كانا في الدنيا.

أخبرنا العتكيّ عن ابن شبة عن محمد بن إسماعيل عن عبد العزيز بن عمر، عن عبد الله بن عبدة بن محمد بن عمار بن ياسر قال: لما استخلف أبو جعفر ألحّ في طلب محمد و المسألة عنه، و عمّن يؤويه، فدعا بني هاشم رجلاً رجلاً، فسألهم عنه، فكلهم يقول: قد علم أمير المؤمنين أنك قد عرفته بطلب هذا الشأن قبل اليوم، فهو يخافك على نفسه، و لا يريد لك خلافاً، و لا يحب لك معصية، إلا الحسن/بن زيد فإنه أخبره خبره [8]، فقال: و الله ما آمن [1]ف: «و أمر الله يطرق كل ليلة»

[2] يريد بقوله: «فاحتمله أبو العباس» أي لم يؤاخذه بالتمثل بهذين البيتين اللذين يتطير منهما.

[3] يشير أبو العباس بهذا البيت إلى أن ابني عبد الله بن الحسن يضمران له السوء مع إحسانه إليه وإيهما.

[4] كذا في ف، و في مو: «مولى أبي منصور» .

[5] ف: «فأجاب عنها. و قال الزبير: أجابه عبد الله بن الحسن فقال» .

[6] في «المختار» :

«... حين يقدح في زناد»

[7] أي يدعو عبد الله بن الحسن ليخرج معه على الخليفة.

[8] فإنه أخبره خبره، أي أخبر الحسن بن زيد الخليفة خبر محمد.

و ثوبه عليك، و أنه لا ينام فيه فر[1] رأيك فيه قال ابن أبي عبدة:
فأيقظ من[2] لا ينام.

/أخبرني عمر بن عبد الله بن شبة عن عيسى بن عبد الله بن محمد بن عمر بن علي بن أبي طالب عليه السلام عن محمد بن عمران عن عقبة بن سلم: إنَّ أبا جعفر دعا، فسأله عن اسمه و نسبه، فقال: أنا عقبة بن سلم بن نافع بن الأزدهاني، قال: إني أرى لك هيئة و موضعا، و إني لأريدك لأمر أنا به معني، قال: أرجو أن أصدق ظنَّ أمير المؤمنين، قال: فأخف شخصك، و اتنتي في يوم كذا و كذا، فأتيته، فقال: إن بني عمنا هؤلاء قد أبوا إلا كيدا بملكننا، و لهم شيعة بخراسان بقرية كذا و كذا، يكاتبونهم، و يرسلون إليهم بصدقات و الطاف، فاذهب[3] حتى تأتيهم متنكرا بكتاب تكتبه عن أهل تلك القرية، ثم تسير ناحيتهم، فإن كانوا نزعوا عن رأيهم علمت ذلك، و كنت على حذر منهم حتى تلقى عبد الله بن الحسن متخشعا، و إن جبهك- و هو فاعل- فاصبر و عاوده أبدا حتى يأنس بك، فإذا ظهر لك ما في قلبه فاعجل إلي، ففعل ذلك، و فعل به حتى أنس عبد الله بناحيته، فقال له عقبة: الجواب، فقال له: أمّا الكتاب فإني لا أكتب إلى أحد، و لكن أنت كتابي إليهم، فأقرئهم السلام، و أخبرهم أنّ ابني خارج لوقت كذا و كذا، فشخص عقبة حتى قدم على أبي جعفر، فأخبره الخبر.

أخبرني العتكي عن عمر بن محمد بن يحيى بن الحارث بن إسحاق، قال: سأل أبو جعفر عبد الله بن الحسن عن ابنيه لما حجّ، فقال: لا أعلم بهما حتى تغالطا، فأمصّه[4]، أبو جعفر، فقال له: يا أبا جعفر، بأيّ أمهاتي تمصّني؟ أ بخديجة بنت خويلد أم بفاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه و سلم، أم بفاطمة بنت الحسين-عليهم السلام- أم بأم إسحاق بنت طلحة؟ قال: لا و لا بواحدة منهم، و لكن بالجرباء بنت قسامة/فوثب المسيّب بن زهير، فقال: يا أمير المؤمنين، دعني أضرب عنق ابن الفاعلة، فقام زياد بن عبد الله، فألقى عليه رداءه، و قال: يا أمير المؤمنين، هبه لي، فأنا المستخرج لك ابنيه، فتخلصه منه.

قال ابن شبة: و حدثني بكر بن عبد الله مولى أبي بكر، عن علي بن رباح أخى إبراهيم بن رباح، عن صاحب المصلى: قال: إني لواقف على رأس أبي جعفر و هو يتغذى بأوطاس[5]، و هو متوجّه إلى مكة، و معه على مائدته عبد الله بن الحسن و أبو الكرام الجعفريّ و جماعة من بني العباس، فأقبل على عبد الله بن الحسن، فقال: يا أبا محمد؛ محمد و إبراهيم أراهما

قد استوحشا من ناحيتي، و إني لأحب أن يأنسا بي و يأتياي فأصلهما و أزوجهما، و أخلطهما بنفسي، قال: و عبد الله يطرق طويلا، ثم يرفع رأسه و يقول: و حَقُّك يا أمير المؤمنين ما لي بهما و لا بموضعهما من البلاد علم، و لقد خرجا عن يدي، فيقول: لا تفعل يا أبا محمد، اكتب إليهما و إلى من يوصل كتابك إليهما، قال: و امتنع أبو جعفر عن عامة غدائه ذلك اليوم إقبالا على عبد الله، و عبد الله يحلف أنه لا يعرف موضعهما، و أبو جعفر يكرر عليه: لا تفعل يا أبا محمد.

[1]أمر من الفعل «رأى» ، و في ب: «فما رأيك فيه» .

[2]فأيقظ من لا ينام، أي سلب عليه الخليفة العيون و الأرصاد.

[3]ف: «فأخرج بكسا و أطفاف» .

[4]أمضه: أحزنه و أحفظه.

[5]أوطاس: اسم واد.

قال ابن شبة: فحدثني محمد بن عباد عن السندي بن شاهك:

أن أبا جعفر قال لعقبة بن سلم: إذا فرغنا من الطعام فلحظتك فامثل بين يدي عبد الله، فإنه سيصرف بصره عنك، فدر حتى تغمز/ظهره بإبهام رجلك، حتى يملأ عينيه منك، ثم حسبك وإياك أن يراك ما دام يأكل، ففعل ذلك عقبة، فلما رآه عبد الله وثب حتى جثا بين يدي أبي جعفر، و قال: يا أمير المؤمنين أقلني أقالك الله، قال: لا أقالني الله إن أقلتك، ثم أمر بحبسه.

قال ابن شبة، فحدثني أيوب بن عمر، عن محمد بن خلف المخزومي قال: أخبرني العباس بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس قال: /لما حج أبو جعفر في سنة أربعين و مائة أتاه عبد الله و حسن ابنا حسن، فإنهما و إياي لعنده، و هو مشغول بكتاب ينظر فيه إذ تكلم المهدي فلحن، فقال عبد الله: يا أمير المؤمنين، أ لا تأمر بهذا من يعدل لسانه، فإنه يفعل فعل الأمة، فلم يفهم، و غمزت عبد الله فلم ينتبه، و عاد لأبي جعفر فأحفظ من ذلك، و قال له: أين ابنك؟ قال: لا أدري، قال: لتأينني به، قال: لو كان تحت قدمي ما رفعتها عنه، قال: يا ربيع فمر به إلى الحبس.

زوجته هند بنت أبي عبيدة

:

أخبرني أحمد بن محمد بن سعيد، عن يحيى بن الحسن قال:

توفي عبد الله في محبسه بالهاشمية و هو ابن خمس و سبعين سنة في سنة خمس و أربعين و مائة و هند التي عنها عبد الله في شعره الذي فيه الغناء زوجته هند بنت أبي عبيدة بن عبد الله بن زمعة بن الأسود بن المطلب بن أسد بن عبد العزى بن قصي، و أمها قرينة بنت يزيد بن عبد الله بن وهب بن زمعة بن الأسود بن المطلب.

و كان أبو عبيدة جوادا و ممدحا، و كانت هند قبل عبد الله بن الحسن تحت عبد الله بن عبد الملك بن مروان، فمات عنها.

فأخبرني الحرمي عن الزبير عن سليمان بن عياش السعدي قال: لما توفي أبو عبيدة وجدت ابنته هند و جدا شديدا، فكلم عبد الله بن الحسن محمد بن بشير الخارجي أن يدخل على هند بنت أبي عبيدة، فيعزيها و يؤسبها عن أبيها، فدخل معه عليها، فلما نظر إليها صاح بأبعد صوته.

قومي اضربي عينيك يا هند لن ترى # أبا مثله تسمو إليه المفاخر[1]

و كنت إذا أسبلت فوقك والدا # تزييني[2] كما زان اليدين الأساور

/فصكت وجهها، و صاحت بحربها و جهدها، فقال له عبد الله بن الحسن: أ لهذا دخلت؟ فقال الخارجي: و كيف أعزّي عن أبي عبيدة و أنا أعزّي به!.

أخبرني العتكي، عن شبيّة: قال: حدثني عبد الرحمن بن جعفر بن سليمان، عن عليّ بن صالح، قال: زوج عبد الملك بن مروان ابنه عبد الله هند بنت أبي عبيدة و ربيعة بنت عبد الله بن عبد المدان لما كان يقال إنه [1]البيت من الطويل، و دخله الخرم.

[2]كان الأوفق أن يقال: تزانى بدل تزييني، فلعل الشاعر أراد تزييني نفسك: و حذف المفعول.

كائن في أولادهما، فمات عنهما عبد الله أو طلقهما، فتزوج هنداً عبد الله بن الحسن، وتزوج ربيعة محمد بن عليّ، فجاءت بأبي العباس السفاح.

أخبرني العتكيّ عن عمر بن شبة عن ابن داجة [1] عن أبيه قال: لما مات عبد الله بن عبد الملك رجعت هند بميراثها منه، فقال عبد الله بن حسن لأمه فاطمة: اخطبي عليّ هنداً، فقالت: إذا تردّك، أطمع في هند و قد ورثت ما ورثته، و أنت ترب لا مال لك؟ فتركها و مضى إلى أبي عبدة أبي هند، فخطبها إليه، فقال: في الرّحب و السّعة، أمّا منّي فقد زوّجتك، مكانك لا تبرح، و دخل على هند، فقال: يا بنية، هذا عبد الله بن حسن، أتاك خاطباً، قالت: فما قلت له؟ قال: /زوجته. قالت: أحسنت. قد أجزت ما صنعت، و أرسلت إلى عبد الله: لا تبرح حتى تدخل على أهلك. قال: فتزيّنت له فبات بها معرّساً من ليلته، و لا تشعر أمّه، فأقام سبعا، ثم أصبح يوم سابعه غادياً على أمّه و عليه ردع [2] الطيب، و في غير ثيابه التي تعرف، فقالت له: يا بنيّ، من أين لك هذا؟ قال: من عند التي زعمت أنها لا تريدني.

أخبرني حبيب بن نصر المهلبيّ و عمّي عبد العزيز بن أحمد بن بكّار: قالاً: حدثنا الزبير: قال: حدثني ظبية مولاة فاطمة: قالت: كان جدّك عبد الله بن مصعب يستنشدني كثيراً أبيات عبد الله بن حسن و يعجب بها: إنّ عيني تعودت كحل هند # جمعت كفّها مع الرّفق لينا

صوت

يا عيد مالك من شوق و إیراق # و مرّ طيف على الأهوال طرّاق [3]

يسرى على الأين و الحيات محتفيا # نفسي فداؤك من سار على ساق

عروضه من البسيط: العيد: ما اعتاد الإنسان من همّ أو شوق أو مرض أو ذكر. و الأين و الأيم: ضرب من الحيات. و الأين: الإعياء أيضاً، و روى أبو عمرو: يا عيد قلبك من شوق و إیراق

الشعر لتأبط شرّاً، و الغناء لابن محرز ثقيل أوّل بالوسطى من رواية يحيى المكي و حبش و ذكر الهشامي أنه من منحول يحيى إلى ابن محرز.

[1] ف: عن أبي داجة.

[2] الردع: أثر الطيب في الجسد.

[3] هد: «براق» بدل «طرّاق» .

10-أخبار تأبط شرا و نسبه

نسبه و لقبه

:

هو ثابت بن جابر بن سفيان بن عميثل[1]بن عدي بن كعب بن حزن. و قيل: حرب بن تميم[2]بن سعد بن فهم بن عمرو بن قيس عيلان بن مضر بن نزار.

و أمّه امرأة يقال لها: أميمة، يقال: إنها من بني القين بطن من، فهم ولدت خمسة نفر: تأبط شرا، و ريش بلغب[3]، و ريش نسر، و كعب جدر، و لا بواكي له[4]، و قيل: إنها ولدت سادسا اسمه عمرو.

و تأبط شرا لقب لُقّب به، ذكر الرواة أنه كان رأى كبشا في الصحراء، فاحتمله تحت إبطه، فجعل يبول عليه طول طريقه، فلما قرب من الحيّ ثقل عليه الكبش، فلم يقله فرمى به فإذا هو الغول، فقال له قومه: ما تأبطت يا ثابت؟ قال: الغول، قالوا: لقد تأبطت شرا فسمّي بذلك.

و قيل: بل قالت له أمه: كل إخوتك يأتييني بشيء إذا راح غيرك، فقال لها: سأتيك الليلة بشيء، و مضى فصاد أفاعي كثيرة من أكبر ما قدر عليه، فلما راح أتى بهن في جراب متأبطا له، فألقاه بين يديها، ففتحته، فتساعين في بيتها، فوثبت، و خرجت، فقال لها نساء الحي: ما ذا أتاك به ثابت؟ فقالت: أناني بأفاع في جراب، قلن: و كيف حملها؟ قالت: تأبطها، قلن: لقد تأبط شرا، فلزمه تأبط شرا.

/حدثني عمّي قال حدثني علي بن الحسن بن عبد الأعلى عن أبي محلم بمثل هذه الحكاية و زاد فيها:

أنّ أمّه قالت له في زمن الكمأة: أ لا ترى غلمان الحي يجتنون لأهليهم الكمأة، فيروحون بها؟ فقال اعطيني جرابك، حتى أجتني لك فيه، فأعطته، فملأه لها أفاعي، و ذكر باقي الخبر مثل ما تقدم.

و من ذكر أنه إنما جاءها بالغول يحتج بكثرة أشعاره في هذا المعنى، / فإنه يصف لقاءه إياها في شعره كثيرا، فمن ذلك قوله:

فأصبحت الغول لي جارة # فيا جارتا لك ما أهولا[5]

فطالبتها بضعها فالتوت # عليّ و حاولت أن أفعلها[6]

فمن كان يسأل عن جرتي # فإنّ لها باللوى منزلا

[1]ف، هد: «عسل» .

[2] ف، هد: «تيم» .

[3] ب: «ريش لقب» تحريف. و المثبت من ف، مو. و قد ورد في «القاموس»: ريش بلغب، لقب كتأبط شرا و حرك عينه الكميت، و وهم الجوهرى في قوله: «ريش لقب» و قد وردت رواية الجوهرى في هامش مو، و أردفها بقوله: و هو الفاسد أخو تأبط شرا.

[4] و لا بواكى له، هو الاسم الخامس لأولاد أم تأبط شرا، و هو من قبيل التسمية بالمركب الإسنادى، كتأبط شرا، و برق نجره.

[5] مو: «ما أغولا» . و لعل لك متعلق بجار و مجرور متعلق بمحذوف تقديره، يقال لك.

[6] ف، مو: «و حاولت أن تفعلأ» . و المثبت من ب: هد، و البضع: الفرع.

كان أحد العدائين المعدودين

:
أخبرني عمِّي عن الحزنبيل عن عمرو بن أبي عمرو الشيباني قال:
نزلت على حي من فهم إخوة بني عدوان من قيس، فسألتهم عن خبر تأبط
شرا، فقال لي بعضهم: و ما سؤالك عنه، أ تريد أن تكون لصا؟ قلت: لا، و
لكن أريد أن أعرف أخبار هؤلاء العدائين، فأحدثت بها، فقالوا: نحدثك بخبره:
إن تأبط شرا كان أعدي ذي رجلين[1] و ذي ساقين و ذي عينين، و كان إذا
جاع لم تقم له قائمة، فكان ينظر إلى الأطباء فينتقي على نظره أسمنها، ثم
يجري خلفه فلا يفوته، حتى يأخذه، فيذبحه بسيفه، ثم يشويه فيأكله.

يصف غولا افترسها

:
و إنما سمِّي تأبط شرا لأنه-فيما حكى لنا-لقي الغول في ليلة ظلماء
في موضع يقال له رحى بطسان[2] في بلاد هذيل، فأخذت عليه الطريق فلم
يزل بها، حتى/قتلها، و بات عليها فلما أصبح حملها تحت إبطه و جاء بها إلى
أصحابه، فقالوا له: لقد تأبطت شرا، فقال في ذلك: تأبط شرا ثم راح أو
اغتدى # يوائم غنما أو يشيف على ذحل

-يوائم: يوافق، و يشيف: يقتدر. و قال أيضا في ذلك:

ألا من مبلغ فتیان فهم # بما لا لاقیت عند رحي [3]

و أتى قد لقيت الغول تهوي # بسهب كالصحيفة صححان[4]

فقلت لها: كلانا نضو أين[5] # أخو سفر فخلي لي مكاني

فشدت شدة نحوي فأهوى # لها كفي بمصقول يماني

فأضربها بلا دهش فخرت # صريعا لليدين و للجران[6]

فقلت: عد، فقلت لها: رويدا # مكانك إنني ثبت الجنان

فلم أنفك متكئا عليها # لأنظر مصبها ما ذا أتاني[7]

إذا عينان في رأس قبيح # كرأس الهر مشقوق اللسان

و ساقا مخدج و شواة كلب # و ثوب من عباء أو شنان[8]

لم لا تنهشه الحيات؟

أخبرنا الحسين بن يحيى: قال: قرأت على حماد: و حدثك أبوك عن
حمزة بن عتبة اللهبي: قال: / قيل لتأبط شرا: هذه الرجال غلبتها، فكيف لا

تنهشك الحيّات في سراك؟ فقال: إني لأسرى البردين. يعني أول اللّيل، لأنها تمور خارجة من حجرتها، و آخر الليل تمور مقبلة إليها.

[1] ف، هد: «ذى كعين» .

[2] ف، هد: «رحى بطان» .

[3] فهم: قبيلة الشاعر، وحي بطان: اسم موضع. و في «المختار» : «... فتیان قومي» .

[4] السهب: الفلاة. و الصحصان: ما استوى من الأرض.

[5] «المختار» : «نصورهن» .

[6] ف: «بلا جزع» . و الدهش: التحير. و الجران: مقدم العنق.

[7] مو: «ما ذا دهاني» .

[8] أخذجت الناقة: ألقت ولدها لغير تمام، و الشواء: قحف الرأس، و الشنان. جمع شن، و هو القرية البالية.

يبيع ثقفيا أحق اسمه بطيلسانة

قال حمزة: و لقي تأبُّط شراً ذات يوم رجلا من ثقيف يقال له أبو وهب، كان جباناً [1] أهوج، و عليه حلة جيِّدة، فقال أبو وهب لتأبُّط شراً: بم تغلب الرجال يا ثابت، و أنت كما أرى دميم ضئيل؟ قال: باسمي، إنما أقول ساعة ما ألقى الرَّجل: أنا تأبُّط شراً، فينخلع قلبه حتى أنال منه ما أردت، فقال له الثقفي: أقط [2] قال: قط، قال: فهل لك أن تبعني اسمك؟ قال: نعم، فبم تبعه؟ قال: بهذه/الحلَّة و بكنيتك قال له: أفعل، ففعل، و قال له تأبُّط شراً: لك اسمي و لي كنيته [3]؟، و أخذ حلته و أعطاه طمرية، ثم انصرف، و قال في ذلك يخاطب زوجة الثقفي: ألا هل أتى الحسناء أن حليلها # تأبُّط شراً و اكتنيت أبا وهب

فهيه تسمي اسمي و سميت باسمه [4] # فأين له صبري على معظم الخطب؟

و أين له بأس كبأسي و سورتني # و أين له في كل فادحة قلبي؟

يخونه نشاطه أمام الحسان

قال حمزة: و أحبُّ تأبُّط شراً جارية من قومه، فطلبها زمانا لا يقدر عليها، ثم لقيته ذات ليلة فأجابته و أرادها، فعجز عنها، فلما رأت جزعه من ذلك تناومت عليه فأنسته و هدأ، ثم جعل يقول: /

ما لك من أير سلبت الخلَّة # عجزت عن جارية رفله [5]

تمشي إليك مشية خوزله [6] # كمشية الأرخ تريد العله

الأرخ: الأنثى من البقر التي لم تنتج. العلة تريد أن تعل بعد النهل، أي أنها قد رويت فمشيتها ثقيلة. و العل: الشرب الثاني.

لو أنها راعية في ثلَّة # تحمل قلعين لها قبله

لصرت كالهراوة العتله [7]

قصته مع بجيلة

أخبرني الحسن بن علي عن عبد الله بن أبي سعد عن أحمد بن عمر عن أبي بركة الأشجعي قال: أغار تأبُّط شراً- و هو ثابت بن العميثل الفهمي، و معه ابن براق الفهمي على بجيلة- فأطردا لهم نعماء، و نذرت بهما بجيلة،

فخرجت في آثارهما و مضيا هاربين في جبال السّراة، و ركبا الحزن، و عارضتهما بجيلة في السهل فسبقوهما إلى الوهط- و هو ماء لعمر بن العاص بالطائف- فدخلوا لهما في قصبة العين، و جاءا، و قد بلغ العطش [1]ف، هد: «كان حسّانا أهوج» و هو تحريف.

[2]أقط: أتغلب بهذا فقط، و قط هنا بمعنى فحسب.

[3]ف، هد، مو: «لك اسمي و لي اسمك» .

[4]ف، هد، مو:

«و سمانى اسمه»

بدل

«و سميت باسمه»

و كذا في «المختار» أيضا.

[5]جارية رفة: سمينة، و في «المختار»: «... سلبت الحلة»

[6]ف، هد، مو: «و المختار»: «هرولة» . و الخيزلي و الهرولة: نوعان من المشي.

[7]الثلة: جماعة الغنم، و قبله، كذا في الأصول، و هي مأخوذة من القبل بمعنى الحول، و في «القاموس»: اقبالت المرأة، أي أصيبت بالقبل، و العتل: الجافي الغليظ، و الرمح الغليظ، و في ب، ف: «العبل» و لعلها مأخوذة من العبل، بمعنى السمن و امتلاء الجسم.

منهما، إلى العين، فلما وقفا عليها قال تأبط شراً لابن براق: أقلّ من الشّراب فإنها ليلة طرد، قال: و ما يدريك؟ قال: و الذي أعدو بطيره، إني لأسمع وجيب قلوب الرجال تحت قدمي. و كان من أسمع العرب و أكيدهم. فقال له ابن براق: ذلك و جيب قلبك. فقال له تأبط شراً: و الله ما وجب قط، و لا كان وجّابا، و ضرب بيده عليه، و أصاخ نحو الأرض يستمع/فقال: و الذي أعدو بطيره، إني لأسمع وجيب قلوب الرّجال، فقال له ابن براق: فأنا أنزل قلبك، فنزل فيرك و شرب و كان أكلّ القوم عند بجيلة شوكة [1]، فتركوه و هم في الظلمة، و نزل ثابت، فلما توسط الماء وثبوا عليه، فأخذوه و أخرجوه من العين مكتوفا، و ابن براق قريب منهم لا يطمعون فيه لما يعلمون من عدوه، فقال لهم ثابت: إنه من أصلف الناس و أشدّهم عجا بعدوه، و سأقول له: استأسر معي، فسيدعوه عجه بعدوه إلى أن يعدو من بين أيديكم، و له ثلاثة أطلاق: أولها كالريح الهابّة، و الثاني كالفرس الجواد، و الثالث يكبو فيه و يعثر، فإذا رأيتم منه ذلك فخذوه فإني أحب أن يصير في أيديكم كما صرت إذ خالفني و لم يقبل رأيي و نصحي له، قالوا: فافعل، فصاح به تأبط شراً: أنت أخي في الشدّة و الرّخاء، و قد وعدني القوم أن يمتّوا عليك و عليّ، فاستأسر، و واسني بنفسك في الشدّة، كما كنت أخي في الرّخاء، فضحك ابن براق، و علم أنه قد كادهم، و قال: مهلا يا ثابت، أيستأسر من عنده/هذا العدو؟ ثم عدا فعدا أول طلق مثل الريح الهابّة كما وصف لهم، و الثاني كالفرس الجواد، و الثالث جعل يكبو و يعثر و يقع على وجهه. فقال ثابت: خذوه، فعدوا بأجمعهم، فلما أن نفّسهم عنه شيئاً عدا تأبط شراً في كتافه، و عارضه ابن براق، فقطع كتافه، و أفلتا جميعا [2]، فقال تأبط شراً قصيدته القافية في ذلك [2]: يا عيد مالك من شوق و إبراق # و مرّ طيف على الأهوال طراق

يسري على الأين و الحيّات محتفيا # نفسي فداؤك من سار على ساق [3]

طيف ابنة الحرّ إذ كُنّا نواصلها # ثم اجتنبت بها من بعد تفراق [4]

/لتقرعنّ عليّ السنّ من ندم # إذا تذكّرت يوماً بعض أخلاقي [5]

تالله آمن أنثى بعد ما حلفت # أسماء بالله من عهد و ميثاق [6]

ممزوجة الودّ بينا واصلت صرمت # الأوّل اللذّ مضى و الآخر الباقي

فالأوّل اللذّ مضى قال موذّتها # و اللذّ منها هذاء غير إحقاق [7]

تعطيك وعد أمانيّ تعرّ به # كالقطر مرّ على صخبان براق [8]

إني إذا خلّة صنّت بنائلها # و أمسكت بضعيف الحبل أحذاق [9]

[1]أكل القوم عند بجيلة شوكة، يريد صغر شأنه عند بجيلة، لذلك تركته و اتجهت إلى تأبط شرا و في «المختار» : «و كان ألد القوم» ...

(2-2) تكملة من «المختار» .

[3]الآين: الحية أو الذكر من الحيات، و الآين أيضا: التعب و الإعياء. و محتفيا: حافيا.

[4]هذا البيت ليس في «الأغاني» و هو في «المختار» .

[5]جاء هذا البيت في «المفضليات» آخر القصيدة.

[6]لم يرد هذا البيت في «الأغاني» أو «المفضليات» و جاء في «المختار» .

[7]اللذ: بمعنى الذي، و الهداء: الهديان، و لم يرد هذا البيت أيضا في «المفضليات» أو «الأغاني» و لكنه في «مختار الأغاني» .

[8]الصخبان: الشديد الصخب، و لم يرد البيت في «الأغاني» أو «المفضليات» و لكنه في «مختار الأغاني» .

[9]حبل أحذاق: قطع، و جاء البيت في قصيدة «المفضليات» الثالث في الترتيب.

نجوت منها نجائي في بجيلة إذ # ألقيت للقوم يوم الرّوع أرواقي[1]

و ذكرها ابن أبي سعيد في الخبر إلى آخرها.

و أما المفضّل الصّبيّ فذكر أن تأبط شرّاً و عمرو بن بّراق و الشّنفري- و غيره يجعل مكان الشّنفري السّليّك بن السّلكة- غزوا بجيلة فلم يظفروا منهم بغرّة، و ثاروا إليهم فأسروا عمرا، و كتّفوه، و أفلتهم الآخران عدوا، فلم يقدروا عليهما، فلما علما أن ابن بّراق قد أسر قال تأبط شرّاً لصاحبه: امض فكن قريبا من عمرو، فإنني سأترأى لهم و أطمعهم في نفسي حتى يتباعدوا عنه، فإذا فعلوا ذلك فحلّ كتافه، و انجوا، ففعل ما أمره به، و أقبل تأبط شرّاً، حتى ترأى لبجيلة، فلما رأوه طمعوا فيه، فطلبوه، و جعل يطمعهم في نفسه، و يعدو عدوا خفيفا يقرب فيه، و يسألهم تخفيف الفدية و إعطائه الأمان، حتى يستأسر لهم، و هم يجيئون به إلى ذلك، و يطلبونه و هو يحضر إحضارا خفيفا، و لا يتباعدا، حتى علا تلعة/أشرف منها على صاحبيه، فإذا هما قد نجوا، ففطنت لهما بجيلة، فألحقتهما طلبا ففاتاهم، فقال: يا معشر بجيلة أ أعجبكم عدو ابن بّراق اليوم، و الله لأعدونّ لكم عدوا أنسيكم به عدوه، ثم عدا عدوا شديدا، و مضى و ذلك قوله: يا عيد ما لك من شوق و إبراق

و أمّا الأصمعيّ فإنه ذكر فيما أخبرني به ابن أبي الأزهر عن حمّاد بن إسحاق عن أبيه عن عمه: أنّ بجيلة أمهلتهم حتى وردوا الماء و شربوا و ناموا، ثم شدّوا عليهم، فأخذوا تأبط شرّاً، فقال لهم: إن ابن بّراق دلاني في هذا، و إنه لا يقدر على العدو لعقر في رجليه، فإن تبعتموه أخذتموه، فكتّفوا تأبط شرّاً، و مضوا في أثر ابن براق، فلما بعدوا عنه عدا في كتافه ففاتهم، و رجعوا.

أخبرني الحرميّ بن أبي العلاء، قال: حدثنا أبو سعيد السكريّ قال: حدثنا ابن الأثرم، عن أبيه. و حدثنا محمد بن حبيب، عن أبي عمرو، قال: كان تأبط شرّاً يعدو على رجليه، و كان فاتكا شديدا، فبات ليلة ذات ظلمة و برق و رعد في قاع يقال له رحى بطان، فلقيته الغول فما زال يقاتلها ليلته إلى أن أصبح و هي تطلبه، قال: و الغول: سبع من سباع الجنّ، و جعل يراوغها، و هي تطلبه، و تلمس غرّة منه، فلا تقدر عليه، إلى أن أصبح، فقال تأبط شرّاً: ألا من مبلغ فتیان فهم # بما لاقيت عند رحى بطان

بأني قد لقيت الغول تهوي # بسهب كالصحيفة صحصان

فقلت لها: كلانا نضو أين # أخوه سفر فخلّي لي مكاني
فشدّت شدّة نحوي فأهوى # لها كفي بمصقول يمانى
فأضربها بلا دهش فخرّت # صريعا لليدين و للجران
/فقالّت عد، فقلت لها: رويدا # مكانك إنني ثبت الجنان
فلم أنفك متكئا عليها # لأنظر مصبها ما ذا أتاني

[1]ألقي أرواقه: أسرع في عدوه، و جاء البيت في قصيدة
«المفضليات» الرابع في الترتيب.

إذا عينان في رأس قبيح # كرأس الهَرِّ مشقوق اللسان
و ساقا مخدج و شواة كلب # و ثوب من عباء أو شنان[1]

يفر و يدع من معه

:

قالوا: و كان من حديثه أنه خرج غازيا يريد بجيلة هو و رجل معه، و هو يريد أن يغترهم، فيصيب حاجته، فأتى ناحية منهم، فقتل رجلا، ثم استاق غنما كثيرة، فنذروا به، فتبعه بعضهم على خيل، و بعضهم رجالة، و هم كثير، فلما رأهم، و كان من أبصر الناس عرف وجوههم، فقال لصاحبه: هؤلاء قوم قد عرفتهم، و لن يفارقونا اليوم حتى يقاتلونا أو يظفروا بحاجتهم، فجعل صاحبه ينظر، فيقول: ما أتبين أحدا، حتى إذا دهموها قال لصاحبه: اشتد فإني سأمنعك ما دام في يدي سهم، فاشتد الرجل، و لقيهم تأبط شرا، و جعل يرميهم حتى نفذت نبله، ثم إنه اشتد فمر بصاحبه فلم يطق شده، فقتل صاحبه، و هو ابن عم زوجته، فلما رجع تأبط شرا و ليس صاحبه معه عرفوا أنه قد قتل، فقالت له امرأته: تركت صاحبك و جئت متباطئا، فقال تأبط شرا في ذلك: ألا تلكما عرسي منيعة ضمّنت # من الله إثما مستسرا و عالنا[2]

تقول: تركت صاحبا لك ضائعا # و جئت إلينا فارقا متباطئا[3]

إذا ما تركت صاحبي لثلاثة # أو اثنين مثلينا فلا أبت آمنا[4]

و ما كنت أباه على الخلّ إذ دعا # و لا المرء يدعوني ممرا مدهانا[5]

و كزي إذا أكرهت رهطا و أهله # و أرضا يكون العوص فيها عجانا[6]

و لما سمعت العوص تدعو تنقّرت # عسافير رأسي من غواة فراتنا[7]

و لم أنتظر أن يدهموني كأنهم # ورائي نحل في الخليّة واکنا[8]

[1] آثرنا إثبات هذه الأبيات مع سبق إيرادها تمثيا مع النسخ: ب، ف، مو، أما هد فقد اجتزأت بذكر المصراع الأول من البيت الأول، و أردفته بقولها: «و قد تقدمت» .

[2] عرسه: زوجته، يريد أنه ألحق بها إثما أسره في نفسه فظهر، و ذلك بقتل ابن عمها.

[3] في هد، ف تقول:

«تركت صاحبي بمضيعة»

. و فارقا متباطئا: فارقته و جئت متخفيا، و قد يكونان من الفرقة و البطنة بمعنى جئنا خائفا ممتلى البطن.

[4] يدعو على نفسه إن كان ترك صاحبه لعدد قليل، و إنما هو جمع لا قبل لهما به، و في بعض النسخ: «إذا ما تركت صاحبي خوف واحد أو اثنين» إلخ.

[5] الممر من إمرار الحبل بمعنى إحكام قتله، أو من المرارة، و المداهن: من دهنه بمعنى ضربه، يريد أنه لا يتخلى عن خله إذا كان ذا بأس و قوة، و في مو

«و ما كنت أباة على الخيل... # ... ضيرا مداهنا»

و لعل المعنى عليه أنني ما كنت أضن بالنجدة حتى على من لا يخلص لي، متى كان فيه غناء.

[6] كرى معطوف على الخل في البيت السابق أي ما كنت أباة على الكر، و رهط: اسم موضع؛ و هو مفعول كر، و العوص: اسم قبيلة، و العجاهن: من معانيه القنفذ، و المعنى-فيما يبدو لنا- ما كنت أمتنع عند ما أكره عن غزو رهط و أهله و أرض العوص، و هم فيها مسلحون شائكون كالقنافذ و العوص بفتح فسكون كما في ف، و في هد، مو: بضم فسكون.

[7] تدعو أي إلى الحرب، تنفرت عصافير رأسي: كناية عن الغضب و الثورة، و العصافير: جمع عصفور، و المراد به هنا قطعة من الدماغ تفصلها عنه جليدة رقيقة، و الفراتن: جمع فرتنى، و هي المرأة الزانية، أو الأمة.

[8] واكنا: حال من نحل، و سوغ مجيء الحال من النكرة هنا وصفها يشبه الجملة بعدها، و يقال: و كن الطائر: دخل عشه. و معنى البيت و ما قبله: لما همت بي رجال العوص لم أتقاعس، بل حملت عليهم، و لم أنتظر أن يحيطوا بي إحاطة النحل بالخلية.

- و لا أن تصيب التّافذات مقاتلي # و لم أك بالشّدّ الذليق مداينا[1]
 فأرسلت مثنياً عن الشّدّ واهنا # و قلت تزحج لا تكوننّ حائنا[2]
 و حثت مشعوف التّجاء كأنه # هجفّ رأى قصرا سمالا و داجنا[3]
 /من الحصّ هزروف يطير عفاؤه # إذا استدرج الفيفا و مدّ المغابنا[4]
 أزج زلوج هزرفيّ زفازف # هزفّ بيدّ الناجيات الصّوافنا[5]
 فزحزحت عنهم أو تجئنّي منيّتي # بغبراء أو عرفاء تفرّي الدّافنا[6]
 كأني أراها الموت لا درّ درّها # إذا أمكنت أنيابها و البرائنا[7]
 و قالت لأخرى خلفها و بناتها # حتوف تنقيّ محّ من كان واهنا[8]
 أخاليج وّزاد على ذي محافل # إذا نزعوا مدّوا الدّلا و الشّواطنا[9]

و قال غيره: بل خرج تأبّط شرا هو و صاحبان له، حتى أغاروا على العوص من بجيلة، فأخذوا نعما لهم، و اتبعتهم العوص، فأدركوهم، و قد كانوا استأجروا لهم رجالا كثيرة، فلما رأى تأبّط شرا ألاّ طاقة لهم بهم شمّر و تركهما، فقتل صاحباه، و أخذت النعم، و أفلت، حتى أتى بني القين من فهم، فبات عند امرأة منهم يتحدث إليها، فلما أراد أن/يأتي قومه دهنته و رجّلتها، / فجاء إليهم و هم يبكون، فقالت له امرأته: لعنك الله تركت صاحبك و جئت مدّهنّا، و إنه إنما قال هذه القصيدة في هذا الشأن، و قال تأبّط شرا يرثيها و كان اسم أحدهما عمرا: أبعث قتيل العوص آسى على فتى # و صاحبه أو يأمل الرّاد طارق؟

أ طرد فهما آخر الليل أبتغي # علالة يوم أن تعوق العوائق[10]

[1]الشّد الذليق: الحديد الماضي أي لم أكن مسوقا للهجوم.

[2]حائن: هالك، و في بعض الأصول «منبت» بمعنى متقطع بدل «مثنى» يريد أنه نحى صاحبه حين أنس منه الضعف و عدم القدرة على الشّد.

[3]حثت: حث و حض، و المشعوف: المجنون أو المذعور، و النجاء: السير السريع، و الهجف: الظليم، و قصرا هنا: وقت اختلاط النهار بالظلمة، و السمال: الماء في الحوض، و داجنا: غيثا ممطرا. يريد: أنني انبريت و حثت جوادي على الحرب فحمل و هو مجنون السرعة كأنه ذكر نعام ظمان رأى عند الغروب حوض ماء أو ماء مطر فعدا إليه ليشرب.

[4]الحص: جمع أحص، و طائر أحص: قليل الريش. هزروف: سريع. العفاء: الشعر و الوبر. المغابن: بواطن الأفخاذ: يشبه جواده بطائر قليل الريش، و يقول: إنه سريع العدو يطير شعره إذا استدرج الفلوات و مد أفخذه في عدوه.

[5]أزج: بعيد الخطو. زلوج: سريع العدو. هزرفي: كثير الحركة. زفازف: جمع زفف ب معنى الريح. الهزف: السريع أو النافر.

الناجيات: الجياد السريعة. الصوافن: جمع صافن و هو الحصان يقف على ثلاث قوائم. يصف فرسه بما تقدم من الأوصاف، و يردفها بأنه يفوق غيره من الخيول الصافنات.

[6]فzczححت: تzczححت: تجئني: مضارع مجزوم للضرورة، و لعله محرف عن «تجيء» . غبراء: اسم أنثى الذئب، و عرفاء: اسم الضيع. يقول: فأفلت منهم، و لو لم أفعل للاقيت منيتي بناب ذئبة أو ضيع تنبش القبور.

[7]لا در درها: يدعو على الضيع. و البرائن: المخالب.

[8]مقول القول محذوف تقديره هلم و نحوه. يريد أنه إن مات تمكنت الضيع منه، و أنشبت مخالبيها في جسمه، و لم تكتف بنفسها، بل دعت صواحبها و بناتها، و هن مسعورات ينقن المخ من عظام الجسم الواهن الذي لا حراك به.

[9]أخاليج: جمع أخلج و هو الحبل. و يراد بذى المحافل البئر، و الشواطن: الحبال. يقول: إن الضباع تتوافد عليه إذا مات كما تتوافد الحبال على البئر مرة بعد أخرى. و قد اختلفت الأصول في رواية هذا البيت اختلافا بينا، و أغلب الروايات لا يستقيم معه المعنى.

[10]طرد القوم: أتاها، يريد: أ أتعجل العودة إلى فهم آخر الليل خشية أن تعوقني العوائق، و قد خلفت صاحبي صريعين؟ و قد اختلفت

- لعمري فتى نلتم كأنّ رداءه # على سرحة من سرح دومة سامق[1]
 لأطرد نها أو نرود بفتية # بأيمانهم سمر القنا و العقائق[2]
 مساعرة شعت كأنّ عيونهم # حريق الغضا تلى عليها الشقائق[3]
 فعدّوا شهور الحرم ثم تعرّفوا # قتيل أناس أو فتاة تعانق[4]

محاولة قتله هو و أصحابه بالسّم

:

قال الأثرم: قال أبو عمرو في هذه الرواية: و خرج تأبط شرّا يريد أن يغزو هذيلًا في رهط، فنزل على الأحلّ بن قنصل-رجل من بجيلة- و كان بينهما حلف، فأنزلهم و رَجَّب بهم، ثم إنه ابتغى لهم الدَّراريح[5] ليسقيهم فيستريح منهم، ففطن له تأبط شرّا، /فقام إلى أصحابه، فقال: إني أحب ألا يعلم أنا قد فطنتُ له، و لكن ساّبوه حتى نحلف أ لا نأكل من طعامه، ثم أغتّره فأقتله لأنه إن علم حذرتي-و قد كان مالاً ابن قنصل رجل منهم يقال له لكيز قتلت فهم أخاه-فاعتلّ [6]عليه و على أصحابه فسبّوه و حلفوا ألا يذوقوا من طعامه و لا من شرابه، ثم خرج في وجهه، و أخذ في بطن واد فيه التُّمور، و هي لا يكاد يسلم منها أحد، و العرب تسمي النمر ذا اللونين، و بعضهم يسميه السبنتى، فنزل في بطنه و قال لأصحابه: انطلقوا جميعا فتصيّدوا، فهذا الوادي كثير الأروى، فخرجوا و صادوا، و تركوه في بطن الوادي فجاءوا فوجدوه قد قتل نمرا وحده، و غزا هذيلًا فغنم و أصاب، فقال تأبط شرّا في ذلك: أقسمت لا أنسى و إن طال عيشنا # صنيع لكيز و الأحلّ بن قنصل[7]

نزلنا به يوما فساء صباحنا # فإنك عمري قد ترى أيّ منزل[8]

بكى إذ رأنا نازلين ببابه # و كيف بكاء ذى القليل المعيل[9]

فلا و أبيك ما نزلنا بعامر # و لا عامر و لا الرئيس ابن قوقل[10]

-الأصول في رواية البيت، و كلها مما لا يستقيم معه المعنى، و المثبت

من ف.

[1]السرحة: الشجرة، دومة: مكان، سامق: طويل: صفة لفتى.

[2]العقائق: جمع عقيقه بمعنى السيف الشبيه بالبرق، يقسم بصاحبه الذي قتلوه بعد أن وصفه بالطول حتى كأن ثيابه على شجرة عالية يغزو قتليه بفتية يحملون القنا و السيوف الماضية. و في رواية «شانق» بدل

«سامق» بمعنى عظيم الرأس. و في رواية: «الفتائق» بدل العقائق بمعنى السيوف الحديدية الشفرتين.

[3]مساءرة: جمع مسعر بمعنى موقد لنار الحرب، و شعث: جمع أشعث بمعنى أغبر، و الغضا: شجر يتخذ منه الوقود، و الشقائق: نبات أحمر. يصف هؤلاء الفتية بالمران على الحرب، و بأن حدق عيونهم تحمر احمرار الجمر في ميادين القتال.

[4]يتهددهم بالحرب بعد انقضاء الأشهر الحرم، فيقول: إذا انقضت هذه الأشهر فعدوا قتلاكم، و عدوا فتياتكم السبايا.

[5]الذراريح: جمع ذراح كزناز و سكين و قدوس: دويبة حمراء منقطة بسواد تطير، و هي من السموم.

[6]فاعل اعتل ضمير تأبط شرا، عليه أي على ابن قنصل، و ما بين الشرطتين اعتراض.

[7]البيت من الطويل دخله الخرم.

[8]في هد: فشاب صبوحنا، و الصبوح: شراب الصباح. و المصراع الثاني تعجب من هذا المنزل.

[9]المعيل: ذو العيال، و المراد أن من نزلوا به كان فقيرا معيلا، فكان بكأؤه حارا.

[10]في مو: «ما نزلنا بحاتم» ، و المثبت من ب، ف، هد. و قوقل: أبو بطن من الأنصار، كان إذ أتاه مستجيرا قال له: قوقل في هذا الجبل-أي اصعد-فقد أمنت.

-عامر بن مالك أبو براء ملاعب الأسنّة، و عامر بن الطفيل، و ابن قوقل: مالك بن ثعلبة أحد بني عوف بن الخزرج.-

و لا بالسليل[1] ربّ مروان قاعدا # بأحسن عيش و الثفائي نوفل

/-ربّ مروان: جرير بن عبد الله البجلي. و نوفل بن معاوية بن عروة بن صخر بن يعمر أحد بني الدّيل بن بكر.-

و لا ابن وهيب كاسب الحمد و العلا # و لا ابن ضبيع وسط آل المخبّل

و لا ابن حليس قاعدا في لقاحه[2] # و لا ابن جرّي وسط آل المغلّل

و لا ابن رياح بالزّليفات داره # رياح بن سعد لا رياح بن معقل

أولئك أعطى للولائد خلفه # و أدعى إلى شحم السّديف المرعبل[3]

يتخذ من العسل مزلقا على الجبل فينجو من موت محقق

:

/و قال أيضا في هذه الرواية: كان تأبّط شرّا يشتر عسلا في غار من بلاد هذيل، يأتيه كل عام، و أنّ هذيل ذكرته، فرصدوه لإبان ذلك، حتى إذا جاء هو و أصحابه تدلّى، فدخل الغار، و قد أغاروا عليهم فأنفروهم، فسبقوهم و وقفوا على الغار، فحركوا الحبل، فأطلع تأبّط شرّا رأسه، فقالوا: أصعد، فقال: أ لا أراكم، قالوا: بلى قد رأيتنا.

فقال: فعلام أصعد، أعلى الطّلاقة أم الفداء؟ قالوا: لا شرط لك، قال: فأراكم قاتليّ و آكلي جناي، لا و الله لا أفعل، قال: و كان قبل ذلك نقب في الغار نقبا أعدّه للهرب، فجعل يسيل العسل من الغار و يهريقه، ثم عمد إلى الرّق فشده على صدره ثم لصق بالعسل فلم يبرح ينزلق عليه حتى خرج سليما وفاتهم، و بين موضعه الذي وقع فيه و بين القوم مسيرة ثلاث، فقال تأبّط شرّا في ذلك: أقول للحيان و قد صفرت لهم # و طابي و يومي ضيق الحجر معور[4]

هما خطّتا إما إيسار و مئة # و إما دم و القتل بالحرّ أجدر[5]

/و أخرى أصادي النّفس عنها و إنها # لمورد حزم إن ظفرت و مصدر[6]

فرشت لها صدري فزلّ عن الصّفا # به جؤجؤ صلب و متن مختصر[7]

[1] ف، هد: و لا «بالسليك» . و في مو: «بالسليل» .

[2] اللقاح: النوق الحوامل، يكنى بذلك عن غناه و ميسرته.

[3] أعطى، أَدعى: أفعلا تفضيل. و السديف: لحم السنام. و المرعبل: المقطع.

[4] صفرت: خلت. و الوطاب جمع وطب؛ و هو سقاء يتخذ من الجلد. و معور أي بين العور و المراد أنه يوم عصيب. و الحجر: الناحية، و لعلها تصحيف الحجر.

[5] خطتا مضاف و الجملة بعده مضاف إليه، و قد اختلفت الأصول في رواية هذا البيت و أنسبها ما أثبتناه نقلا عن هد، مو. و في «المختار» «إما إसार و فدية» .

[6]

«أصادي النفس عنها»

أي أحدثها بها، و المراد بالخطبة الأخرى، خطة الانزلاق التي نجا بها، و في «المختار»: «إن فعلت» بدل «إن ظفرت» .

[7] ف، هد: «عبل» بدل «صلب» ، و زل: انزلق، و الصفا: الصخر، و الجؤجؤ: عظام الصدر. و متن مخصر: ظهر نحيل الخصر. و في «المختار»: «به جؤجؤ عبِل»

- .

فخالط سهل الأرض لم يكدح الصفا # به كدحة و الموت خزبان ينظر
 فأبت إلى فهم و ما كنت آتبا # و كم مثلها فارقتها و هي تصفر[1]
 إذا المرء لم يحتل و قد جدّ جدّه # أضع و قاسى أمره و هو مدبر
 و لكن أخو الحزم الذي ليس نازلا # به الأمر إلا و هو للحزم مبصر[2]
 فذاك قرير الدهر ما كان حوّلا # إذا سدّ منه منخر جاش منخر
 فإئك لو قايست باللّصب حيلتي # بلقمان لم يقصر بي الدهر مقصر[3]

غارة ينتصر فيها على العوص

و قال أيضا في حديث تأبّط شرا: إنه خرج من عدّة من فهم، فيهم عامر بن الأحنس، و الشنفرى، و المسيّب، و عمرو بن براق، و مرّة بن خليف، حتى بيتوا العوص و هم حيّ من بجيلة، فقتلوا منهم نفرا، و أخذوا لهم إبلا، فساقوها حتى كانوا من بلادهم على يوم و ليلة، فاعترضت لهم خثعم و فيهم ابن حاجز، و هو رئيس القوم، و هم يومئذ نحو من أربعين رجلا، فلما نظرت إليهم صعايك فهم قالوا لعامر بن الأحنس: ما ذا ترى؟ قال: لا أرى لكم إلا صدق الصراب، فإن ظفرتم فذاك، و إن قتلتم كنتم/قد أخذتم ثأركم، قال تأبّط شرا: بأبي أنت و أمي، فنعمة رئيس القوم أنت إذا جدّ الجدّ، و إذا كان قد أجمع رأيكم على هذا فإني أرى لكم أن تحملوا على القوم حملة واحدة فإنكم قليل و القوم كثير، و متى افتقرتم كثرتم القوم، فحملوا عليهم فقتلوا منهم في حملتهم، فحملوا ثانية فانهزمت خثعم و تفرقت، و أقبل ابن حاجز فأسند في الجبل فأعجز، فقال تأبّط شرا في ذلك: جزى الله فتيانا على العوص أمطرت # سماؤهم تحت العجاجة بالدم

و قد لاح ضوء الفجر عرضا كأنه # بلمحته إقراب أبلق أدهم[4]

فإنّ شفاء الداء إدراك ذلّة # صباحا على آثار حوم عرمرم[5]

/و ضاربتهم بالسفح إذ عارضتهم # قبائل من أبناء قسر و خثعم[6]

ضرابا عدا منه ابن حاجز هاربا # ذرا الصخر في جوف الوجين المديّم[7]

و قال الشنفرى في ذلك:

دعيني و قولي بعد ما شئت إئتني # سيغدى بنعشي مرة فأعيب

[1]الضمير في مثلها يعود إلى الورطة المفهومة من المقام، و قوله: و هي تصفر كناية عن الندم.

[2] ف: «به الخطب إلا و هو للقصد مبصر» .

[3] اللصب: الشعب في الجبل، و لقمان: صاحب قصة النسور المشهورة في إطالة العمر. يريد أن هذه الحيلة لو قيست بحيلة لقمان، ما قصر عمره مقصر. و في ب «قاسيت» بدل «قاسيت» ، «لحيان» بدل «لقمان» .

[4] أقرب المهر: دنا، و الأبلق: ما فيه بياض و سواد، و الأدهم: الأسود، يريد أن ضوء الفجر دنا في الليل دنو فرس اختلط سواده ببياضه.

[5] الحوم: الجماعة، و العرمرم: الكثير، و الذحلة: الثأر.

[6] قسر أو نسر-كما في بعض الأصول- و خثعم: قبيلتان.

[7] الوجين: شط الوادي، المديم: الممطور، و ابن حاجز: اسم رجل، و منعه من الصرف للضرورة.

خرجنا فلم نعهد و قَلت وصاتنا # ثمانية ما بعدها متعَب [1]
 سراحين فتیان كأن وجوههم # مصايح أو لون من الماء مذهب [2]
 /نمرّ برهو الماء صفحا و قد طوت # ثمانلنا و الزّاد ظنّ مغيب [3]
 ثلاثا على الأقدام حتى سما بنا # على العوص شعشاع من القوم محرب [4]
 فناروا إلينا في السواد فهجهجوا # و صوّت فينا بالصّباح المثوّب [5]
 فشنّ عليهم هرة السيف ثابت # و صمّم فيهم بالحسام المسيّب
 و ظلت بفتيان معي أتقيهم # بهنّ قليلا ساعة ثم جنّبوا [6]
 و قد خرّ منهم راجلان و فارس # كمّيّ صرعناه و حوم مسلّب [7]
 يشقّ إليه كلّ ريع و قلعة # ثمانية و القوم رجل و مقنب [8]
 فلما رأنا قومنا قيل أفلحوا # فقلنا: اسألوا عن قائل لا يكذب

و قال تأبط شرّا في ذلك:

أرى قدميّ وقعهما خفيف # كتليل الطلّيم حدا رثاله [9]
 أرى بهما عذابا كلّ يوم # بختعم أو بجيلة أو ثماله [10]

/[11] ففرّق تأبط شرّا أصحابه، و لم يزالوا يقاتلونهم حتى انهزمت
 خثعم، و ساق تأبط شرّا و أصحابه الإبل حتى قدم بها عليا مكة [11].

عود إلى سبب تسميته

:

و قال غيره: إنما سمي تأبط شرّا ببيت قاله: و هو:

تأبط شرّا ثم راح أو اغتدى # يوائم غنما أو يشيف على ذحل [12]

[1] يريد لم نعهد إلى أحد بمن يخلفنا من قومنا، و قلت وصايانا، و كنا
 قلة، لا يعتب عاتب علينا إذا ظفر بنا، و كل هذا كناية عن الاستماتة.

[2] السراحين: جمع سرحان: و هو الذئب، و مذهب: في لون الذهب.

[3] رهوا: يسير سيرا هينا، و التماثل: جمع ثميلة، و هي الحب أو
 السويق أو التمر، يريد أننا خرجنا و لم نهتم بادخار الماء، و قد نفذ زادنا، و لا
 أمل لنا في زاد جديد، و هذا كله كناية عن المغامرة.

[4] الشعشاع: الطويل، و المحرب: المدرب على الحرب. يصف قائد
 الركب الذي هو فيه.

[5]الهجة: صياح الجيش عند القتال، و ثوب-بالتشديد-: رجع. أي
ثاروا عليهم في الليل، و أعادوا الكرة عليهم في الصباح.

[6]بهن أي بالسيوف المفهومة من سياق البيت السابق، و جنبوا:
انكشفوا و مالوا: يريد الأعداء.

[7]الكمي: الشجاع، و حوم: جمع، و في رواية «و قرم» بمعنى بطل،
و مسلب: عليه سلب كثير أي مدجج بالسلاح.

[8]رجل: جمع راجل، و المقنب: الخيل يبلغ عددها أربعين. و ضمير إليه
يعود إلى الحوم المسلب في البيت السابق، و ثمانية فاعل يشق، و يريد
بالقوم الأعداء.

[9]التحليل: ضرب من المشي، و من المحلل: ثالث الجياد في السباق،
و الظليم: ذكر النعام، و الرأل: ولد النعام، و جمعه رئال.

[10]خثعم: و بجيلة، و ثمالة: قبائل.

(11-11) تكملة من هج، هد.

[12]يريد بالشر الذي تأبطه سلاحه و نحوه. الذحل: الثأر.

غارته على مراد

:

قال: و خرج تأبط شرّاً يوماً يريد الغارة، فلقي لمراد فأطرده، و نذرت به مراد، فخرجوا في طلبه، فسبقهم إلى قومه، و قال في ذلك: إذا لا لاقيت الصّدق فاربع # عليه و لا يهّمك يوم سوّ

على أنّي بسرح بني مراد # شجوتهم سباقاً أيّ شجو

و آخر مثله لا عيب فيه # بصرت به ليوم غير زوّ [1]

خفضت بساحة تجري علينا # أباريق الكرامة يوم لهو [2]

مع غلام من خثعم

:

أغار تأبط شرّاً وحده على خثعم، فبينما هو يطوف إذ مرّ بغلام يتصيّد الأرناب، معه قوسه و نبله، فلما رآه تأبط شرّاً أهوى ليأخذه، فرماه الغلام فأصاب يده اليسرى، و ضربه تأبط شرّاً فقتله، و قال [3] في ذلك: و كادت و بيت الله أطناب ثابت # تقوّض عن ليلي و تبكي التّوائح

تمنى فتى منّا يلقى و لم يكد # غلام نمته المحصنات الصّرائح [4]

غلام نمى فوق الخماسيّ قدره # و دون الذي قد ترجيه التّواكح [5]

فإن تك نالته خطاطيف كفه # بأبيض قصال نمى و هو فادح [6]

فقد شد في إحدى يديه كنانه # يداوى لها في أسود القلب قادح [7]

-هذه الأبيات أن تكون لقوم المقتول أشبه منها بتأبط شرّاً-

قالوا لها لا تنكحيه

:

قال: و خطب تأبط شرّاً امرأة من هذيل من بني سهم فقال لها قائل: لا تنكحيه، فإنه لأول نصل غدا يفقد [8] فقال تأبط شرّاً: و قالوا لها: لا تنكحيه فإنّه # لأول نصل أن يلاقي مجمعا [9]

[1] الزو: القرينان: يريد أنه يوم لا مثيل له.

[2] ف، هد:

«خفضت بجأشه»

و خفض: من الخفض بمعنى الدعة، و ضمير ساحة يعود على السرح الآخر في البيت قبله. و الكرامة: غطاء رأس الحب، و كأنه استعار الحب لدنّ الخمر و نحوه.

[3]عقب في بعض الأصول على هذه الأبيات بأنها لشاعر من قوم الغلام، و هو الصواب.
[4]ف:

«تمنى فتى منا فلاقى و مل يكد # غلاما...»

إلخ» . و الصرائح: الخالصات النسب.
[5]الخماسي: الغلام طوله خمسة أشبار، و دون الذي قد ترتجيه النواكح: لم يبلغ مبلغ الزواج.
[6]الخطاطيف: جمع خطاف، و هو الحديدة الحجناء، و ضمير كفه يعود على تأبط شرا، و القصال، السيف القاطع، و هذا البيت من هد، وهج.
[7]ف، هد:

«فقد شد في إحدى يديه حرا به»

بدل «كنانة» و في هد: «يداوى لها» بدل «تداوى» . و الكنانة: جعبة السهام، و قادح: صفة جرح محذوف، يريد أن أسهم الغلام تحدث جراحا عميقة في سويداء القلوب.

[8]لأول نصل غدا يفقد: معرض للموت في كل لحظة.
[9]لأول نصل، أي يموت لأول ضربة سيف، و المصدر المؤول بدل من نصل أي يموت لأول لقائه جمعا من المغبرين.

- فلم تر من رأي فتيلًا و حاذرت # تأيّمها من لابس الليل أروعاً[1]
 قليل غرار التّوم أكبر همّه # دم الثّار أو يلقى كميا مقنّعا[2]
 قليل ادّخار الرّاد إلّا تعلّة # و قد نشز الشّر سوف و التصق المعى[3]
 /تناضله كلّ يشجّع نفسه # و ما طبّه في طرقه أن يشجّعاً[4]
 يبيت بمغنى الوحش حتى ألفتنه # و يصيح لا يحمي لها الدهر مرتعا[5]
 رأي فتى لا صيد وحش بهّمه # فلو صافحت إنسا لصافحنه معا[6]
 و لكنّ أرباب المخاض يشفّهم # إذا افتقدوه أو رأوه مشيّعاً[7]
 و إنّي-و لا علم-لأعلم أنني # سألقى سنان الموت يرشق أضلعاً[8]
 على غرّة أو جهرة من مكائر # أطال نزال الموت حتى تسعسعاً[9]

-تسعسع: فني و ذهب. يقال: قد تسعسع الشّهر، و منه حديث عمر رضي الله عنه حين ذكر شهر رمضان فقال: «إن هذا الشهر قد تسعسع» -

- و كنت أظن الموت في الحي أو أرى # ألدّ و أكرى أو أموت مقنّعا[10]
 و لست أبيت الدّهر إلا على فتى # أسلّبه أو أذعر السرب أجمعا[11]
 و من يضرب الأبطال لا بدّ أنه # سيلقى بهم من مصرع الموت مصرعا[12]

[1]الفتيل: الخيط في شق النواة، و لابس الليل: كثير الغارات ليلا، و أروع: ذكي الفؤاد، أو يعجب بشجاعته، يريد أنها لم تعر عرض الزواج منها التفاتا خشية أن تصبح أيما منه.

[2]غرار النوم: النوم الخفيف، و كميا مقنعا: شجاعا ملثما.

[3]الشرسوف: الطرف اللين من الضلع مما يلي البطن، و المعى: واحد الأمعاء، يريد أنه دائم الطوى، حتى لتبرز أضلاعه، و تلتصق أمعاؤه بعضها ببعض، لخلوها من الطعام.

[4]ف: «تنازله» بدل «تناضله»، و لعل المراد: تناضله نفسه، و طرق: جمع طريق أي أنه لا يحتاج إلى مشجع حين يسلك الطرق المخوفة، بخلاف الناس.

[5]المغنى: المقام: يريد أنه ألف الوحوش و ألفته، فهو يبيت معها آمنا، فإذا أصبح أغار عليها.

[6]ضمير «رأين» للوحوش، أي أنها تحبسه لا يهيمه صيد الوحوش، فتكاد تصافحه.

[7] ف: «مسمعا» بدل «مشيعا» . و يشقهم: يؤرقهم، يريد أن الوحوش تأنس به، و لكن أرباب الإبل يخشونه على إبلهم، فهم يفزعون حين يفتقدونه فلا يجدونه، أو حين يرونه مشيعا إلى رحلة.

[8] و لا علم أي لي، و الجملة اعتراضية، يرشق أضلعا يرى أضلعه، كناية عن الموت. و في هد «يبرق أضلعا» و في ف: «و إني إن عمرت» .

[9] غرة: غفلة، مكاثر: كثير الغارات: يعني نفسه.

[10] كنت أظن الموت في الحي: كنت أعدني ميتا ما لبثت في الحي. أكرى: أزيد. المقنع: من يلبس البيضة على رأسه. يقول: إني في عداد الأموات ما أقمت في موطن، حتى أخرج للغزو. فأتلذذ به، و أزيد متعة، أو أموت و على رأسي بيضة.

[11] يقول: لا يقر قراري إلا إذا أصبت فردا أفوز بسلبه، أو أغرت على سرب من الحيوان لأصيده فيذعر عند رؤيتي، أي أنني أقضي حياتي بين صيد و قنص.

[12] من في البيت: موصولة لا شرطية.

عود إلى فراره و ترك صاحبيه

:

قال: و خرج تأبط شراً و معه صاحبان له: عمرو بن كلاب أخو المسيب، و سعد بن الأشرس و هم يريدون العارة علي بجيلة فنذروا بهم، و هم في جبل ليس لهم طريق عليهم فأحاطوا بهم و أخذوا عليهم الطريق، فقاتلوهم فقتل صاحبا تأبط شرا و نجا، و لم يكد حتى أتى قومه. فقالت له امرأته و هي أخت عمرو بن كلاب إحدى نساء كعب بن علي بن إبراهيم بن رباح: هربت عن أخي و تركته و غررتة، أما و الله لو كنت كريما لما أسلمته، فقال تأبط شراً في ذلك: ألا تلكما عرسي منيعة ضمّنت # من الله خزيا مستسراً و عاهنا[1]

و ذكر باقي الأبيات.

و إنما دعا امرأته إلى أن عيّرتة أنه لما رجع بعد مقتل صاحبيه انطلق إلى امرأة كان يتحدث عندها، و هي من بني القين بن فهم، فبات عندها، فلما أصبح غدا إلى امرأته و هو مدّهن مترجّل، فلما رأته في تلك الحال علمت أين بات، فغارت عليه فعيرتة.

يغير على خثعم

:

و ذكروا أن تأبط شراً أغار على خثعم، فقال كاهن لهم: أروني أثره حتى أخذه لكم فلا يبرح حتى تأخذه، فكفئوا على أثره جفنة، ثم أرسلوا إلى الكاهن فلما رأى أثره قال: هذا ما لا يجوز في صاحبه الأخذ، فقال تأبط شرا: ألا أبلغ بني فهم بن عمرو # على طول الثنائي و المقالة[2]

مقال الكاهن الجامي لما # رأى أثري و قد أنهبت ماله[3]

أرى قدمي وقعهما حثيث # كتليل الظليم دعا رئاله[4]

أرى بهما عذابا كل عام # لخنعم أو بجيلة أو ثماله[5]

أو شرّ كان صبّ على هذيل # إذا علقت حبالهم حباله[6]

و يوم الأزد منهم شرّ يوم # إذا بعدوا فقد صدّقت قاله[7]

فزعموا أن ناسا من الأزد ربئوا لتأبط شرا ربئة[8] و قالوا: هذا مضيق ليس له سبيل إليكم من غيره، فأقيموا فيه حتى يأتكم، فلما دنا من القوم توجس، ثم انصرف، ثم عاد فنهضوا في أثره حين رأوه لا يجوز، و مر قريبا

فطمعوا فيه، و فيهم رجل يقال له حاجز؛ ليث من ليوثهم سريع، فأغروه به فلم يلحقه، فقال تأبط شراً في ذلك: [1]تقدم شرح هذا البيت.

[2]يريد على طول التثائي و طول طريق الرسالة التي يريد إبلاغها إليهم.

[3]أنهبت «بالبناء للمجهول» ، و ما له مفعول ثان.

(4-5) تقدم هذان البيتان و شرحهما.

[6]ضمير حباله يعود على الكاهن، يريد أن هذيلاً لو استعانت بالكاهن أيضا ما أجداها ذلك.

[7]القال هنا بمعنى القول، و الضمير في قاله يعود على الكاهن.

[8]ربئوا له ربيئة: أقاموا عليه جاسوسا.

- تتعنت حضي حاجز و صحابه # و قد نبذوا خلقانهم و تشعوا[1]
 أطن و أن صادفت وعثا و أن جرى # بي السهل أو متن من الأرض مهيع[2]
 أجاري ظلال الطير لو فات واحد # و لو صدقوا قالوا له هو أسرع[3]
 فلو كان من فتیان قيس و خندف # أطاف به القنّاص من حيث أفرعوا[4]
 و جاب بلادا نصف يوم و ليلة # لآب إليهم و هو أشوس أروع[5]
 فلو كان منكم واحد لكفيته # و ما ارتجعوا لو كان في القوم مطمع[6]

/فأجابه حاجز:

- فإن تك جاريت الظلال فرما # سبقت و يوم القرن عريان أسنع[7]
 و خلّيت إخوان الصفاء كأنهم # ذبائح عنز أو فحيل مصرّع[8]
 تكيهم شجو الحمامة بعد ما # أرحت و لم ترفع لهم منك إصبع[9]
 فهذي ثلاث قد حويت نجاتها # و إن تنج أخرى فهي عندك أربع

خير أيامه

:

أخبرني[10] عمّي قال: حدّثنا عبد الله بن أبي سعد قال ذكر عليّ بن محمد المدائنيّ، عن ابن دأب قال: سئل تأبط شرّاً: أيّ يوم مرّ بك خير؟ قال: خرجت حتى كنت في بلاد بجيلة، أضاءت لي النار رجلا جالسا إلى امرأة. فعمدت إلى سيفي فدفنته قريبا، ثم أقبلت حتى استأنست، فنبحتني الكلب، فقال: ما هذا؟ فقلت: بأئس. فقال: ادنه، فدنوت، فإذا رجل جلاب آدم[11]، و إذا أضوى[12] الناس إلى جانبه، فشكوت إليه الجوع [1]الحضن: ما دون الإبط إلى الكشح، يريد أنه كد أحضان حاجز و رفاقه من الجري خلفه، و الخلقان: ما بلي من الثياب، و شنع الخرقة: شعنها، أي أنهم تخففوا من بعض ثيابهم، و شعثوا ما بقي لها من طول الجري.

[2]الوعثاء: الطريق يصعب سلوكه، و المهيع عكسه، يصف نفسه بسرعة العدو، فيقول: إنه حين يعدو يظن أن الأرض تجري به، و إن كانت طرفها ملتوية على السالك.

[3] في ف «و لو صدقوا قالوا بلى أنت أسرع» يريد أنه يسبق الطير.

(4-5) ضمير كان يعود على حاجز، و أفرعوا «بالبناء للمجهول»، و جملة أطاف... إلخ حال من اسم كان، لآب جواب لو، أشوس هنا بمعنى

ينظر بمؤخر عينه غيظا، و أروع هنا من الروع بمعنى الفرع أي لو كان حاجز من بجيلة، و خندق، و معه لفيف من القناصة الفرعين، و جروا وراءه مدة طويلة لآب إلى قبيلته بالفشل.

[6] يريد لو كان من يطلبني واحدا لظفرت به، و لو كان لمن تبعوه مطمع فيه ما رجعوا بالخيبة.

[7] القرن: القرين المنافس، عريان: صحو لا غيم فيه، أسنع: أفضل، يقول: إن تك عداً تسبق الظلال فربما سبقك القرن في يوم جميل موات.

[8] الفحيل: فحل الإبل إذا كان كريما.

[9] شجو مفعول مطلق لفعل محذوف، أي و أنت تشججو شجو الحمامة، أرحت: عدت إلى حيك، و لم ترفع لهم منك إصبع: لم تحاول الدفاع عنهم.

[10] من أول هذا الخبر إلى آخر الترجمة ساقط من نسخة ب و لكنه مثبت في ف و بعض الأصول.

[11] جلحاب: ضخم، آدم: أسمر.

[12] أضوى: من الضوى، بمعنى دقة العظم و قلة اللحم، كأنه يصفها بالرشاقة و عدم الترهل. و ربما كانت محرفة عن أضوا من الضوء.

و الحاجة، فقال: اكشف تلك القصعة، فأتيت قصعة إلى جنب إبله، فإذا فيها تمر و لبن، فأكلت منه حتى شبعت، ثم خررت متناوما، فو الله ما شئت أن اضطجع حتى اضطجع هو و رفع رجله على رجله، ثم اندفع يغني و هو يقول: /

خير الليالي إن سألت بليلة # ليل بخيمة بين بيش و عثر[1]

لضجع آنسة كأنّ حديثها # شهد يشاب بمزجة من عنبر

و ضجع لاهية لأعب مثلها # بيضاء واضحة كطيظ المنزر[2]

و لأنت مثلهما و خير منهما # بعد الرقاد و قبل أن لم تسحري[3]

قال: ثم انحرف فنام، و مالت فنامت: فقلت: ما رأيت كالليلة في الغرّة، فإذا عشر عشراوات[4] بين ثلاث[5] فيها عبد واحد و أمة، فوثبت فانتضيت سيفي، و انتحيت للعبد فقتلته و هو نائم، ثم انحرفت إلى الرجل فوضعت سيفي على كبده حتى أخرجته من صلبه، ثم ضربت فخذ المرأة فجلست، فلما رأته مقتولا جزعت، فقلت: لا تخافي، أنا خير لك منه. قال: و قمت إلى جلّ متاعها فرحلته على بعض الإبل أنا و الأمة فما حللت عقده حتى نزلت بصعدة بني عوف بن فهر. و أعرست بالمرأة هناك و حين اضطجعت فتحت عقيرتي و غيّت: بحليلة البجليّ بت من ليلا # بين الإزار و كشحها ثم الصق[6]

بأنيسة طويت على مطويّها # طيّ الحماله أو كطيّ المنطق[7]

/ فإذا تقوم فصعدة في رملة # لبدت برّيق ديمة لم تغدق[8]

و إذا تجيء تجيء شحب خلفها # كالأيم أصعد في كئيب يرتقي[9]

كذب الكواهن و السّواحر و الهنا # أن لا وفاء لعاجز لا يتقي[10]

قال: فهذا خير يوم لقيته.

[1] خيمة، بيش، عثر: أماكن، و في «المختار»: «... أن أبيت بليلة»

بدل

«أن سألت بليلة»

[2] كطيظ: من الكظة، و هي امتلاء البطن، يصفها بضخامة العجز، و هي غير صاحبتة الضاوية.

[3]الإسحار: الدخول في السحر، يفضل صاحبه الضاوية على من ذكرهما في البيتين السابقين. عند المضاجعة بعد الرقاد، و قبل السحر.

[4]عشراوات: جمع عشراء، و هي من مضى على حملها عشرة أشهر من النوق.

[5]الأثلاث: جمع أثلة: شجر معروف.

[6]في «المختار» :

«... بت بليلة»

بدل

«بت من ليلها»

[7]الحمالة: حمالة السيف التي تتصل بجرايه، و المنطق: ما يتمنطق به، يريد أنها مجدولة جدل هاتين. و في «المختار» : «طويت على أقرابها» بدل «على مطويها» .

[8]الصعدة: القناة المستوية، كناية عن حسن القوام. لبدت: تلبدت.

الديمة: السحابة لم تغدق: لم يكن مطرها غزيرا، يصفها بالترنج في مشيتها، كأنها تمشي على أرض تلبدت بمطر خفيف.

[9]الشحب: العمود، كأنه يريد خيالها. و في هج: «و إذا تجيء أتت بنجد خلفها» كأنه يصفها بضخامة العجز، و الأيم: الحية الأبيض اللطيف النظر، و في «المختار» : «... تجي بجيد خلفها»

[10]كذا في معظم الأصول. و في هج: «أن لا وقاء» بدل «أن لا وفاء» . و نرجح أن «الهنا» محرف «النهي» و المعنى على ذلك أن العاجز الذي لا يحتاط قد تكتب له السلامة... و المقصود بالبيت تحييد المغامرات التي يخوضها. و في «المختار»

«زعم الكواهن و السواحر و الرقا»

شر أيامه

:

و شرّ يوم لقيت أئبي خرجت، حتى إذا كنت في بلاد ثماله أطوف، حتى إذا كنت من القفير [1] عشياً إذا أنا بسبع خلفات [2] فيهن عبد، فأقبلت نحوه، وكأني لا أريده و حذرتني فجعل يلوذ بناقة فيها حمراء، فقلت في نفسي: والله إنه ليثق بها. فأفوق له، و وضع رجله في أرجلها و جعل يدور معها، فإذا هو على عجزها. و أرميه حين أشرف فوضعت سهمي في قلبه فخّر، و نذت الناقة شيئاً و أتبعتها فرجعت فسقتهنّ شيئاً ثم قلت: و الله لو ركبت الناقة و طردتهنّ، و أخذت بعثنون [3] الحمراء فوثبت، فساعة استوتبت عليها كرت نحو الحيّ ترعب و تبعتها الخلفات، و جعلت أسكنها و ذهبت، فلما خشيت أن تطرحني في أيدي القوم رميت بنفسي عنها، فانكسرت رجلي، و انطلقت و الدّود [4] معها. فخرجت أعرج، حتى انخنست [5] في طرف كتيب و جازني الطلب، / فمكثت مكاني حتى أظلمت، و شبّت لي ثلاثة أنوار فإذا نار عظيمة ظننت أن لها أهلاً كثيراً، و نار دونها، و نوبرة صغيرة، فهويت للصّغرى، و أنا أجمر [6]، فلما نبحتي الكلب نادى رجل فقال: من هذا؟ فقلت: بأسي، فقال: ادنه، فدنوت و جلست و جعل يسألني، إلى أن قال: و الله إني لأجد منك ريح دم. فقلت: لا و الله، ما بي دم. فوثب إليّ فنفضني، ثم نظر في جعبي فإذا السهم، فقلت: رميت العشية أرنبا فقال كذبت، هذا ريح دم إنسان، ثم وثب إليّ و لا أدفع الشرّ عن نفسي فأوثقني كتافاً، ثم علق جعبي و قوسي، و طرحني في كسر البيت و نام، فلما أسحرت حرّكت رجلي، فإذا هي سالحة و انفتل الرّباط فحللته، ثم وثبت إلى قوسي و جعبي فأخذتهما ثم هممت بقتله فقلت: أنا [7] ضمن الرّجل، و أنا أخشى أن أطلب فأدرك و لم أقتل أحداً أحب إليّ، فوليت و مضيت. فو الله إني لفي الصّحراء أحدث نفسي إذا أنا به على ناقة يتبعني، فلما رأيته قد دنا مني جلست على قوسي و جعبي و أمنته، و أقبل فأناخ راحلته ثم عقلها، ثم أقبل إليّ، و عهده بي عهده، فقلت له: و بك، ما تريد منّي؟ فأقبل يشتمني، حتى إذا أمكنتني، وثبت عليه فما ألبثته أن ضربت به الأرض، و بركت عليه أربطه، فجعل يصيح: يا لثماله، لم أر كالسيوم. فجنّته إلى ناقته و ركبتها، فما نزلت حتى أحلته في الحيّ، و قلت: أغرّك منّي يا بن فعلة عنتي # عشية أن رابت عليّ روائبي [8]

و موقد نيران ثلاث فشرّها # و ألماها إذ قدتها غير عازب [9]

سليت سلاحى بائسا و شتمتني # فيا خير مسلوب و يا شترّ سالب[10]

[1]القفير: علم على الماء.

[2]الخلفات: جمع خلفه، و هي الناقة الحامل.

[3]العثنون: شعيرات طوال تحت حنك الناقة أو البعير.

[4]الذود: جماعة الإبل.

[5]انخنس: تأخر، أي التجأ إلى طرف الكثيب.

[6]يجمر: يشب كالجواد في القيد لأنه كان مصابا في رجليه.

[7]ضمن الرجل، يقال: جواد ضمن: متلكئ لا يسير إلا بالضرب.

[8]فعله: كناية عن اسم أم من يسبه. الروائب: جمع رائبة أي الحادثة

المؤذية.

[9]غير عازب: غير منصرف عنها، و في «المختار»: «و الأمها أو قدها

غير عازب». بدل «إذ قدها...» .

[10]في «المختار»: :

«سللت سلاحى...»

بدل

«سليت...»

- .

/

فإن أك لم أخضبك فيها فإثها # نيوب أساويد و شول عقارب[1]
و يا ركبة الحمراء شرّة ركبة # و كادت تكون شرّ ركبة راكب[2]

مخاتلة يظفر فيها

:

قال: و خرج تأبّط غازيا يريد الغارة على الأزدي في بعض ما كان يغير عليهم وحده، فنذرت به الأزدي، فأهملوا له إبلا، و أمروا ثلاثة من ذوي بأسهم: حاجز بن أبيّ، و سواد بن عمرو بن مالك، و عوف بن عبد الله، أن يتبعوه حتى ينام فيأخذوه أخذا، فكمنوا له مكمنًا، و أقبل تأبّط شرًا فبصر بالإبل، فطردها بعض يومه. ثم تركها و نهض في شعب لينظر: هل يطلبه أحد؟ فكمن القوم حين رأوه و لم يرههم، فلما لم ير أحدا في أثره عاود الإبل فشلتها[3] يومه و ليلته و الغد حتى أمسى، ثم عقلها، و صنع طعاما فأكله، و القوم ينظرون إليه في ظله، ثم هبّا مضطجعا على التار، ثم أخمدها و زحف على بطنه و معه قوسه، حتى دخل بين الإبل، و خشي أن يكون رآه أحد و هو لا يعلم، و يابى إلا الحذر و الأخذ بالحزم، فمكث ساعة و قد هبّا سهما على كبد قوسه، فلما أحسّوا نومه أقبلوا ثلاثتهم يؤمّون المهاد الذي رأوه هبّا، فإذا هو يرمي أحدهم فيقتله، و جال الآخران، و رمى آخر فقتله، و أفلت حاجز هاربا، و أخذ سلب الرجلين، و أطلق عقل الإبل و شلتها حتى جاء بها قومه، و قال تأبّط في ذلك: ترجّي نساء الأزدي طلعة ثابت # أسيرا و لم يدرين كيف حويلي[4]

/فإنّ الألى أوصيتم بين هارب # طريد و مسفوح الدماء قتيل[5]

وخذت بهم حتى إذا طال وخدمهم # و راب عليهم مضجعي و مقيلي[6]

مهدت لهم حتى إذا طاب روعهم # إلى المهدي خاتلت الضيا بختيل[7]

فلما أحسّوا النّوم جاءوا كأنهم # سباع أصابت هجمة بسليل[8]

فقلّدت سوّار بن عمرو بن مالك # بأسمر جسر القذّنين طميل[9]

فخرّ كأنّ الفيل ألقى جرانه # عليه برّبان القواء أسيل[10]

[1]فيها: الضمير يعود على السلاح، و هو يذكر و يؤنث. و الأساويد: الجيات. و شول العقارب: العقارب رافعة أذناها.

[2] يريد بالحمراء، الناقة التي كانت سببا في إصابة رجله. و في «المختار»: «لقد كدت ألقى بعدها غير راكب»

[3] شل الإبل: طردها.

[4] الحويل: الاحتيال و المهارة.

[5] في «المختار»: :

«فإن الألى أوصيتهم بين هارب»

[6] الوخد: ضرب من السير، و راب عليهم: التبس عليهم. و مقيلي: موضع راحتي عند القيلولة. و في «المختار»: «و طال عليهم مضجعي و مقيلي»

بدل .

«و راب عليهم»

[7] في بعض النسخ:

«طال روعهم»

و نرجح أنها «طاب» لا «طال». و الروع: القلب، كناية عن الاطمئنان، و خاتلت: خادعت، و في بعض النسخ أيضا: «الصبا» بدل «الضياء» و لعل المراد: أنه خدعهم نهارا، و المعنى الإجمالي للبيت غير خاف.

[8] السليل: وسط الوادي، أو جرى الماء فيه.

[9] الأسمر: يريد السهم، و الجسر: الضخم، و القذة: ريش السهم، و الطميل: العريض النصل، يريد أنه أضحى سوارا بسهم هذه صفته، و في «المختار»: «... جسر القذتين طويل»

[10] الجران: مقدم العنق، و القواء: الأرض القفر، و الأسيل: المستوى الأملس أي خر لا حراك به كان الفيل أنحى عليه بعنقه فوق أرض قفراء ملساء مخضلة بالماء، و كل هذه الصفات مما يزيد التصاقه بالأرض، بل غوصه فيها، و في «المختار»: «عليه بثرثار القواء...»

إلخ»

و ظل رعاع المتن من وقع حاجز # يخزّ و لو نههت غير قليل [1]
 لأبت كما آبا و لو كنت قارنا # لجئت و ما مالكت طول ذميلي [2]
 /فسرّك ندمانك لَمَّا تتابعا # و أنك لم ترجع بعوص قتيل [3]
 ستأتي إلى فهم غنيمة خلصة # و في الأزد نوح ويلة بعويل

فقال حاجز بن أبيّ الأزدي يجيبه:

سألت فلم تكلمني الرّسوم

و هي في أشعار الأزد.

فأجابه تأبّط شرّاً:

لقد قال الخليّ و قال خلّسا # بظهر الليل شدّ به العكوم [4]
 لطيف من سعاد عناك منها # مراعاة التّجوم و من يهيم [5]
 و تلك لئن عنيت بها رداح # من التّسوان منطقتها رخيّم [6]
 نياق القرط غرّاء التّنايا # وريداء الشّباب و نعم خيم [7]
 و لكن فات صاحب بطن رهو # و صاحبه فأنت به زعيم [8]
 أوأخذ خطّة فيها سواء # أبيت و ليل و اترها نؤوم [9]
 /ثارت به و ما اقترفت يداه # فضلّ لها بنا يوم غشوم [10]
 نحزّ رقابهم حتى نزعنا # و أنف الموت منخره رميم [11]

. و في هد، هج:

«عليه بريان الفؤاد أسيل»

(1-2) الرعاع: من لا فؤاد له، و حاجز اسم رجل: نههت: زجرت
 نفسك عن الفرار.

القارن: حامل النيل أو السيف، و الذميل: نوع من السير: يقول: و ظل
 الجبان بعد أن خر حاجز يقع من الخوف، و لو أنك نههت نفسك عن الفرار
 للحقت بزميلك، و لو كنت ذا سيف أو نبل لثبت، و لم تلجأ إلى الجري. و
 في «المختار»: «و لو نههت سوق قليل»

و كذا في هج.

[3]العوص: الشدة أو الداهية و نحوها. يقول: سرّك صاحبك حينما صرعا، و لم تصرع مثلهما. و في «المختار»: «و أنك لم ترجع بعرض قتيل»

(4-5) خلّسا: خلّسة و خفية، العكوم: ما تشد به الرجال، أي قال الخلي خفية لطيف سعاد في ليل شدت به الرجال: قال عنك: إنك من هواها تراقب النجوم سهرا و تتفكر في العشق و العاشقين.

[6]الرداح: الممتلئة الجسم، المنطق الرخيم: اللين.

[7]النياق: جمع ناقة، و المراد هنا بها كواكب مصطفة على هيئة الناقة؛ يشبه قرطها بالكواكب، غراء الثنايا: بيضاء الأسنان، وريداء الشباب: كذا في الأصول، و هو مصغر وريداء، و لم نجد وريداء في اللغة، فلعلها رويداء من قولهم: رويداء، بمعنى ترفق، أي رقيقة الشباب، الخيم: الصفات، أي نعمت صفاتها، و فاعل نعم هنا غير جار على الأصول النحوية المعروفة.

[8]انتقال من الغزل إلى الملاحاة، و لعله يريد بصاحبي بطن رهط من صرعهما، و يقول لمن يلاحيه: أنت بهما زعيم أي كفيل.

[9]يريد أنه يأخذ بخطة مستوية في الأخذ بالثأر، يبيت من أجلها يقظان، و يبيت الوائر عنها نائما.

[10]ضمير به يعود على قتيل يقصده، و ما اقترفت يداه أي لم يدفع عن نفسه، و ضمير لها يعود على الخطة، و اليوم الغشوم: الظلوم لكثرة من مات فيه.

[11]رميم: بال، و هو كناية عن أن الموت كان طوع أيديهم، لا يستعصى عليهم.

- و إن تقع التَّسور عليّ يوما # ف لحم المعتفي لحم كريم[1]
 و ذي رحم أحال الدَّهر عنه # فليس له لذي رحم حريم[2]
 أصاب الدَّهر آمن مروتيه # فألقاه المصاحب و الحميم[3]
 مددت له يمينا من جناحي # لها وفر و كافية رحوم[4]
 أواسيه على الأيام إني # إذا قعدت به اللُّؤما ألوم[5]

موت أخيه عمرو

:

ذكروا أنه لما انصرف الناس عن المستغلّ [6]؛ و هي سوق كانت العرب تجتمع بها، قال عمرو بن جابر بن سفيان أخو تابط شراً لمن حضر من قومه: لا و اللات و العزى لا أرجع حتى أغير على بني عتير من هذيل، و معه رجلان من قومه هو ثالثهما، فأطردوا إبلا لبني عتير فأتبعهم أرباب الإبل، فقال عمرو: أنا كاز على القوم و منهنهم [7] عنكما، فامضيا بالإبل. فكّر عليهم فنهتهم طويلا، فجرح في القوم رئيسا، و رماه رجل من بني عتير بسهم فقتله، فقالت بنو عتير: هذا عمرو بن جابر، ما تصنعون/أن [8] تلحقوا بأصحابه؟ أبعدها الله من إبل، فإننا نخشى أن نلحقهم فيقتل القوم منا، فيكونوا قد أخذوا الثأر، فرجعوا و لم يجاوزوه. و كانوا يظنون أن معه أناسا كثيرا، فقال تابط لَمَّا بلغه قتل أخيه: و حرّمت النساء و إن أحلت # بشور أو بمزج أو لصاب [9]

- حياتي أو أزور بني عتير # و كاهلها بجمع ذي ضباب [10]
 إذا وقعت لكعب أو خثيم # و سيار يسوغ لها شرابي [11]
 أظني ميّتا كمدا و لَمَّا # أطالع طلعة أهل الكراب [12]
 و دمت مسيرا أهدي رعيلا # أؤم سواد طود ذي نقاب [13]

[1]المعتفي: الرائد، أو طالب الفضل.

[2]أحال الدهر عنه: تحول عنه، أي أحنى عليه، فليس له لذي رحم حريم، أي لم تعد له حرمة عند أقاربه.

[3]المروة: جبل بمكة. يريد بآمن مروتيه آمن حصنيه.

[4]رحوم: كثير الرحمة، مثل رحيم، يريد أنه لم يقصر في مواساته.

[5]يريد: إذا تنكر له اللؤما-مقصود اللؤماء-و في هج «اللؤمي» .

[6]هج: «المسقل» بدل «المستغل» .

[7]نهنهم: زجرهم وردهم.

[8]ما تصنعون أن تلحقوا: بأن تلحقوا، يريد، لا فائدة باللحاق بهم.

[9]الشور: العسل، و المزج: نوع منه أيضا. و الصاب: شجر مر، و لعل المعنى: حرمت على نفسي النساء الحلال، سواء كانت عسلا أو صابا.

[10]الكاهل: مقدم الظهر مما يلي العنق، يريد: أبذل حياتي، أو أغزو عتيرا التي قتلت أخاه، و يتوغل في غزوها حتى يقف على كاهلها بجمع كثيف كأنه الغبار الذي يكتنفه ضباب.

[11]فاعل وقعت محذوف، تقديره المنية، أي إذا أوقعت بهؤلاء يحل لها شرابي، و ضمير لها يعود على حياتي.

[12]الكراب: مجاري الماء في الوادي.

[13]رعيلا، أي جماعة من الفرسان، يقول: أظنني ميتا إن لم أغزهم، و أظل أسوق إليهم الفرسان تخرق كل جبل تغطيه السحب.

فأجابه أنس بن حذيفة الهذلي:

لعلك أن تجيء بك المنايا # تساق لفتية منا غضاب

فتنزل في مكرهم صريعا # و تنزل طرقة الصَّع السَّغاب [1]

تأبَّط سواة و حملت شرًّا # لعلك أن تكون من المصاب [2]

أخوه السمع يثار لأخيه عمرو

:

ثم أن السَّمع بن جابر أخا تأبَّط شرًّا خرج في صعاليك من قومه يريد الغارة على بني عتير ليثار بأخيه عمرو بن جابر، حتى إذا كان ببلاد هذيل لقي راعيا لهم، فسأله عنهم، فأخبره بأهل بيت من عتير كثير مالهم، فبيتهم، فلم يفلت منهم مخبر، و استاقوا أموالهم، فقال في ذلك السَّمع بن جابر: بأعلى ذى جماجم أهل دار # إذا طعننت عشيرتهم أقاموا [3]

طرقتهم بفتيان كرام # مساعير إذا حمي المقام

متى ما أدع من فهم تجيني # و عدوان الحماة لهم نظام [4]

إصابته في غارة على الأزد

:

ذكروا أن تأبَّط شرًّا خرج و معه مرّة بن خليف يريدان الغارة على الأزد، و قد جعلا الهداية بينهما، فلما كانت هداية مرّة نعس، فجار عن الطريق، و مضيا حتى وقعا بين جبال ليس فيها جبل متقارب، و إذا فيها مياه يصيح الطير عليها؛ و إذا البيض و الفراخ بظهور الأكم، فقال تأبَّط شرًّا: هلكننا و اللات يا مرّة، ما وطئ هذا المكان إنس قبلنا، و لو وطئته إنس ما باضت الطير بالأرض، فاختر أبة هاتين القنّتين شئت، و هما أطول شيء يريان من الجبال، فأصعد إحداهما و تصعد أنت الأخرى، فإن رأيت الحياة فألح بالثوب، و إن رأيت و الموت فألح بالسيف، فإني فاعل مثل ذلك، فأقاما يومين. ثم إن تأبَّط شرًّا ألح بالثوب، و انحدرنا حتى التقيا في سفح الجبل، فقال مرّة: ما رأيت يا ثابت؟ قال: دخانا أو جرادا. قال مرّة: إنك إن جزعت منه هلكننا، فقال تأبَّط شرًّا: أما أنا فأبّي سأخرم بك من حيث تهدي الريح، فمكثا بذلك يومين و ليلتين، ثم تبعنا الصّوت، فقال تأبَّط شرًّا: النعم و النَّاس. أما و الله لئن عرفنا لنقتلنّ، و لئن أغرنا/لندركنّ، فأت الحيّ من طرف و أنا من الآخر، ثم كن ضيفا ثلاثا، فإن لم يرجع إليك قلبك فلا رجع، ثم أغر على ما قبلك إذا تدلت الشمس فكانت قدر قامة، و موعدك الطريق. ففعلا، حتى إذا كان

اليوم الثالث[5]أغار كل واحد منهما على ما يليه، فاستاقا النعم و الغنم، و طردا يوما و ليلة طردا عنيفا حتى أمسيا الليلة الثانية[5]دخلا شعبا، فنجرا قلوّصا، فبينا هما يشويان إذا سمعا حسّنا على باب الشّعب، فقال تَأبَط: الطّلب يا مرّة، [1]مكرهم: موضع الكر، أي الميدان. السغاب: الجياع.

[2]السوأة: العورة، و في البيت التفاف من الغيبة إلى الخطاب، و قوله من المصاب أي من النفر المصاب، و قد وردت كذلك في الأصول، و لعلها مع المصاب، و يعني بالمصاب أخاه، أي لعلك تلحق به.

[3]بأعلى ذى جماجم: يريد الجبل الذي ينزلون به.

[4]متى ما أدع: متى ما أدعهم، و عدوان الحماة لهم نظام: جملة حالية، أي عداوة الأبطال نظامهم، و نرجح أن الحماة تحريف الحياة، أي يحيونني و هم يكرهون الحياة و يحبون الموت. و في «المختار»: متى ما أدع في فهم بدل «من فهم» و فيه: «و عدوان الكرام لهم نظام» بدل «و عدوان الحماة» .

(5-5) ساقط من نسخ «الأغاني» و الزيادة عن «المختار» .

إن ثبت فلم يدخل فهم مجيزون، و إن دخل فهو الطلب، فلم يلبث أن سمع الحسن يدخل، فقال مرّة: هلكنّا، و وضع تَأْبَطُ شراً يده على عضد مرّة، فإذا هي ترعد، فقال: ما أرعدت عضدك إلا من قبل أمك الوابشية[1] من هذيل، خذ بظهري، فإن نجوت نجوت، و إن قتلت و قيتك. فلما دنا القوم أخذ مرّة بظهر تَأْبَطُ، و حمل تَأْبَطُ فقتل رجلاً، و رموه بسهم فأعلقوه فيه؛ و أفلتنا جميعاً بأنفسهما، فلما أمنا و كان من آخر الليل، قال مرّة: ما رأيت كالبيوم غنيمة أخذت على حين أشرفنا على أهلنا، و عض[2] مرّة عضده، و كان الحي الذين أغاروا عليهم بجيلة، و أتى تَأْبَطُ امرأته، فلما رأيت جراحته ولولت ، فقال تَأْبَطُ في ذلك: و بالشَّعب إذ سدّت بجيلة فجّه # و من خلفه هضب صغار و جامل[3]

- شدت لنفس المرء مرّة حزمه # و قد نصبت دون النّجاء الجائل[4]
 و قلت له: كن خلف ظهري فإنني # سأفديك و انظر بعد ما أنت فاعل[5]
 /فعاذ بحدّ السيف صاحب أمرهم # و خلّوا عن الشيء الذي لم يحاولوا[6]
 و أخطأهم قتلي و رقت صاحبي # على الليل لم تؤخذ عليه المخائل[7]
 و اخطأ غنم الحيّ مرّة بعد ما # حوته إليه كفه و الأنامل
 بعض على أطرافه كيف زوله # و دون الملا سهل من الأرض مائل[8]
 فقلت له: هذي بتلك و قد يرى # لها ثمننا من نفسه ما يزاول[9]
 تولول سعدى أن أتيت مجرّحاً # إليها و قد منّت عليّ المقاتل[10]
 و كائن أتاها هاربا قبل هذه # و من غانم فأين منك الولاول[11]

يثبت مع قلة من أصحابه فيظفرون

:

فلما انقضت الأشهر الحرم خرج تَأْبَطُ و المسيّب بن كلاب في ستة نفر يريدون الغارة عليّ بجيلة، و الأخذ بثأر صاحبهم عمرو بن كلاب و سعد بن الأشرس. فخرج تَأْبَطُ و المسيّب بن كلاب و عامر بن الأخنس و عمرو بن بَرّاق [1] في هج: «الوالبية» بدل «الوابشية»، و في هد «الوانسية». و في «المختار»: «الوائلية» .

[2] في هد: «و عصر عضده» .

[3]الجامل: الجمال، و في «المختار»

«هضب طولال و جامل»

[4] في «المختار» :

«شددت لأنجي المرء مرة عزمة»

[5] في «المختار» :

«ما أنا فاعل»

[6] يريد أنهم استنقذوا السلب، و جرحوه، و اكتفوا بذلك، و لم يطلبوا ما لا سبيل إليه.

[7] المخاتل: المخادعات، يعني لم يحيطوا بصاحبه، و لم يؤذوه، و في بعض الأصول: على بدل عليه. و في «المختار» : «...
و نجيت صاحبي» بدل «و رفعت صاحبي» .

[8] الزول: مصدر زال بمعنى ذهب، و الملا: السير الشديد، أي كيف يذهب الغنم منه، و قد كان هناك مجال للفرار؟ و الضمير في زوله يعود على الغنم. و في «المختار» : «كيف فاته» .

[9] هذي بتلك: نجاتك بخسران الغنيمة، فاعل يرى ضمير صاحبه، و الضمير في لها يعود على الغنيمة أي و قد يرى صاحبي للغنيمة من نفسه غنا، لا يزاول بمعنى لا يحاول، و لا يقدر.

[10] منت على المقاتل: أخطأنتي المقاتل، و منت على بالحياة.

[11] يريد: كم عاد إليها قبل اليوم هاربا من الموت، أو ظافرا فابعدني عنك الولولة و النواح.

و مَرَّة بن خليف و الشَّنْفري بن مالك، و السَّمع و كعب حدا راينا جابر أخوا تَأْبَط. فمضوا حتى أغاروا على العوص، فقتلوا منهم ثلاثة نفر: فارسين و راجلا، و أطرَدوا لهم إبلا، و أخذوا منهم [1] امرأتين، فمضوا بما غنموا، حتى إذا كانوا على يوم و ليلة من قومهم عرضت لهم خثعم في نحو من أربعين رجلا، فيهم أبيّ بن جابر الخثعميّ، و هو رئيس/القوم، فقال تَأْبَط: يا قوم، لا تسلموا لهم ما في أيديكم حتى تبلوا عذرا، و قال عمر بن الأخنس: عليكم بصدق الصُّراب و قد أدركتم بثأركم، و قال المسيّب: اصدقوا القوم الحملة، و إيّاكم و الفشل، و قال عمرو بن بَرّاق: ابدلوا مهجكم ساعة، فإن النُّصر عند الصُّبر. و قال الشَّنْفري:

نحن الصُّعاليك الحماة البُرل # إذا لقينا لا نرى نهلل [2]

و قال مَرَّة بن خليف:

يا ثابت الخير و يا بن الأخنس # و يا بن بَرّاق الكريم الأشوس [3]

و الشَّنْفري عند حيود الأنفس # أنا ابن حامى السُّرب في المغمّس [4]

نحن مساعير الحروب الصُّرس [5]

و قال كعب حدار أخو تَأْبَط:

يا قوم أمّا إذ لقيتم فاصبروا # و لا تخيموا جزعا فتدبروا [6]

و قال السمع أخو تَأْبَط:

يا قوم كونوا عندها أحرارا # لا تسلموا العون و لا البكارا [7]

و لا القناعيس و لا العشارا # لخثعم و قد دعوا غرارا [8]

ساقوهم الموت معا أحرارا # و افتخروا الدّهر بها افتخارا

/فلما سمع تَأْبَط مقالتهم قال: بأبي أنتم و أمي، نعم الحماة إذا جدّ الجدّ، أما إذا أجمع رأيكم على قتال القوم فاحملوا و لا تتفرّقوا، فإن القوم أكثر منكم، فحملوا عليهم فقتلوا منهم، ثم كَرّوا الثانية فقتلوا، ثم كَرّوا الثالثة فقتلوا فانهزمت خثعم و تفرقت في رعوس الجبال، و مضى تَأْبَط و أصحابه بما غنموا و أسلاب من قتلوا، فقال تَأْبَط من ذلك: جزى الله فتيانا على العوص أشرفت # سيوفهم تحت العجاجة بالدم

[1] في س: «و أخذوا منهم أفراسا» .

[2]البزل: جمع بازل، و هو البعير طلع نابه، و ذلك بعد ثمان سنين أو تسع. و في هج، هد، ف «البسل» .

[3]منع براق من الصرف للضرورة، و الأشوس: من ينظر بمؤخر عينه تكبرا.

[4]المغمس: الأمر الشديد البالغ الشدة، و لعلها تحريف الخمس بمعنى الجيش الخميس.

[5]الحروب الضرس: التي تطحن الأبطال بضرسها، و في هد، ف: «نحن مساعير الزبون المضرس» .

[6]خام يخيم: نكص و جبن.

[7]العون: جمع عوان، و هي من البقر و الخيل التي تتجت بعد بطنها البكر.

[8]القنعاس من الإبل: العظيم و جمعه قناعيس، و العشار جمع عشراء و هي الناقة الحامل في نحو ثمانية أو عشرة أشهر، و قد دعوا غرارا أي دعوا شفار سيوفهم.

الأبيات...

و قال الشَّنْفري في ذلك: دعيني و قولي بعد ما شئت إنني # سيفدي
بنفسي مرّة فأعيب

الأبيات...

و قال الشَّنْفري أيضا:

- ألا هل أتى عتّا سعاد و دونها # مهامه بيد تعتلي بالصّعالك [1]
بأثا صبحنا القوم في حرّ دارهم # حمام المنيا بالسّيوف البواتك [2]
قتلنا بعمر و منهم خير فارس # يزيد و سعاد، و ابن عوف بمالك [3]
ظللنا نفريّ بالسّيوف رعوسهم # و نرشقهم بالثبل بين الدّكادك [4]

ينهزم أمام النساء

:

قال: و خرج تأبط في سرية من قومه، فيهم عمرو بن براق، و مرّة بن خليف، و المسيّب بن كلاب، و عامر بن الأخنس، و هو رأس القوم، و كعب حدار، و ريش كعب، و السّمع و شريس بنو جابر إخوة تأبط شرّا، و سعد و مالك ابنا الأقرع، حتى مروا ببني نفاثة بن الدّيل و هم يريدون الغارة عليهم، فباتوا في جبل مطلّ عليهم، فلما كان في وجه السحر أخذ عامر بن الأخنس قوسه، فوجد و ترها مسترخيا، فجعل يوترها و يقول له تأبط: بعض حطيظ و ترك [5] يا عامر، و سمعه شيخ من بني نفاثة، فقال لبنات له: أنصتن فهذه و الله غارة لبني ليث-و كان الذي بينهم يومئذ متفاقما في قتل حميصة بن قيس أخي بلعاء، و كانوا أصابوه خطأ-و كانت بنو نفاثة في غزوة و الحيّ خلوف و ليس عندهم غير أشياخ و غلمان لا طباخ [6] بهم، فقالت امرأة منهم: اجهروا الكلام، و البسوا السّلاح، فإن لنا عدّة، فواللات ما هم إلا تأبط و أصحابه. فبرزن مع نوفل و أصحابه، فلما بصر بهم قال: انصرفوا فإن القوم قد نذروا بكم، فأبوا عليه إلا الغارة فسلب تأبط سيفه و قال: لئن أغرتم عليهم لأتكنن على سيفي حتى أنفذه من ظهري، فانصرفوا و لا يحسبون إلا أن النساء رجال، حتى مروا بإبل البلعاء بن قيس بقرب المنازل فأطردوها، فلحقهم غلام من بني جندع بن ليث؟ فقال: يا عامر بن الأخنس، أتهاب نساء بني نفاثة و تغير على رجال بني ليث؟ هذه و الله إبل بلعاء بن قيس. فقال له عامر: أو كان رجالهم خلوقا؟ قال: نعم، قال: أقرىء بلعاء مّني

السّلام، و أخبره برّدّي إبله، و أعلمه أنّي قد حبست منها بكرا لأصحابي، فإنّا قد أرمّلنا[7]، فقال الغلام: لئن حبست منها هلبة[8] لأعلمنّه، و لا أطرّد منها بغيرا أبدا. فحمل عليه تأبّط فقتله، و مضوا بالإبل إلى قومهم؛ فقال في ذلك تأبّط: [1]مهامة: جمع مهمة، و هو المفازة البعيدة، أو البلد القفر.

[2]في هد:

«في وسط دارهم»

، و في ف:

«في عقر دارهم»

، و البواتك: القواطع.

[3]أي قتلوا يزيد بعمر و سعدا و ابن عوف بمالك.

[4]الدكادك: جمع دكدك، و هو ما غلظ من الأرض.

[5]بعض حطييط و ترك: خفض من صوت إيتار القوس خشية أن

يسمعه.

[6]الطباخ: الإحكام و القوة.

[7]أرمل القوم: نفذ زادهم.

[8]الهلبة: شعرة من شعر الذئب. -

ألا عجب الفتیان من أمّ مالك # تقول: أراك اليوم أشعث أغبراً
تبوعاً لآثار السّرّيّة بعد ما # رأيتك براق المفارق أيسراً[1]
فقلت لها: يومان يوم إقامة # أهزّ به غصنا من البان أخضراً
و يوم أهزّ السّيف في جيد أعيد # له نسوة لم تلق مثلي أنكراً[2]
يخفن عليه و هو ينزع نفسه # لقد كنت أباء الظلامة قسوراً[3]
و قد صحت في آثار حوم كأنها # عذارى عقيل أو بكارة حميراً[4]
أبعد النّفائيبين آمل طرقة # و آسى على شيء إذا هو أدبراً[5]
أكفكف عنهم صحبتي و إخالهم # من الذلّ يعرا بالثّلاعة أعفرأ[6]
فلو نالت الكفّان أصحاب نوفل # بمهمة من بطن طرء فعرعراً[7]
و لما أبى اللبثيّ إلا تهكّمأ # بعرضي و كان العرض عرضي أو فرا[8]
فقلت له: حقّ الثناء فإنني # سأذهب حتى لم أجد متأخراً[9]
و لما رأيت الجهل زاد لجاة # يقول فلا يألوك أن تتشوّراً[10]
دنوت له حتى كأنّ قميصه # تشرّب من نضح الأخادع عصفراً[11]
فمن مبلغ لبث بن بكر بأننا # تركنا أخاهم يوم قرن معقراً[12]

قال: غزا تأبط بني نفاعة بن الدّيل بن بكر بن عبد مناة بن كنانة و هم
خلف، ليس في دارهم رجل، و كان الخبر قد أتى تأبط، فأشرف فوق جبل
ينظر إلى الحيّ و هم أسفل منه، فرأته امرأة فطرح نفسه، فعلمت المرأة
أنه تأبط، و كانت عاقلة، فأمرت النّساء فلبسن لبسة الرجال، ثم خرجن
كأنهن يطلبن الضّالة، و كان أصحابه يتفلتون و يقولون: أغز، و إنما كان في
سرية من بين السّنة إلى السبعة، فأبى أن يدعهم، و خرج يريد هذيل، و
انصرف عن النّفائيبين، فبينا هو يتردد في تلك الجبال إذ لقي حليفاً له من
هذيل، فقال له: العجب لك يا تأبط، قال: و ما هو؟ [1] الأيسر: اللين السهل.

[2] في ف: «في جيد شادن» .

[3] القسور: الليث.

[4] الحوم: القطيع من الإبل، يشبهه بالعذارى و الأبقار لجمال إبله.

[5] آمل طرقة: اتجه إلى طريق، يقرع نفسه على خوفه من نساء

النّفائيبين.

[6]اليعر: الجدي، و التلاعة: ماء لبني كنانة، و الأعفر: ما خالط بياضه حمرة، يقول: خفتهم، و لا أخالهم بعد معرفة خديعتهم إلا في ذلة الجدي الأعفر.

[7]لو للتمني. و ظراء، و عرعر: مكانان.

[8]الليشي، يريد به الغلام الليشي الذي منعه شعرة من الإبل.

[9]حق الثناء: لعل ذلك من باب التهكم بالغلام، أو المراد بالثناء الذم، لأن الثناء يطلق على الذم كما يطلق على المدح.

[10]تشور الرجل: فعل فعلا قبيحا أي أن الغلام لم يقصر في فعل القبيح.

[11]الأخدع: عرق متصل بالوريد، و العصفر: نبت أحمر، كناية عن سيلان دمه على قميصه.

[12]قرن: مكان.

قال: إن رجال بني نفاثة كانوا خلوا فمكرت بك امرأة، و أنهم قد رجعوا.

ففي ذلك يقول:

ألا عجب الفتیان من أم مالك # تقول: لقد أصبحت أشعث أغبرا

و ذكر باقي الأبيات المتقدّمة.

و قال غيره: لا بل قال هذه القصيدة في عامر بن الأخنس الفهمي، و كان من حديث عامر بن الأخنس أنه غزا في نفر، بضعة و عشرين رجلا، فيهم عامر بن الأخنس، و كان سيّدا فيهم، و كان إذا خرج في غزو رأسهم، و كان يقال له سيّد الصعاليك، فخرج بهم حتى باتوا على بني نفاثة بن عدي بن الدّيل ممسين، ينتظرون أن ينام الحيّ، حتى إذا كان في سواد الليل مر بهم راع من الحي قد أغدر، فمعه غديرته [1] يسوقها/فبصر بهم و بمكانهم، فخلى الغديرة و تبع الصّراء ضراء [2] الوادي، حتى جاء الحي فأخبرهم بمكان القوم و حيث رأيهم، فقاموا فاختاروا: فتیان الحي فسلحوهم، و أقبلوا نحوهم، حتى إذا دنوا منهم قال رجل من الثّقائيين: و الله ما قوسي بموترة [3]. فقالوا: فأوتر قوسك، فوضع قوسه فأوترها، فقال تأبّط لأصحابه: اسكتوا، و استمع فقال: أتيتم و الله، قالوا: و ما ذلك؟ قال: أنا و الله أسمع حطيط وتر قوس. قالوا: و الله ما نسمع شيئا، قال: بلى و الله إني لأسمعه، يا قوم التّجاء، قالوا: لا و الله ما سمعت شيئا، فوثب فانطلق و تركهم، و وثب معه نفر، و بيّتهم [4] بنو نفاثة فلم يفلت منهم إنسان، و خرج هو و أصحابه الذين انطلقوا معه، و قتل تلك الليلة عامر بن الأخنس.

قال ابن عمير: و سألت أهل الحجاز عن عامر بن الأخنس، فزعموا أنه مات على فراشه.

فلما رجع تأبّط قالت له امرأته: تركت أصحابك، فقال حينئذ: ألا عجب الفتیان من أم مالك # تقول: لقد أصبحت أشعث أغبرا

مصرعه على يد غلام دون المحتمل

:

فلما رجع تأبّط و بلغه ما لقي أصحابه قال: و الله ما يمسّ رأسي غسل و لا دهن حتى أثار بهم. فخرج في نفر من قومه، حتى عرض لهم بيت من هذيل بين صوي [5] جبل، فقال: اغنموا هذا البيت أولا، قالوا: لا و الله، ما

لنا فيه أرب، و لئن كانت/فيه غنيمة ما نستطيع أن نسوقها. فقال: إني أتفاءل أن أنزل، و وقف، و أتت به ضبع من يساره، فكرهها، و عاف[6] على غير الذي رأى، فقال: أبشري أشبعك من القوم غدا. فقال له أصحابه: ويحك، انطلق، فوالله ما نرى أن نقيم عليها. قال: لا و الله لا أريم حتى أصبح. و أتت به ضبع عن يساره فقال: أشبعك من القوم غدا. فقال أحد القوم: و الله إني أرى هاتين[7] غدا بك، فقال: لا و الله [1]الغديرة: الناقة يتركها الراعي.

[2]الضراء: الشجر الملتف في الوادي، أو أرض مستوية تأويها السباع، و بها نبد من الشجر.

[3]أي يسمع صوت وضع الوتر في القوس.

[4]بيتوهم: دهموهم ليلا.

[5]الصوى: جمع صوة، و هي علامة يهتدى بها في الطريق، أو ما غلظ و ارتفع من الأرض.

[6]يقال: عاف الطير: زجرها بمعنى اعتبر بأسمائها و مساقطها و أنواعها فسعد أو تشاءم، و المراد أنه تطير من مرور الضبع عن يساره.

[7]لعل المراد: إني أرى هاتين ذاهبتين غدا بك، أو تكون كلمة «غدا» تحريف «غدرتا» .

لا أريم[1]حتى أصبح. فبات، حتى إذا كان في وجه الصبح، و قد رأى أهل البيت و عدّهم على النار، و أبصر سواد غلام من القوم دون المحتلم، و غدوا على القوم، فقتلوا شيخا و عجوزا، و حازوا جاريتين و إبلا. ثم قال تأبّط: إني قد رأيت معهم غلاما؛ فأين الغلام الذي كان معهم؟ فأبصر أثره فاتبّعه، فقال له أصحابه: ويلك دعه فإنك لا تريد منه شيئا، فاتبّعه، و استتر الغلام بقتادة[2]إلى جنب صخرة، و أقبل تأبّط يقصّه[3]و فوّق الغلام سهما حين رأى أنه لا ينجيه شيء، و أمهله حتى إذا دنا منه قفز قفزة، فوثب على الصخرة، و أرسل السهم، فلم يسمع تأبّط إلا الحبضة[4]فرغ رأسه، فانتظم السهم قلبه، و أقبل نحوه و هو يقول: لا بأس، فقال الغلام: لا بأس، و الله لقد وضعت حيث تكره، و غشيت تأبّط بالسيف و جعل الغلام يلوذ بالقتادة، و يضربها تأبّط بحشاشته[5]، فيأخذ ما أصابت الصّربة منها، حتى خلس إليه، فقتله، ثم نزل إلى/أصحابه يجر رجله، فلما رأوه وثبوا، و لم يدروا ما أصابه، فقالوا: مالك؟ فلم ينطق، و مات في أيديهم، فانطلقوا و تركوه، فجعل لا يأكل منه سبع و لا طائر إلا مات، فاحتملته هذيل، فألقته في غار يقال له غار رحمان، فقالت ربيعة أخته و هي يومئذ متزوجة في بني الدّيل: نعم الفتى غادرتم برحمان # ثابت بن جابر بن سفيان[6]

و قال مرّة بن خليف يرثيه:

إن العزيمة و العرّاء قد ثوبا # أكفان ميت غدا في غار رحمان[7]

إلا يكن كرسف كفتت جيّده # و لا يكن كفن من ثوب كتّان[8]

فإن حرّا من الأنساب ألبسه # ريش الندى، و التّدى من خير أكفان[9]

و ليلة رأس أفعها إلى حجر # و يوم أور من الجوزاء ربّان[10]

أمضيت أول رهط عند آخره # في إثر عادية أو إثر فتیان[11]

و قالت أم تأبّط ترثيه:

و ابناه و ابن اللّيل[12]

[1] لا أريم: لا أنتقل.

[2]القتاد: شجر معروف.

[3]يقصه: يقتفي أثره.

[4]الحبضة: نبضة السهم عند انطلاقه.

[5]الحشاشة: بقية الروح في الجريح أو المريض.

[6]رخمان، بضم الراء كما في «القاموس» ، فقد ذكرها، و أشار إلى أن تأبط شرا قتل فيها، و في ف: «رجمان» . و البيت من السريع، و ثابت بدل من الفتى، و نوّن للضرورة.

[7]العزاء: السنة الشديدة، و لا مكان لها هنا، فلعله يعني الغراء مؤنث الأغر، أي إن العزيمة و النفس الغراء قد ثويا... إلخ.

(8-9) الكرسف: القطن: يقول: إن لم تكفن في قطن أو كتان فقد كفنت في ثياب المجد و الكرم.

[10]رأس أفاعها إلى حجر: لعله كناية عن عدم انزوائها في حجرها، فهي متهيئة للدغ، و أور: جمع أوار بمعنى الحر الشديد، و الجوزاء: برج في السماء، و لعلها كانت رمزا لاشتداد الحرارة عند العرب.

[11]الرھط: يراد به هنا اللقم أي تناول الطعام: يقول: رب ليلة لا تنام أفاعيها، و يوم شديد الحرارة قضيته قانصا في إثر وحوش عادية أو غازيا في إثر فتیان، و أنت طاوي البطن.

[12]انظر تعليقنا على هذا الكلام عند ما يكرره المؤلف بعد قليل ص

مقته

:

قال أبو عمر الشيباني: لا بل كان من شأن تأبط و هو ثابت بن جابر بن سفيان، و كان جريئاً شاعراً فاتكاً أنه خرج من أهله بغارة من قومه، يريدون بني صاهلة بن كاهل بن الحارث بن سعيد بن هذيل، و ذلك في عقب شهر حرام ممّا كان يحرم أهل الجاهلية، حتى هبط صدر آدم [1]، و خفض عن جماعة بني صاهلة، فاستقبل الثلاثة، فوجد بها داراً من بني نفاثة بن عدي، ليس فيها إلا النساء، غير رجل واحد، فبصر الرجل بتأبط و خشية، و ذلك في الصّحى، فقام الرجل إلى النساء، فأمرهنّ فجعلن رءوسهن جمما و جعلن دروعهن أردية، و أخذن من بيوتهن عمدا كهيئة السيوف فجعلن لها حمائل، ثم تأبطنها ثم نهض و نهضن معه يغريهن كما يغري القوم، و أمرهن أن لا يبرزن خدّاً، و جعل هو يبرز للقوم ليروه، و طفق يغري و يصيح على القوم، حتى أفرغ تأبط شرّاً و أصحابه و هو على ذلك يغري [2]. في بقية ليلة أو ليلتين من الشهر الحرام، فنهضوا في شعب يقال له شعب وشل [3]، و تأبط ينهض في الشعب مع أصحابه، ثم يقف في آخرهم، ثم يقول: يا قوم لكأنما يطردكم النساء، فيصيح عليه أصحابه فيقولون: انج أدركك القوم، و تأبى نفسه، فلم يزل به أصحابه حتى مضى معهم فقال تأبط في ذلك: أبعد الثفائيين أزر طائراً # و آسى على شيء إذا هو أدبرا [4]

أنه رجلي عنهم و إخالهم # من الدّلّ يعرا بالثلاثة أعفرا

و لو نالت الكفّان أصحاب نوفل # بهممة من بين ظرء و عرعا

/قال: ثم طلّعوا الصدر حين أصبحوا فوجدوا أهل بيت شادّ من بني قريم ذنب نمار [5] فضل يراقبهم حتى أمسوا، و ذلك البيت لساعدة بن سفيان أحد بني حارثة بن قريم، فحصرهم تأبط و أصحابه حتى أمسوا. قال: و قد كانت قالت وليدة لساعدة: إني قد رأيت اليوم القوم أو النفر بهذا الجبل، فبات الشيخ حذراً قائماً بسيفه بساحة أهله. و انتظر تأبط و أصحابه أن يغفل الشيخ، و ذلك آخر ليلة من الشهر الحرام فلما خشوا أن يفضحهم الصبح، و لم يقدرُوا على غرّة مشوا إليه و غرّوه ببقية الشهر الحرام، و أعطوه من مواثيقهم ما أقنعه، و شكوا إليه الجوع، فلما اطمان إليهم وثبوا عليه فقتلوه و ابنا له صغيراً حين مشى. قال: و مضى تأبط شراً إلى ابن له ذي ذؤابة، كان أبوه قد أمره فارتبأ [6] من وراء ماله، يقال له: سفيان بن ساعدة. فأقبل إليه تأبط شراً مستتراً بمجته، فلما خشى الغلام أن يناله تأبط

بسيفه و ليس مع الغلام سيف، و هو مفوّق سهمًا، رمى مجنّ تآبط بحجر، فظن تآبط أنه قد أرسل سهمه، فرمى مجنّة عن يده، و مشى إليه فأرسل الغلام سهمه فلم يخط لبّته حتى خرج منه السهم، و وقع في البطحاء حذو القوم، و أبوه ممسك، فقال أبو الغلام[7] حين وقع السهم: أ خاطئة سفيان؟ [1]أدم: اسم موضع.

[2]أي و هو مع توجسه يغري أصحابه بالاقترام.

[3]وشل: اسم جبل، و اسم أيضا لموضعين.

[4]تقدمت أيضا هذه الأبيات في الترجمة نفسها.

[5]نمار ككتاب: اسم جبل، و كغراب: اسم واد، و ذنب ظرف مكان بمعنى أسفل، أو لعلها محرفة عن جنب.

[6]ارتبأ: اختبأ وراء ربيئة؛ هضبة مرتفعة.

[7]تقدم أن أبا الغلام قد قتل، فلعل المراد أنه قال و هو يحتضر، أ خاطئة سفيان؟: استفهام عن الرمية.

فحرد[1]القوم، فذلك حين قتلوا الشيخ و ابنه الصغير، و مات تأبط.
فقال أمّه-و كانت امرأة من بني القين بن جسر بن قضاة-ترثيه: /

قتيل ما قتيل بني قريم # إذا ضنت جمادى بالقطار[2]

فتى فهم جميعا غادروه # مقيما بالحريضة من نمار[3]

و قالت أمّه ترثيه[أيضا]:

ويل أمّ طرف غادروا برحمان # بثابت بن جابر بن سفيان[4]

يجدلّ القرن و يروي التّدمان # ذو مآقط يحمي وراء الإخوان[5]

و قالت ترثيه أيضا:

و ابناه و ابن اللّيل، ليس بزّميل، شروب للقليل، رقود باللّيل، و
واد[6]ذي هول، أجزت باللّيل، تضرب بالدّيل، برجل[7]كالتّول.

قال: و كان تأبط شرا يقول قبل ذلك:

و لقد علمت لتعدونّ # م عليّ شتم كالحساكل[8]

/ياكلن أوصالا و لحد # ما كالتشكاعي غير جاذل[9]

يا طير كلن فإنني # سمّ لكنّ و ذو دغاؤل[10]

و قال قبل موته:

لعلي ميّت كمدا و لمّا # أطالع أهل ضيم فالكراب[11]

و إن لم آت جمع بني خثيم # و كاهلها برجل كالصّباب

[1]حرد القوم: اعتزلوا.

[2]قتيل ما: هذا قتيل عظيم، كريم حين تضنّ جمادى بالمطر، و يبدو
أن شهر جمادى في ذلك الوقت كان شهر محل.

[3]الحريضة: موضع في بلاد هذيل، نمار ككتاب: اسم جبل، و كغراب:
اسم واد.

[4]تقدم هذا البيت برواية أخرى، و ويل أم فلان: عبارة يقصد بها
التعجب أو الترحم.

[5]المأقط: مكان الحرب، تريد أنه فارس ميدان، و مفعول يحمي
محذوف، أي يحمي الظهور، و هذه رواية هد، وهج، و في بعض الأصول

«الأضوان» .

[6] اختلفت الأصول في رواية هذه الفقرات كل الاختلاف، و قد حاولنا إخضاعها لبعض ضروب الرجز فلم يمكن، فلنعتبرها مجرد كلام مسجوع، الزميل: الجبان، القيل: شراب اللبن في القيلولة، تريد أنه لا يهدأ نهارة أو ليلا.

[7] الرجل: جمع راجل، و الثول: جماعة النحل: تقول له: كم واد مخوف، جزته ليلا، تضرب بذيلك، كما يضرب الجواد، و معك أصحابك في عدد النحل.

[8] تضاربت الأصول كل تضارب في اللفظين الأخيرين من هذا البيت، و الذي نختاره «شتم كالحساكل» . الشتم: جمع شتيم، و هو الأسد الكريه المنظر، و الحساكل: جمع حسكل كزبرج؛ و هو ما تطاير من شرر الحديد المحمى.

[9] الشكاعي: جمع شكاعة كثمامة: شوكة تملأ فم البعير، غير الجاذل، من الجذل، و هو ما عظم من أصول الشجر، كناية عن عدم السمن.

[10] الدغاول: الدواهي، و هذا البيت و ما قبله كناية عن أن لحمه مر.

[11] تقدم هذا البيت و ما بعده في الترجمة نفسها.

إذا وقعت بكعب أو قريم # و سيار فيا سوغ الشراب[1]

فأجابه شاعر من بني قريم:

تأبّط سواة و حملت شرّا # لعلك أن تكون من المصاب[2]

لعلك أن تجيء بك المنايا # تساق لفتية منا غضاب

فتصبح في مكرهم صريعا # و تصبح طرفة الصّعب السّغاب

فزلتهم تهريون لو كرهتم # تسوقون الحرائم بالنقاب[3]

/و زال بأرضكم متّا غلام # طليعة فتية غلب الرقاب[4]

و نذكرها هنا بعد أخبار تأبّط شرّا أخبار صاحبيه عمرو بن براق و الشنفرى و نبدأ بما يعنى فيه من شعريهما، و نتبعه بالأخبار.

فأما عمرو بن براق فمما يعنى فيه من شعره قوله:

صوت

متى تجمع القلب الذكيّ و صارما # و أنفا حمياّ تجتنبك المظالم[5]

و كنت إذا قوم غزوني غزوتهم # فهل أنا في ذا يا لهمدان ظالم!

كذبتهم و بيت الله لا تأخذونها # مراغمة ما دام للسيف قائم[6]

و لا صلح حتى تعثر الخيل بالقنا # و تضرب بالبيض الرّفاق الجمّام

عروضه من الطويل، الشعر لابن براق و قيل ابن براق. و الغناء لمحمد بن إسحاق بن عمرو بن بزيع ثقيل أول مطلق في مجرى الوسطى عن الهشامي.

[1] فاعل وقعت محذوف تقديره الواقعة و نحوها، أي إذا ثار من هذين الحيين ساغ له الشراب الذي حرمه على نفسه.

[2] تقدمت الأبيات الثلاثة الأولى في الترجمة نفسها.

[3] و زلتهم: من زال التامة بمعنى ذهبتم، و في س «الجرائم» ، و هو تصحيف و المثبت من ف وهج ، أي ذهبتم مجددين في الهرب تسوقون حريمكم متنقبا.

[4] زال: نهض، من زالت الخيل بركبانها بمعنى نهضت، و غلب الرقاب: غلاظ الأعناق جمع أغلب.

[5] القلب الذكي: المتوقد حماسة، و الأنف الحمي: كناية عن الأنفة و إباء الضيم.

[6] ضمير تأخذونها يعود على الإبل و نحوها.

11- عمرو بن براق

[1]

يسلبه حريم ماله فيسترده منه

:

أخبرني عليّ بن سليمان الأخفش قال: حدّثنا السّكريّ عن ابن حبيب قال: و أخبرنا الهمدانيّ ثعلب، عن ابن الأعرابي، عن المفصّل، قال: أغار رجل من همدان [2] يقال له حريم على إبل لعمرو بن براق و خيل، فذهب بها، فأتى عمرو امرأة [3] كان يتحدّث إليها و يزورها فأخبرها أن حريماً أغار على إبله و خيله فذهب بها، و أنه يريد الغارة عليه، فقالت له المرأة: ويحك لا تعرض لتلفات حريم فإنّي أخافه عليك، قال: فخالفها، و أغار عليه، فاستاق كلّ شيء كان له، فأتاه حريم بعد ذلك يطلب إليه أن يرده عليه ما أخذه منه، فقال: لا أفعل، و أبى عليه، فانصرف، فقال عمرو في ذلك: تقول سليمي لا تعرّض لتلفة # و ليك عن ليل الصعاليك نائم [4]

و كيف ينام الليل من جلّ ماله # حسام كلون الملح أبيض صارم

صموت إذا عضّ الكريهة لم يدع # لها طمعا طوع اليمين ملازم [5]

/نقدت به ألفا و سامحت دونه # على النقد إذ لا تستطاع الدراهم [6]

أ لم تعلمي أنّ الصعاليك نومهم # قليل إذا نام الدثور المسالم [7]

إذا الليل أدجى و اكفهّرت نجومه # و صاح من الإفراط هام جوانم [8]

و مال بأصحاب الكرى غالباته # فإنّي على أمر الغواية حازم [9]

كذبتم و بيت الله لا تأخذونها # مراغمة ما دام للسيف قائم

[1] هذه الترجمة مما سقط من التراجم من طبعة بولاق، و موضعها هنا بحسب المخطوطات المعتمدة.

[2] في «الأمالي» 2/121: من مراد.

[3] عبارة «الأمالي»: «فأتى عمرو امرأة، اسمها سلمى، و كانت بنت سيدهم، و عن رأيها كانوا يصدرون.

[4] جملة:

«و ليك... إلخ»

حالية، أي واقض ليك نائماً، و خلّ الصعاليك ساهرين. و إسناد النوم إلى الليل مجاز.

[5]صموت-كما في ف، هج-صفة للسيف المتقدم في البيت السابق،
أي كثير الصمت، و في س «و صوت» بدل صموت، و هو تحريف، و قوله:
«إذا عض الكريهة...»

إلخ» يعني أنه إذا خاض الحرب لم يدع لها طمعا في صاحبه، و هو
طبع، لا يفارق يمينه، و في س «مكارم» بدل «ملازم» و المثبت من
«الأمالي» .

[6]ألفا: ألف درهم، يريد أنه دفع فيه ألف درهم عن سماحة نفس في
وقت قلت فيه الدراهم.

[7]الدثور: الرجل البطن الخامل النثوم، و في ف: «الخلي» بدل
«الدثور» .

(8-9) أدجت نجومه: غابت، أو غطاها السحاب، و الإفراط: من معانيه
تباشير الصباح، و قد يكون المراد الإفراط في الطعام، و صاحته هام جوائز:
غطت-من الغطيظ-رعوس نائمة، و جواب الشرط «فإني على أمر الغواية
حازم» أي حازم أمري، و في هج: «غالبا لهم» بدل «غالباته» ، و عليه يكون
فاعل «مال» ضمير الليل.

تحالف أقوام عليّ ليسمنوا # و جروا عليّ الحرب إذا أنا سالم [1]
 أ فالآن أدعى للهوادة بعد ما # أجيل على الحيّ المذاكي الصلادم [2]
 كأنّ حريما إذ رجا أن يضمّها # و يذهب مالي يا ابنة القوم حالم [3]
 متى تجمع القلب الذكيّ و صارما # و أنفا حميّا تجتنبك المظالم
 و من يطلب المال الممّع بالقنا # يعيش ذا غنىّ أو تخترمه المخارم [4]
 / و كنت إذا قوم غزوني غزوتهم # فهل أنا في ذا يا لهمدان ظالم
 فلا صلح حتى تعثر الخيل بالقنا # و تضرب بالبيض الرّفاق الجماجم

و أما الشنفرى فإنه رجل من الأزد ثم من الأواس بن الحجر بن الهنو
 بن الأزد [5]. و مما يغنىّ فيه من شعره قوله:

صوت

ألا أمّ عمرو أزمعت فاستقلّت # و ما ودّعت جيرانها إذ تولّت [6]
 فوا ندما بانّت أمامة بعد ما # طمعت فهبها نعمة قد تولّت [7]
 و قد أعجبتني لا سقوطا خمارها # إذا ما مشت و لا بذات تلقّت [8]

غنىّ في هذه الأبيات إبراهيم ثاني ثقيل بالبنصر عن عمرو بن بانه.

[1] في ف: «ليسلموا» بدل «ليسمنوا» و سالم: بمعنى مسالم.

[2] الفاء عاطفة على معطوف محذوف، أي أ أسالم فأدعى، و نحو ذلك، و الهوادة: الملاينة و المسالمة، المذاكي الصلادم: الجياد الشديدة الصلبة، و ذلك كناية عن الحرب التي انتصر فيها، يريد أنهم جاءوه مسالمين طالبين مهادنته بعد أن رجحت كفته في حربهم.

[3] الضمير في يضمها عائد على الإبل و نحوها.

[4] تخترمه المخارم: تهلكه المهالك، و في ف «طلب» بدل «يطلب» و «ماجدا» بدل «ذا غنىّ» و المعنى: لا يتغير.

[5] في هد، هج: «الأوس بن حجر بن الهن» .

[6] أزمعت: عزمت على الرحيل.

[7] يلاحظ تكرار كلمة «تولت» في بيتين متتالين، و هو من عيوب

القافية.

[8] لا سقوطا خمارها: يصفها بالتصون و التحشم، أي لا تتعمد إسقاط خمارها، كي يرى الناس جمالها، و يبدو أن هذه العادة كانت مألوفة في النساء، و لذلك ينفي النابغة عن المتجردة تعمد إسقاط النصيف في قوله: سقط النصيف و لم ترد إسقاطه # فتناولته و ائقتنا باليد

12- أخبار الشنفرى و نسبه [1]

نسبه و نشأته في غير قومه

:

و أخبرني بخبره الحرميّ بن أبي العلاء قال: حدثنا أبو يحيى المؤدب و أحمد بن أبي المنهال المهلبى، عن مؤرّج عن أبي هشام محمد بن هشام التّميرى:

أن الشنفرى كان من الأواس بن الحجر بن الهنو بن الأزد [2] بن الغوث، أسرته بنو شبابة بن فهم بن عمرو بن قيس بن عيلان، فلم يزل فيهم حتى أسرت بنو سلامان بن مفرّج بن عوف بن ميدعان بن مالك بن الأزد رجلا من فهم، أحد بني شبابة ففدته بنو شبابة بالشنفرى قال: فكان الشنفرى في بني سلامان بن مفرّج لا تحسبه إلا أحدهم حتى نازعته بنت الرجل الذي كان في حجره، و كان السّلامى اتخذه ولدا و أحسن إليه و أعطاه، فقال لها الشنفرى:

اغسلي رأسي يا أختي و هو لا يشك في أنها أخته، فأنكرت أن يكون أخاها و لطمته، فذهب مغاضبا حتى أتى الذي اشتراه من فهم، فقال له الشنفرى: اصدقني ممن أنا؟ قال: أنت من الأواس بن الحجر، فقال: أما إني لن أدعكم حتى أقتل منكم مائة بما استعبدتموني، ثم إنه ما زال يقتلهم حتى قتل تسعة و تسعين رجلا، و قال الشنفرى للجارية السّلامية التي لطمته و قالت: لست بأخي:

ألا ليت شعري و التّلهّف صلّة # بما ضربت كفّ الفتاة هجينها؟ [3]

و لو علمت قعسوس أنساب والدي # و والدها ظلّت تقاصر دونها [4]

أنا ابن خيار الحجر بيتا و منصبا # و أمي ابنة الأحرار لو تعرفينها

غارته على من نشأ فم

:

قال: ثم لزم الشنفرى دار فهم فكان يغير على الأزد على رجليه فيمن تبعه من فهم، و كان يغير وحده أكثر من ذلك، و قال الشنفرى لبني سلامان:

و إني لأهوى أن ألفت عجاجتي # على ذي كساء من سلامان أو برد [5]

و أصبح بالعضداء أبغي سراتهم # و أسلك خلا بين أرباع و السرد [6]

فكان يقتل بني سلامان بن مفرّج حتى قعد له رهط من الغامديين من بني الرّمداء فأعجزهم [1] هذه الترجمة مما سقط من التراجم من طبعة

بولاق، و موضعها هنا بحسب المخطوطات المعتمدة.

[2] في ف «الأسد» بدل «الأزد» .

[3] «و التلهف ضلة» : جملة معترضة، أي و التلهف على الشيء ضلال، و ما من بما ضربت استفهامية، و إنما مدت لضرورة الشعر، و الهجين: اللئيم، أو العربي الذي أمه أمة، يقول: ليتني أعلم لم تضرب هذه الفتاة الفتى الحقير في نظرها؟.

[4] قعسوس: اسم الفتاة، كما يبدو من السياق، أي لو علمت حسبي و حسب أبيها لتقاصر عنقها أمامي.

[5] يعني على كل لابس كساء أو برد، و ذلك كناية عن الشمول، و لف العجاجة: كناية عن الغارة، و العجاجة: و العجاجة: غبار الحرب و نحوها.

[6] سراتهم: أشرفهم، و الخل: الطريق ينفذ في الرمل، و العضد و أرباع و السرد: أسماء أماكن، و في ف، هج، هد: «أمسى» بدل «أصبح» .

فأشلوا[1] عليه كلبا لهم يقال له حبيش و لم يضعوا له شيئا، و مرّ و هو هارب بقرية يقال لها دحيس برجلين من بني سلامان بن مفرج فأرادهما ثم خشى الطلب فقال: قتيلى فجار أنتما إن قتلتما # بجوف دحيس أو تباله يا اسمعا[2]

يريد: يا هذان اسمعا، و قال فيما كان يطالب به بني سلامان:

فإلا تزرني حتفتي أو تلاقني # أمشّ بدهر أو عذاف فنورا[3]

/أمشي بأطراف الحماط و تارة # تنقّض رجلي بسبطا فعنصر[4]

و أبغى بني صعب بن مرّ بلادهم # و سوف ألقبهم إن الله يسر[5]

و يوما بذات الرّأس أو بطن منجل # هنالك تلقى القاصي المتغورا[6]

يقتلونه بعد أن يسملوا عينه

:

قال: ثم قعد له بعد ذلك أسيد بن جابر السلاماني و خازم الفهمي بالناصف من أبيدة و مع أسيد ابن أخيه، فمر عليهم الشنفرى، فأبصر السواد بالليل فرماه، و كان لا يرى سوادا إلا رماه كائنا ما كان، فشك[7] ذراع ابن أخي أسيد إلى عضده، فلم يتكلم، فقال الشنفرى: إن كنت شيئا فقد أصبتك و إن لم تكن شيئا فقد أمنتك، و كان خازم باطحا: يعني منبطحا بالطريق يرصده، فنادى أسيد: يا خازم أصلت، يعني اسلل سيفك. فقال الشنفرى: لكلّ أصلت[8]، فأصلت الشنفرى. فقطع إصبعين من أصابع خازم الخنصر و البنصر، و ضبطه[9] خازم حتى لحقه أسيد و ابن أخيه نجدة، فأخذ أسيد سلاح الشنفرى و قد صرع الشنفرى خازما و ابن أخي أسيد، فضبطاه و هما تحته، و أخذ أسيد برجل ابن أخيه، فقال أسيد: رجل من هذه؟ فقال الشنفرى: رجلي، فقال ابن أخي أسيد: بل هي رجلي يا عم فأسروا الشنفرى، و أدّوه إلى أهلهم، و قالوا له: أنشدنا، /فقال: إنما النشيد على المسرّة، فذهبت مثلا، ثم ضربوا يده فتعرضت، أي اضطربت فقال الشنفرى في ذلك: لا تبعدى إما ذهبت شامه # فربّ واد نفرت حمامه[10]

[1]أشلوا عليه كلبا: أغروه به، من أشلى الدابة: أراها المخلاة لتأنيه، و قوله: و لم يضعوا له شيئا، لعله يريد أنهم لم يضعوا للكلب طعاما مبالغة في الإغراء.

[2]دحيس، و تباله: مكانان، و خبر أنتما ناقص، فلعله في أبيات تالية.

[3]حتفتي: موتتي، تلاقني: معطوف على تزرني، أمش: جواب الشرط، من مشى المضعف، و دهر، و عذاف و نور: أماكن، يريد أنه إن مد في أجله فسيزور هذه الأماكن ليغزو بني صعب.

[4]الحباط: جمع حبطة، و هي بقية الماء في الحوض. و بسيط، و عصنصر: مكانان.

[5]بلادهم: بدل من بني صعب، أي أطلب بلاد بني صعب و يحتمل أن تكون بلادهم مفعولا ثانيا لأبغى، فهو متعد لاثنين، و منه قوله تعالى: **يَبْعُوثُكُمُ الْفِتْنَةَ** و المعنى لا يتغير.

[6]ذات الرأس و منجل: مكانان، القاصي: البعيد، المتغور: الموعل في الأرض، أو الموعل في الغارة، و يعني بالقاصي المتغور نفسه.

[7]في ف: «فشل» بدل «فشك» .

[8]قوله: «لكل أصلت» أي، إنك لا تقول كلمة «أصلت» لصاحبك فقط، بل تقولها لكل مئاً، يريد أنك نبهتني إلى الاستعداد.

[9]ضبطه: سيطر عليه و منعه الحركة.

[10]يريد بالشامة شامة سوداء كانت في يده، كما سيأتي بعد، يخاطب يده، و يحدث عنها قائلاً: كم نفرت من حمام الأودية، كناية عن الصيد.

و ربّ قرن فصلت عظامه

ثم قال له السّلامي: أ أطرفك [1]؟ ثم رماه في عينه فقال الشنفرى له: كأنّ كُنّا نفعّل أي كذلك كُنّا نفعّل، و كان الشنفرى إذا رمى رجلا منهم قال له: أ أطرفك؟ ثم يرمي عينه. ثم قالوا له حين أرادوا قتله: أين نقبرك؟ فقال: لا تقبروني إنّ قبري محرّم # عليكم و لكن أبشري أمّ عامر [2]

إذا احتملت رأسي و في الرأس أكثرى # و غودر عند الملتقى ثم سائري [3]

هنالك لا أرجو حياة تسرّني # سمير الليالي مبسلا بالجرائر [4]

تأبط شرا يرثيه

:

و قال تأبط شرا يرثي الشنفرى:

على الشنفرى سارى الغمام و رائح # غزير الكلى، و صيّب الماء باكر [5]

/ عليك جزاء مثل يومك بالجبا # و قد أرعفت منك السيوف البواتر [5]

و يومك يوم العيكتين و عطفة # عطفت و قد مسّ القلوب الحناجر [6]

تجول بيّر الموت فيهم كأنهم # بشوكتك الحدى ضئین نوافر [7]

فإنك لو لاقيتني بعد ما ترى- # و هل يلقين من غيبتة المقابر- [8]

لألفيتني في غارة أنتمي بها # إليك و إمّا راجعا أنا ثائر [9]

و إن تك مأسورا و ظلت مخيما # و أبلت حتى ما يكيدك وانر [10]

و حتى رماك الشيب في الرأس عانسا # و خيرك مبسوط و زادك حاضر [11]

[1] طرف عينه: أدخل فيها ما جعلها تدمع.

[2] البيت من الطويل دخله الخرم، أم عامر: كنية الضبع، يريد ألا يقبروه، بل يتركوه للضبع تأكل لحمه.

(3-4) سائري: ما بقي مني، سمير الليالي: طول الليالي، مبسلا بالجرائر: مرهونا بأثامي و جرائمي، يقول: إذا قتلت، فقطع رأسي، و غودر جسمي فما حاجتي إلى قبر أحيا فيه حياة أخرى مثقلا بجرائمي إلى الأبد؟ و قوله: و في الرأس أكثرى، يريد به أن الرأس وحده يرجح باقي جسمه لكبره، أو لما يحتوبه من الحواس، و فاعل احتملت ضمير أم عامر، أو القبيلة التي قتلتها، و قد ضبط هذا الفعل مبنيًا للمجهول في بعض الأصول، و يلزم عليه تأنيث الرأس، مع أنه مذكر.

[4]الكلى: جمع كلوة، و تطلق على أسفل السحاب، يدعو له بأن يسقي قبره ساري الغمام و السحاب الغزير الماء.

[5]الجبا: مكان كانت فيه-على ما يبدو-موقعة للشنفرى، أرعفت منك السيوف البواتر: قطرت دما منك السيوف القواطع، يقول: عليك جزاء من الغيث بمقدار ما أسالته سيوفك من الدم في هذا اليوم.

[6]العيكيتين: جبلين، و يومك: معطوف على يومك في البيت قبله، و عطفة: معطوف أيضا، بعدد أيامه التي أبلى فيها، و قوله: «و قد مس القلوب الحناجر»

، يريد به أن الأصوات في الحرب كانت تمس شغاف القلوب من وقع تأثيرها.

[7]البز-بفتح الباء و كسرهما:- السلاح، و الحدى: مؤنث الأحد بمعنى المرهف الحد، و الضئين: جمع ضائن، و هو ما عدا الماعز من الغنم، يقول: كأن الأعداء ينفرون من سلاحك نفور النعاج و الخراف.

(8-9) جملة:

«و هل يلقين من غيبته المقابر؟»

اعتراض بين الشرط و جوابه، أنتمي: أنتسب، ثائر: آخذ بالثار، يقول: إنني بعد موتك إما مقدم على غارة، أو راجع من ثار، كما كنت تفعل في حياتك.

(10-11) هذان البيتان متعلقان بما قبلهما، أي أنا أفعل كذا و كذا و إن كنت أنت أسير قبرك، مخيما فيه، بعد أن أبلت في الحروب، حتى لم يكن ينال منك واطر، و حتى رماك الشيب، و أنت عانس-و العانس: الجمل السمين-و كان خيرك فياضا، و زادك مبدولا للضيفان، و قد يكون المراد بقوله: «عانسا» لم تتزوج، فإن هذا الوصف يطلق على الذكر و الأنثى على السواء.

و أجمل موت المرء إذ كان ميتا # -و لا بد يوما-موته و هو صابر
فلا يبعدن الشنفرى و سلاحه الـ # حديد و شدّ خطوه متواتر[1]
إذا راع روع الموت راع و إن حمى # حمى معه حرّ كريم مصابر[2]

رواية أخرى في مقتله

:

قال: و قال غيره: لا بل كان من أمر الشنفرى و سبب أسره و مقتله أنّ الأزد قتلت الحارث بن السائب الفهمي، فأبوا أن يبوءوا[3]بقتله، فباء بقتله رجل منهم يقال له حزام بن جابر قبل ذلك، فمات أخو الشنفرى، فأنشأت أمه تكيهه، فقال الشنفرى، و كان أوّل ما قاله من الشعر:

ليس لوالدة هوهها # و لا قولها لابنها دعدع[4]

تطيف و تحدث أحواله # و غيرك أملك بالمصرع[5]

قال: فلما ترعرع الشنفرى جعل يغير على الأزد مع فهم: فيقتل من أدرك منهم، ثم قدم منى و بها حزام بن جابر، فقيل له: هذا قاتل أبيك[6]، فشدّ عليه فقتله، ثم سبق الناس على رجله فقال:

قتلت حزاما مهديا بملبّد # ببطن منى وسط الحجيج المصوّت[7]

قال: ثم إن رجلا من الأزد أتى أسيد بن جابر، و هو أخو حزام المقتول فقال: تركت الشنفرى بسوق[8] حباشة، فقال أسيد بن جابر: و الله لئن كنت صادقا لا نرجع/حتى ناكل من جنى أليف أبيدة[9]، فقعد له على الطريق هو و ابنا حزام، فأحسّوه في جوف الليل و قد نزع نعلا و لبس نعلا ليخفى وطأه، فلما سمع الغلامان وطأه قالوا: هذه الصّيع، فقال أسيد: ليست الصّيع، و لكنه الشنفرى، ليضع كل واحد منكما نعله على مقتله، حتى إذا رأى سوادهم نكص مليّا لينظر هل يتبعه أحد، ثم رجع حتى دنا منهم، فقال الغلامان: أبصرنا، فقال عمهما: لا و الله ما أبصركما، و لكنه أطرد؛ لكيما تتبعاه، فليضع كل واحد منكما نعله على مقتله. فرماههم الشنفرى فحسق[10]في النعل و لم يتحرك المرمي، ثم رمى فانتظم ساقى أسيد، فلما رأى ذلك أقبل حتى كان بينهم، فوثبوا عليه، فأخذوه [1]و شدّ معطوف على سلاحه، و المراد بالشدّ الحملة على الأعداء، متواتر: يتلو بعضه بعضا.

[2]فاعل «راع» الثانية يعود على الشد أو السلاح، و المعنى إذا أفرع فزع الموت الناس أفرعهم سلاحك أو شدك، و إن حمى هذا أو ذاك حريما

حمى معه كريم صابر، يعني الشنفرى نفسه.

[3] يقال: باء بقتله: أقربه.

[4] البيت من المتقارب دخله الخرم، و الهوء: الهمة و الرأي، دعدع: أمر من دعدع بمعنى جرى، أي، ليس للأم أن تفكر في ثأر ابنها، أو أن تأمر أخاه بالسعي في ذلك.

[5] «تطيف و تحدث أحواله» : لعل المراد أنها لا تفتأ تطيف بابنها، و تجدد أحوال إثارته على قتل أخيه، و قوله: «و غيرك أملك بالمصرع» التفات، أي، كفي عن هذا، فغيرك أدرى بمصارع الرجال.

[6] تقدم أن الميت أخوه لا أبوه، و قد يكون المراد بهذا الأب الحارث بن السائب الفهمي، و على كل فالعبارة لا تخلو من التواء.

[7] مهديا: مقدما الهدي في الحج، الملبد: مكان التلبيد، و كان من عاداتهم في الحج أن يدهنوا شعورهم بشيء من الصمغ لتلبيد، المصوت: الذي يجهر بالدعاء و نحوه، و في ف، هد: «المحصب» ، و المحصب: الذي يرمي الجمار، و بالفتح: مكان رميها.

[8] سوق حباشة: سوق كانت معروفة عند العرب.

[9] أبيدة: اسم مكان كان قريبا-على ما يبدو-من سوق حباشة، و في هامش هد: «من صغارير أبيدة» . و الصغارير: حمل شجرة يكون مثل الأبهل و الفلفل و غيره مما فيه صلابة.

[10] خسق في النعل: أصاب السهم النعل، و أخطأ الهدف.

فشدّوه وثاقا، ثم إنهم انطلقوا به إلى قومهم، فطرحوه وسطهم، فتماروا بينهم في قتله، فبعضهم يقول: أخوكم و ابنكم، فلما رأى ذلك أحد بني حزام ضربة ضربة فقطع يده من الكوع، و كانت بها شامة سوداء، فقال الشنفرى حين قطعت يده: لا تبعدي إمّا هلكت شامه # فربّ خرق قطعت قتامه[1]

و ربّ قرن فصلت عظامه

و قال تأبط شرّاً يرثيه:

لا يبعدنّ الشنفرى و سلاحه الـ # حديد و شدّ خطوه متواتر

إذا راع روع الموت راع و إن حمى # حمى معه حرّ كريم مصابر[2]

قال: و ذرع[3]خطو الشنفرى ليلة قتل فوجد أول نزوة نزاها إحدى و عشرين/خطوة، ثم الثانية سبع عشرة خطوة.

قال: و قال ظالم العامريّ في الشنفرى و غاراته على الأزد و عجزهم عنه، و يحمد أسيد بن جابر في قتله الشنفرى: فما لكم لم تدركوا رجل شنفرى # و أنتم خفاف مثل أجنحة الغرب[4]

تعاديتم حتى إذا ما لحقتم # تباطأ عنكم طالب و أبو سقب[5]

لعمرك للسّاعي أسيد بن جابر # أحقّ بها منكم بني عقب الكلب[6]

قال: و لما قتل الشنفرى و طرح رأسه مرّ به رجل منهم فضرب جمجمة الشنفرى بقدمه، فعقرت قدمه فمات منها، فتّمّت به المائة.

من شعر الشنفرى

:

و كان مما قاله الشنفرى فيهم من الشعر و في لطمه المرأة التي أنكرته الذي[7]ذكرته و استغنى عن إعادته مما تقدم ذكره من شعر الشنفرى، و قال الشنفرى في قتله جزاما قاتل أبيه: أرى أمّ عمرو أجمعت فاستقلت # و ما ودّعت جيرانها إذ تولّت[8]

فقد سبقتنا أمّ عمرو بأمرها # و قد كان أعناق المطيّ أطلّت[9]

[1]سبقت هذه الأبيات برواية أخرى.

[2]تقدم هذان البيتان.

[3] ذرع: قيس بالذراع.

[4] الغرب: جمع غراب.

[5] طالب و أبو سقب: رجلان-كما يبدو-كانا يعارضان في قتل الشنفرى.

[6] اللام من للساعي لام الابتداء، بني عقب الكلب: منادى.

[7] الذي اسم كان من قوله: «و كان مما قاله الشنفرى» .

[8] تقدم هذا البيت، و في هد: «أزمنت» بدل «أجمعت» و المعنى لا يتغير.

[9] أظلت: إظلال أعناق المطي كناية عن الرحيل.

فوا ندما على أميمة بعد ما # طمعت فهبها نعمة العيش ولّت [1]
 أميمة لا يخزي نشاها حليلها # إذا ذكر النسوان عقت و جلّت [2]
 /يحلّ بمنجاة من اللوم بيّتها # إذا ما بيوت بالملامة حلّت
 فقد أعجبتني، لا سقوط قناعها # إذا ما مشت و لا بذات تلقت [3]
 كأنّ لها في الأرض نسيا تقصّه # إذا ما مشت و إن تحدّثك تبلت [4]

-النّسي: الذي يسقط من الإنسان و هو لا يدري أين هو؛ يصفها بالحياء،
 و أنّها لا تلتفت يمينا و لا شمالا و لا تبرج. و يروى: تقصه على أمها و إن
 تكلمك

فدقت و جلّت و اسبكرت و أكملت # فلو جنّ إنسان من الحسن جئت [5]
 تبيت بعيد النوم تهدي غيوبها # لجاراتها إذا الهدية قلت

-الغوب: ما غبّ عندها من الطعام أي بات و يروى: غبوقها-

فبتنا كأنّ البيت حجر حولنا # بريحانة راحت عشاء و طلّت [6]

بريحانة من بطن حلية أمرعت # لها أرج من حولها غير مسنت [7]

غدوت من الوادي الذي بين مشعل # و بين الجبا هيهات أنسأت سريتي [8]

أمسّني على الأرض التي لن تضيرني # لأكسب مالا أو ألقى حمتي [9]

إذا ما أتتني حتفتي لم أبالها # و لم تذر خالتي الدموع و عمتي

/و هنيء بي قوم و ما إن هنأتهم # و أصبحت في قوم و ليسوا بمنيتي [10]

و أمّ عيال قد شهدت تقوتهم # إذا أطعمتهم أو تحت و أفلّت [11]

تخاف علينا الجوع إن هي أكثرت # و نحن جياع، أيّ ألي تألّت [12]

[1] تقدم هذا البيت برواية أخرى، و هما متقاربتا المعنى.

[2] النثا: الحديث، يريد أن حديثها عن زوجها دائما ذكر بالخير، و في س
 «ثناها» بدل «ثناها» .

[3] تقدم ذكر هذا البيت في الترجمة نفسها.

[4] أي تبلت الكلام و تقطعه بما يعترها من البهر، و انظر «اللسان»
 (بليت) .

[5] اسبكرت الجارية: اعتدلت و استقامت.

[6] حجر البيت و نحوه: وضع حوله حجارة و سوره. طلّت: أصابها
الطل، فهي مخضلة.

[7] حلية: مكان، أمرعت: خصبت، أرج: عيبر، غير مسنت: غير مجذب.

[8] مشعل و الجيا: مكانان، أنشأت سربتي: أبعدت سربتي أي ما أبعد
الموضع الذي منه ابتدأت مسيري و انظر «اللسان» (سرب).

[9] الحمة: المنية.

[10] و في ف: «و ليسوا قبيلتي» و المعنى لا يتغير.

[11] الواو من «و أم عيال» و او رب، أو تحت: «قللت طعامهم، يصفها
بالتدبير.

[12] الألة: المجاعة، فلعله يعني أية مجاعة أجاجتنا: أجاجتنا مجاعة
عظيمة.

- عفاهية لا يقصر السّتر دونها # و لا ترتجى للبيت إن لم تبيّت [1]
 لها و فضة فيها ثلاثون سلجما # إذا ما رأّت أولى العديّ اقشعرت [2]
 و تأتي العديّ بارزا نصف ساقها # كعدو حمار العانة المتفلّت [3]
 إذا فرّعت طارت بأبيض صارم # و راحت بما في جفرها ثم سلّت [4]
 حسام كلون الملح صاف حديده # جراز من أقطار الحديد المنعّت [5]
 تراها كأذنا المطيّ صوادرا # و قد نهلت من الدّماء و علّت [6]
 /سنجزي سلامان بن مفرج قرضهم # بما قدّمت أيديهم و أزلت [7]
 شفينا بعيد الله بعض غليلنا # و عوف لدى المعدي أو ان استهلّت [8]
 قتلنا حزاما مهديا بملبد # محلّهما بين الحجيج المصوّت [9]
 فإن تقبلوا تقبل بمن نيل منهم # و إن تدبروا فأّم من نيل قتّت [10]
 ألا لا تزرنني إن تشكيت خلّتي # كفاني بأعلى ذى الحميرة عدوتي [11]
 و إني لحلو إن أريدت حلاوتي # و مرّ إذا النفس الصّدوف استمرّت [12]
 أبيّ لما آبي وشيك مفيئتي # إلى كلّ نفس تنتحي بمودّتي [13]

[1] عفاهية: ضخمة. لا يقصر السّتر دونها: كناية عن أنها مقصورة بمعنى محجبة، البيت من معانيه: فرش البيت، و المراد أنها مخدومة لا تقوم بإعداد فرش البيت، بل يقوم به خدمها.

[2] الوفضة: الجعبة توضع فيها السهام و نحوها، السلجم: النصل، اقشعرت: اضطربت و ارتعدت، و المراد بأولى العدي أولى سرايا العادين عليها، أو أولى خطواتهم أو نحو ذلك، يصفها بأنها مستعدة متنبهة لمن يسطو عليها

[3] العدي: جماعة العادين، و المراد بالحمار الحمار الوحشي، و العانة: القطيع منه، يريد أنها تسرع إلى «العدو» شبه منكشفة كالحمار الوحشي الذي أفلت من القطيع، و في ف: «العدو» بدل «العدى» .

[4] الجفر: تخفيف جفر-بضم الفاء-: جمع جفير بمعنى جعبة السهام و البيت كله كناية عن خوضها المعركة و في س: «و راقّت بما في جوفها» و هو تحريف، و المثبت عن هد، هج.

[5] الجراز: القاطع، أقطار: جمع قطر-بكسر القاف- و هو ذوب الحديد، المنعّت: الموصوف، يصف السيف بأنه من ذوب الحديد الصلب، و في ف

«حزاز» بدل «جراز» .

[6] لعله يعني أن شعرها بعد المعركة تخضب بالدم، فأشبهه أذنان المطي حين تصدر عن الحروب، و قد نهلت و علت من الدماء، أي شربت مرة بعد أخرى منهما.

[7] سلامان بن مفرج: قبيلة تقدم ذكرها، أزلت: من الزلل و هو الخطأ يهدد هذه القبيلة بقوله: سنرد إليهم دينهم، أي العدوان الذي اعتدوه علينا، و خفف «مفرج» للضرورة.

[8] عبد الله و عوف: قبيلتان، المعدي: مكان، استهلت: برزت للقتال.

[9] تقدم هذا البيت في الترجمة نفسها.

[10] بمن نيل منهم: بدماء من نيل منهم، و أم من نيل، يعني أم رأسهم، يقول: إن تحاربوا نحاربكم و نحن حاملون دماء من قتلناه منكم، و إن نكصتم فقد فتتنا رءوس من أصبنا منكم بلا قود.

[11] الخلة: الحاجة و الفقر، ذو الحميرة: مكان، العدو-بضم العين و كسرهما: المكان المرتفع، يقول لصاحبه: لا تزرنني إذا احتجت، فإني عند الحاجة أكتفي بالاعتكاف في عدوتي، و كني بالزيارة عن المساعدة.

[12] الصدوف: من صدف بمعنى مال و انصرف، يعني أنه نافع لمن يبغي نفعه، صار لمن ينحرف عنه.

[13] مفيتتي: من فاء يفيء بمعنى رجع. -

و قال الشَّنْفَرِي أيضا:

- و مرقبة عنقاء يقصر دونها # أخو الصُّروة الرِّجْل الخفيّ المخفّف [1]
 نमित إلى أعلى ذراها و قد دنا # من الليل ملتفّ الحديقة أسدّف [2]
 /فبتّ على حدّ الدِّراعين أحدا # كما يتطوّى الأرقم المتعطفّ [3]
 قليل جهازي غير نعلين أسحقت # صدورهما مخصورة لا تخصّف [4]
 و ملحفة درس و جرد ملاءة # إذا أنهجت من جانب لا تكفّف [5]
 و أبيض من ماء الحديد مهتدّ # مجدّ لأطراف السّواعد مقطف [6]
 و صفراء من نبع أبيّ ظهيرة # ترنّ كإرنان الشّجّيّ و تهتف [7]
 إذا طال فيها النزع تأتي بعجسها # و ترمي بذروها بهنّ فتقدف [8]
 كأنّ حفيف التّبل من فوق عجسها # عواذب نحل أخطأ الغار مطنّف [9]
 نأت أمّ قيس المربعين كليهما # و تحذر أن ينأى بها المتصيّف [10]
 /و إنك لو تدرين أن ربّ مشرب # مخوف كداء البطن أو هو أخوف [11]
 وردت بمأثور و نبل و ضالة # تخيّرتها مما أريش و أرصف [12]

(1-2) مرقبة: مرتفع من الهضاب و نحوها، عنقاء: طويلة العنق، الضرورة: من ضرا يضرو بمعنى استخفى، الرجل: الساعي على رحليه، الحديقة: الشجر الكثيف، يقول: رب هضبة مرتفعة محدودة لا يستطيع أن يتسلقها برجليه الخفيف الحركة الذي يريد الاختفاء عن العيون-رب هضبة شأنها هذا تسلقت أنا أعلى ذراها، و قد أقبل الليل بظلمته كأنه أشجار ملتفة كثيفة لا تنفذ أشعة الشمس من خلالها، و قد يكون مراده بأخي الصروة... إلخ الكلب و نحوه.

[3] يتطوى: ينطوى، الأرقم: الثعبان، المتعطف: الملتف بعضه حول بعض، يقول: فبت على حد ذراعي هذه الهضبة محدودب الظهر منطويا بعضي على بعض انطواء الثعبان.

[4] أسحقت: بليت، مخصورة: دقيقة الوسط، لا تخصّف: لا تقبل الخرز، يقول: إنه خفيف الحمل عند السفر لا يلبس إلا نعلين باليتين، لا تقبلان الإصلاح.

[5] درس: دراسة بالية، الجرد: البالي. أنهجت: بليت، البيت متعلق بما قبله، يقول: لا ألبس سوى ملحفة بالية، فوقها ملاءة بالية أيضا، تستعصي

على الإصلاح حين تتفتق، و في س: «و صبية جرد و أخلاق ربطة»
، و المثبت من هد، و المعنى لا يتغير.

[6] و أبيض من ماء الحديد، يعني سيفه، و رفعه على تقدير «و معي أبيض» مجذ: قطاع، مقطف: قطاع أيضا، يصف سيفه بأنه قطاع للأطراف.

[7] صفراء: قوس صفراء، النبع: شجر صلب تتخذ منه القسي، ظهيرة: معينة، ترن: تصوت عند إطلاقها صوتا كأنين العاشق المهجور.

[8] العجس-بتثليث العين-مقبض القوس، ذروا القوس: طرفها، و الضمير من بهن يعود على السهام المفهومة من المقام.

[9] عوازب نحل: ذواهب نحل، مطنف: من الطنف، و هو رأس الجبل، يشبه حفيف النبل بسرب النحل، و في مطنف إقواء إن جعلناها صفة لنحل، و قد تكون خبرا ثانيا لكان، فيسلم البيت من الإقواء.

[10] يعني بالمربعين الشتاء و الربيع من باب التغليب، المتصيف: اسم زمان من تصيف، و منع قيس الصرف للضرورة.

(11-12) جواب لو محذوف تقديره «لرأيت شيئا عجبا» و نحو ذلك، المأثور: السيف المؤثر، الضالة: السلاح عامة، أو السهام خاصة، راش السهم: وضع عليه ريشا، رصف السهم: شد على مدخل سنخ نصله العقبة، يقول لأم قيس: أه لو تعرفين كم مشرب مخوف الورد وردته أنا و معي سيفي و قوسي... إلخ.

- أركبها في كل أحمر عاتر # و أقذف منهن الذي هو مقرف[1]
 و تابعت فيه البري حتى تركته # يزف إذا أنفذته و يزرف[2]
 بكفي منها للبغيض عراضة # إذا بعث خلا ما له متخوف[3]
 و واد بعيد العمق صنك جماعه # بواطنه للجن و الأسد مالف[4]
 تعسفت منه بعد ما سقط الندى # غماليل يخشى غيلها المتعسف[5]
 و إنني إذا خام الجبان عن الردى # فلي حيث يخشى أن يجاوز مخسف[6]
 و إن امرأ أجار سعد بن مالك # علي و أثواب الأقيصر يعنف[7]

/و قال الشنفرى أيضا:

- و مستبسل ضافى القميص ضغته # بأزرق لا نكس و لا متعوج[8]
 عليه نساري على خوط نبعة # و فوق كعرقوب القطاة محدرج[9]
 و قاربت من كفي ثم فرجتها # بنزع إذا ما استكره النزع مخلج[10]
 فصاحت بكفي صيحة ثم رجعت # أنين الأميم ذي الجراح المشجج[11]

و قد روى: فناحت بكفي نوحة.

رواية ثالثة في مقتله

:

و قال غيره: لا بل كان من أمر الشنفرى أنه سبت بنو سلامان بن مفرج بن مالك بن هوازن[12] بن كعب بن عبد الله بن مالك بن نصر بن الأزد الشنفرى[13]- و هو أحد بني ربيعة بن الحجر بن عمران بن عمرو بن حارثة بن [1] العاتر: الشديد، المقرف: غير الحسن، يريد أنه لا يستعمل في قوسه إلا السهام الصلبة، و لو قال: «أركب فيها كل أحمر عاتر» لكان أوضح.

[2] يزف: يفعل فعل الطائر إذا رمى بنفسه، و بسط جناحيه، و الزفزة: شدة الجري، أو تحريك الريح للحشيش و صوتها فيه.

[3] العراضة: الهدية، و المراد هنا التهكم، و المراد بقوله: «ما له متخوف»

تفاهة الخل و حجارة شأنه.

(4-5) جماع الشيء: مجتمع أصله، تعسف: مشى على غير هدى، الغمائل: الدوابي، الغيل: الأشجار الكثيفة. يقول: رب واد ضيق الأصل تألفه الآساد و الجن صعدت عند سقوط الندى روايه التي لا يجرؤ على صعودها إنسان.

[6] خام: جين و ضعف، مخسف: من خسف الطريق بمعنى ذلله و قطعه.

[7] سعد بن مالك-على ما يبدو-من أعداء الشاعر، الواو من و أثواب للقسم، الأقيصر: صنم مقدس عندهم، و في هد، و هج، ف: «و أبواب» بدل «و أثواب» .

[8] الواو واو رب، ضافى القميص: كناية عن طوله، ضغت الشيء: لاهه بالأنياب و التواجذ، و يريد بالأزرق... إلخ السهم، يقول: رب شجاع باسل فارع الجسم أصميته بسهم نافذ جرىء معتدل.

[9] ضمير عليه يعود على «أزرق» في البيت السابق، نساري: ريش نسر الخوط، النبعة: شجرة صلبة تتخذ منها السهام، الفوق من السهم: حيث يثبت الوتر منه، و المحدرج: الأملس.

[10] مخلج: من أخلج الشيء بمعنى انتزعه.

[11] الأميم: المضروب على أم رأسه، المشجج: من شج رأسه.

الآبيات الثلاثة في وصف السهم و كيف يرميه، و كيف يئن عند الرمي أنين من ضرب على أم رأسه.

[12] في ف، هج، هد: «زهران» بدل «هوازن» .

[13] مفعول سبت في السطر السابق.

ثعلبة بن امرئ القيس بن مازن بن الأزد- و هو غلام، فجعله الذي سباه في بهمة يرعاها مع ابنة له، فلما خلا بها الشنفرى أهوى ليقبلها، فصكت وجهه، ثم سعت إلى أبيها فأخبرته، فخرج إليه ليقته، فوجده و هو يقول: /

ألا هل أتى فيتان قومي جماعة # بما لطمت كفّ الفتاة هجينها؟[1]

و لو علمت تلك الفتاة مناسبي # و نسبتها ظلّت تقاصر دونها

أليس أبي خير الأواس و غيرها # و أمي ابنة الخيرين لو تعلمينها[2]

إذا ما أروم الودّ بيني و بينها # يؤمّ بياض الوجه مني يمينها[3]

قال: فلما سمع قوله سأله: ممّن هو، فقال: أنا الشنفرى، أخو بني الحارث بن ربيعة، و كان من أقبح الناس وجهها، فقال له: لو لا أني أخاف أن يقتلني بنو سلامان لأنكحتك ابنتي. فقال: عليّ إن قتلوك أن أقتل بك مائة رجل منهم، فأنكحه ابنته، و خلى سبيله، فسار بها إلى قومه، فشدت بنو سلامان خلافه[4] على الرجل فقتلوه، فلما بلغه ذلك سكت و لم يظهر جزعا عليه، و طفق يصنع النبل، و يجعل أفواقها من القرون و العظام، ثم إن امرأته بنت السلامانيّ قالت له ذات يوم: لقد خست[5] بميثاق أبي عليك، فقال: كأن قد- فلا يغرك مني تمكّثي- # سلكت طريقا بين يريغ فالسرد[6]

و إني زعيم أن تثور عجاجتي # على ذي كساء من سلامان أو برد

هم عرفوني ناشئا ذا مخيلة # أمشي خلال الدار كالفرس الورد[7]

كأنني إذا لم يمس في الحي مالك # بتيهاء لا أهدى السبيل و لا أهدى[8]

/قال: ثم غزاهم فجعل يقتلهم، و يعرفون نبله بأفواقها في قتلاهم، حتى قتل منهم تسعة و تسعين رجلا، ثم غزاهم غزوة، فنذروا به، فخرج هاربا، و خرجوا في إثره، فمر بامرأة منهم يلتمس الماء فعرفته، فأطعمته أقطا ليزيد عطشا، ثم استسقى فسقته رائبا، ثم غيبت عنه الماء، ثم خرج من عندها، و جاءها القوم فأخبرتهم خبره، و وصفت صفته و صفة نبله، فعرفوه، فرصدوه على ركيّ لهم، و هو ركيّ ليس لهم ماء غيره، فلما جرّ عليه الليل أقبل إلى الماء، فلما دنا منه قال: إني أراكم، و ليس يرى أحدا إنما يريد بذلك أن يخرج رصدا إن كان ثمّ، فأصاخ القوم و سكتوا. و رأى سوادا، و قد كانوا أجمعوا قبل إن قتل منهم قتيل أن يمسكه الذي إلى جنبه لئلا تكون حركة، قال: فرمى لماً أبصر السواد، فأصاب رجلا فقلته، فلم يتحرك أحد، فلما رأى ذلك أمن في نفسه و أقبل إلى الركيّ، [1]تقدم هذا

البيت و ما بعده في الترجمة نفسها برواية تختلف قليلا عن هذه و المعنى لا يتغير.

[2]الخيرين: جمع خير بعد تخفيف الياء.

[3]يريد أنه حين يريد تقبيلها لا يضع وجهه إلا على يدها التي تتلقى بها القبلة، ثم تصفه بها، و قد ضبطت بعض الأصول يمينها بالرفع على أنه إقواء.

[4]خلافه: بعده، أي بعد رحيل الشنفرى.

[5]خست بالميثاق: لم تف به.

[6]جملة

«فلا يغررك مني تمكثي»

معتضة أي، كأنني قد سلكت... إلخ، و يربغ و السرد: مكانان يمر بهما عند ما يؤم بني سلامان.

[7]مخيلة: خيلاء، الفرس الورد: الأحمر.

[8]لعل مالكا هذا صهره الذي يثار له، التيهاء: الصحراء يضل فيها السالك و يروى: «بتيماء» .

فوضع سلاحه، ثم انحدر فيه، فلم يرعه [1] إلا بهم على رأسه قد أخذوا سلاحه فنزا ليخرج. فضرب بعضهم شماله فسقطت، فأخذها فرمى بها كبد الرجل، فخر عنده في القليب [2]، فوطئ على رقبته فدقها. و قال في قطع شماله: لا تبعدني إمّا ذهبت شامه # فربّ واد نفرت حمامه [3]

و ربّ قرن فصلت عظامه # و ربّ حيّ فرّقت سوامه

قال: ثم خرج إليهم، فقتلوه و صلبوه، فلبث علما أو عامين مصلوبا و عليه من نذره رجل، قال: فجاء رجل منهم كان غائبا، فمر به و قد سقط فركض رأسه برجله، فدخل فيها عظم من رأسه فعّلت عليه فمات منها، فكان ذلك الرجل هو تمام المائة [4].

صوت

ألا طرقت في الدّجى زينب # و أحب بزینب إذ تطرق

عجبت لزينب أنّى سرت # و زينب من ظلّها تفرق [5]

عروضه من المتقارب، الشعر لابن رهيمة، و الغناء لخليل المعلم رمل بالبنصر، عن الهشامي و أبي أيوب المدنيّ.

[1] المراد: فلم يرعه إلا بصره بهم.

[2] القليب: البئر.

[3] تقدمت هذه الأبيات.

[4] لا شك أن حكاية المائة من-و كيف تمت-بادية الافتعال.

[5] تفرق: تخاف، يعجب كيف زارته ليلا، ولم تعبأ بظلام الليل، أو تخف أهلها، مع أنها تخاف خيالها.

13- أخبار الخليل و نسبه [1]

نسبه

:

هو الخليل بن عمرو، مكّي، مولى بني عامر بن لؤيّ، مقلّ لا تعرف له صنعة غير هذا الصوت.

يشترى لهو الحديث ليضل عن سبيل الله

:

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدثنا محمد بن القاسم بن مهروبه قال: حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال: حدثني القطرانيّ المغني، عن محمد بن حسين [2]، قال: كان خليل المعلم يلقب خليلان، و كان يؤدب الصبيان و يلقنهم القرآن و الخط، و يعلم الجواري الغناء في موضع واحد، فحدثني من حضره قال: كنت يوما عنده و هو يرّدّ على صبي يقرأ بين يديه **وَ مِنْ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهُوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ** [3] ثم يلتفت إلى صبية بين يديه فيردّد عليها: اعتاد هذا القلب بلباله # أن قرّبت للبين أجماله [4]

فضحكت ضحكا مفرطا لما فعله، فالتفت إليّ فقال: وملك مالك؟ فقلت: أ تنكر ضحكي مما تفعل؟ و الله ما سبقك إلى هذا أحدا! ثم قلت: انظر أيّ شيء أخذت على الصبيّ من القرآن، و أيّ شيء هو ذا تلقي على الصبية، و الله إنني لأظنك ممّن يشترى لهو الحديث ليضلّ عن سبيل الله، فقال: أرجو ألا أكون كذلك إن شاء الله.

يسيء الأزدي فهم غنائه

:

أخبرني عليّ بن سليمان الأخفش قال: حدثنا محمد بن يزيد المبرّد قال: حدثني عبد الصمد بن المعدّل قال: كان خليلان المعلم أحسن الناس غناء، و أفتاهم و أفصحهم، فدخل يوما على عقبة/بن سلم الأزديّ الهنائيّ فاحتبسه عنده، فأكل معه ثم شرب، و حانت منه التفاتة، فرأى عودا معلقا، فعلم أنه عرّض له به، فدعا به و أخذه فغناهم: بابنة الأزديّ قلبي كئيب # مستهام عندها ما ينيب [5]

و حانت منه التفاتة فرأى وجه عقبة بن سلم متغيرا [6]، و قد ظن أنه عرّض به، ففطن لما أراد فغنى: ألا هزئت بنا قرشد # يّة يهترّ موكبها [7]

[1] هذه الترجمة مما سقط من التراجم من طبعة بولاق، و موضعها هنا حسب المخطوطات المعتمدة.

[2] في هد، هج «حبر» بدل «حسين» .

[3] سورة لقمان، آية: 6.

[4] البيت من السريع.

[5] ما ينيب: ما يرجع.

[6] يبدو أن تغير وجه عقبة سببه أنه ظن خيلان يشيب بابنته.

[7] في ف: «منكبها» بدل «موكبها» .

فسرّي عن عقبة و شرب، فلما فرغ وضع العود من حجره، و حلف بالطلاق ثلاثاً أنه لا يغني بعد يومه ذلك إلا لمن يجوز حكمه عليه.

نسبة هذين الصوتين

يا ابنة الأزديّ قلبي كئيب # مستهام عندها ما ينيب
و لقد لاموا فقلت: دعوني # إنّ من تنهون عنه حبيب
إنما أبلى عظامي و جسمي # حبّها و الحبّ شيء عجيب
أيها العائب عندي هواها # أنت تفدي من أراك تعيب[1]

عروضه من المديد[2]، و الشعر لعبد الرحمن بن أبي بكر الصديق- رضي الله عنه- و الغناء لمعبد ثقيل أول بالسبابة في مجرى البنصر عن إسحاق، و فيه لمالك خفيف ثقيل أول بالخنصر في مجرى البنصر عنه، و فيه خفيف رمل بالسبابة في مجرى الوسطى/لم ينسبه إسحاق إلى أحد، و وجدته في روايات لا أثق بها منسوباً إلى حنين، و قد ذكر يونس أن فيه لحنين و لمالك كلاهما، و لعل هذا أحدهما، و ذكر حبش أن خفيف الرمل لابن سريج، و ذكر الهشاميّ و عليّ بن يحيى أن لحن مالك الآخر ثاني ثقيل، و ذكر الهشامي أن فيه لطويس هزجا مطلقاً في مجرى البنصر، و ذكر عمرو بن بانه أن لمالك فيه ثقيلاً أول و خفيفه، و لمعبد خفيف ثقيل آخر:

صوت

ألا هزئت بنا قرشيّة # م يهتّر موكبها
رأت بي شبية في الرأ # س منّي ما أعيبها
فقلت لي: ابن قيس ذا؟ # و بعض الشيب يعجبها
لها بعل خبيث النفس # يحصرها و يحجبها
يراني هكذا أمشي # فيوعدها و يضربها

عروضه من الوافر[3]، الشعر لابن قيس الرقيات، و الغناء لمعبد خفيف ثقيل بالخنصر في مجرى الوسطى، و فيه ليونس ثقيل أول عن إسحاق بن إبراهيم و الهشاميّ.

صوت

هل ما علمت و ما استودعت مكتوم # أم حبلها إذ نأتك اليوم مصروم
أم هل كئيب بكى لم يقض عبرته # إثر الأحبة يوم البين مشكوم[4]

[1] يريد: «جعلت فداها» فجملة «أنت تفدي من أراك تعيب» دعائية.

[2] في ف، هد: عروضه من الرمل، و هو خطأ، و الصواب ما أثبتناه.

[3] صوابه مجزوء الوافر.

[4] مشكوم: من شكّم الفرس بمعنى وضع الشكيمة في فمه، كناية عن أنه لا يستطيع اللحاق بالأحبة.

يحملن أترجة، نضح العبير بها # كأنّ تطياها في الأنف مشموم[1]

كأنّ فأرة مسك في مفارقها # للباسط المتعاطي و هو مزكوم[2]

كأنّ إبريقهم طبي على شرف # مفدّم بسبا الكتان ملثوم[3]

قد أشهد الشرب فيهم مزهر صدح # و القوم تصرعهم صهبا خرطوم[4]

الشعر لعلقمة بن عبدة، و الغناء لابن سريج، و له فيه لحنان أحدهما في الأول و الثاني خفيف ثقيل أول بالخنصر في مجرى البنصر عن إسحاق، و الآخر رمل بالخنصر في مجرى البنصر في الخامس و السادس من الأبيات، و ذكر عمرو بن بانة أن في الأربعة الأبيات الأولى المتوالية لمالك خفيف ثقيل بالوسطى، و فيها ثقيل أول نسبه الهشاميّ إلى الغريض، و ذكر حبش أن لحن الغريض ثاني ثقيل بالبنصر، و ذكر حبش أن في الخامس و السادس خفيف رمل بالبنصر لابن سريج.

[1] الأترجة: يكنى بها عن محبوبته، نضح: بلل: يريد أن رحالها تنفج ريحا طيبة.

[2] فأرة المسك: وعأؤه ، للباسط المتعاطي: لمن يبسط يده بطلب العطاء، و لعلها للناشق.

[3] يعني إبريق الخمر، يشبهه بالطبي الواقف على مكان مرتفع، مفدم: مسدود بالفدام، و هو الخرق و نحوها، و سبا الكتان: خرقه، ملثوم: لابس اللثام: و ذلك كله كناية عن أن خمرهم مهياة للشراب، و يبدو أن بين هذا البيت و ما قبله أبيات لم تذكر.

[4] الشرب: جماعة الشاربين، المزهر: آلة من آلات الغناء، صدح: صيغة مبالغة من صدح الصهباء: الخمر، الخرطوم: السريعة الإسكار.

14-أخبار علقمة و نسبه [1]

هو علقمة بن عبدة بن التَّعمان بن ناشرة بن قيس بن عبيد بن ربيعة بن مالك بن زيد مناة بن تميم بن مرّ بن أدّ بن طابخة بن إلياس بن مضر بن نزار.

واش يلقى جزاءه

:

و كان زيد مناة بن تميم وفد هو و بكر بن وائل-و كانا لدة عصر واحد- على بعض الملوك، و كان زيد مناة حسودا شرها طعّانا[2]، و كان بكر بن وائل خبيثا منكرا داهيا فخاف زيد مناة أن يحظى[3] من الملك بفائدة، و يقلّ معها حظّه، فقال له: يا بكر لا تلق الملك بثياب سفرك، و لكن تأهّب للقائه و ادخل عليه في أحسن زينة، ففعل بكر ذلك، و سبقه زيد مناة إلى الملك، فسأله عن بكر، فقال: ذلك مشغول بمغازلة النساء و التصدّي لهن، و قد حدّث نفسه بالتعرض لبنت الملك، فغاضه ذلك، و أمسك عنه، و نوى الخبر إلى بكر بن وائل، فدخل إلى الملك فأخبره بما دار بينه و بين زيد مناة، و صدقه عن، و اعتذر إليه مما قاله فيه عذرا قبله، فلما كان من غد اجتمعا عند الملك، فقال الملك لزيد مناة: ما تحب أن أفعل بك، فقال: لا تفعل بيكر شيئا إلا فعلت بي مثليه، و كان بكر أعور العين اليمنى، قد أصابها ماء فذهب بها، فكان لا يعلم من رآه أنه أعور، فأقبل الملك على بكر بن وائل فقال له: ما تحب أن أفعل بك يا بكر، قال: تفقأ عيني اليمنى، و تضعف لزيد مناة، فأمر بعينه العوراء ففقتت، و أمر بعيني زيد مناة ففقتتا، فخرج بكر و هو أعور بحاله، و خرج زيد مناة و هو أعمى.

سبب تسميته بعلقمة الفحل

:

و أخبرني بذلك محمد بن الحسن بن دريد، عن أبي حاتم، عن أبي عبدة.

و يقال لعلقمة بن عبدة علقمة الفحل، سمّي بذلك لأنه خلف على امرأة امرئ/القيس لما حكمت له على امرئ القيس بأنه أشعر منه في صفة فرسة، فطلقها، فخالفه عليها، و ما زالت العرب تسمية بذلك، و قال الفرزدق:

و الفحل علقمة الذي كانت له # حلل الملوك كلامه يتنحل[4]

قصيدته سمطا الدهر

:

أخبرني عمّي قال: حدّثني التّضر بن عمرو قال: حدّثني أبو السّوّار، عن أبي عبيد الله مولى إسحاق بن عيسى، عن حمّاد الرواية قال:

كانت العرب تعرض أشعارها على قريش، فما قبلوه منها كان مقبولاً، و ما ردوه منها كان مردوداً، فقدم [1] هذه الترجمة مما سقط من التراجم من طبعة بولاق، و موضعها هنا حسب المخطوطات المعتمدة.

[2] في ف، هج، هد: «طعاماً» بدل «طعانا» .

[3] فاعل يحظى ضمير بكر.

[4] يتنحل: يدعيه الشعراء لأنفسهم من بلاغته.

عليهم علقمة بن عبدة، فأنشدتهم قصيدته التي يقول فيها: هل ما علمت و ما استودعت مكتوم # أم حبلها أن نأتك اليوم مصروم فقالوا: هذه سمط[1] الدهر، ثم عاد إليهم العام المقبل فأنشدتهم: طحا بك قلب في الحسان طروب # بعيد الشَّباب عصر حان مشيب فقالوا: هاتان سمطا الدهر.

يسرقون شعره

:
أخبرني الحسن بن عليّ قال: حدثني هارون بن محمد بن عبد الملك، عن حماد بن إسحاق قال: سمعت أبي يقول: سرق ذو الرّمة قوله:
يطفو إذا ما تلقّته الجرائم[2]

من قول العجاج:

إذا تلقّته العقاقيل طفا[3]

/و سرقه العجاج من علقمة بن عبدة في قوله: يطفو إذا ما تلقته العقاقيل

أيهما أوصف للفرس هو أم امرئ القيس

:
أخبرني عمّي قال: حدثنا الكرانيّ قال: حدثنا العمريّ عن لقيط، و أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال: حدثنا عمر بن شبة قال: حدثني أبو عبيدة قال: كانت تحت امرئ القيس امرأة من طيء تزوجها حين جاور فيهم، فنزل به علقمة الفحل بن عبدة التميميّ، فقال كل واحد منهما لصاحبه: أنا أشعر منك، فتحاكما إليها، فأنشد امرؤ القيس قوله: خليلي مرّا بي على أمّ جندب

حتى مرّ بقوله:

فللسّوط ألّهب و للسّاق درّة # و للزّجر منه وقع أخرج مهذب[4]

-و يروى: «أهوج منعب[5]-[1]السمط: القلادة.

[2]الجرائم: جمع جرثومة، و هي التراب المتجمع في أصول الشجر تسفيه الريح، و يبدو أن هذا شطر بيت في وصف غزال أو فرس، يريد أنه

يشدد عدوه عند ما تسفي الريح عليه التراب.

[3]العقاقيل: جمع عقال، و هو داء يصيب رجل الدابة، يريد أن الداء لا يعطل عدوه، بل يسرع به.

[4]الألهوب: اجتهاد الفرس في عدوه حتى يثير الغبار، الدرة: حث الفرس على العدو، الأخرج من الخيل: ما خالط بياضه سواد، مهذب: مسرع. يريد أن يستحث جواده تارة بسوط، و أخرى بساقه، و مرة ثالثة بالزجر. و في «المختار»: «و للسوط منه وقع...»

بدل

«و للزجر...»

[5]المنعب كمنبر: الجواد يمد عنقه عند عدوه كالغراب. -

فأنشدها علقمة قوله:

ذهبت من الهجران في غير مذهب

حتى انتهى إلى قوله:

فأدرکه حتى ثنى من عنانه # يمرّ كغيث رائج متحلّب [1]

فقلت له: علقمة أشعر منك، قال: و كيف؟ قالت: لأنك زجرت فرسك،
/و حرّكته بساقك، و ضربته بسوطك. و أنه جاء هذا الصيد، ثم أدركه ثانياً من
عنانه، فغضب امرؤ القيس و قال: ليس كما قلت، و لكنك هويته، فطلقها،
فتزوجها علقمة بعد ذلك، و بهذا لقب علقمة الفحل.

ربيعة بن حذار يحكم له

:

أخبرني عمي قال: حدثنا الكرانيّ قال: حدثنا العمري، عن لقيط قال:
تحاكم علقمة بن عبدة التميمي. و الزبيرقان بن بدر السعدي، و المخبل، و
عمرو بن الأهم، إلى ربيعة بن حذار الأسدي، فقال: أما أنت يا زبيرقان فإن
شعرك كلحم لا أنضح فيؤكل، و لا ترك نيتنا فينتفع به، و أما أنت يا عمرو فإن
شعرك كبرد حبرة يتلأ في البصر، فكلما أعدّته [2] فيه نقص، و أما أنت يا
عمرو فإن شعرك كبرد حبرة يتلأ في البصر، فكلما أعدّته [2] فيه نقص، و
أما أنت يا مخبل فإنك قصّرت عن الجاهلية و لم تدرك الإسلام، و أما أنت يا
علقمة فإن شعرك كمزادة [3] قد أحكم خرزها فليس يقطر منها شيء.

بيت من أبياته يضرب المتمثل به عشرين سوطا

:

أخبرني محمد بن الحسن بن دريد قال: حدثني عمي، عن العباس بن
هشام، عن أبيه قال: مرّ رجل من مزينة على باب رجل من الأنصار، و كان
يئهم بامرأته، فلما حاذى بابه تنفّس ثم تمثّل: هل ما علمت و ما استودعت
مكتوم # أم حبلها إذ نأتك اليوم مصروم؟

قال: فتعلّق به الرجل: فرفعه إلى عمر رضوان الله عليه، فاستعداه
عليه، فقال له المتمثّل: و ما عليّ في أن أنشدت بيت شعر، فقال له عمر
رضي الله عنه: مالك لم تنشده قبل أن تبلغ بابه؟ و لكنك عرّضت به مع ما
تعلم من القالة فيه، ثم أمر به فضرب عشرين سوطا.

صوت

فو الله لا أنسى قتيلاً رزيتة # بجانب قوسى ما حييت على الأرض[4]

- [1] الهاء من أدركه تعود على غزال أو نحوه، و في «المختار» : فأدرك منه ثانياً من عنانه # بمر كمرّ الرائح المتحلب
- [2] الهاء من أعدته تعود على البصر.
- [3] المزايدة: إناء صغير من الجلد يحمل فيه الماء.
- [4] قوسى-كسكري-بلدة بالسراة و بها قتل عروة أخو أبي خراش.

بلى إنها تعفو الكلوم و إنما # نوكل بالأدنى و إن جل ما يمضي[1]

و لم أدر من ألقى عليه رداءه # و لكنه قد بر عن ماجد محض[2]

الشعر لأبي خراش الهذلي، و الغناء لابن محرز خفيف ثقيل أول بالوسطى من رواية عمرو بن بانة و ذكر يحيى بن المكي أنه لابن مسجح و ذكر الهشامي أنه ليحيى المكي، نحله ابن مسجح، و في أخبار معبد أن له فيه لحنًا.

[1]تعفو الكلوم: تندمل الجراح، يريد أن المصائب ينسي بعضها بعضا، و أن الأثر الشديد يكون للمصيبة القريبة، و إن كانت القديمة فادحة.

[2]الهاء من عليه تعود على ابنه خراش، و ألقى عليه رداءه: كناية عن إجارتة و إنقاذه من الموت، المحض: الخالص من كل شيء، يقول: لا أدري من الذي أجار ابني بإلقاء رداءه عليه، على أن هذا الرداء ما خلعه إلا ذو مجد صميم، و عبارة «الحماسة» و «الديوان»: «قد سل» بدل «قد بز» .

15- ذكر أبي خراش الهذلي و أخباره [1]

أبو خراش اسمه خويلد بن مزة، أحد بني قرد، و اسم قرد عمرو بن معاوية بن سعد بن هذيل بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار. شاعر فحل من شعراء المذكورين الفصحاء، مخضرم، أدرك الجاهلية و الإسلام فأسلم و عاش بعد النبي صلى الله عليه و سلم مدة، و مات في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، نهشته أفعى فمات، و كان ممن يعدو فيسبق الخيل في غارات قومه و حروبهم.

يتربصون به فيفلت منهم

:

أخبرني حبيب بن نصر المهلبى و عمي و الحسن بن عليّ قالوا:
حدّثنا عبد الله بن أبي سعد قال: حدثنا أحمد بن عمير بن إسماعيل بن عبد العزيز بن عمر بن عبد الرحمن بن عوف قال: حدثني أبو بركة الأشجعيّ من أنفسهم قال:

خرج أبو خراش الهذليّ من أرض هذيل يريد مكة، فقال لزوجته أمّ خراش: وبحكّ إنني أريد مكة لبعض الحاجة، و إنك من أفك [2] النساء، و إنّ بني الدّيل يطلبونني بتراث فأياك و أن تذكريني لأحد من أهل مكة حتى تصدر منها! قالت: معاذ الله أن أذكرك لأهل مكة و أنا أعرف السبب.

قال: فخرج بأمّ خراش و كمن لحاجته و خرجت إلى السوق لتشتري عطرا أو بعض ما تشتريه النساء من حوائجهن، فجلست إلى عطار فمر بها فتیان من بني الدّيل، فقال أحدهما لصاحبه: أمّ خراش و ربّ الكعبة و إنّها لمن أفكّ النساء و إنّ كان أبو خراش معها فستدلنا عليه، قال: فوقفا عليها فسلما و أحفيا [3] المسألة و السلام، فقالت: من أتما/بأبي أتما؟ فقالا: رجلان من أهلك من هذيل، قالت: بأبي أتما. فإن أبا خراش معي و لا تذكراه لأحد، و نحن رائحون العشيّة، فخرج الرجلان فجمعا جماعة من فتیانهم و أخذوا مولى لهم يقال له مخلد و كان من أجود الرجال عدوا، فكمنا في عقبة على طريقه، فلما رأهم قد لاقوه في عين الشمس قال لها: قتلتي و ربّ الكعبة لمن ذكرتني؟ فقالت: و الله ما ذكرتك لأحد إلا لفتيين من هذيل، فقال لها: و الله ما هما من هذيل و لكنهما من بني الدّيل و قد جلسا لي و جمعا عليّ جماعة من قومهم فذهبي أنت فإذا جرت عليهم فإنهم لن يعرضوا لك لئلا أستوحش فأفوتهم، فاركضي بعيرك، وضعي عليه العصا، و النجاء النجاء.

قال: [فانطلقت][4] و هي على قعود عقيلي يسابق الريح، فلما دنا منهم و قد تلثّموا و وضعوا تمرا على طريقه [1] هذه الترجمة مما سقط من التراجم من طبعة بولاق و موضعها هنا حسب المخطوطات المعتمدة.

[2] أفك النساء: أكذبهن.

[3] أحفيا: أبدى الحفاوة و التلطف.

[4] زيادة يقتضيها المقام.

على كساء، فوقف قليلا كأنه يصلح شيئا، و جازت بهم أم خراش فلم يعرضوا لها لئلا ينفر منهم، و وضعت العصاء على قعودها، و توابوا إليه و وثب يعدو.

قال: فزاحمه على المحجة [1] التي يسلك فيها على العقبة ظبي، فسبقه أبو خراش، و تصايح القوم: يا مخلد أخذا أخذا.

قال: ففات الأخذ. فقالوا: ضربا ضربا، فسبق الضرب، فصاحوا: رميا رميا فسبق الرمي، و سبقت أم خراش إلى الحيّ فنادت: ألا إنّ أبا خراش قد قتل، فقام أهل الحيّ إليها، و قام أبوه و قال: ويحك ما كانت قصّته، فقالت: إن بني الدليل عرضوا له الساعة في العقبة، قال: فما رأيت، أ و ما سمعت، ؟ قالت: سمعتهم يقولون: يا مخلد أخذا أخذا، قال: ثم سمعت ما ذا؟ قالت: ثم سمعتهم يقولون: ضربا ضربا، قال: ثم سمعت ما ذا؟ قالت: سمعتهم يقولون: رميا رميا، قال: فإن كنت سمعت رميا رميا/فقد أفلت، و هو منا قريب، ثم صاح: يا أبا خراش، فقال أبو خراش: يا لبيك، و إذا هو قد وافاهم على أثرها. و قال أبو خراش في ذلك: رفوني و قالوا يا خويلد لم ترع # فقلت و أنكرت الوجوه هم هم
رفوني بالفاء: سکنوني و قالوا: لا بأس عليك.

فغاررت شيئا و الدريس كأنما # يزعزعه وعك من الموم مردم [2]

غاررت: تلبثت. و الدريس: الخلق من الثياب، و مثله الجرد و السحق و الحشيف. و مردم: لازم.

تذكرت ما أين المفّر و إنني # بحبل الذي ينجي من الموت معصم [3]

فو الله ما ربداء أو عالج عانة # أقبّ و ما إن تيس رمل مصمّم [4]

بأسرع متّي إذ عرفت عدّيهم # كأني لأولاهم من القرب توأم [5]

و أجود متّي حين وافيت ساعيا # و أخطأني خلف التنيّة أسهم [6]

أوائل بالنسّد الدليق و حنّي # لدى المتن مشبوح الذراعين خلجم [7]

/تذكرّ ذحلا عندنا و هو فاتك # من القوم يعروه اجترأ و مأثم [8]

[1]المحجة: الطريق.

[2]غاررت شيئا: تلبثت قليلا-و الوعك: أذى الحمى، و الموم: الحمى الشديدة، كأنه يقول: تلبثت قليلا و جسمي ينتفض، فنتفض معه ثيابي

الخلقة، كأن بجسمي حمى ملازمة.

[3] «ما» زائدة، معصم: من أعصم به، أي استمسك، يريد أنه معتمد على الله.

(4-5) ربداء: صفة موصوف محذوف، أي غزالة ربداء، و الربداء: المغبرة اللون، و العليج: حمار الوحش، العانة: القطيع من حمر الوحش، أقب: دقيق الخصر ضامر البطن، مصمم: جاد في سيره، العدى: جماعة القوم يعدون، لأولاهم: لأولى سراياهم.

يقول: أقسم أنني حين أبصرتهم يعدون خلفي كنت أسرع من الغزالة و حمار الوحش الضامر و التيس المصمم، و قد كادوا يدركونني، فقد كنت لأولى سراياهم من القرب كأنني توأم لها.

[6]الثنية: الطريق في الجبل، و قوله: «أجود» معطوف على «أسرع» أي ما كانت هذه الحيوانات أسرع مني، و لا أجود جريا حين وصلت سالما، و أخطأني أسهمهم.

[7]وائل: طلب النجاة، الشد الذليق: الجري السريع. و في س

«السيف الذليق»

و لا معنى له، و المثبت من هد: هج. حثني لدى المتن: أسرع بي على الجري، و المتن، الذهب في الأرض، و مشبوح الذراعين: عظيمهما، الخلجم-كجعفر: الجسم العظيم، أو الطويل المنجذب الخلق. يقول: طلبت النجاة بسرعة الجري، و ساعدني على ذلك جسمي القوي البنيان.

[8]تذكر ذحلا... إلخ: يتحدث عن خصمه، و يصفه بالفتك و الجرأة و ارتكاب المآثم.

تقول ابنتي لما رأنتي عشية: # سلمت و ما إن كدت بالأمس تسلم
 فقلت و قد جاوزت صارى عشية: # أ جاوزت أولى القوم أم أنا أحلم[1]
 فلو لا دراك الشدّ آصت حيلتي # تخير في خطّابها و هي أيم[2]
 فتسخط أو ترضى مكاني خليفة # و كاد خراش عند ذلك ييتم[3]

يسابق الخيل فيسبقها

:

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعيّ و محمد بن الحسين الكنديّ خطيب
 المسجد الجامع بالقادسية قالاً: حدثنا الرياشيّ قال: حدثنا الأصمعيّ قال:
 حدثني رجل من هذيل قال: دخل أبو خراش الهذليّ مكّة و للوليد بن المغيرة
 المخزوميّ فرسان يريد أن يرسلهما في الحلبة، فقال للوليد: ما تجعل لي
 إن سبقتهما؟ قال: إن فعلت، فهما لك، فأرسلا، وعدا بينهما فسبقهما
 فأخذهما.

قال الأصمعيّ: إذا فاتك الهذليّ أن يكون شاعرا أو ساعيا أو راميا فلا
 خير فيه.

و أخبرني بما أذكره من مجموع أخبار أبي خراش عليّ بن سليمان
 الأخفش، عن أبي سعيد السكريّ، و أخبرني بما أذكره من مجموع أشعارهم
 و أخبارهم فذكره أبو سعيد، عن محمد بن حبيب، عن ابن الأعرابي، عن أبي
 حاتم، عن أبي عبيدة، و عن ابن حبيب عن أبي عمرو.

يمدح دبية حيا و يرثيه ميتا

:

و أخبرني ببعضه محمد بن العباس اليزيديّ قال: حدّثنا الرياشيّ، عن
 الأصمعيّ، /و قد ذكرت ما رواه في أشعار هذيل و أخبارها كل واحد منهم
 عن أصحابه في مواضعه، قال السكريّ: فيما رواه عن ابن حبيب عن أبي
 عمرو قال: نزل أبو خراش الهذلي على دبيّة السلميّ-و كان صاحب العريّ
 التي في غطفان و كان يسدنها، و هي التي هدمها خالد بن الوليد لما بعثه
 رسول الله صلى الله عليه و سلم إليها فهدمها و كسرها و قتل دبيّة
 السلميّ-قال: فلما نزل عليه أبو خراش أحسن ضيافته. و رأى في رجله
 نعلين قد أخلقتا، فأعطاه نعلين من حذاء السّبت[4] فقال أبو خراش يمدحه:
 حذاني بعد ما خدمت نعالني # دبيّة إنّه نعم الخليل[5]

مقابلتين من صلوي مشبّ # من الثيران وصلهما جميل[6]

بمثلهما يروح المرء لهوا # و يقضي الهمّ ذو الأرب الرّجيل[7]

[1] صارى: جبل قبلي المدينة: و أولى القوم: أولى سراياه، يعني أنه نجا، و لم يصدق بالنجاة.

[2] آضت: رجعت، يعني لو لا سرعة جريه لرجعت حليلته-و هي أيم-
تتخير خطيبا لها لها بعد موته، و في بعض الأصول «أضت» ، و في بعضها
«قاظت» ، و في «المختار» : «أمست» .

[3] خليفة مفعول لتسخط و ترضى، و خراش هو ابنه، و البيت كله:
كناية عن هلاكه.

[4] السبت: الجلد المدبوغ.

[5] خذم الحذاء-كسمع-: انقطع.

[6] صلوى: تثنية صلا، و الصلا: الظهر، يريد أنه أعطاه نعلا من جلد ظهر
فتيّ من الثيران، و قوله: مقابلتين، يعني نعلين إحداهما تقابل الأخرى، ما
أجمل وصلهما.

[7] الرجيل: الراجل، أو المشاء، أي يمثل هاتين النعلين بلهو المرء، و
يقضي ما هم به من المأرب إذا كان راجلا أو كثير المشي.

فنعم معرّس الأضياف تذحي # رحالهم شامية بليل [1]

يقاتل جوعهم بمكّلات # من الفرنيّ يربها الجميل [2]

قال أبو عمرو: الجميل: إلا هالة، و لا يقال لها جميل حتى تذاب إهالة كائت أو شحما، /و قال أبو عمرو: و لما بعث رسول الله صلى الله عليه و سلّم خالد بن الوليد فهدم عرّي غطفان، و كانت ببطن نخلة، نصبها ظالم بن أسعد بن عامر بن مرة و قتل ديبّة فقال أبو خراش الهذلي يرثيه: ما لدبيّة منذ اليوم لم أره # وسط الشروب و لم يلّم و لم يطف [3]

لو كان حيّا لغاداهم بمترعة # فيها الرّواويق من شيزى بني الهطف [4]

بنو الهطف: قوم من بني أسد يعملون الجفان.

كابي الرماد عظيم القدر جفنته # حين الشتاء كحوض المنهل اللّف [5]

-المنهل: الذي إبله عطاش. و اللّف: الذي يضرب الماء أسفله فيتساقط و هو ملآن-

أمسى سقام خلاء لا أنيس به # إلا السّباع و مرّ الريح بالغرف [6]

يرثي زهير بن العجوة

:

و قال الأصمعيّ و أبو عمرو في روايتهما جميعا:

أخذ أصحاب رسول الله صلى الله عليه و سلّم في يوم حنين أسارى، و كان فيهم زهير بن العجوة أخو بني عمرو بن الحارث، فمرّ به جميل بن معمر بن حبيب بن وهب بن حذافة بن جمح، و هو مربوط في الأسرى، و كانت بينهما إحنة في الجاهلية، فضرب عنقه، فقال أبو خراش يرثيه: فجّع أصحابي جميل بن معمر # بذي فجر تأوي إليه الأرامل [7]

/طويل نجاد السيف ليس بحيدر # إذا قام و استنّت عليه الحمائل [8]

إلى بيته يأوي الغريب إذا شتا # و مهلك بالي الدّريسين عائل [9]

تروّح مقرورا و راحت عشية # لها حذب تحتّه فيوائل [10]

[1]المعرس: اسم مكان من عرس بالتحديد بمعنى نزل، و الشامية البليل: الريح التي تهب من جهة الشام رطبة لينة. و يريد بالمعرس منزل دبية و تذحي: تسوق و تطرد، و انظر «اللسان» (ذحي).

[2] بمككلات: بجفان مملوءات، الفرنبي: نوع مخصوص من الخبز، يرعبا: يملؤها، الجميل: الإهالة، و هي الشحم، أو كل ما يؤتدم به، يقول: إن مضيفه كريم يقابل الجوع بجفان مككلة بالخبز المأدوم بالشحم أو اللحم و غيره من أنواع الإدام.

[3] الشروب: القوم يشربون.

[4] مترعة: مملوءة، الرواويق: جمع راووق: الخمر، و إناؤها، و ما تروق به، و الشيزي: الجفنة.

[5] كابي الرماد: عظيمة، كناية عن الكرم.

[6] سقام-بفتح السين-اسم واد بالحجاز يبدو أن المرثي كان ينزل به.

[7] فجع... إلخ: بيت من الطويل دخله الخرم، و الفجر-بفتح الفاء و الجيم-: العطاء و الكرم.

[8] طويل نجاد السيف: كناية عن طول قامته، الحيدر: الغليظ السمين، استنتت: اضطربت، يعني أنه طويل القامة، حين تهتز حمائل سيفه على جانبه لا تجد غلظا و لا سمنا. و في ف: «تسترخي» بدل: و «استنتت» .

[9] المهتهلك: الذي لا هم له إلا أن يتضيفه الناس، الدريسين: مثنى دريس، و هو الثوب الخلق.

[10] الحذب: شدة البرد، تحتته: تسرع به، يوائل: يطلب النجاة، البيت وصف لمهتهلك في البيت السابق، يريد أنه راح يشكو القر،

- تكاد يدها تسلمان رداءه # من القرّ لَمَّا استقبلته الشمائل [1]
 فما بال أهل الدّار لم يتصدّعوا # و قد خفّ منها المودعيّ الحلاحل [2]
 فأقسم لو لاقيته غير موثق # لآبك بالجزع الصّباح التّواهل [3]
 لطلّ جميل أسوأ القوم تلة # و لكنّ ظهر القرن للمرء شاغل [4]
 فليس كعهد الدار يا أمّ مالك # و لكن أحاطت بالرقاب السلاسل [5]
 و عاد الفتى كالكهل ليس بقائل # سوى الحقّ شيئاً فاستراح العواذل [6]
 و لم أنس أياما لنا و لياليا # بحلية إذ نلقى بها ما نحاول [7]

و قال أيضا يرثيه:

- أ في كلّ ممسى ليلة أنا قائل # من الدهر لا يبعد قتيل جميل [8]
 فما كنت أخشى أن تصيب دماءنا # قريش و لما يقتلوا بقتيل [9]
 فأبرح ما أمّرتم و عمرتم # مدى الدهر حتى تقتلوا بغليل

يستنقذ أسرى بني ليث

:

و قال أبو عمرو في خبره خاصة: أقبل أبو خراش و أخوه عروة و صهيب القرديّ في بضعة عشر رجلا من بني قرد يطلبون الصيد فبينما هم بالمجمعة من نخلة لم يرعهم إلا قوم قريب من عدتهم فظنهم القرديّون قوما من بني ذؤبية أحد بني سعد بن بكر بن هوازن أو من بني حبيب أحد بني نصر، فعدا الهذليّون إليهم يطلبونهم و طمعوا فيهم حتى خالطوهم و أسروهم جميعا، و إذا هم قوم من بني ليث بن بكر، فيهم ابنا شعوب أسرهما صهيب القردي، فهمّ بقتلها، و عرفهم أبو خراش فاستنقذهم جميعا من أصحابه و أطلقهم، فقال أبو خراش في ذلك يوم على ابني شعوب أحد بني شجع بن عامر بن ليث فعله بهما: و راحت عليه عشية باردة تجعله يغذ السير طلبا للنجاة.

[1] هذا البيت كسابقة في وصف مهتلك، أي تكاد الرياح الباردة تمزق ثوبه، فتنبذه يدها لما خلق منه، و في «ديوان الهذليين» «من الجود» بدل من «القر» كأنه جعل البيت وصفا للمرثي، و السياق يؤيد ما أثبتناه.

[2] اللوذعي: الخفيف الذكي، أو الحديد الفؤاد و النفس، أو اللسن الفصيح، الحلاحل: السيد في قومه، أو الكريم الجواد، يعجب من أهل داره كيف لم تتصدع أكبادهم بعد فراقهم إياه.

«لآبِك بِالْجَزَعِ الضَّبَاعِ النَّوَاهِلِ»

: لوردت دمك الضباع العطاش، كناية عن قتل زهير لجميل لو لم يكن موثقا، و الجزع-بفتح الجيم و كسرهما-: منعطف الوادي و وسطه.

[4]تلة: صرعة، الظهر: إصابة الظهر، القرن: القرين في الشجاعة و ما إليها، و المعنى أن جميلا أسوأ الناس إصابة، لأنه أهلك سيذا شجاعا موثقا لا يستطيع الدفاع عن نفسه، و لكن القرن ينشغل دائما بإصابة ظهر قرنه، ليتخلص منه، و في س

«و لكن قرن المرء للظهر شاغل»

و لم نجد لها معنى، و المثبت من ف.

[5]اسم ليس ضمير الشأن، و لعله يعني بإحاطة السلاسل بالرقاب، فتح خالد لتلك النواحي.

[6]لعله يعني بهذا البيت دخول القوم في الإسلام، و أن الجميع دانوا بالحق، و انثنوا عن اللهو و الباطل، فلم يبق مكان للعواذل.

[7]حلية: اسم مكان.

[8]لا يبعد: لا يهلك، و هو دعاء يقال في مقام الرثاء كثيرا، و يجوز أن يكون من البعد ضد القرب.

[9] «و لما يقتلوا» جملة معترضة، أي ما كنت أخاف أن تقتل قريش منا قتيلا دون أن ننال منهم.

/

عدونا عدوة لا شكّ فيها # و خلناهم ذؤيبة أو حبيبا[1]
 فنغري الثائرين بهم و قلنا # شفاء النفس أن بعثوا الحروبا[2]
 منعنا من عدّي بني حنيف # صحاب مضرس و ابني شعوبا[3]
 فأثنوا يا بني شجع علينا # و حقّ ابني شعوب أن يثيبا
 وسائل سبرة الشّجعيّ عنا # غداة نخالهم نجوا جنيبا[4]
 بأنّ السّابق القرديّ ألقى # عليه الثوب إذ ولّى دبيبا[5]
 و لو لا ذاك أرهقه صهيب # حسام الحدّ مطرورا خشيبا[6]

يزهد زهد الهنود

:

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعيّ قال: حدثنا الرياشي: قال: حدثنا الأصمعيّ قال: أقفر أبو خراش الهذليّ من الزّاد أياما، ثم مرّ بامرأة من هذيل جزلة شريفة، فأمرت له بشاة فذبحت و شويت، فلما وجد بطنه ريح الطعام قرقر[7]، فضرب بيده على بطنه و قال: إنك لتقرقر لرائحة الطعام، و الله لأطعمت منه شيئا ثم قال: يا ربّة البيت، هل عندك شيء من صبر أو مرّ؟ قالت: تصنع به ما ذا؟ قال: أريده، فأتته منه بشيء فاقتمحه، ثم أهوى إلى بعيره فركبه، فناشدته المرأة فأبى، فقالت له: يا هذا، هل رأيت بأسا أو أنكرت شيئا؟ قال: لا و الله، ثم مضى و أنشأ يقول: /

و إني لأتوي الجوع حتى يملّني # فأحيا و لم تدنس ثيابي و لا جرمي[8]
 و أصطبج الماء القراح فأكتفي # إذا الزاد أضحى للمزجّ ذا طعم[9]
 أردّ شجاع البطن قد تعلمينه # و أوتر غيري من عيالك بالطعم[10]
 مخافة أن أحيا برغم و ذلّة # فللموت خير من حياة على رغم

يفتدي أخاه عروة فيلطمه

:

و أخبرني عمّي عن هارون بن محمد الزيات، عن أحمد بن الحارث، عن المدائني بنحو مما رواه الأصمعيّ.

[1] خلناهم: خلنا من أغرنا عليهم، ذؤيبة و حبيب: قبيلتان.
 [2] نغري الثائرين بهم: نسلطهم عليهم و نمكنهم منهم.

[3]عدي بني حنيف: جماعة العادين منهم، و مضرس: اسم رجل من بني ليث المعدو عليهم، و شعوب: اسم رجل، و لكنه منع الصرف، لأنه في الأصل علم على المنية.

[4]ضمير نخالهم يعود على المأسورين، النجو: ما أهمل من قطع الخشب، أو ما خرج من البطن، و الخييث: المبعد المنحى: يقول.

سائل الشجعي عنا غداة أسرنا قومه، و ظنناهم ممن لا وزن لهم.

[5]لعل المراد بإلقاء الثوب عليه التعرف عليه، و أنه من ليث بن بكر، لا من ذؤيبة أو حبيب.

[6]حسام الحد: سيفا قاطع الحد، مطرورا: مسنونا، خشيبا: مسلولا، أي لو لا التعرف عليه لفتك به صهيب.

[7]قرقر بطنه: أحدث من الجوع صوتا يشبه القرقرة.

[8]أثوي الجوع-من أثوى-: أسكنه بطني، و الجرم: الجسد.

[9]الماء القراح: الخالص، و اصطبحه: شربه صباحا، المزليج: الرجل الذي لا قوة له على احتمال المكروه. يقول: أكتفي بالماء القراح إذا حمل الجشع الرجل الدنيء على الزاد اللذيذ الطعم.

[10]الشجاع: الثعبان: شبه أمعائه بالثعابين لما ترمى إليه من المهالك، و الطعم: الطعام، و الخطاب المرأة التي استضافته. -

و قال أبو عمرو:

أسرت فهم عروة بن مرة أخا أبي خراش-و قال غيره: بل بنو كنانة أسرتهم- فلما دخلت الأشهر الحرم، مضى أبو خراش إليهم و معه ابنه خراش، فنزل بسيد من ساداتهم و لم يعرّفه نفسه و لكنه استضافه فأنزله و أحسن قراه، فلما تحرّم به انتسب له، و أخبره خبر أخيه، و سأله معاونته حتى يشتريه منهم، فوعده بذلك، و غدا على القوم مع ذلك الرجل، فسألهم في الأسير أن يهبوه له، فما فعلوا، فقال لهم: فيعوني، فقالوا: أما هذا فنعم، فلم يزل يساومهم حتى رضوا بما بذله لهم، فدفّع أبو خراش إليهم ابنه خراشا رهينة، و أطلق أخاه عروة و مضيا، حتى أخذ أبو خراش فكاك أخيه، و عاد به إلى القوم حتى أعطاهم إياه و أخذ ابنه. فبينما أبو خراش ذات يوم في بيته إذ جاءه عبد له فقال:

إن أخاك عروة جاءني و أخذ شاة من غنمك، فذبحها، و لطمني لماً منعتة منها، فقال له: دعه، فلما كان بعد أيام عاد، فقال له: قد أخذ أخرى، فذبحها، فقال: دعه، فلما أمسى قال له: إن أخاك اجتمع مع شرب من قومه، فلما انتشى جاء إلينا و أخذ ناقة من إبلك، لينحرها لهم فعاجله، فوثب أبو خراش إليه، فوجده قد أخذ الناقة، لينحرها، فطردها أبو خراش، فوثب أخوه عروة إليه/فلطم وجهه، و أخذ الناقة، فعقرها، و انصرف أبو خراش، فلما كان من غد لأمه قومه، و قالوا له: بئست لعمر الله المكافأة، كانت منك لأخيك؛ رهن ابنه فيك، و فداك بماله، ففعلت به ما فعلت، فجاء عروة يعتذر إليه، فقال أبو خراش:

لعلك ناعفي يا عرو يوما # إذا جاورت من تحت القبور

أخذت خفارتي و لطمت عيني # و كيف تثيب بالمنّ الكبير[1]

و يوم قد صبرت عليك نفسي # لدى الأشهاد مرتدي الحرور[2]

إذا ما كان كسّ القوم روقا # و جالت مقلتا الرجل البصير[3]

بما يممته و تركت بكري # و ما أطعمت من لحم الجزور[4]

قال معنى قوله بكري أي بكر ولدي أي أولهم.

خبر أخويه الأسود و أبي جندب

:

و قال الأصمعيّ و أبو عبيدة و أبو عمرو و ابن الأعرابي:

كان بنو مرة عشرة: أبو خراش[5]، و أبو جندب، و عروة، و الأبخ، و الأسود، و أبو الأسود، و عمرو، و زهير، و جناد، و سفيان، و كانوا جميعا شعراء دهاة سراعا لا يدركون عدوا، فاما الأسود بن مرة فإنه كان على ماء من داءة[6] و هو غلام شاب، فوردت عليه إبل/رئاب بن ناضرة بن المؤمل من بني لحيان، و رئاب شيخ كبير، فرمى [1]خفارتي: يعني مالي الذي أحرسه، المن: العطاء.

[2] و يوم-بالكسر-معطوف على المن في البيت قبله، أي كيف تشيب على هذا و ذاك؟الأشهاد: جمع شهد، و شهد: جمع شاهد، و مرتدي الحرور: لابسا الحر.

[3]الكس: الدق الشديد، روقا: زائدا، لعله يريد أن يقول: إنني صبرت نفسي عليك إذ كان دق القوم بمعنى ضربهم شديدا زائدا، و جالت العيون في الملقى، و ذلك كناية عن أنه خاض الحرب من أجله.

[4]بما يممه: بما قصده من إحساني إليك، و يتعلق الجار و المجرور «كيف تشيب» في البيت الثاني أي كيف تشيبني بإحساني إليك و رهن ولدي من أجلك، و ما أكلته من لحم جزوري بلطمك وجهي؟.

[5]كان القياس أن يقول: أبا خراش بالنصب على البدلية من عشرة، و لكن هكذا ورد في الأصول على قدير «هم فلان و فلان» .

[6]داءة-كما في «القاموس» -موضع لهذيل و في «المختار» : «فإنه كان-على ما مرّ-داهية» .

الأسود ضرع ناقة من الإبل فعقرها، فغضب رثاب، فضربه بالسيف، فقتله، و كان أشدهم أبو جندب، فعرف خبر أخيه، فغضب غضبا شديدا، و أسف، فاجتمعت رجال هذيل إليه يكلمونه و قالوا: خذ عقل [1]أخيك، و استبق ابن عمك، فلم يزالوا به حتى قال: نعم، اجمعوا العقل، فجاءوه به في مرة واحدة، فلما أراحوه عليه صمت فطال صمته فقالوا له: أرحنا: اقبضه منا، فقال: إني أريد أن أعتمر فأحبسوه حتى أرجع، فإن هلكت [2]فلأمم ما أنتم -هذه لغة هذيل يقولون: إمّ بالكسر، و لا يستعلمون الضم- و إن عشت فسوف ترون أمري، و ولى ذاهبا نحو الحرم، فدعا عليه رجال من هذيل، و قالوا: اللهم لا تردّه، فخرج فقدم مكة فواعد كلّ خليع و فاتك في الحرم أن يأتوه يوم كذا و كذا، فيصيب بهم قومه، فخرج صادرا، حتى أخذته الدّبة في جانب الحرم، فمات قبل أن يرجع، فكان ذلك خبره.

خبر أخيه زهير

:

قالوا: و أما زهير بن مرة فخرج معتمرا قد جعل على جسده من لحاء [3]الحرم، حتى ورد ذات الأقيز [4]من نعمان، فبينما هو يسقي إبلا له إذ ورد عليه قوم من ثمالة، فقتلوه، فله يقول أبو خراش، و قد انبعث يغزو ثمالة و يغير عليهم، حتى قتل منهم بأخيه أهل دارين، أي حلتين من ثمالة.

خذوا ذلكم بالصّلح إني رأيتمكم # قتلتم زهيرا و هو مهد و مهمل

/مهد أي أهدى هديا للكعبة. و مهمل: قد أهمل إبله في مراعيها.

قتلتم فتى لا يفجر الله عامدا # و لا يجتويه جاره عام يحمل [5]

و لهم يقول أبو خراش:

إني امرؤ أسأل كيما أعلما # من شرّ رهط يشهدون الموسما؟

وجدتهم ثمالة بن أسلما

و كان أبو خراش إذا لقيهم في حروبه أوقع بهم و يقول: إليك أمّ ذبّان # ما ذاك من حلب الصّان [6]

لكن مصاع الفتیان # بكلّ لين حرّان [7]

[1]عقل أخيه: ديته.

[2] فلأَمْ ما أنتم: فأنتم تنتمون إلى أصل عظيم، و أم كل شيء: أصله و عماده، و المراد بالعبارة: إن هلكنا فافعلوا ما ترون، فأنتم لا تجتمعون على ضلال.

[3] اللحاء: قشر الشجر.

[4] ذات الأقيرد: جبل بنعمان «معجم ياقوت» .

[5] لا يفجر الله: لا يفجر بالله، على حذف الخافض، لا يجتوبه، لا يكرهه. عام محل: سنة القحط، يصف أخاه بالاستقامة و العطف على الجار.

[6] الأبيات من منهوك المنسرح «مستفعلن مفعولات» ، أم ذبان: من الذبنة-بضم الذاال-بمعنى ذبول الشفتين من العطش، كأنه يكنى بأم ذبان عن شفتيه العطشيين، يقول لشفته: إليك عن الري، لا تطلبه في الحرب، فليس لبن الضان يسقى فيها.

[7] مصاع: من صاع الأقران: أتاهم من نواحيهم، بكل لين «بتخفيف الياء» حران: لعله يقصد بكل سنان لدن عطشان إلى الدماء، و المعنى-على ما يبدو لنا-ليس في الحرب ري بماء أو لبن، و لكنها مصارع الفتيان بكل سنان ظامئ إلى الدماء.

خبر أخيه عروة و ابنه خراش

:

قال: و أما عروة بن مرة و خراش بن أبي خراش فأخذهما بطنان من ثمالة يقال لهما بنو رزام و بنو بلال، و كانوا متجاورين، فخرج عروة بن مرة و ابن أبي خراش أخيه مغيرين عليهم طمعا في أن يظفروا من أموالهم بشيء، فظفر بهما الثماليون، فأما بنو رزام فنهوا عن قتلها و أبت بنو بلال إلا قتلها، حتى كاد يكون بينهم شر، فألقى رجل من القوم ثوبه على خراش حين شغل القوم بقتل عروة، ثم قال له: أنج، و انحرف القوم بعد قتلهم عروة إلى الرجل، و كانوا أسلموه إليه، فقالوا: أين خراش؟ فقال: أفلت مني، فذهب، فسعى القوم في أثره، فأعجزهم، فقال أبو خراش في ذلك يرثي أخاه عروة، و يذكر خلاص ابنه: /

حمدت إلهي بعد عروة إذ نجا # خراش و بعض الشر أهون من بعض
 فوالله لا أنسى قتيلاً رزيتَه # بجانب قوسى ما حييت على الأرض [1]
 بلى إنها تعفو الكلوم و إنما # نوكل بالأدنى و إن جلّ ما يمضي
 و لم أدر من ألقى عليه رداءه # سوى أنه قد سلّ عن ماجد محض
 و لم يك مثلوج الفؤاد مهتلاً # أضع الشباب في الرّيلة و الخفض [2]
 و لكنه قد نازعته مجاوع # على أنه ذو مرة صادق النهض [3]

قال: ثم إن أبا خراش و أخاه عروة [4] استنفرا حيّا من هذيل يقال لهم بنو زليفة بن صبيح ليغزوا ثمالة بهم طالبين بثأر أخيهما، فلما دنوا من ثمالة أصاب عروة ورد حمى، و كانت به حمى [5] الرّبع فجعل عروة يقول: أصبحت موروداً فقربوني # إلى سواد الحيّ يدفنونني

إنّ زهيراً وسطهم يدعوني # ربّ المخاض و اللّفاح الجون [6]

/ فلبثوا إلى أن سكنت الحمى، ثم بيّتوا ثمالة، فوجدوهم خلوا ليس فيهم رجال، فقتلوا من وجدوا من الرجال، و ساقوا النساء و الذراريّ و الأموال، و جاء الصائح إلى ثمالة عشاء، فلقوهم، و انهزم أبو خراش و أصحابه، و انقطعت بنو زليفة، فنظر الأكنع الثّماليّ-و كان مقطوع الأصبع- إلى عروة فقال: يا قوم، ذلك و الله عروة، و أنا و الله رام بنفسي عليه، حتى يموت أحداً، و خرج يمعج [7] نحو عروة، فصاح عروة بأبي خراش أخيه: أي أبا خراش، هذا و الله الأكنع و هو قاتلي، فقال أبو خراش: أمضه [8]، و

قعد له على طريقه، و مر به الأكنع [1]تقدم هذا البيت و البيتان اللذان بعده في الترجمة نفسها.

[2]مثلوج الفؤاد: كناية عن الدعة و الخور، و المهبل: من يقال له: هبلتك أمك، بمعنى ثكلتك، يعني أنه لم يكن يجرؤ أحد على سبه الربيلة و الخفض. معناهما واحد، هو الدعة و النعمة يصف المرثي بأنه كمن يركب الأهوال.

[3]ف: مخامص، ذو مرة، ذو قوة، صادق النهض: شجاع إذا نهض إلى الحرب ولي.

[4]هنا اضطراب بين في سياق الحديث، ففيما سبق أن عروة قد قتل، و هنا ما يفيد أنه ما زال حيا، فلعل هذا الكلام رواية أخرى تتعلق به، أو لعل ثمة تحريفا بوضع عروة موضع عمرو، و العجيب أن تتفق الأصول التي بين أيدينا على هذه الرواية.

[5]حمى الربيع: هي التي تصيب المريض دوما و تدعه يومين، ثم تعود إليه في اليوم الرابع.

[6]الجون: يريد رب الإبل التي في لونها دهمة أي سواد.

[7]يمعج: يسرع.

[8]أمضه: اجعله يمضي خلفك.

مصمما على عروة، و هو لا يعلم بموضع أبي خراش، فوثب عليه أبو خراش، فضربه على حبل عاتقه حتى بلغت الصّربة سحره[1]، و انهزمت ثمالة، و نجا أبو خراش و عروة. و قال أبو خراش يرثي أخاه و من قتله ثمالة و كنانة من أهله، و كان الأصمعيّ يفضّلها: فقدت بني لبني فلما فقدتهم # صبرت فلم أقطع عليهم أباجلي[2]

الأبجل: عرق في الرّجل.

رماح من الخطّيّ زرق نصالها # حداد أعاليها شداد الأسافل

فلهفي على عمرو بن مرّة لهفة # و لهفي على ميت بقوسى المعافل[3]

حسان الوجوه طيّب حجاتهم # كريم نثاهم غير لفّ معازل[4]

/قتلت قتिला لا يحالف غدرة # و لا سبّة لا زلت أسفل سافل[5]

و قد أمنوني و اطمأنت نفوسهم # و لم يعلموا كلّ الذي هو داخلي

فمن كان يرجو الصلح منيّ فإنه # كأحمر عاد أو كليب بن وائل[6]

أصبيت هذيل بابن لبني و جدّعت # أنوفهم باللّودعيّ الحلاجل[7]

رأيت بني العلاتّ لما تضافروا # يحوزون سهمي دونهم بالشّمائل[8]

أخبار أخوته

:

قالوا: و أما أبو الأسود فقتلته فهم بياتا تحت الليل، و أما الأبيّ فكان شاعرا، فأمسى بدار بعرعر من ضيم، فذكر لسارية بن زنيم العبديّ أحد بني عبد بن عدّيّ بن الدّيل، فخرج بقوم من عشيرته يريدوه و من معه، فوجدوهم قد طعنوا. و كان بين بني عبد بن عدّيّ بن الدّيل و بينهم حرب، فقال الأبيّ في ذلك: لعمرك ساري بن أبي زنيم # لأنت بعرعر الثّار المنيم[9]

تركت بني معاوية بن صخر # و أنت بمرّيع و هم بضيم[10]

[1]السحر: ما اتصل بالحلقوم من رئة و غيرها.

[2]بني لبني، يريد إخوته لأن اسم أهمم جميعا لبني ما عدا سفيان.

[3]يعني بقتيل قوسى أخاه عروة، كما مر.

[4]حجزا جمع حجرة-بضم الحاء-و هي موضع التكة من السراويل، و ذلك كناية عن العفاف، و الثنا: الحديث، لف: جمع ألف، و هو الثقل البطيء، أو ألفه العيي، المعازل: المجردون من السلاح.

[5] قتل قتيلا: الخطاب لقاتل أحد إخوته، و قوله: «لا زلت أسفل سافل»

دعاء عليه.

[6] يكنى بقوله:

«كأحمر عاد أو كليب بن وائل»

عن استبعاد الصلح و استحالة السلام.

[7] اللوذعي: الخفيف الذكي، الحلاحل: السيد الشجاع، و جدعت أنوفهم كناية عن ذلهم و استكانتهم بعد موته.

[8] بنو العلات: من أبوهم واحد و أمهاتهم مختلفة، و لعله يقصد بهم القبائل التي تضافرت عليه، و قتل إخوته، يقول: إنهم حين تألبوا عليه لم تؤثر سهامه فيهم، بل تلقوها بأيديهم. الشمائل: كناية عن عدم الإصابة.

[9] ساري: ترخيم سارية، عرعر: مكان، و قوله: «الثأر المنيم» يريد الثأر الذي إذا أدركه أهله ناموا و استراحوا، و في ف

«لأنت بعرعر الثاوي المقيم»

و يبدو من السياق أن بني معاوية المشار إليهم في البيت التالي كانوا وتروا سارية، فخشيتهم، و نام عن طلب الثأر.

[10] في هد «معاوية بن بكر» بدل «معاوية بن صخر» ، و مربع، و ضيم: مكانان متقاربان، يقول: تركتهم دون أن تثار منهم، و هم عن كتب منك.

تساقفهم على رصف و ظرّ # كدابغة و قد حلم الأديم[1]

/رصف و ظرّ: ماءان، و مربع و ضيم: موضعان.

فلم تتركهم قصدا و لكن # فرقت من المصالت كالنجوم[2]

رأيتهم فوارس غير عزل # إذا شرق المقاتل بالكوم[3]

فأجابه سارية، فقال:

لعلك يا أبحّ حسبت أنني # قتلت الأسود الحسن الكريما

أخذتم عقله و تركتموه # يسوق الظمّي وسط بني تميما[4]

عيرهم بأخذ دية الأسود بن مرة أخيههم، و أنهم لم يدركوا بثأره، و بنو تميم من هذيل.

قالوا: و أما جنادة و سفيان فماتا، و قتل عمرو، و لم يسمّ قاتله. قالوا: و أهمهم جميعا لبني إلا سفيان بن مرة، فإن أمه أم عمرو القرديّة، و كان أيسر القوم و أكثرهم مالا.

و قال أبو عمرو: و غزا أبو خراش فهما[5]، فأصاب منهم عجوزا، و أتى بها منزل قومه، فدفعها إلى شيخ منهم، و قال: احتفظ بها حتى أتيتك، و انطلق لحاجته، فأدخلته بيتا صغيرا، و أغلقت عليه، و انطلقت، فجاء أبو خراش، و قد ذهبت، فقال: سدّت عليه دولجا يّممت # بني فالج بالليث أهل الخزائم[6]

/الدولج: بيت صغير يكون للبهم، و الليث: ماء لهم، و الخزائم البقر واحدتها خزومة.

و قالت له: دّخ مكانك إنني # سألقاك إن وافيت أهل المواسم

يقال: دّخ الرجل و دمّخ إذا أكبّ على وجهه و يديه.

و قال أبو عمرو: دخلت أميمة امرأة عروة بن مرة على أبي خراش و هو يلاعب ابنه فقالت له: يا أبا خراش تناسيت عروة، و تركت الطلب بثأره، و لهوت مع ابنك، أما و الله لو كنت المقتول ما غفل عنك، و لطلب قاتلك حتى يقتله، فبكى أبو خراش، و أنشأ يقول: لعمرى لقد راعت أميمة طلعتي # و إنّ ثوائي عندها لقليل[7]

[1]المراد بالمساقاة، المسالمة و المصافاة، الأديم: الجلد، و حلم: أصابته الحلمة، و هي دودة تأكله، فإذا دبغ و هي موضع الأكل، و المراد أنك

تصافيهـم و تساقيهـم على غش خشية بأسهـم و البيت في «اللسان» (رصف)

[2] فرقت: خفت، المصالت: الشجعان.

[3] عزل: جمع أعزل، الكلوم: الجراح، يريد أنك خشيت بأسهـم، لأنهم يجيدون استعمال السلاح في الحروب التي يشرق فيها المحارب بالدم.

[4] عقله: ديته، الظمي: جمع ظمياء، و هي الناقة القليلة لحم الفخذين، كناية عن الهزال، يقول له على سبيل التهكم: لست أنا قاتل أخيك الأسود ذي الحسب و النسب، و لكن ابحت عن قاتله في بني تميم الذين تركتم لهم دمه، و اكتفيتم منهم بديته من الإبل العجاف.

[5] في ف «تميما» بدل «فهما» .

[6] ضمير عليه يعود على الرجل الذي استودع العجوز، و فاعل سدت ضمير العجوز.

[7] طلعتى فاعل راعت، و أميمة مفعول، و جملة المصراع الثاني حالية، يقول: ظنت أنني نائم عن ثأر أخي، و لم تعلم أنني أضمر ذلك، و لن يطول مقامي معها.

و قالت: أراه بعد عروة لاهيا # و ذلك رزء لو علمت جليل
 فلا تحسبي أني تناسيت ففده # و لكن صبري يا أميم جميل[1]
 أ لم تعلمي أن قد تفرق قبلنا # نديما صفاء مالك و عقيل[2]
 أبى الصبر أني لا يزال يهيجني # مبيت لنا فيما خلا و مقيل[3]
 و أني إذا ما الصبح آنست ضوأه # يعادوني قطع عليّ ثقيل[4]

/قال أبو عمرو: فأما أبو جندب أخو أبي خراش فإنه كان جاور بني
 نفاثة بن عدي بن الدليل حيناً من الدهر، ثم إنهم هموا بأن يغدروا به، و كانت
 له إبل كثيرة فيها أخوه جنادة، فراح عليه أخوه جنادة ذات ليلة، و إذا به
 كلوم، فقال له أبو جندب: مالك؟ فقال: ضريني رجل من جيرانك، فأقبل أبو
 جندب، حتى أتى جيرانه من بني نفاثة، فقال لهم: يا قوم، ما هذا الجوار؟ لقد
 كنت أرجو من جواركم خيراً من هذا، أ يتجاوز أهل الأعراض بمثل هذا؟.

فقالوا: أ و لم يكن بنو لحيان[5]، يقتلوننا، فو الله ما قرّت دماؤنا، و ما
 زالت تغلي، و الله إنك للثار المنيم[6]، فقال: أما إنه لم يصب أخي إلا خيراً،
 و لكنما هذه معاتبة لكم، و فطن للذي يريد القوم من الغدر به، و كان
 بأسفل دفاق[7]، فأصبحوا طاعنين، و تواعدوا ماء[8] طرّ، فنغذ الرجال إلى
 الماء، و أحرّوا النساء لأن يتبعنهم إذا نزلوا، و اتخذوا الحياض للإبل، فأمر أبو
 جندب أخاه جنادة و قال له: اسرح مع نعم القوم.

ثم توقّف، و تأخّر، حتى تمرّ عليك النعم كلّها، و أنت في آخرها سارح
 بإبلك، و اتركها متفرقة في المرعى، فإذا غابوا عنك فاجمع إبلك، و اطردّها
 نحو أرضنا، و موعدك نجد ألوز ثنية[9]، في طريق بلاده، و قال لامرأته أمّ
 زنباع و هي من بني كلب بن عوف: اطعني و تمكّني، حتى تخرج آخر طعينة
 من النساء.

ثم توجّهي، فموعدك ثنية يدعان من جانب النخلة، و أخذ أبو جندب
 دلوّه، /و ورد مع الرجال، فاتخذ القوم الحياض، و اتخذ أبو جندب حوضاً،
 فملأه ماء، ثم قعد عنده، فمرّت به إبل ثمّ إبل، فكلّما وردت إبل سأل عن
 إبله فيقولون: قد بلغت، تركناها بالصّجن[10].

ثم قدمت النساء كلما قدمت طعينة سألها عن أهله، فيقولون: بلغتك،
 تركناها تطعن، حتى إذا ورد آخر النعم [1] في «المختار»: «تحسبي أني
 تناسيت عهد»

[2]مالك و عقيل هما نديما جذيمة الأبرش، و بهما يضرب المثل في التلازم و طول الألفة، و إليهما يشير متمم بن نويرة بقوله بعد أن قتل خالد بن الوليد أخاه مالك بن نويرة.

و كنا كندمانى جذيمة حقة # من الدهر حتى قيل لن يتصدعا

فلما تفرقنا كأني و مالكا # لطول اجتماع لم نبت ليلة معا

[3]الصبر مفعول، و المصدر المؤول فاعل، المبيت: موضع البيت، المقييل: موضع القيلولة، يقول: نفى الصبر عني تذكر عشرته القديمة و طول مدتها، و في «المختار»: «أبى الصير أنى لا أزال بمهجتي»

[4]القطع: انقطاع النفس و ضيقه.

[5]يشيرون إلى حادثة سيأتي ذكرها.

[6]الثأر المنيم: الذي إذا أدرك استراح صاحبه، و نام.

[7]دفاق: مكان.

[8]ظر: في «القاموس»: ماء، و في «معجم البلدان»: ماء ظراء «بالفتح و المد» .

[9]في هد «الودنية» و في هج «الوثنية» ، و المثبت من ف.

[10]ف «الصحن» تحريف. و الضجن: واد في بلاد هذيل بتهامة.

و آخر الظعن قال: و الله لقد حبس أهلي حابس، أبصر يا فلان، حتى أستأنس أهلي و إبلي، و طرح دلوه على الحوض.

ثم ولى، حتى أدرك القوم بحيث وعدهم، فقال أبو جندب في ذلك:

أقول لأمّ زباع أقيمي # صدور العيس شطر بني تميم[1]

و غرّبت الدّعاء و أين مّي # أناس بين مرّ و ذي يدوم[2]

غرّبت الدّعاء: دعوت من بعيد.

و حيّ بالمناقب قد حموها # لدى قرّان حتى بطن ضيم[3]

و أحياء لدى سعد بن بكر # بأملاح فظاهرة الأديم[4]

أولئك معشري و هم أرومي # و بعض القوم ليس بذي أروم[5]

هنالك لو دعوت أذاك منهم # رجال مثل أرمية الحميم

الأرمية: السحاب الشديد الوقع، واحدها رمي، و الحميم: مطر القيظ.

أقلّ الله خيرهم ألامّا # يدعهم بعض شرهم القديم[6]

/ألامّا يسلم الجيران منهم # و قد سال الفجاج من الغميم[7]

غداة كأنّ جناد بن لبني # به نضح العبير من الكلوم[8]

دعا حولي نفائة ثم قالوا: # لعلك لست بالثأر المنيم

المنيم: الذي إذا أدرك استراح أهله و ناموا.

نعوا من قتلت لحيان منهم # و من يغتترّ بالحرب القروم[9]

قالوا جميعا: و كان أبو جندب ذا شرّ و بأس، و كان قومه يسمونه المشئوم، فاشتكى شكوى شديدة، و كان له جار من خزاعة يقال له حاطم، فوقعت به بنو لحيان، فقتلوه قبل أن يستبلّ [10] أبو جندب من مرضه، و استاقوا أمواله، و قتلوا امرأته، و قد كان أبو جندب كلّم قومه، فجمعوا لجاره غنما، فلما أفاق أبو جندب من مرضه خرج من أهله، حتى قدم مكة، ثم جاء يمشي، حتى استلم الركن، و قد شق ثوبه عن استه، فعرف الناس أنه يريد شرا، فجعل يصيح و يقول: [1]العيس: الإبل، يريد التوجه إلى بني تميم.

[2] «مر» و ذو يدوم: مكانان بهما آله و أنصاره.

(3-4) المناقب، قران، بطن ضيم، و أملاح، و ظاهرة الأديم: أمكنة أيضا بها آله و أنصاره.

[5]الأروم: أصل الشجرة، و استعير لأصل الإنسان و حسبه.

[6]أقل الله... الخ: دعاء عليهم.

[7]الغميم: نوع مخصوص من اللبن، أو من النبات، و لعل المراد أ إلى الآن يسيئون جيرانهم و قد كثر خيرهم، و امتلأت فجاجهم بالنبات، أو باللبن.

[8]العبير: الكثير، يقول: يسلم الجيران منهم غداة اعتدوا على أخيه جنادة، ف جاء و الدم يسيل من جراحه الكثيرة.

[9]نعوا... الخ. يشير الى حادثة ستأتي، القروم: من القرم، و هو شدة شهوة أكل اللحم، يصف الحرب بالسعار، و يحذرهم من ويلاتها و في ف: «العدوم» بدل «القروم» .

[10]يستبل: يتم شفاؤه. -

إني امرؤ أبكي على جاريتي # أبكي على الكعبي والكعبيّة [1]

و لو هلكت بكيا عليه # كانا مكان الثوب من حقوبته [2]

/فلما فرغ من طوافه، و قضى حاجته من مكة خرج في الخلاء من بكر و خزاعة، فاستجاشهم على بني لحيان، فقتل منهم قتلى، و سبى من نبيّاتهم و ذراريهم سبايا، و قال في ذلك: لقد أمسى بنو لحيان منّي # بحمد الله في خزي مبين

تركتهم على الرّكبات صعرا # يشييون الدّوائب بالأنين [3]

يشكو إلى عمر فراق ابنه

:

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي، قال: حدثني عبد الرحمن ابن أخي الأصمعيّ قال: حدثني عمي قال: هاجر خراش بن أبي خراش الهذليّ في أيام عمر بن الخطاب رضي الله عنه، و غزا مع المسلمين، فأوغل في أرض العدو، فقدم أبو خراش المدينة، فجلس بين يدي عمر، و شكّا إليه شوقه إلى ابنه، و أنه رجل قد انقرض أهله، و قتل إخوته، و لم يبق له ناصر و لا معين غير ابنه خراش، و قد غزا و تركه، و أنشأ يقول: ألا من مبلغ عني خراشا # و قد يأتيك بالتبّ البعيد

و قد يأتيك بالأخبار من لا # تجهّز بالحداء و لا تزيد

-تزيد و تزوّد واحد، من الزاد-

يناديه ليغيقه كليب # و لا يأتي، لقد سفه الوليد [4]

/فردّ إناهه لا شيء فيه # كأنّ دموع عينه الفريد [5]

و أصبح دون عابقه و أمسى # جبال من حرار الشام سود [6]

ألا فاعلم خراش بأنّ خبر المـ # هاجر بعد هجرته زهيد [7]

رأيتك و ابتغاء البرّ دوني # كمحصور اللّبان و لا يصيد [8]

قال: فكتب عمر رضي الله عنه بأن يقبل خراش إلى أبيه، و ألا يغزو من كان له أب شيخ إلا بعد أن يأذن له.

[1] الهاء من جارية. هاء السكت، و لعله يعني بالكعبي و الكعبية جاره حاطما و امرأته. و تلك هي الحادثة التي أشار إليها في شعره سابقا.

[2] الحقو: الخصر، و الهاء من «عليه» و «حقويه» هاء السكت.

[3]صعرا: جمع أصعر، و الصعر: داء يصيب الإبل تلوي أعناقها منه استعاره للإنسان، أو هو ميل في أحد شقي الجسم، و المراد أنني أوقعت بهم على الركبات-اسم مكان-فأنوا أيننا يشيب الذوائب.

[4]الكليب: من الكلب بمعنى الظمأ، يغيقه: يسقيه مساء، فاعل يناديه كليب، و الهاء من يناديه ضمير خراش، أي ينادي أبو خراش الظامئ خراشا ليسقيه اللبن مساء، فلا مجيب، و هذا سفه و عقوق منه.

[5]فاعل «رد» ضمير كليب، و الفريد: اللؤلؤ، شبه الدمع باللؤلؤ في الصفاء.

[6]الهاء من «غابقة» تعود على كليب: أبي خراش. حرار: جمع حرة، الأرض فيها حجارة سوداء، أي أصبح بين أبي خراش و ساقيه -يعني خراشا- جبال...

[7]يقول له: إن جهادك في سبيل الله مع تركي زهيد الأجر.

[8]اللبنان: موضع اللب من الصدر، و المحصور: المشدود، يقول: إنك حين تبتغي الأجر بجهادك تاركا أباك كمن يريد الصيد، و هو مكتوف. و يروى: «كمخضوب اللبن» .

مصرعه

:

أخبرني حبيب بن نصر المهلبيّ، قال: حدثنا عمر بن شبة: قال: حدثنا الأصمعيّ. و أخبرني حبيب بن نصر، قال: حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال: حدثنا عليّ بن الصباح، عن ابن الكلبيّ، عن أبيه.

و أخبرني هاشم بن محمد الخزاعيّ قال: حدثنا أبو غسان دماذ: قال أبو عبيدة: و أخبرني أيضا هاشم، قال: حدثنا عبد الرحمن ابن أخي الأصمعيّ، عن عمه، و ذكره أبو سعيد السكري في رواية الأخفش عنه عن أصحابه، قالوا جميعا: أسلم أبو خراش فحسن إسلامه، ثم أتاه نفر من أهل اليمن قدموا حجّاجا، فنزلوا بأبي خراش و الماء منهم غير بعيد، فقال: يا بني عمي، ما أمسى عندنا ماء، و لكن هذه شاة و برمة و قرية، فردوا الماء، و كلوا شاتكم، ثم دعوا برمتنا و قربتنا على الماء، حتى نأخذها، قالوا: و الله ما نحن بسائرين في ليلتنا هذه، و ما نحن ببارحين حيث أمسينا، فلما رأى ذلك أبو خراش أخذ قريته، و سعى نحو الماء تحت الليل حتى استقى، ثم أقبل/ صادرا، فنهشته حية قبل أن يصل إليهم، فأقبل مسرعا حتى أعطاهم الماء، و قال: اطبخوا شاتكم و كلوا و لم يعلمهم بما أصابه، فباتوا على شاتهم يأكلون حتى أصبحوا، و أصبح أبو خراش في الموت، فلم يبرحوا حتى دفنوه، و قال و هو يعالج الموت: لعمرك و المنايا غالبات # على الإنسان تطلع كلّ نجد

لقد أهلكت حية بطن أنف # على الأصحاب ساقا ذات فقد[1]

و قال أيضا:

لقد أهلكت حية بطن أنف # على الأصحاب ساقا ذات فضل

فما تركت عدوا بين بصرى # إلى صنعاء يطلبه بذحل[2]

قال: فبلغ عمر بن الخطاب رضي الله عنه خبره، فغضب غضبا شديدا، و قال: لو لا أن تكون سبة لأمرت ألا يضاف يمان أبدا، و لكتبت بذلك إلى الآفاق. إن الرجل ليضيف أحدهم، فيبذل مجهوده فيسخره[3] و لا يقبله منه، و يطالبه بما لا يقدر عليه، كأنه يطالبه بدين، أو يتعنته ليفضحه، فهو يكلفه التكاليف، حتى أهلك ذلك من فعلهم رجلا مسلما، و قتله، ثم كتب إلى عامله باليمن بأن يأخذ نفر الذين نزلوا بأبي خراش فيغرمهم ديته، و يؤدبهم بعد ذلك بعقوبة تمسهم جزاء لأعمالهم.

صوت

تهيم بها لا الدهر فان و لا المنى # سواها و لا ينسبك نأي و لا شغل[4]

كبيضة أدهي بميث خميلة # يحقها جون بجؤجه صعل[5]

الشعر لعبد الرحمن بن مسافع بن دارة، و الغناء لابن محرز ثقيل أول بالوسطى، عن ابن المكي.

[1]أنف: مكان، وحية منادى محذوف منه حرف النداء، و يريد بقوله: «ذات فقد» أن ساقه عداة يترك فقدھا فراغا لا يسد.

[2]الذحل: الثأر، و ليس المراد أنه لم يتر أحدا بين بصرى و صنعاء، فيطالبه بالثرة، بل المراد أنه قضى على الموتور و الواتر معا، حتى لم يعد هناك من يطالبه بثأر، أو المراد أنه أخذ كل ثأر، فلم يبق من يطالبه أبو خراش بثأر.

[3]بسخته من سخط الثلاثي: سخط عليه.

[4]و لا المنى سواها: لا متمنى لك إلا هي.

[5]الأدهي: مبيض النعام. و ميث خميلة: خميلة ممطورة، و الجون: الأسود أو الأبيض (ضد). و الجؤجؤ: عظم الصدر، و الصعل: الطويل: يشبه حبيته ببيضة نعامة تحصنها أمها في خميلة مخضلة.

16-أخبار ابن دارة و نسبه [1]

نسبه

:

هو عبد الرحمن بن مسافع بن دارة، و قيل: بل هو عبد الرحمن بن ربعي بن مسافع بن دارة، و أخوه مسافع بن دارة، و كلاهما شاعر، و في شعرهما جيعا غناء يذكر هاهنا و أخوهما سالم بن مسافع بن دارة شاعر أيضا و في بعض شعره غناء يذكر بعد أخبار هذين. فأما سالم فمخضرم قد أدرك الجاهلية و الإسلام. و أما هذان فمن شعراء الإسلام، و دارة لقب غلب على جدّهم، و مسافع أبوهم، و هو ابن شريح بن يربوع الملقب بدارة بن كعب بن عدّي بن جشم بن عوف بن بهثة بن عبد الله بن غطفان بن سعد بن قيس عيلان بن مضر. و هذا الشعر يقوله عبد الرحمن في حبس السّمهرّي العكليّ اللص و قتله و كان نديما له و أخا.

يستعدي قومه عكلا على بني أسد

:

أخبرني بخبره هاشم بن محمد الخزاعيّ، قال: حدثنا أبو غسان دماذ، عن أبي عبيدة قال: [2]لما أخذ السّمهرّيّ العكليّ و حبس و قتل، -و كانت بنو أسد أخذته و بعثت به إلى السلطان و كان نديما لعبد الرحمن بن مسافع بن دارة، فقتل بعد طول حبس-فقال[2]عبد الرحمن بن مسافع يهجو بني أسد و يحرض عليهم عكلا.

صوت

إن يمس بالعينين سقم فقد أتى # لعينيك من طول البكاء على جمل[3]

تهيم بها لا الدهر فان و لا المنى # سواها و لا تسلى بنأي و لا شغل[4]

/كبيضة أدهيّ بميث خميلة # يحقّفها جون بجؤجئه الصّل[5]

و ما الشمس تبدو يوم غيم فأشرققت # على الشّامة العنقاء فالثير فالذبل[6]

بدا حاجب منها و ضنّت بحاجب # بأحسن منها يوم زالت على الحمل[7]

[1]هذه الترجمة مما سقط من التراجم من طبعة بولاق، و موضعها هنا حسب المخطوطات المعتمدة.

(2-2) كذا بالأصول، و لعل من الخير حذف لما، أو حذف الفاء من قوله: فقال عبد الرحمن.

[3]البيت من الطويل دخله الخرم، و فاعل أتى ضمير سقم.

[4]تقدم هذا البيت في «صوت» و العجيب أنه ورد هو و ما بعده مرفوعين، و وردا هنا مجرورين كسائر أبيات القصيدة.

[5]انظر شرحه في «صوت» .

(6-7) الشامة: أرض بها علامة سوداء، عنقاء: طويلة العنق، أي مرتفعة، النير و الدُّبَل: من جبال ضريّة، و خبر ما قوله: بأحسن منها، زالت: رحلت، يقول: ما الشمس تطلع يوم غيم بحاجب، و تختفي بحاجب، بأجمل من محبوبته جمل، و قد حملت على محمل ناقتها.

يقولون: إزل حبّ جمل و قريها # و قد كذبوا ما في المودة من إزل[1]
 إذا شطحت عني وجدت حرارة # على كبدي كادت بها كمدا تغلي[2]
 و لم أر محزونين أجمل لوعة # على نائبات الدهر متي و من جمل
 كلانا يذود النفس و هي حزينة # و يضمر وجدا كالنوافذ بالنبل[3]
 و إني لمبلي اليأس من حبّ غيرها # فأما على جمل فإني لا أبلبي[4]
 و إنّ شفاء النفس لو تسعف المنى # ذوات الثنايا الغرّ و الحدق التجل
 أولئك إن يمنعن فالمنع شيمة # لهنّ و إن يعطين يحمدن بالبذل
 سأمسك بالوصل الذي كان بيننا # و هل ترك الواشون و النأي من وصل[5]
 ألا سقياني قهوة فارسية # من الأول المختوم ليست من الفضل[6]
 /تنسّي ذوي الأحكام و اللبّ حلمهم # إذا أزيدت في دّتها زيد الفحل[7]
 و يا راكبا إمّا عرضت فبلّغن # على نأيهم مني القبائل من عكل
 بأنّ الذي أمسست تجمجم فقعس # إसार بلا أسر و قتل بلا قتل[8]
 و كيف تنام الليل عكل و لم تنل # رضى قود بالسهمريّ و لا عقل؟[9]
 فلا صلح حتى تنحط الخيل في القنا # و توقد نار الحرب بالحطب الجزل[10]
 و جرد تعادي بالكماة كأنها # تلاحظ من غيظ بأعينها القبل[11]
 عليها رجال جالدوا يوم منعج # ذوي التاج ضربوا الملوك على الوهل[12]
 بضرب يزيل الهام عن مستقرّه # و طعن كأفواه المفرّجة الهدل[13]

[1]ف:

«يقولون إزل حب جمل و تربها»

[2]ف، هد:

«كادت بها كبدي تغلي»

[3]كالنوافذ: كالسهام النوافذ.

[4]إبلاء اليأس من الحب معناه الرجاء، فكأنه يقول: لا أمل في وصل
 جمل، أما وصل غيرها فمدرك سهل المنال.

[5]سأمسك بالوصل: سأذكر أيام الوصل، و أعيش على ذكراها، و إن كان الواشون و النأي عفا على هذه الأيام.

[6]من الأول المختوم: يعني الدن الأول المعتقد.

[7]زبد الفحل: يريد ما يخرج من فم الفحل من الإبل من اللغام.

[8]الجمجمة: إخفاء ما في النفس، أو الإهلاك، يريد أن فعل قبيلة فقعس بالسهمري حليفه إसार بلا موجب للإسار، و قتل بلا موجب للقتل، أي اعتداء صارخ.

[9]عكل: قبيلته التي يستصرخها، و العقل: الدية.

[10]نحطت الخيل: زفرت و صاتت من الإعياء.

[11]و جرد: و خيل جرد بالعطف على حطب، و الحصان الأجرد: القصير الشعر، تعادى: أصله تتعادى بمعنى تعدو، بأعينها القبل: التي فيها قبل، و القبل-بفتح القاف و الباء-هو الحول.

[12]يوم منعج: يوم من أيامهم، و في ف: «يوم شفج» . الوهل. الفزع، يريد أن ركاب هذه الخيل مجربون خاضوا حرب منعج ضد الملوك فأفزعوهم.

[13]المفرجة الهدل: القرب المخرقة التي تهدلت شفاهها، أي استرخت، و ذلك كناية عن سعة مواضع الطعن.

علام تمشّى فقعس بدمائكم # و ما هي بالفرع المنيف و لا الأصل؟[1]
 و كئًا حسينا فقعسا قبل هذه # أذلّ على وقع الهوان من التعل
 فقد نظرت نحو السماء و سلّمت # على الناس و اعتاضت بخصب من المحل
 /رمى الله في أكبادكم أن نجت بها # شعاب القنان من ضعيف و مع وغل[2]
 و إن أنتم لم تتأروا بأخيكم # فكونوا نساء للخلوق و للكل[3]
 و بيعوا الرّدينيات بالحلي و اقعدوا # على الذلّ و ابتاعوا المغازل بالثبيل[4]
 ألا حبّذا من عنده القلب في كبل # و من حبّة داء و خبل من الخبل[5]
 و من هو لا ينسى و من كلّ قوله # لدينا كطعم الراح أو كجنى الثحل
 و من إن نأى لم يحدث النأي بغضه # و من إن دنا في الدار أُرصد بالبذل[6]

خبر السمهري مع نديمه و مصرعه

:

و أمّا خبر السمهريّ و مقتله فإن عليّ بن سليمان الأخفش أخبرني به
 قال: حدثنا أبو سعيد السّكريّ قال: حدثنا محمد بن حبيب، عن أبي عمرو
 الشيبانيّ قال: لقي السّمهريّ بن بشر بن أقيش[7] بن مالك بن الحارث بن
 أقيش العكلي و يكنى أبا الديل هو و بهدل و مروان بن قرفة الطائيان عون
 بن جعدة بن هبيرة بن أبي وهب بن عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم بن
 يقظة بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب و معه خاله: أحد بني حارثة بن لأم
 من طيء بالثعلبية، و هو يريد الحج من الكوفة، أو يريد المدينة، و زعم
 آخرون أنهم لقوه بين نخل و المدينة، فقالوا له: العراضة، أي مر لنا بشيء
 فقال: يا غلام[8]، جفّن لهم، فقالوا: لا و الله ما الطعام/نريد، فقال:
 عرّضهم[9]، فقالوا: و لا ذلك نريد، فارتاب بهم، فأخذ السيف فشدّ عليهم، و
 هو صائم، و كان بهدل لا يسقط له سهم، فرمى عوناً فأقصده، فلما قتلوه
 ندموا، فهربوا، و لم يأخذوا إبله، فتفرقت إبله، و نجا خاله الطائي، إما
 عرفوه فكفوا عن قتله، و إما هرب و لم يعرف القتلة، فوجد بعض إبله في
 يدي شافع بن واطر الأسديّ.

و بلغ عبد الملك بن مروان الخبر فكتب إلى الحجاج بن يوسف، و هو
 عامله على العراق، و إلى هشام بن [1]تمشّى بدمائكم: تذهب بها بلا قود،
 المنيف: العالي المرتفع.

[2]القنان: جمع قنة، و هي ما ارتفع من الجبل و نحوه، و الوغل: النذل الساقط، يدعو على قومه بأن يصابوا في أكبادهم إن تركوا هؤلاء القوم الضعاف الساقطين يتحصنون منهم في شعاب الجبال.

[3]الخلوق: نوع من الطيب.

[4]الردينات: الرماح المنسوبة إلى ردينة، و هي امرأة كانت صناعا في إعدادها.

[5]البيت مصرع، و لذلك جاء بعروضة غير مقبوضة، و الكبل: الأسر، و هنا يعود الشاعر إلى الغزل بحبيته، فيختم به قصيدته، كما بدأها به.

[6]أرصد بالبذل: كوفئ يبذل الود و نحوه.

[7]في ف، هد: بشر بن أويس» .

[8]جفن لهم: املاً الجفنة لهم طعاما.

[9]عرضهم: من العراضة بمعنى الهدية.

إسماعيل، و هو عامله على المدينة، و إلى عامل اليمامة أن يطلبوا قتلة عون، و يبالغوا في ذلك؛ و أن يأخذوا السّعاة به أشد أخذ، و يجعلوا لمن دلّ عليهم جعله [1]، و انشام [2] السمهريّ في بلاد غطفان في بلاد ما شاء الله.

ثم مرّ بنخل، فقالت عجوز من بني فزارة: أظن و الله هذا العكليّ الذي قتل عوناً، فوثبوا عليه، فأخذوه، و مر أيوب بن سلمة المخزوميّ بهم، فقالت له بنو فزارة: هذا العكليّ قاتل عون ابن عمك، فأخذه منهم، فأتى به هشام بن إسماعيل المخزومي عامل عبد الملك على المدينة، فجدد و أبى أن يقرّ، فرفعه إلى السجن فحبسه.

و زعم آخرون أن بني عذرة أخذوه فلما عرفت إبل عون في يدي شافع بن واطر اتهموه بقتله، فأخذوه، و قالوا: أنت قرفتنا [3]، قتلت عوناً، و حبسوه بصلّ: ماء لبني أسد، و جحد، و قد كان عرف من قتله، إما أن يكون كان معهم، فوّرّي عنهم، و برأ نفسه، و إما أن يكون أودعوها إياه، أو باعوها منه، فقال شافع: /

فإن سرّكم أن تعلموا أين تارككم # فسلمى معان و ابن قرفة ظالم [4]

و في السجن عكليّ شريك لبهدل # فولّوا ذباب السّيف من هو حازم [5]

فو الله ما كنا جناة و لا بنا # تأوّب عوناً حتفه و هو صائم [6]

فعرفوا من قتله، فألحّوا على بهدل في الطلب، و ضيقوا على السمهريّ في القيود و السجن، و جحد، فلما كان ذلك من إلحاحهم على السمهريّ أيقنت نفسه أنه غير ناج، فجعل يلتمس الخروج من السجن، فلما كان يوم الجمعة و الإمام يخطب، و قد شغل الناس بالصلاة فك إحدى حلقتي قيده، و رمى بنفسه من فوق السجن، و الناس في صلاتهم، فقصد نحو الحرة، فولج غارا من الحرة، و انصرف الإمام من الصلاة فخاف أهل المدينة عامتهم أتباعه، و غلقوا أبوابهم، و قال لهم الأمير: اتبعوه فقالوا: كيف نتبعه و جدينا، فقال لهم: أنتم ألفا رجل، فكيف تكونون و حدكم؟ فقالوا: أرسل معنا الأبلّيين؛ و هم حرس و أعوان من أهل الأبلّة، فأعجزهم الطلب، فلما أمسى كسر الحلقة الأخرى، ثم همس [7] ليلته طلقا، فأصبح و قد قطع أرضاً بعيدة، فبينما هو يمضي إذ نعب غراب عن شماله، فتطير، فإذا الغراب على شجرة بان ينشش [8] ريشه، و يلقيه، فاعتاف [9] شيئاً في نفسه، فمضى، و فيها ما فيها، فإذا هو قد لقي راعياً في وجهه ذلك، فسأله: من

أنت؟ قال: رجل من لهب من أزد شنوءة أنتج أهلي، فقال له: هل عندك شيء من زجر قومك؟ فقال: إني لآنس من ذلك شيئاً أي/لأبصر، فقص عليه حاله غير أنه ورى [10] الدُّنب على غيره و العيافة، و خبَّره عن الغراب و الشجرة، فقال اللهيّ: هذا الذي فعل ما فعل، و رأى الغراب على [1] الجعل: المكافأة و نحوها.

[2] انشام في بلاد غطفان: دخل فيها.

[3] القرفة: من تتهمة بشيء.

[4] في ف، هد:

«فسامى معاد»

[5] «حازم» كذا في س، و في ف «حارم» و الذي نرجحه أن هذا و ذاك من قبيل التصحيف، و الصواب «جارم» بمعنى مذنب.

[6] تأويه حتفه: أصابته منيته.

[7] همس: سار بالليل بلا فتور.

[8] نشنش الطائر ريشه: نتفه نتفا خفيفا بمنقاره، و طيره في الهواء.

[9] اعتاف: من الاعتياف، و هو زجر الطير للتفاؤل أو التطير، و المراد هنا التطير.

[10] ورى: يعني أنه كان ينسب أفعاله إلى غيره بقصد التعمية عن المخاطب.

البانة يطرح ريشه سيصلب، فقال السمهريّ: بفيك [1]الحجر، فقال
 اللهبي: بل بفيك الحجر، استخبرتني فأخبرتني ثم تغضب. ثم مضى حتى
 اغترز في بلاد قضاة، و ترك بلاد غطفان [2] و ذكر بعض الرواة أنه توقف
 يومه و ليلته فيما يعمل؛ و هل يعود من حيث جاء ثم سار [2]. حتى أتى
 أرض عذرة بن سعد يستجير القوم فجاء إلى القوم متنكرا، و يستحلب
 الرعيان اللبن، فيحلبون له، و لقيه عبد الله الأحدب السعديّ: أحد بني
 مخزوم من بني عبد شمس، و كان أشدّ منه و ألسّ، فجنى جناية، فطلب،
 فترك بلاد تميم، و لحق ببلاد قضاة، و هو على نجية لا تساير، فبينا
 السمهريّ يماشى راعيا لبني عذرة، و يحدثه عن خيار إبلهم، و يسأله
 السمهريّ عن ذلك- و إنما يسأله عن أنجاهنّ ليركبها. فيهرب بها، لئلا يفارق
 الأحدب-أشار له إلى ناقة، فقال السمهريّ: هذه [3]خير من التي تفضلها،
 هذه لا تجاري، فتحين الغفلة، فلما غفل وثب عليها، ثم صاح بها فخرجت
 تطير به، و ذلك في آخر الليل، فلما أصبحوا فقدوها، و فقدوه، فطلبوه في
 الأثر. و خرجا [4]حتى إذا كان حجر عن يسارهما، و هو واد في جبل، أو شبه
 الثقب فيه استقبلتهما سعة هي أوسع من الطريق، فظنا أن الطريق فيها،
 فسارا مليا فيها، و لا نجم يأتمان به، فلما عرفا أنهما حائدان، و التفت عليهما
 الجبال أمامهما، و جدّ الطلب إثر بعيريهما، و رواه و قد سلك الثقب في غير
 طريق عرفوا أنه سيرجع، فقعدها له [5]بغم الثقب ثم كرا راجعين، / و جاءت
 الناقة، و على رأسها مثل الكوكب من لغامها، فلما أبصر القوم همّ أن يعقر
 ناقتهم، فقال له الأحدب: ما هذا جزاؤها. فنزل، نزل الأحدب، فقاتلها
 القوم، حتى كادوا [6]بغشون السّمهريّ فهتف بالأحدب، فطرد عنه القوم،
 حتى توقلا في الجبل، و في ذلك يقول السّمهريّ يعتذر من ضلاله: و ما
 كنت-محيارا و لا فزع السّرى # و لكن حذا حجر بغير دليل [7]

و قال الأحدب في ذلك:

لَمَّا دَعَانِي السّمهريّ أجبته # بأبيض من ماء الحديد صقيل

و ما كنت ما اشتدّت على السيف قبضتي # لأسلم من حبّ الحياة زميلي

و قال السّمهريّ أيضا:

نجوت و نفسي عند ليلي رهينة # و قد عمّني داج من الليل دامس [8]

و غامست عن نفسي بأخلق مقصل # و لا خير في نفس امرئ لا تغامس [9]

و لو أن ليلي أبصرتني غدوة # و مطواي و الصفّ الذين أمارس [10]

- [1] بفيك الحجر: جملة دعائية يسب بها مخاطبه.
- [2-2] تكملة من هد، هج.
- [3] هذه: إشارة إلى ناقة أخرى غير التي اختارها الراعي.
- [4] ضمير «خرجا» يعود على السمهري و الأحدب.
- [5] له: للسمهري، و إنما أفرد الضمير هنا مع أن الحديث عن اثنين-
السمهري و الأحدب- لأن الأول هو المطلوب للقوم.
- [6] يغشونه: يريد يغشونه بسيوفهم، أي يضربونه بها.
- [7] و لكن حذا حجر: و لكن حذوت حذا حجر بغير دليل، أي مشيت
بحذائه، فأضلني، و حجر: الوادي الذي لم يستطيعا النفاذ منه، و إسناد الفرع
إلى السري مجاز.
- [8] غمني: غطى علي، دامس: مظلم.
- [9] غامست: خضت الحرب، بأخلق مقصل: بسيف قاطع.
- [10] مطواي: اسم مكان من طوي، يعني المكان الذي أقطعه، و
الصف: الجمع، الذين أمارس: الذين أعاني حربهم. -

إذا لبكت ليلي عليّ و أعولت # و ما نالت الثوب الذي أنا لابس[1]

فرجع إلى صحراء منعج، و هي إلى جنب أضاح، و الحلّة قريب منها، و فيها منازل عكل، فكان يتردد و لا يقرب الحلّة، و قد كان أكثر الجعل فيه، فمّر بابني فائد/ابن حبيب من بني أسد، ثم من بني فقعس فقال: أجيرا متنكرا، فحلبا له، فشرب و مضى لا يعرفانه، و ذهب، ثم لبث السمهري ساعة، و كرّ راجعا فتحدث إلى أخت ابني فائد، فوجداه منبطحا على بطنه يحدثها، فنظر أحدهما إلى ساقه مكدّحة[2]، إذا كدوح طريّة، فأخبر أخاه بذلك، فنظر، فرأى ما أخبره أخوه، فارتابا به، فقال أحدهما: هذا و الله السمهريّ الذي جعل فيه ما جعل، فاتفقا على مضابرتة[3]، فوثبا عليه، فقعد أحدهما على ظهره، و أخذ الآخر برجليه فوثب السمهري، فألقى الذي على ظهره، و قال: أ تلعبان؟ و قد ضبط رأس الذي كان على ظهره تحت إبطه، و عالجه الآخر، فجعل[4] رأسه تحت إبطه أيضا، و جعلا يعالجانه، فناديا أختهما أن تعينهما، فقالت: أ لي الشُّرك في جعلكما؟ قالوا: نعم، فجاءت بجرير[5] فجعلته في عنقه بأنشوطه ثم جذبته، و هو مشغول بالرجلين يمنعهما، فلما استحكمت العقدة، و راحت من علابيّه[6] خلى عنهما، و شد أحدهما، فجاء بصرار[7]، فألقاه في رجله، و هو يداور الآخر، و الأخرى تخنقه؛ فخرّ لوجهه، فربطاه، ثم انطلقا به إلى عثمان بن حيان المرّي، و هو في إمارته على المدينة فأخذا ما جعل لأخذه، فكتب فيه إلى الخليفة، فكتب أن أدفعه إلى ابن أخي عون: عدي، فدفع إليه، فقال السمهريّ: أ تقتلني و أنت لا تدري أقاتل عمك أنا أم لا؟ أدن أخبرك، فأراد الدنوّ منه، فنودي: إياك و الكلب، و إنما أراد أن يقطع أنفه، فقتله بعمه. و لما حبسه ابن حيان في السجن تذكر زجر اللهبّي و صدقه، فقال: ألا أيّها البيت الذي أنا هاجره # فلا البيت منسىّ و لا أنا زائرُه

/ألا طرقت ليلي و ساقى رهينة # بأشهب مشدود عليّ مسامره[8]

فإن أنج يا ليلي فربّ فتى نجا # و إن تكن الأخرى فشيء أحاذره

و ما أصدق الطير التي برحت لنا # و ما أعيف اللهبّي لا عزّ ناصره[9]

رأيت غرابا ساقطا فوق بانه # ينشئش أعلى ريشه و يطايره[10]

فقال غراب باغتراب من النوى # و بان بين من حبيب تحاذره[11]

[1] هذا البيت جواب «لو» في البيت السابق.

[2] مكدّحة: ذات خدوش و سحجات.

[3]مضابرتة: من ضبر الشيء ضبرا بمعنى جمعه و شده، أي اتفقا على شد وثاقه.

[4]فاعل جعل ضمير السمھري، و الھاء من رأسه تعود على ابن فائد الثاني.

[5]بجرير: بحبل.

[6]العلابي: أعصاب العنق.

[7]الصرار: ما يشد به خلف الناقة.

[8]بأشھب... إلخ: يعني القيد، و مسامره نائب فاعل مشدود، و المراد بليلى هنا طيفھا.

[9]برحت: مرت شمالا، ما أعيف اللھبي: ما أمھره في زجر الطير، لا عز ناصره: جملة دعائية.

[10]ينشنش أعلى ريشه: ينتفه بمنقاره نتفا خفيفا.

[11]يريد أن الغراب الذي رآه نذير الغربة، و أن البان نذير البين.

فكان اغتراب بالغراب ونية # و بالبان بين بين لك طائره[1]

و قال السّمهري في الحبس يحرض أخاه مالكا على ابني فائد: فمن مبلغ عني خليلي مالكا # رسالة مشدود الوثاق غريب

و من مبلغ حزما و تيمما و مالكا # و أرباب حامي الحفر رهط شبيب

ليكوا التي قالت بصحراء منعج # لي الشّرك يا بني فائد بن حبيب[2]

أ تضرب في لحمي بسهم و لم يكن # لها في سهام المسلمين نصيب[3]

/و قال السّمهري يرقق بني أسد:

تمنت سليمي أن أقبل بأرضها # و أتي لسلمي وبها ما تمتت[4]

ألا ليت شعري هل أزرورّ ساجرا # و قد رويت ماء الغوادي و علّت[5]

بني أسد هل فيكم من هوادة # فتغفر إن كانت بي النعل زلت[6]

و بنو تميم تزعم أن البيت لمرّة بن محكان السعديّ.

و قال السّمهريّ في الحبس يذم قومه:

لقد جمع الحدّاد بين عصابة # تسائل في الأقياد ما ذا ذنوبها[7]

بمنزلة أمّا اللّئيم فشامت # بها و كرام القوم باد شحوبها[8]

إذا حرسنيّ فقعق الباب أرعدت # فرائص أقوام و طارت قلوبها[9]

ألا ليتني من غير عكل قبيلتي # و لم أدر ما شبّان عكل و شبيها؟

قبيلة «من» لا يقرع الباب وفدها # لخير و لا يهدي الصواب خطيبها[10]

/نرى الباب لا نستطيع شيئا وراءه # كأنا قنيّ أسلمتها كعوبها[11]

[1]نية: من نوى بمعنى بعد و انتقل.

[2]ليكوا: من أبكى الرباعي، يريد من أشياعه أن يثكلوا هذه المرأة التي شدت وثاقه، و شاركت أخويها في جعله.

[3]يقصد التعجب من أن تسهم هذه المرأة في جعله، مع أن المرأة ليست بذات نصيب في الجهاد و غيره من الحروب.

[4]وبها: وبجها.

[5]ساجر: مكان باليمامة يحن إليه.

[6] فاعل تغفر ضمير الهوادة، أو ضمير القبيلة-بني أسد-على أن في الكلام التفاتا.

[7] جمع الحداد... إلخ: يعني القيود التي صنعها لهؤلاء المساجين.

[8] كنى بالشحوب البادي عن الشفقة و الرثاء لهؤلاء المساجين.

[9] الحرسى: من يطلق عليه الآن رجل الشرطة، الفرائص: جمع فريضة، و هي عضلة بين الكتف و الصدر ترتعد عند الفزع، و البيت في وصف حال السجين.

[10]

«قبيلة لا يقرع لها الباب...»

إلخ» كذا بالأصول، و قد زدنا كلمة من بعد قبيلة، و هي زيادة لازمة لإقامة الوزن و المعنى معا، و ربما كانت «قبيلتنا» و على تصويبنا يكون المعنى: قبيلة رجال لا يأتي وفدها بخير، و لا يهدي خطيبها إلى صواب.

[11] نرى الباب... إلخ: نحن سجناء لا نستطيع تجاوز باب السجن، و في هد: «كأنا قنا قد أسلمتها كعوبها»

، و الوزن و المعنى على كلا الروايتين سليمان، و قنى: جمع قناة، و قناة الرمح: أعلاه، و كعبه: أسفله.

و إن تك عكل سرّها ما أصابني # فقد كنت مصبوبا على ما يريبها[1]

و قال السمهريّ أيضا في الحبس:

ألا حيّ ليلي إذ ألمّ لمامها # و كان مع القوم الأعادي كلامها[2]

تعلّل بليلى إنما أنت هامة # من الغد يدنو كلّ يوم حمامها[3]

و بادر بليلى أوجه الركب إنهم # متى يرجعوا يحرم عليك كلامها[4]

و كيف ترجّيتها و قد حيل دونها # و أقسم أقوام مخوف قسامها[5]

لأجتنبها أو ليبتدرنيّ # بيض عليها الأثر فعم كلامها[6]

لقد طرقت ليلي و رجلي رهينه # فما راعني في السجن إلا لمامها[7]

فلما انتهت للخيال الذي سرى # إذا الأرض قفر قد علاها قتاماها

/فإلا تكن ليلي طوتك فإنه # شبيهة بليلى حسنها و قوامها[8]

ألا ليتنا نحيا جميعا بغبطة # و تبلى عظامي حين تبلى عظامها

و قال أيضا:

ألا طرقت ليلي و ساقِي رهينة # بأسمر مشدود عليّ ثقيل[9]

فما البين يا سلمى بأن تشحط الثوى # و لكنّ بينا ما يريد عقيل[10]

فإن أنج منها أنج من ذى عظيمة # و إن تكن الأخرى فتلك سبيل[11]

و قال أيضا و هو طريد:

فلا تياسا من رحمة الله و انظرا # بوادي جبونا أن تهبّ شمال[12]

[1] يريبها: يؤذيها، يريد أنها جزته على حمايته لها جزاء سنّمّار.

[2] لعله يريد أن طيف محبوبته حين ألم شفع له عند آسريه.

[3] يقال: فلان هامة الغد بمعنى قصير العمر.

[4] يقول: استقبلها الاستقبال الأخير، و ودعها الوداع الأخير، و استقبلها

و وداعها كلاهما في عالم الخيال بدليل البيت التالي.

[5] قسامها: مصدر قاسمه قساما، و المراد أن هؤلاء الأقوام قاسم

بعضهم بعضا على هلاكه.

[6] لأجتنبها: جواب القسم في البيت السابق، ليبتدرني: مضارع ابتدر

اتصل بواو الجماعة، و أكد بنون التوكيد الثقيلة، البيض: السيوف، الأثر: بريق

السيف و رونقه، فعم: ممتلئ، يقال: فعم الإناء، فهو فعم: امتلاً، الكلام-
بكسر الكاف-الجراح، يقول: و كيف أرجي قرب ليلي، و دونها أقوام حلفوا
أن يبادروني بسيوف تفيض جراحها دماً غزيراً؟.

[7] ف، هد: «سلائها» بدل «لمامها» .

[8] طوتك: يريد طوت الأرض إليك، و ضمير إنه يعود على طيف ليلي،
حسنها مبتدأ محذوف الخبر، أي له حسنها و قوامها، أو هو بدل من شبيهه، لا
فاعل له، يقول: إن لم تكن ليلي زارتك بشخصها فإن خيالها شبيه بها في
الحسن و القوام و هذا التخرج خير من أن نجعل حسنها بدلاً من ليلي،
فيجر، و يدخل القافية الإقواء.

[9] يريد بالأسمر، القيد.

[10] تشحط: تبع، عقيل: لعله أحد آسرية، يقول: ليس البين ما بيني و
بينك من بعد، و لكن البين هو هلاكي الذي يريده عقيل.

[11] من ذي عزيمة: من حادثة ذي مغبة عظيمة، و إن تكن الأخرى:
يريد الموت، فتلك سبيل: مسلوكة يسلكها الجميع.

[12] بوادي جبونا: مكان، تهب شمال: تهب ريح شمالية مؤذنة بالفرج.

و لا تياسا أن ترزقا أريحية # كعين المها أعناقهنّ طوال[1]
من الحارثيين الذين دماؤهم # حرام و أما مالهم فحلال

و قال أيضا:

أ لم تر أنّي و ابن أبيض قد جفت # بنا الأرض إلا أن نؤمّ الفيافيا[2]
/طريدين من حيين شتى أشدنا # مخافتنا حتى نخلنا التّصافيا[3]
و ما لمته في أمر حزم و نجدة # و لا لامني في مرّتي و احتياليا
و قلت له إذ حلّ يسقي و يستقي # و قد كان ضوء الصبح لليل حاديا: لعمري لقد لاقت ركابك مشربا
لئن هي لم تضح عليهنّ عاليا[4]

بعض أخباره

:

و أخذت طيّء ببهدل و مروان أخيه أشدّ الأخذ و حبسوا، فقالوا: إن حبسنا لم نقدر عليهما و نحن محبوسون، و لكن خلوا عنا، حتى نتجسس عنهما، فنأتيكم بهما، و كانا تابدا مع الوحش يرميان الصّيد فهو رزقهما.
و لما طال ذلك على مروان هبط إلى راع، فتحدث إليه فسقاه، و بسطه، حتى اطمأن إليه، و لم يشعره أنه يعرفه، فجعل يأتيه بين الأيام، فلا ينكره، فانطلق الراعي، فأخبره باختلافه إليه، فجاء معه الطلب، و أكمّنهم، حتى إذا جاء مروان إلى الراعي كما كان يفعل سقاه، و حدثه فلم يشعر حتى أطافوا به، فأخذه، و أتوا به عثمان بن حيان أيضا عامل الوليد بن عبد الملك على المدينة، فأعطى الذي دلّ عليه جعله، و قتله.

نهاية بهدل

:

و أما بهدل فكان يأوي إلى هضبة سلمى، فبلغ ذلك سيّدا من سلمى[5]، من طيء، فقال: قد أخيفت طيء، و شرّدت من السهل من أجل هذا الفاسق الهارب، فجاء حتى حلّ بأهله أسفل تلك الهضبة و معه أهلات[6] من قومه، فقال لهم: إنكم بعيني الخبيث، فإذا كان النهار فليخرج الرجال من البيوت، /و ليخلوا النساء، فإنه إذا رأى ذلك انحدر إلى القباب، و طلب الحاجة و العلّ [7] فكانوا يخلون الرجال نهارا فإذا أظلموا ثابوا إلى رجالهم أياما، فظنّ بهدل أنهم يفعلون ذلك لشغل يأتيهم، فانحدر إلى قبة

السَّيِّد، و قد أمر النساء: إن انحدر إليكن رجل فإنه ابن عمكن، فأطعمنه و ادهن رأسه.

و في قبة السيد ابتنان له فسألهما: من أتما؟ فأخبرتا، و أطعمتا، ثم انصرف فلما راح أبوهما أخبرتا، فقال: [1]أريحية: خيلا أريحية، أي كريمة الخلق، كعين المها: كبقر الوحش ذوات الأعين النجلاء، يريد أن هذه الخيل ربما جاءت لنجدته.

[2]ابن أبيض: كناية عن زميل له في التشرّد.

[3]شتى: جمع شتيت بمعنى متفرقة، و أراد بالجمع ما فوق الواحد، نخلنا التصافيا: من نخل الشيء بمعنى خلصه من كل ما يشوبه، أي: أخلص كلانا لأخيه، و المعنى أنني أنا و ابن أبيض من حيين مختلفين شتتنا الخوف، و ألف بيننا ألفة وثيقة.

[4]البيت مقول القول في البيت السابق، عليهن: على الآبار المفهومة من المقام، و المعنى: لاقت ركابك مشربا سائغا، إذا لم تصبح، أي تصهل، فيسمع الأعداء صهيلها عاليا.

[5]في ف: «فبلغ ذلك سند بن سلمى» .

[6]أهلات: جمع أهل، و في بعض المخطوطات: أهلاب-بالباء- و هو تصحيف.

[7]العل: الشراب، و في بعض النسخ «النقل» بدل «العل» ، و ربما كان ذلك تحريف «الحل» بكسر الحاء.

أحسنتما إلى ابن عمكما، فجعل ينحدر إليهما، حتى اطمأنَّ، و غسلنا رأسه، و فلتاه و دهنتاه، فقال الشيخ لابنتيه: أفلياه، و لا تدهناه إذا أتاكما هذه المرة، و اعقدا خصل لمتّه إذا نعس رويدا بخمل القطيفة.

ثم إذا شددنا عليه فأقلبا القطيفة على وجهه، و خذا أنتما بشعره من ورائه فمدّا به إليكما، ففعلتا، و اجتمع له أصحابه، فكروا إلى رجالهم قبل الوقت الذي كانوا يأتونها، و شدّوا عليه، فربطوه، فدفعوه إلى عثمان بن حيّان، فقتله، فقالت بنت بهدل ترثيه: فيا ضيعة الفتيان إذ يعتلونه # بيطن الشّرى مثل الفنيق المسدم[1]

دعا دعوة لما أتى أرض مالك # و من لا يجب عند الحفيظة يسلم[2]

/ ما كان في قيس من ابن حفيظة # من القوم طلاب الثّرات غشمشم[3]

فيقتل جبرا بامرئ لم يكن به # بواء و لكن لا تكايل بالدم[4]

و كان دعا: يا لمالك لينتزعوه، فلم يجبه أحد.

مساجلة بينه و بين الكميت

:

قال: و لما قال عبد الرحمن بن دارة ابن عم سالم بن دارة هذه القصيدة[5] يحضّ عكلا على بني فقعس اعترض الكميت بن معروف الفقعسيّ، فغيره بقتل سالم حين قتله زميل الفزاريّ، فقال قوله: فلا تكثروا فيه الصّجاج فإنه # محا السيف ما قال ابن دارة أجمعا

فقال عبد الرحمن بن دارة:

فيا راكبا إمّا عرضت فبلّغن # مغلغة عني القبائل من عكل

جلت حمما عنها القصاف و ما جلت # قشير و في الشّدّات و الحرب ما يجلي[6]

فإن بك باع الفقعسيّ دماءهم # بوكس فقد كانت دماؤكم تغلي[7]

/ و كيف تنام الليل عكل و لم يكن # لها قود بالسّمهريّ و لا عقل[8]

[1] يعتلونه: من عتله يعتله-بمعنى قاده بعنف و غلظة، الفنيق: فحل الإبل، المسدم: الهائج الممتنع ركوبه.

[2] الحفيظة: الحرب، و يسلم-بالبناء المجهول-بمعنى يسلم نفسه لأعدائه.

[3] الغشمشم: المقدم الذي يقتحم الحروب غير هباب، و في ف «كريمة» بدل «حفيظة» .

[4] جبر المشار إليه في البيت هو جبر بن عبيد الذي دفع بهدلا إلى السلطان فقتله، بواء: كفاء، لا تكايل في الدم: لا تقدر الدماء بالكيل، و المعنى: أ ما كان في قيس رجل شجاع يقتل جيرا قاتل أبي، و إن لم يكن كفؤا له، و لو كانت الدماء تكال ما أجزأت دماء جبر في دماء أبي، و المراد بتقدير الدم الكيف لا الكم.

[5] يعني القصيدة اللامية التي تقدم ذكرها في أول الترجمة، و يلاحظ أنه هنا يقول: «يحض بها عكلا على بني فقعس، و هناك قال: «يحض بها عكلا على بني أسد» .

[6] في البيت اضطراب و خلاف كبير في رواية ألفاظه، و الذي نرجحه في معناه هو ما يلي: القصاف: فرس مشهورة لبني قشير، الحمم: ما خمد من النيران، يقول: إن القصاف أو قدت النيران بأرضكم، و ما جلا قومها قشير عنكم، و لو أنكم شددتم في الحرب عليهم لأجل يتموهم، و الكلام على سبيل التمثيل، فهو لا يريد «قشيرا» و لكن يريد «فقعسا» أو «أسدا» على الخلاف الذي تقدم ذكره.

[7] يقول: إن يكن الفقعسي الذي أسلم ندمائي باع دماءهم رخيصة فقد كانت دماؤكم تغلي حمية لأخذ الثأر، فما بالكم لا تفعلون!.

[8] ورد هذا البيت هنا و فيه إقواء، مع أنه تقدم سالما من هذا الإقواء، فارجع إليه و إلى بقية الأبيات في القصيدة اللامية التي تقدمت في مبدأ الترجمة.

رمى الله في أكبادهم إن نجت بها # حروف القنان من ذليل و من وغل
و كنا حسبنا فقعسا قبل هذه # أذلّ على طول الهوان من التعل
فإن أنتم لم تتأروا بأخيكم # فكونوا بغايا للخلوق و للكل
و بيعوا الردينيّات بالحلي و اقعدوا # على الوتر و ابتاعوا المغازل بالنبل
فإنّ الذي كانت تجمجم فقعس # قتيل بلا قتلى و تيل بلا تيل
فلا سلم حتى تنحط الخيل بالقنا # و توقد نار الحرب بالحطب الجزل

يقتلون ابن سعدة و أمه

:

فلما بلغ قوله مالكا أبا السمهريّ بخراسان، انحطّ من خراسان، حتى
قدم بلاد عكل فاستجاش نفرا من قومه، فعلقوا[1] في أرض بني أسد
يطلبون الغرّة فوجدوا بثادق[2] رجلا معه امرأة من فقعس، فقتلوه، و حرّوا
رأسه، و ذهبوا بالرأس، و تركوا جسده، كما قتلوها أيضا، و ذكر لي: أن
الرجل ابن سعدة و المرأة التي كانت معه هي سعدة أمّه، فقال عبد
الرحمن في ذلك: ما لقتيل فقعس لا رأس له # هلاّ سألت فقعسا من
جدّله[3]

لا يتبعنّ فقعسيّ جملة # فردا إذا ما الفقعسيّ أعمله[4]

لا يلقينّ قاتلا فيقتله # بسيفه قد سمّه و صقله[5]

/و قال عبد الرحمن أيضا:

لما تمالى القوم في راد الصّحى # نظرا و قد لمع السّراب فجالا[6]

نظر ابن سعدة نظرة وبلا لها # كانت لصحبك و المطيّ خبالا[7]

لمحا رأى من فوق طود يافع # بعض العداة و جنة و ظللا[8]

عيّرتني طلب الحمول و قد أرى # لم آتهنّ مكفّفا بطّالا[9]

فانظر لنفسك يا بن سعدة هل ترى # ضبعا تجرّ بثادق أوصالا

[1]علقوا: طفقوا، أي أخذوا يطلبون الغرة.

[2]ثادق: اسم واد في ديار عقيل.

[3]يقصد بقتيل فقعس ابن سعدة، جدّله: صرعه، و في ف، هج، هد:

«هلا سألت بارقا من جدله»

[4]أعمل جملة: جعله يعمل، أي سرح به، يريد أن يقول: لا يأمن فقعى على نفسه منا.

[5]في ف، هج: «بصارم» بدل «بسيفه» .

[6]تمالى القوم، من ملا يملو بمعنى سار سيرا حثيثا. نظرا: مفعول مطلق لفعل محذوف، أي وهم ينظرون نظرا.

[7]البيت جواب لما في البيت السابق، و ابن سعدة هو القتيل الذي قتلوه، و في ف، هد «و تلابها» و في ب «ويلا بها» و نرجح أن كليهما تحريف «ويلا لها» أي كانت هذه النظرة ويلا على صاحبها، و الخطاب-فيما نرجح-للكميت الذي كانت بينه و بينه ملاحظة.

[8]فاعل رأى ابن سعدة، الجنة: السلاح و نحوه.

[9]الخطاب للكميت، الحمول: الديات، مكففا: من كف بمعنى ترك، بطالا: من بطل الدم بمعنى ذهب هدرا، و المعنى: غيرتني بطلب ديات سالم و عدم الأخذ بثأره، مع أنني لم أطلب هذه الديات متناسيا دمه مبطلا له كفا عن الأخذ بثأره، و قد كثر اضطراب الأصول في رواية ألفاظ هذا البيت، و المثبت بعضه من ف و هج.

أوصال سعدة و الكميت و إنما # كان الكميت على الكميت عيالا[1]

و قال عبد الرحمن في ذلك:

أصبحتم تكلى لئاما و أصبحت # شياطين عكل قد عراهنّ فقعس[2]

/قضى مالك ما قد قضى ثم قلّصت # به في سواد الليل و جناء عرمس[3]

فأضحت بأعلى ثادق و كأنها # محالة غرب تستمرّ و تمرس[4]

مصرعه

:

و حدثني علي بن سليمان الأخفش أنّ بني أسد ظفرت بعبد الرحمن بن دارة بالجزيرة بعد ما أكثر من سبهم و هجائهم و تأمروا في قتله، فقال بعضهم: لا تقتلوه، و لتأخذوا عليه أن يمدحنا و نحسن إليه فيمحو بمدحه ما سلف من هجائه، فعزموا على ذلك، ثم إن رجلا منهم كان قد عصّه بهجائه، اغتفله فضربه بسيفه، فقتله و قال في ذلك: قتل ابن دارة بالجزيرة سبنا # و زعمت أن سبابنا لا يقتل

قال علي بن سليمان: و قد روي أن البيت المتقدم:

فلا تكثروا فيه الصّجاج فإنه # محا السيف ما قال ابن دارة أجمعا

لهذا الشاعر الذي قتل ابن دارة، و هو من بني أسد، و هكذا ذكر السكّريّ.

صوت

[5]كلانا يرى الجوزاء يا جمل إذا بدت # و نجم الثريا و المزار بعيد

فكيف بكم يا جمل أهلا و دونكم # بحور يقمّصن السّفين و بيد

إذ قلت: قد حان القفول يصدّنا # سليمان عن أهوائنا و سعيد

الشعر لمسعود بن خرشة المازنيّ، و الغناء لبحر، خفيف ثقيل بالوسطى عن الهشامي[5].

[1]سعدة هي أم الكميت التي قتلوها مع ابنها، الكميت: يعني من غيره-كما سبق-و لم يرد ذكر لموته، حتى تجر الضيع أوصاله، كما يشير البيت، فلعله يريد الإنذار بذلك، يعني أنه سيحصل غدا، و قوله: «كان الكميت على الكميت عيالا»

، يقصد أن الكميت جبان لا شأن له بالحرب، فهو عالة على الكميت الذي يركبه، و الكميت لقب من ألقاب الفرس.

[2]الخطاب لغرمائه من فقعس، عراهن: بدت لهن، أي هؤلاء شياطين فنكلوا بهم.

[3]مالك: فقعسى هرب-على ما يبدو-من المعركة، الوجناء: الناقة البارزة الوجنتين، العرمس: الصلبة، و قلصت به: نجت به.

[4]المحالة: البكرة تعلق على البئر يتصل بها الدلو، و الغرب: الكبيرة من الدلاء، و تمرس: من أمرس الحبل: أعاده إلى مكانه، و المراد أن ناقة مالك حين هرب كانت تروح و تجيء على غير هدى في أعلى ثادق، كأنها دلو معلقة في حبل تصعد و تهبط.

(5-5) هذا الصوت مما سقط من مطبعة بولاق و موضعه هنا بحسب المخطوطات المعتمدة.

17- أخبار مسعود بن خرشة [1]

يهوى جارية من قومه

:

مسعود بن خرشة [2] أحد بني حرقوص بن مازن بن مالك بن عمرو بن تميم، شاعر إسلامي بدويّ من لصوص بني تميم، قال أبو عمرو: و كان مسعود بن خرشة يهوى امرأة من قومه من بني مازن يقال لها: جمل بنت شراحيل، أخت تَمّام بن شراحيل المازنيّ الشاعر، فانتجع قومها و نأوا عن بلادهم، فقال مسعود: كلانا يرى الجوزاء يا جمل إذ بدت # و نجم الثريا و المزار بعيد [3]

كيف بكم يا جمل أهلا و دونكم # بحور يقمصن السفين و بيد [4]

إذا قلت: قد حان القفول يصدنا # سليمان عن أهوائنا و سعيد [5]

قال أبو عمرو: ثم خطبها رجل من قومها، و بلغ ذلك مسعودا فقال: أيا جمل لا تشقي بأفْعس حنكل # قليل التدى يسعى بكير و محلب [6]

له أعنز حوّ ثمان كأنما # يراهنّ عرّ الخيل أو هنّ أنجب [7]

يسرق إبلا

:

و قال أبو عمرو: و سرق مسعود بن خرشة إبلا من مالك بن سفيان بن عمرو الفقعسيّ، هو و رفقاء له، و كان معه رجلان من قومه، فأتوا بها اليمامة لبييعوها، / فاعترض عليهم أمير كان بها من بني أسد، ثم عزل و ولي مكانه رجل من بني عقيل فقال مسعود في ذلك: يقول المرجفون: أ جاء عهد # كفى عهدا بتنفيذ القلاص [8]

أتى عهد الأمانة من عقيل # أغرّ الوجه ركب في النواصي [9]

[1] هذه الترجمة مما سقط من التراجم من طبعة بولاق، و موضعها هنا بحسب المخطوطات المعتمدة.

[2] خرشة: ورد هذا الاسم في «المعاجم» بفتح الخاء و الراء و الشين.

[3] يريد أن يقول: كيف تقع عيني و عينك على مرثيات واحدة، و كلانا بعيد عن صاحبه.

[4] قمص البحر السفينة: جعلها تضطرب في أمواجه، بيد: جمع بيداء.

[5] القفول: الرجوع، سليمان و سعيد: و آليان.

[6]الأقعس: من برز صدره و دخل ظهره في جسمه، الحنكل: القصير القامة، أو اللئيم النذل.

[7]حو: جمع حواء، و هي ما اختلطت خضرة لونها بسواد، أو حمرته بسواد. غر الخيل: مبتدأ بعد استفهام محذوف الأداة، يقول: إنه مغرور بأعنة يعدها في نجابة الخيول الفارهة.

[8]يستبشر بالعهد الجديد لأنه سينقذ نوقة التي سرقها، و في ف، هد «بتقييد» بدل تنفيذ.

[9]أغر، حال من عقيل لا نعت، و يريد بقوله:

«ركب في النواصي»

أنه من علية القوم. -

حصون بني عقيل كلّ غضب # إذا فزعوا و سابعة دلاص[1]

و ما الجارات عند المحل فيهم # و لو كثر الرواح بالخماص[2]

قال: و قال مسعود «و قد» [3] طلبه و الي اليمامة، فلجأ إلى موضع فيه ماء و قصب: ألا ليت شعري هل أبيتنّ ليلة # بوعثاء فيها للظباء مكانس[4]

و هل أنجون من ذي لبيد بن جابر # كأنّ بنات الماء فيه المجالس[5]

و هل أسمعن صوت القطا تندب القطا # إلى الماء منه رابع و خوامس[6]

[1]الغضب: السيف القاطع. و السابعة الدلاص: الدرع الصافية اللينة، يريد أنهم لا يتحصنون بحصون من أحجار، بل تحميهم سيوفهم و دروعهم.
[2]الرواح: جمع رازحة، و هي الناقة الهزيلة و نحوها. الخماص: الجياح يريد أن خيرهم يفيض على جاراتهم أيام المحل.
[3]زيادة يقتضيها المقام.

[4]الوعثاء: الأرض ذات الصخور. المكانس: مأوى الظباء.

[5]لعله يعني بذي لبيد ماء لبيد الذي تجالسه فيه بنات الماء، أي الضفادع و نحوها.

[6]منه رابع و خوامس، لعله يقصد مجرد التعدد.

18- أخبار بحر و نسبه [1]

هو بحر بن العلاء، مولى بني أمية، حجازي، أدرك دولة بني هاشم [2]، و عمّر إلى أيام الرشيد، و قد هرم، و كان له أخ يقال له عباس، و أخوه بحر أصغر منه، مات في أيام المعتصم، و كان يلقّب حامض الرأس، و له صنعة، و أقدمه الرشيد عليه، ثم كرهه، فصرفه.

حدثني جحظة قال: حدثني ميمون بن هارون قال: حدثني أحمد بن أبي خالد الأحول، عن علي بن صالح صاحب المصلى: أن الرشيد سمع من علوية و مخارق و هما يومئذ من صغار المغنين في الطبقة الثالثة [3] أصواتا استحسناها، و لم يكن سمعها، فقال لهما: ممن أخذتما هذه الأصوات، فقالا: من بحر، فاستعادها، و شرب عليها، ثم غناه مخارق بعد أيام صوتا لبحر، فأمر بإحضاره، و أمره أن يغني ذلك الصوت، فغناه، فسمع الرشيد صوتا حائلا مرتعشا فلم يعجبه، و استثقله لولائه لبني أمية، فوصله، و صرفه، و لم يصل إليه بعد ذلك.

صوت [4]

ألا يا لقومي للنواب و الدّهر # و للمرء بردي نفسه و هو لا يدري
و للأرض كم من صالح قد تودّأت # عليه فوارته بلمّاعة قفر

عروضه من الطويل، قال الأصمعي: يقال للرجل أو للقوم إذا دعوتهم: يال كذا «بفتح اللام» و إذا دعوت للشيء. قلت بالكسرة، تقول: يا للرجال و يا للقوم. و تقول: يا للغنيمة و يا للحادثة، أي اعجلوا للغنيمة و للحادثة، فكأنه قال: يا قوم اعجلوا للغنيمة. و روى الأصمعي و غيره مكان قد تودّأت: قد تلمّأت عليه، و تلاءمت، أي وارتته، و يروى: تأكمت أي صارت أكمة.

الشعر لهدبة بن خشرم، و الغناء لمعبد ثقيل أول بإطلاق الوتر في مجرى البنصر عن إسحاق.

[1] هذه الترجمة مما سقط من التراجم من طبعة بولاق، و موضعها هنا بحسب المخطوطات المعتمدة.

[2] في هد: «أدرك دولة بني أمية» بدل «أدرك دولة بني هاشم» .

[3] ف: «الثانية» .

[4] هذا الصوت مما سقط من طبعة بولاق، و موضعه هنا.

19- أخبار هدية بن خشرم و نسبه [1] و قصته في قوله هذا الشعر و خبر مقتله

نسبه و أدبه

:

هو هدية بن خشرم [2] بن كرز بن أبي حية بن الكاهن- و هو سلمة-بن أسحم [3] بن عامر بن ثعلبة بن عبد الله بن ذبيان بن الحارث بن سعد بن هذيم؛ و سعد بن هذيم شاعر من أسلم بن الحاف بن قضاة؛ و يقال: بل هو سعد بن أسلم، و هذيم عبد لأبيه رباه، ف قيل: سعد بن هذيم، يعني سعدا هذا.

و هدية شاعر فصيح متقدم من بادية الحجاز، و كان شاعرا راوية، كان يروي للحطيئة، و الحطيئة يروي لكعب بن زهير، و كعب بن زهير يروي لأبيه زهير، و كان جميل رواية هدية، و كثير رواية جميل، فلذلك قيل: إن آخر فحل اجتمعت له الرواية إلى الشعر كثير.

و كان له دبة ثلاثة إخوة كلهم شاعر: حوط و سيحان و الواسع، أمهم حية بنت أبي بكر بن أبي حية من رهطهم الأدينين، و كانت شاعرة أيضا.

و هذا الشعر يقوله هدية في قتله زيادة بن زيد بن مالك بن عامر بن قرّة بن حنش بن عمرو بن عبد الله بن ثعلبة بن ذبيان بن الحارث بن سعد بن هذيم.

أخبرني بالخبر في ذلك جماعة من شيوخنا، فجمعت بعض روايتهم إلى بعض، و اقتصرت على ما لا بدّ منه من الأشعار، و أتيت بخبرهما على شرح، و ألحقت ما نقص من رواية بعضهم عن رواية صاحبه في موضع النقصان.

الحرب بين رهطه و رهط زيادة بن زيد

:

فممن حدثني به محمد بن العباس اليزيدي قال: حدثنا عيسى بن إسماعيل العتكي: تينة قال: حدثنا خلف بن المثنى الحداني [4]، عن أبي عمر و المدني.

و أخبرني الحسن بن يحيى، و محمد بن مزيد بن أبي الأزهر البوشنجي، عن حماد بن إسحاق الموصلي عن أبيه.

و أخبرني إبراهيم بن أيوب الصائغ، عن ابن قتيبة.

و أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار، عن علي بن محمد بن سليمان النوفلي، عن أبيه عن عمه. و قد نسبت [1] هذه الترجمة مما سقط من التراجم من طبعة بولاق و موضعها هنا بحسب المخطوطات المعتمدة.

[2] خشرم-بفتح الخاء و الراء و سكون الشين-في الأصل: جماعة النحل و الزنابير.

[3] في ف، هد: «ابن إسحاق» بدل «ابن أسحم» .

[4] في هج «الحداني» ، و في ف «الجداني» .

إلى كل واحد منهم ما انفرد به من الرواية، و جمعت ما اتفقوا عليه، قال عيسى بن إسماعيل في خبره خاصة: كان أول ما هاج الحرب بين بني عامر بن عبد الله بن ذبيان و بين بني رقاش، و هم بنو قرّة بن حفش [1] بن عمرو بن عبد الله بن ثعلبة بن ذبيان، و هم رهط زيادة بن زيد، و بنو عامر رهط هدبة، أن حوط بن خشرم أخا هدبة راهن زيادة بن زيد على جمليين من إبلهما، و كان مطلقهما [2] من الغاية على يوم و ليلة، و ذلك في القيظ، فتزودوا الماء في الروايا و القرب، و كانت أخت حوط سلمى بنت خشرم تحت زيادة بن زيد، فمالت مع أخيها على زوجها، فوهنت أوعية زيادة، ففنى ماؤه قبل ماء صاحبه، فقال زيادة: قد جعلت نفسي في أديم # محرّم الدّبّاغ ذي هزوم

ثمّ رمت بي عرض الدّيموم # في بارح من وهج السّموم [3]

عند اطلاق و عرة النجوم [4]

-/ قال اليزيديّ في خبره: المحرّم: الذي لم يدبغ، و الهزوم: الشقوق.

قال: - و قال زيادة أيضا:

قد علمت سلمة بالعميس # ليلة مرمار و مرمريس [5]

أنّ أبا المسور ذو شريس # يشفي صداع الأبلج الدّليس [6]

العميس: موضع، و المرمار و المرمريس: الشّدة و الاختلاط، و أبا المسور يعني زيادة نفسه، و كانت كنيته أبا المسور.

هدبة و زيادة كل منهما يشبب بأخت الآخر

:

قال: فكان ذلك أول ما أثبت الصغائن بينهما، ثم إن هدبة بن خشرم و زيادة بن زيد اصطحبا، و هما مقبلان من الشام، في ركب من قومهما، فكانا يتعاقبان السّوق بالإبل، و كان مع هدبة أخته فاطمة، فنزل زيادة فارتجز فقال: عوجي علينا و اربعي يا فاطما # ما دون أن يرى البعير قائما

-/ أي ما بين مناخ البعير إلى قيامه.-

أ لا ترين الدمع منّي ساجما # حذار دار منك لن ثلاثا [7]

فعرّجت مطّردا عراهما # فعما بيدّ القطف الرّواسما [8]

[1] في ف «ابن حوم» بدل «ابن حفش» .

[2]مطلقهما: موضع إطلاقهما.

[3]العرض: الجانب، الديموم: الصحراء المترامية الأطراف، البارح: الريح الحارة صيفا، السموم: الحر الشديد.

[4]النجوم: جمع نجم، و هو ما لا ساق له من النبات، فلعله يريد عند طلوع الأرض الوعرة ذات النبات الذي لا ساق له.

[5]في رواية: بالحميس.

[6]الشريس: الشراسة، و هي سوء الخلق، الدلعيس: الضخمة المترهلة من الإبل، فلعله يريد أنه في زمان الشدة و الاختلاط عند ما تظلم الليالي يشفي صداع الأبيض الضخم من النوق بنحره، و ذلك كناية عن كرمه.

[7]يريد: حذار أن تنزلي دارا بعيدة غير ملائمة.

[8]في «المختار» :

«فاطردت مطردا»

-مطّرد: متتابع السير، و عراهم: شديد، و فعم: ضخم، و الرسيم: سير فوق العنق، و الرّواسم: الإبل التي تسير هذا السير الذي ذكرناه.-

/

كأنّ في المثناة منه عائما # إئك و الله لأن تباغما[1]

-المثناة: الزمام، و عائم: سائح، تباغم: تكلم.-

خودا كأنّ البوص و المآكما # منها نقا مخالط صرائما[2]

-البوص: العجز، و المآكمتان: ما عن يمين العجز و شماله، و النقا: ما عظم من الرمل. و الصرائم: دونه.-

خير من استقبالك السّمائما # و من مناد يبتغي معاكما[3]

و يروى: و من نداء، أي رجل[4] تناديه تبتغي أن يعينك على عكمك حتى تشده.

فغضب هدبة حين سمع زيادة يرتجز بأخته، فنزل فرجز بأخت زيادة، و كانت تدعي-فيما روى اليزيديّ-أمّ حازم، و قال الآخرون: أمّ القاسم، فقال هدبة: لقد أراني و الغلام الحازما # نزجي المطيّ ضمّرا سواهما[5]

متى تظنّ القلص الرّواسما # و الجلّة التّاجية العياهما[6]

العياهم: الشّداد.

/

يلغن أمّ حازم و حازما # إذا هبطن مستحيرا قاتما[7]

و رجّع الحادي لها الهماهما # أ لا ترين الحزن مني دائما[8]

حذار دار منك لن تلائما # و الله لا يشفي الفؤاد الهائما[9]

تمساحك اللّبات و المآكما # و لا اللّمام دون أن تلازما[10]

و لا اللّثام دون أن تفاقما # و لا الفقام دون أن تباغما[10]

[1] تباغم: من بغمت الغزالة إذا نادت ولدها بصوت لين.

[2] البوص بفتح الباء و سكون الواو، أو بضم الباء.

[3] السّمائم: جمع سموم، الحر الشديد، و قوله: «خير» في صدر البيت خبر المصدر المؤول «أن تباغم» في البيت الأول، يقول: إن مناجاتك

للحسنة الثقيلة الردفين خير من الشد و الترحال في الهواجر، و من مناد يستعينك على شد رحاله.

[4] في ب «رجلا تنادينه» بدل «رجل تناديه» ، و هو تحريف، فلا وجه لنصب «رجلا» كما أن الخطاب لمذكر.

[5] لضمير السواهم: النياق الصلبة لا ترهل في أجسامها.

[6] القلص: جمع قلوص: الفتية من الإبل، الرواسم: التي تمشي الرسم، و هو نوع خفيف من السير، الجلة: جمع جليل و هي الناجية: السريعة، العياهم: جمع عيهم، و هي الناقة السريعة أيضا.

[7] يبلغن... إلخ مفعول تظن الثاني، ضمير هبطن للنياق، المستحير: الطريق في المفازة لا يعرف أين ينتهي.

[8] في «المختار» :

«ورفع الهادي»

. و الهمهمة: الصوت تنوم المرأة به طفلها استعاره هنا لحداء الإبل، و الخطاب في «أ لا ترين» لأم خازم.

[9] يريد بعدم ملاءمة الدار أن تصد عنه.

(10-11) تمساحك فاعل يشفي، و المآكم: رعوس الأفخاذ، و هي معطوفة على اللبات الواقعة مفعولا للمصدر، اللثام: اللثم، الفقام: المياضعة، الفغام: التقبيل، يقول: ليس يشفي فؤادي أن أمسح باللبات و المآكم، أو أن تلمي دون أن تلازمي، و ليس يشفيه التقبيل دون الجماع، و لا الجماع دون التقبيل، و أن تقع السيقان على السيقان.

و تعلق القوائم القوائم

قال: فشتمه زيادة، و شتمه هدبة، و تسابًا طويلا، فصاح بهما القوم: اركبا، لا حملكما الله. فإنما قوم حجّاج، و خشوا أن يقع بينهما شر فوعظوهما، حتى أمسك كل واحد منهما على ما في نفسه، و هدبة أشدهما حنقا، لأنه رأى أن زيادة قد ضامه، إذ رجز بأخته و هي تسمع قوله، و رجز هو بأخته، و هي غائبة لا تسمع قوله، فمضيا و لم يتحاورا بكلمة، حتى قضيا حجّهما، و رجعا إلى عشيرتهما.

يرتجزون بعمه زفر

:

قال اليزيديّ خاصة في خبره:

ثم التقى نفر من بني عامر، من رهط هدبة، فيهم أبو جبر، و هو رئيسهم الذي لا يعصونه، و خشرم أبو هدبة، و زفر عم هدبة، و هو الذي بعث الشّر، و حجّاج بن/سلامة، و هو أبو ناشب، و نفر من بني رقاش رهط زيادة، و فيهم زيادة بن زيد، و إخوته: عبد الرحمن و نقّاع و أدرع بواد من أودية حرّتهم، فكان بينهم كلام، فغضب ابن الغسانیة، و هو أدرع، و كان زفر عم هدبة يعزى إلى رجل من بني رقاش، فقام له أدرع فرجز به فقال: أدّوا إلينا زفرا # نعرف منه التّظرا

و عينه و الأثرا[1]

قال: فغضب رهط هدبة، و ادّعوا حدّا على بني رقاش، فتداعوا إلى السلطان، ثم اصطلحوا على أن يدفع إليهم أدرع، فيخلو به نفر منهم، فما رأوه عليه أمضوه، فلما خلوا به ضربوه الحدّ ضربا مبرّحا، فراح بنو رقاش و قد أضمرُوا الحرب و غضبوا، فقال عبد الرحمن بن زيد: ألا أبلغ أبا جبر رسولا # فما بيني و بينكم عتاب

أ لم تعلم بأن القوم راحوا # عشية فارقوك و هم غضاب

فأجابه الحجاج بن سلامة فقال:

إن كان ما لاقى ابن كنعاء مرغما # رقاش فزاد الله رغما سبالها[2]

منعنا أخاننا إذا ضربنا أحاكم # و تلك من الأعداء لا مثل مالها[3]

هو و زيادة يتهاديان الأشعار

:

قال اليزيدي في خبره: و جعل هدية و زيادة يتهاديان الأشعار، و يتفاخران، و يطلب/كل واحد منهما العلو على صاحبه في شعره، و ذكر أشعارا كثيرة، فذكرت بعضها، و أتيت بمختار ما فيه، فمن ذلك قول زيادة في قصيدة أولها: أراك خليلا قد عزمت التّجنا # و قطعت حاجات الفؤاد فأصحابا[4]

[1]الشعر من مجزوء الرجز، و هو من قبيل التعريض.

[2]البيت من الطويل دخله الخرم، و ابن كنعاء هو أدرع، السبال: طرف الشارب، أو مقدم اللحية، يقول: إذا كان ما لاقاه أدرع أذل رقاش فزادها الله ذلا.

[3]لا مثل مالها: لا مثل الذل الذي تنطوي عليه.

[4]أصحاب الفؤاد: أصابه خبل.

اخترت منها قوله

:

- و أنك للناس الخليل إذا دنت # به الدار، و الباكي إذا ما تغيبا [1]
 و قد أعدرت صرف الليالي بأهلها # و شحط التوى بيني و بينك مطلبيا [2]
 فلا هي تألو ما نأت و تباعدت # و لا هو يألو ما دنا و تقربا [3]
 أطعت بها قول الوشاة فلا أرى الـ # وشاة انتهوا عنه و لا الدهر أعتبا [4]
 فهلاً صرمت و الحبال متينة # أميمة إن واش وشى و تكذباً [5]
 إذا خفت شكَّ الأمر فارم بعزمه # غيابه يركب بك الدهر مركبا
 و إن وجهة سدّت عليك فزوجها # فإئك لاق لا محالة مذهبا
 يلام رجال قبل تجريب غيبهم # و كيف يلام المرء حتى يجربا
 و إني لمعارض قليل تعرّضني # لوجه امرئ يوما إذا ما تجنّبا [6]
 قليل عثاري حين أذعر، ساكن # جناني إذا ما الحرب هزّت لتكلبا [7]
 /بحسبك ما يأتيك فاجمع لنازل # قراه و نؤبه إذا ما تنوّبا [8]
 و لا تنتجع شراً إذا حيل دونه # بستر وهب أسبابه ما تهبّبا
 أنا ابن رقاش و ابن ثعلبة الذي # بني هاديا يعلو الهوادي أغلببا [9]
 بنى العزّ بنيانا لقومي فماصعوا # بأسياهم عنه فأصبح مصعبا [10]
 فما إن ترى في الناس أما كأئنا # و لا كأبينا حين ننسبه أبا
 أتمّ و أنمي بالبنين إلى العلا # و أكرم منا في المناصب منصبا [11]
 ملكنا و لم نملك و قدنا و لم نقد # كأنّ لنا حقا على الناس ترتبا

-قال اليزيديّ: ترتب: ثابت لازم-.

[1] في ب كالناس، و هو تحريف، يريد أنه لا ينسى الخليل إذا نسبه، يذكره قريبا، و يبكيه بعيدا.

[2] أنت صرف الليالي لاكتسابه التأنيث من المضاف إليه، يقول: إن صروف الليالي توجب التماس العذر للناس، و إن بعد الشقة بيني و بينك عذرتني في طلبك.

[3] يريد أنها لا تقصرني حفظ عهد إن بعدت، كما أنه يزيد حبا لها إن

قربت.

[4] يريد أنه تظاهر بطاعة الوشاة ليكفوا عنهما فلم يكفوا، و لا الدهر أعتبه، أي قبل عتابه.

[5] يقول: هلا تظاهرت يا أميمة أنت أيضا بصرم حبال الود، و إن كانت في الباطن متينة وثيقة العرى لتقطع السنة الوشاة.

[6] معراض: كثير الإعراض عن الشيء الذي لا يهمني.

[7] هرت: كشرت عن أنيابها، لتكلب: لتشتد.

[8] نوبة: احفظ حقه في النوبة عند الركوب و نحوه، و ربما كانت محرفة عن «ثوبه» بمعنى كافئه، و أحسن إليه.

[9] الهادي: العنق، الأغلب: الغليظ العنق.

[10] ماصع: جالد. و في «المختار»: «فأصبعوا» بدل «فماصعوا» .

[11] في «المختار»: :

«... باليمين إلى العلا»

بآية أتا لا نرى متتوجا # من الناس يعلونا إذا ما تعصبا [1]
 و لا ملكا إلا ائقانا بملكه # و لا سوقة إلا على الخرج أتعبا [2]
 ملكنا ملوكا و استبحنا حماهم # و كئا لهم في الجاهلية موكبا [3]
 ندامى و أردافا فلم تر سوقة # توازننا فاسأل إبادا و تغلبا [4]

/فأجابه هدبة، و هذا مختار ما فيها فقال:

تذكر شجوا من أميمة منصبا # تليدا و منتابا من الشوق مجلبا [5]
 تذكّر حبا كان في مiece الصبا # و وجدا بها بعد المشيب معببا [6]
 إذا كاد ينساها الفؤاد ذكرتها # فيا لك ما عنى الفؤاد و عدبا [7]
 غدا في هواها مستكينا كأنه # خليع قداح لم يجد متنشبا [8]
 و قد طال ما علقت ليلي معمرا # وليدا إلى أن صار رأسك أشيبا
 -المغمّر: للغمر أي غير حدث-.

رأيتك في ليلي كذى الداء لم يجد # طيبيا يداوي ما به فتطببا
 فلما اشتفى مما به كّر طبه # على نفسه من طول ما كان جرّبا [9]

يقتل زيادة فيسجن

:

فلم يزل هدبة يطلب غرة زيادة حتى أصابها فييته فقتله، و تنحى
 مخافة السلطان، و على المدينة يومئذ سعيد بن العاص، فأرسل إلى عم
 هدبة و أهله فحبسهم بالمدينة، فلما بلغ هدبة ذلك أقبل حتى أمكن من نفسه
 و تخلّص عمّه و أهله، فلم يزل محبوبا حتى شخّص عبد الرحمن بن زيد أخو
 زيادة إلى معاوية، فأورد كتابه إلى سعيد بأن يقيد منه إذا قامت البينة،
 فأقامها، فمشت عذرة إلى عبد الرحمن، فسألوه قبول الدية فامتنع، و قال:

صوت

أنختم علينا لكلل الحرب مرّة # فنحن منيخوها عليكم بكلل
 فلا يدعني قومي لزيد بن مالك # لئن لم أعجل ضربة أو أعجل [10]

[1] الآية: الدليل، تعصب: لبس العصابة: عصابة الملك.

[2] السوقة: من عدا الملك، الخرج: الضريبة و نحوها، يعني أن الناس
 كانوا يتعبون في تأدية الخراج، و هو معفون.

[3]موكبا: يريد كنا جنودهم عند الحرب.

[4]أرداف: جمع ردف، و هو خليفة الملك في الجاهلية، يجلس عن يمينه، و يشرب بعده، و ينوب عنه في الحكم إذا غزا.

[5]منصب: متعب، مجلب: من أجلب الجرح: علتة القشرة.

[6]معتب: مستوجب للعتاب و اللوم.

[7]مفعول عني و عذب محذوف، أي ما عناني الفؤاد و عذبي.

[8]الخليع: من غلب في القمار، المتنشب: من النشب، و هو النبل.

[9]يريد أنه كما شفي من داء الحب عاوده الحنين إلى الداء و الدواء

من جديد.

[10]لا يدعني قومي... إلخ: لا ينسبني قومي إلى أبي إن لم أعجل بئار أخي أو يعاجلني الموت.

أبعد الذي بالتّعف نعف كويكب # رهينة رمس ذي تراب و جندل[1]

كريم أصابته ديات كثيرة # فلم يدر حتى حين من كل مدخل[2]

أذكر بالبقيا على من أصابني # و بقياي أني جاهد غير مؤتلي[3]

غناه ابن سريج رملا بالسبابة في مجرى البنصر عن إسحاق، و قيل: إنه لمالك بن أبي المسح و له فيه لحن آخر.

رجع الخبر إلى سياقه

و أما علي بن محمد النوفليّ، فذكر عن أبيه: أنّ سعيد بن العاص كره الحكم بينهما، فحملهما إلى معاوية، فنظر في القصة، ثم ردها إلى سعيد. و أما غيره فذكر أن سعيدا هو الذي حكم بينهما من غير أن يحملهما إلى معاوية.

قال علي بن محمد عن أبيه:

فلما صاروا بين يدي معاوية قال عبد الرحمن أخو زيادة له: يا أمير المؤمنين أشكو إليك مظلمتي[4] و ما دفعت إليه، و جرى عليّ و على أهلي و قرباي[4] و قتل أخي زيادة، و ترويع نسوتي، فقال له[5] معاوية: يا هدبة قل.

فقال: إن هذا رجل سجّاعة[6]، فإن شئت أن أقص عليك قصتنا كلاما أو شعرا فعلت، قال: لا بل شعرا، فقال هدبة هذه القصيدة ارتجالا: ألا يا لقومي للتوائب و الدّهر # و للمرء يردي نفسه و هو لا يدري[7]

و للأرض كم من صالح قد تأكّمت # عليه فوارته بلمّاعة قفر

فلا تتقي ذا هيبة لجلاله # و لا ذا ضياع هنّ يتركن للفقر[8]

حتى قال:

رمينا فرامينا فصادف رمينا # منايا رجال في كتاب و في قدر

و أنت أمير المؤمنين فما لنا # وراءك من معدّي و لا عنك من قصر

فإن تك في أموالنا لم نضق بها # ذراعا، و إن صبر فنصبر للصّبر

[1] النعف: المكان المرتفع فيه صعود و هبوط و كويكب: موضع في دبار سعد بن هذيم.

[2] أصابته ديات كثيرة، يريد أنه كان يدفع الديات نيابة عن القتالين كرما منه، أو أنه كان مطالباً بكثير من الديات لكثرة من قتل، و قوله: «حتى

حين» لم نجد لها تخريجا، فلعلها «خين» بالخاء المعجمة من الخيانة، أو لعلها «خان» بمعنى هلك و البيت ساقط من س.

[3]أذكر: متعلق الجار و المجرور بالبيت الثالث، يعني أ أذكر بالبقيا على من أصابني بفقد أخي بعد الذي بالنعف، غير مؤتلي: غير مقصر في طلب الوتر، و في هج، هد: «على ما أصابني»

بدل

«من أصابني»

(4-4) تكملة من ف.

[5]كلمة «له» هنا نرجح أنها زائدة فإن ضميرها يجب أن يعود على هدية، و لم يتقدم له مرجع في الكلام.

[6]سجاعة: صيغة مبالغة من سجع في كلامه.

[7]أرجع إلى هذا البيت و ما بعده في أول الترجمة.

[8]فاعل تتقي ضمير الأيام، و ذا مفعول مقدم ليتركن. -

فقال له معاوية: أراك قد أقررت [1] بقتل صاحبهم، ثم قال لعبد الرحمن: هل لزيادة ولد؟ قال: نعم، المسور، وهو غلام صغير لم يبلغ، و أنا عمه و وليّ دم أبيه، فقال: إنك لا تؤمن على أخذ الدية أو قتل الرجل بغير حق، و المسور أحق بدم أبيه فردّه إلى المدينة فحبس ثلاث سنين حتى بلغ المسور.

بينه و بين جميل بن معمر

:

أخبرني الحرميّ بن العلاء قال: حدثنا الزبير بن بكار قال: نسخت من كتاب عامر بن صالح قال: دخل جميل بن معمر العذريّ على هذبة بن خشرم السّجن و هو محبوب بدم زيادة بن زيد، و أهدى له بردين من ثياب كساه إياها سعيد بن العاص، و جاءه بنفقة، فلما دخل إليه عرض ذلك عليه، و سأله أن يقبله منه، فقال له هذبة: أنت يا بن معمر الذي تقول: بني عامر أئى انتجتم و كنتم # إذا عدّ الأقوام كالخصية الفرد؟

أما و الله لئن خلّص الله لي ساقى لأمدنّ لك مضمارك [2]، خذ برديك و نفقتك، فخرج جميل، فلما بلغ باب السجن خارجا قال: اللهم أغن [3] عني أجدع بني عامر، قال: و كانت بنو عامر قد قلت، فحالفت لإياد.

من شعر أمه فيه

:

قال أحمد بن الحارث الخزاز عن المدائني:

فقال أم هذبة فيه لما شخص إلى المدينة فحبس بها:

أيا إخوتي أهل المدينة أكرموا # أسيركم إن الأسير كريم

فربّ كريم قد قرأه و ضافه # و ربّ أمور كلهن عظيم

عصى جلّها يوما عليه فراضه # من القوم عياف أشمّ حليم [4]

يتوسطون له فترفض و ساطتهم

:

فأرسل هذبة العشيرة [5] إلى عبد الرحمن في أول سنة فكلّموه، فاستمع منهم ثم قال: /

أبعد الذي بالتّعف نعف كويكب # رهينة رمس ذي تراب و جندل [6]

أذكر بالبقيا على من أصابني # و بقياي أني جاهد غير مؤتلي

فرجعوا إلى هدية بالأبيات فقال: لم يؤيسني بعد، فلما كانت السنة الثالثة بلغ المسور، فأرسل هدية إلى عبد الرحمن من كلمه فأنصت حتى فرغوا، ثم قام عنه مغضبا و أنشأ يقول: [1]الإقرار يتضمنه البيت: رمينا فرمينا... إلخ.

[2]لأمدن لك مضمارك: «لأوسعن الميدان الذي ألاقيك فيه، و ربما كانت لأعدن لك مضمارك» و على كل فهي تهديد.

[3]أغنه عني: اكفني شره، و يعني بأجدع بني عامر هدية نفسه.

[4]عصى جلها... إلخ، خير أمور في البيت السابق، و الهاء من راضه يعود على جل، و المراد «بعياف أشم حلیم» هدية نفسه.

[5]يريد عشيرته من بني عامر.

[6]تقدم هذا البيت و ما قبله، و هما رفض لطلب العشيرة و إباء لعرض الدية.

سأكذب أقواما يقولون: إني # سأخذ مالا من دم أنا نائره[1]

فباست امرئ و است التي زحرت به # يسوق سواما من أخ هو واتره[2]

و نهض، فرجعوا إلى هدية فأخبروه الخبر فقال: الآن أيست منه، و ذهب عبد الرحمن بالمسور، و قد بلغ إلى و الي المدينة، و هو سعيد بن العاص، و قيل مروان بن الحكم، فأخرج هدية.

لقاؤه الأخير بزوجه

:

قالوا: فلما كان في الليلة التي قتل في صاحبها أرسل إلى امرأته، و كان يحبها: اثيني الليل أستمتع بك و أودعك، فأنته في اللباس و الطيب، فصارت إلى رجل[3]، قد طال حبسه، و أنتنت في الحديد رائحته، فحادثها، و بكى، و بكت، ثم راودها عن نفسها، و طاوعته، فلما علاها سمعت قعقة الحديد فاضطربت تحته، فتنحى عنها و أنشأ يقول: /

و أدبيني حتى إذا ما جعلتني # لدى الخصر أو أدنى استقلك راجف[4]

فإن شئت و الله انتهيت و إني # لئلا تريني آخر الدهر خائف

رأت ساعدي غول و تحت ثيابه # جآئ يدمى حدّها و الحراقف[5]

ثم قال الشعر حتى أتى عليه و هو طويل جدا و فيه يقول:

صوت

فلم تر عيني مثل سرب رأيتَه # خرجن علينا من زقاق ابن واقف[6]

تضمّخن في الجاديّ حتى كأنّما الأ # نوف إذا استعرضتهنّ رواعف[7]

خرجن بأعناق الطباء و أعين الـ # جآذر و ارتجّت لهن السّوالف[8]

فلو أنّ شيئا صاد شيئا بطرفه # لصدن طباء فوقهنّ المطارف[9]

غنى فيه الغريض رملا بالبنصر من رواية حبش، و فيه لحن خفيف ثقيل، و ذكر إسحاق أن فيه لحنا ليونس، و لم يذكر طريقته في مجردة.

[1] أنا نائره: أنا طالب ثاره.

[2] يريد بقول:

«واست الذي زحرت به»

: ولدته.

[3]الرجل المقصود هنا هو هدبة نفسه.

[4]استقلك راجف: أصابك ما أفزعك.

[5]جآجئ: جمع جؤجؤ، و هو عظم الصدر، الحراقف: جمع حرقفة، و هي أعلى الورك.

[6]في البيت إقواء، و في بعض النسخ: «خرجن علينا حين إذ أنا واقف»

و عليه فلا إقواء، و يرجح الرواية الأولى حديث السمكات الذي سيأتي بعد، و يرجح الرواية الثانية قول المؤلف فيما يلي: ليس هناك زقاق يحمل هذا الاسم.

[7]الجادي: الزعفران.

[8]السوالف: جمع سالفة، و هي جانب العتق.

[9]ظباء: فاعل صدن-على لغة أكلوني البراغيث-المطارف: جمع مطرف، و هو رداء من خز مربع ذو أعلام، و المعنى: لو أن اللحظ يصيد لصادت هذه الظباء التي تلبس المطارف-يقصد الغواني-بألحاظها الرجال، و في رواية: «لصدن بألحاظ ذوات المطارف»

و عليه ففي البيت إقواء، و المعنى لا يتغير.

أيهما أحسن: سربه أم السمكات الثلاث؟

:

أخبرنا الحرميّ قال: حدثنا الزبير عن عمه قال:

مرّ أبو الحارث جمين يوما بسوق المدينة، فخرج عليه رجل من زقاق ابن واقف بيده ثلاث سمكات قد شقّ أجوافها؛ و قد خرج شحمها، فبكى أبو الحارث، ثم قال: تعس الذي يقول: فلم تر عيني مثل سرب رأيتَه # خرجن علينا من زقاق بن واقف

و انتكس و لا انجبر، و الله لهذه السمكات الثلاث أحسن من السرب الذي وصف.

و أحسب أن هذا الخبر مصنوع لأنه ليس بالمدينة بزقاق ابن واقف، و لا بها سمك، و لكن رويت ما روي.

حيّ ترثى لحاله

:

و قال حماد بن إسحاق عن أبيه أنّ ابن كناسة قال: مرّ بهدية على حيّ [1]؛ فقالت: في سبيل الله شبابك و جلدك و شعرك و كرمك؛ فقال هدية: تعجّب حيّ من أسير مكبّل # صليب العصا باق على الرّسفان [2]

فلا تعجبي منّي حليّة مالك # كذلك يأتي الدهر بالحدثان

بين لزوجته أوصاف من يخلفه عليها

:

و قال التّوفليّ عن أبيه:

فلما مضى به من السجن للقتل، التفت فرأى امرأته؛ و كانت من أجمل النساء فقال: /

أقلّي عليّ اللّوم يا أمّ بوزعا # و لا تجزعي ممّا أصاب فأوجعا

و لا تنكحي إن فرّق الدهر بيننا # أغمّ القفا و الوجه ليس بأنزعا [3]

كليلا سوى ما كان من حدّ ضرسه # أكيد مبطان العشيات أروعا [4]

ضروبا بلحييه على عظم زوره # إذا الناس هسّوا للفعال تقنعا [5]

و حلّي بذي أكرومة و حميّة # و صبر إذا ما الدهر عصّ فأسرعا

زوجته تشوه جمالها بسكين

:

و قال حمّاد عن أبيه عن مصعب بن عبد الله قال: [1]حبي: اسم امرأة كانت تحت رجل اسمه مالك.

[2]الرسفان: المشي الوئيد يمشيه المقيد في قيده.

[3]الأنزع: من انحسر شعره عن جبينه و قفاه.

[4]يريد بالمصراع الأول أنه كليل العزم و السيف غير كليل الناب و الضرس. الأكيد: تصغير أكبد بمعنى مصاب في كبده، مبطان العشيات: كثير الأكل ليلا، أروع: من الروع، و هو الخوف، أي جبان.

[5]اللحيان: العظامان اللذان ركبت فيهما الأسنان العلوية و السفلية، و المصراع الأول كناية أيضا عن البطننة، هشوا: سروا و انشروا صدورهم، الفعال-بفتح الفاء-الكرم و الفعل الحميد، تقنع: أخفى وجهه و غطاه بغشاء.

لما أخرج هدية من السجن ليقتل، جعل الناس يتعرّضون له و يخبرون صبره، و يستنشدونه، فأدركه عبد الرحمن بن حسان[1]، فقال له: يا هدية، أ تأمرني أن أتزوج هذه بعدك، يعني زوجته، و هي تمشي خلفه فقال: نعم، إن كنت من شرطها، قال: و ما شرطها؟ قال: قد قلت في ذلك: فلا تنكحي إن فرّق الدهر بيننا # أغمّ القفا و الوجه ليس بأنزعا[2]

و كوني حيسا أو لأروع ماجد # إذا صنّ أعشاش الرّجال تبرّعا[3]

فمالت زوجته إلى جرّار و أخذت شفرته، فجذعت بها أنفها، و جاءت تدمى/مجدوعة فقالت: أ تخاف أن يكون بعد هذا نكاح؟ قال: فرسف في قيوده و قال: الآن طاب الموت.

و قال النوفليّ عن أبيه:

إنها فعلت ذلك بحضرة مروان و قالت له: إن لهدية عندي وديعة، فأمهله حتى آتية بها، قال: أسرع، فإن الناس قد كثروا، و كان جلس لهم بارزا عن داره[4]، فمضت إلى السوق، فانتهدت إلى قصّاب و قالت: أعطني شفرتك، و خذ هذين الدرهمين و أنا أردّها عليك، ففعل، فقربت من حائط، و أرسلت ملحفتها على وجهها، ثم جذعت أنفها من أصله، و قطعت شفيتها، ثم ردّت الشفرة، و أقبلت حتى دخلت بين الناس و قالت: يا هدية، أ تراني متزوجة بعد ما ترى؟ قال: لا، الآن طايت نفسي بعد بالموت، ثم خرج يرسف في قيوده، فإذا هو بأبويه يتوقعان الثكل، فهما بسوء حال، فأقبل عليهما و قال: أبلاني اليوم صبرا منكما # إن حزننا إن بدا باديء شرّ

لا أراني اليوم إلا ميّتا # إن بعد الموت دار المستقرّ[5]

اصبرا اليوم فإني صابر # كلّ حيّ لقضاء و قدر

زوجته تنكث بعهدا

:

قال النوفليّ: فحدثني أبي قال: حدثني رجل من عذرة عن أبيه قال: إنني لبلادنا يوما في بعض المياه، فإذا أنا بامرأة تمشي أمامي و هي مدبرة، و لها خلق عجيب من عجز و هيئة، و تمام جسم، و كمال قامه، فإذا صبيّان قد اكتنفاها يمشيان، قد ترعرعا، فتقدّمتهما، و التفّت إليها، فإذا هي أقبح منظر، و إذا هي مجدوعة الأنف، مقطوعة الشفتين، فسألت عنها فقيل لي: هذه امرأة هدية، تزوّجت[6] بعده رجلا، فأولدها هذين الصبيّين.

أخو زيادة يرفض كل شفاعة ودية

:

[1]ضبطنا حسان بالفتح على أنه مأخوذ من الحس، فهو ممنوع من
الصرف.

[2]في هد

«أغم القفا و الرأس»

.

[3]أعشاش الرجال: من عش معروفة بمعنى قلله، يقول لها: كوني
حبس خدرك أو تزوجي ماجدا.

[4]ب: «بإزاء داره» .

[5]في «المختار» :

«لا أرى ذا اليوم إلا هينا»

.

[6]و هكذا صدق الشاعر حين يقول: وإن حلفت لا تنقض الدهر عهدها
فليس لمخضوب البنان يمين

قال ابن قتيبة في حديثه: فسأل سعيد بن العاص أخا زيادة أن يقبل الدية عنه، قال: أعطيك ما لم يعطه أحد من العرب أعطيك مائة ناقة حمراء ليس فيها جداء[1] و لا ذات داء، فقال له: و الله لو نقبت لي قبّتك هذه، ثم ملأتها لي ذهباً، ما رضيت بها من دم هذا الأجدع، فلم يزل سعيد يسأله، و يعرض عليه فيأبى، ثم قال له: و الله لو أردت قبول الدية لمنعني قوله: لنجدعنّ بأيدينا أنوفكم # و يذهب القتل فيما بيننا هدرا فدفعه حينئذ ليقبله بأخيه.

يعرض بحبي و هو في طريقه إلى الموت

:

قال حمّاد: و قرأت على أبي عن مصعب بن عبد الله الزبيريّ قال: و مرّ هدبة بحبيّ، فقالت له: كنت أعدك في الفتیان، و قد زهدت فيك اليوم، لأنني لا أنكر أن يصبر الرجال على الموت، لكن كيف تصبر عن هذه[2]؟ فقال: أما و الله إنّ حبي لها لشديد، و إن شئت لأصفرنّ لك ذلك، و وقف الناس معه، فقال: وجدت بها ما لم تجد أمّ واحد # و لا وجد حبيّ بآبن أمّ كلاب[3]

رأته طويل الساعدين شمر دلا # كما تشتهي من قوة و شباب[4]

فانقمعت[5] داخلة إلى بيتها فأغلقت الباب دونه. قالوا: فدفع إلى أخي زيادة ليقبله، قال: فاستأذن في أن يصليّ ركعتين، فأذن له، فصلاهما و خفف، ثم التفت إلى من حضر فقال: لو لا أن يظنّ بي الجزع لأطلتهما، فقد كنت محتاجا إلى إطالتهما، ثم قال/لأهله: إنه بلغني أنّ القليل يعقل ساعة بعد سقوط رأسه، فإن عقلت فإنني قابض رجلي و باسطها ثلاثا، ففعل ذلك حين قتل، و قال قبل أن يقتل: إن تقتلونني في الحديد فإنني # قتلت أخاكم مطلقا لم يقيد[6]

فقال عبد الرحمن أخو زيادة: و الله لا قتلته إلا مطلقا من وثاقه، فأطلق له، فقام إليه و هز السيف ثم قال: قد علمت نفسي و أنت تعلمه # لأقتلنّ اليوم من لا أرحمه
ثم قتله.

فقال حمّاد في روايته:

و يقال: إن الذي توّلى قتله ابنه المسور، دفع إليه عمّه السيف و قال له: قم فاقتل قاتل أبيك، فقام، فضربه ضربتين قتله فيهما.

[1] الجداء: القليلة اللبن من مرض أصابها.

[2] هذه: إشارة إلى زوجته.

[3] يعرض بحبى و بحبها لرجل افتتنت به.

[4] الشمردل: الجميل الخلق، و في ف، هج: «كما اشترطت»

بدل

«كما تشتهي»

[5] فانقمعت: ولت هاربة.

[6] البيت من الطويل دخله الخرم.

كاهنة تتبأ بقتله صبيرا

:

أخبرني الحسين بن يحيى قال: قال حمّاد: قرأت على أبي قال:
بلغني أنّ هدية أول من أقيد منه في الإسلام.

قال أحمد بن الحارث الخزاز[1]: قال المدائني:

مرّت كاهنة بأُمّ هدية و هو و أخوته نيام بين يديها، فقالت: يا هذه، إن الذي معي[2] يخبرني عن بنيك هؤلاء بأمر. قالت: و ما هو؟ قالت: أمّا هدية و حوط فيقتلان صبيرا[3]، و أما الواسع و سيحان فيموتان كمداء، فكان كذلك.

/أخبرني الحسين بن يحيى قال: قال حمّاد: قرأت على أبي: أخبرك مروان بن أبي حفصة قال: كان هدية أشعر الناس منذ يوم دخل السجن إلى أن أقيد منه، قال الخزاز عن المدائني: قال واسع بن خشرم يرثي هدية لما قتل: يا هذب يا خير فتیان العشيرة من # يفجع بمثلك في الدّنيا فقد فجعا

اللّهُ يعلم أنّي لو خشيتهم # أو أوجس القلب من خوف لهم فزعا[4]

لم يقتلوه و لم أسلم أخي لهم # حتى نعيش جميعا أو نموت معا[5]

و هذه الأبيات تمثّل بها إبراهيم بن عبد الله بن حسن بن حسن بن عليّ بن أبي طالب رضي عنهم، لما بلغه قتل أخيه محمد.

أخباره هو و زياد حديث العلية

:

أخبرني محمد بن العباس اليزيديّ قال: حدّثنا أحمد بن أبي خيثمة قال:
حدثني مصعب الزبيريّ قال:

كنا بالمدينة أهل البيوتات إذا لم يكن عند أحدنا خبر هدية و زيادة و أشعارهما ازدريناه، و كنا نرفع من قدر أخبارها و أشعارهما و نعجب بها.

صاحب بثينة راوية له

:

أخبرني محمد بن العباس اليزيديّ قال: أخبرني محمد بن الحسن الأحول، عن رواية من الكوفيين قالوا: كان جميل بن معمر العذريّ راوية هدية، و كان هدية راوية الحطيئة، و كان الحطيئة راوية كعب بن زهير و أبيه.

حدثني حبيب بن نصر المهلبيّ قال: حدّثنا عبد الله بن أبي سعد قال:
[1] و في بعض النسخ الخزاز، و في آخر الحراز.

[2] تقصد الذي معها من علم التنجيم، أو الجن الذي تزعم مؤاخاته.

[3] يقتل صبورا: يحبس حتى يموت.

[4] في ف، هد، «المختار»: «جزعا» بدل «فزعا» .

[5] يريد أنهم لو خافوهم ما وتروهم في زيادة، و حينئذ يسلم أخوه.

عائشة أم المؤمنين تدعو له بعد موته

:

حدثني أبو المغيرة محمد بن إسحاق قال: حدثني أبو مصعب الزبيري قال: حدثني المنكدر بن محمد بن المنكدر، عن أبيه قال: بعث هذبة بن خشرم إلى عائشة زوج النبي صلى الله عليه و سلم يقول لها: استغفري لي، فقالت: إن قتلت استغفرت لك.

صوت

أ لم تر أنني يوم جؤ سويقة # بكيت فنادتني هنيذة ماليا؟
فقلت لها: إن البكاء لراحة # به يشتفي من ظن أن لا تلاقيا
قفي ودعينا يا هنيذ فإنتي # أرى القوم قد شاموا العقيق اليمانيا[1]

-و يروى: أرى الركب قد شاموا-.

إذا اغرورقت عيناى أسبل منهما # إلى أن تغيب الشعريان بكائيا[2]

الشعر للفرزدق من قصيدة يهجو بها جريرا، و هي فيما قيل أول قصيدة هجاه بها، و الغناء لابن سريج خفيف ثقيل عن الهشامي، قال الهشامي: و فيه لمالك ثقيل أول، و ابتداء اللحنين جميعا.

أ لم تر أنني يوم جؤ سويقة

و لعلوية فيه لحن من الرمل المطلق ابتداءؤه: قفي و دعينا يا هنيذ فإنتي: [1] شام السحاب و البرق و نحوهما: نظر إليه ليتحقق أ فيه مطر أم لا، و المراد هنا النجعة و الرحيل.

[2] الشعريان: نجمان معروفان، فلعله يريد أن يقول: إنه يبكي طول الليل، أو طول الصيف، لأن الشعريين كانا رمز الصيف عند العرب، و اسم إحداهما العبور، و اسم الأخرى الغميصاء.

20-نسب الفرزدق و أخباره و ذكر مناقضاته

نسبه

:

الفرزدق لقب غلب عليه، و تفسيره الرغيف الضخم الذي يجفّفه النساء للفتوت، و قيل: بل هو القطعة من العجين التي تبسط، فيخبز منها الرغيف، شبّه وجهه بذلك؛ لأنه كان غليظا جهما. و اسمه همّام بن غالب بن صعصعة بن ناجية بن عقال بن محمد بن سفيان بن مجاشع بن دارم بن مالك بن حنظلة بن زيد مناة بن تميم.

قال أبو عبيدة: اسم دارم بحر، و اسم أبيه مالك عوف و يقال عرف. و سمّي دارم دارما لأن قوما أتوا أباه مالكا في حمالة [1] فقال له: قم يا بحر فأنتي بالخريطة-يعني خريطة كان له فيها مال-فحملها يدرم عنها ثقلا، و الدّرمان: تقارب الخطو، فقال لهم: جاءكم يدرم بها، فسمى دارما، و سمي أبوه مالك عرفا لجوده.

و أم غالب ليلي بنت حابس بن عقال بن محمد بن سفيان بن مجاشع. و كان للفرزدق أخ يقال له هميم، و يلقب الأخطل، ليست له نباهة، فأعقب ابنا يقال له محمد، فمات و الفرزدق حيّ فرثاه، و خبره يأتي بعد. و كان للفرزدق من الولد خبطة و لبطة و سبطة، هؤلاء المعروفون، و كان له غيرهم فماتوا، و لم يعرفوا. و كان له بنات خمس أو ست.

و أم الفرزدق-فيما ذكر أبو عبيدة-لينة بنت قرظة الضبية.

جده محيي الموءودات

:

و كان يقال لصعصعة محي الموءودات؛ و ذلك أنه كان مر برجل من قومه، و هو يحفر بئرا، و امرأته تبكي، فقال لها صعصعة: ما يبكيك؟ قالت: يريد أن يئد ابنتي هذه، فقال له: ما حملك على هذا؟ قال: الفقر. قال:

فإني اشتريها منك بناقتين يتبعهما أولادهما، تعيشون بألبانهما، و لا تتد الصبية، قال: قد فعلت، فأعطاه الناقتين و جملا كان تحته فحلا، و قال/في نفسه: إن هذه لمكرمة ما سبقني إليها أحد من العرب، فجعل على/نفسه ألا يسمع موءودة إلا فداها، فجاء الإسلام و قد فدى ثلاثمائة موءودة، و قيل: أربعمائة.

أخبرني بذلك هاشم بن محمد الخزاعي، عن دماذ، عن أبي عبيدة.

و أخبرني بهذا الخبر محمد بن العباس اليزيديّ و عليّ بن سليمان
الأخفش قالاً: حدثنا أبو سعيد السكريّ، عن محمد بن حبيب، عن أبي عبدة
عن عقّال بن شبة قال: قال صعصعة:

خرجت باغيا ناقتين لي فارتقتين-و الفارق: التي تفرق إذا ضربها
المخاض فتندّ على وجهها، حتى تنتج -فرفعت لي نار فسرت نحوها، و
هممت بالنزول، فجعلت النار تضىء مرة، و تخبو أخرى، فلم تزل تفعل ذلك
حتى قلت: اللهم لك عليّ إن بلغتني هذه النار ألاّ أجد أهلها يوقدون لكربة
يقدر أحد من الناس أن يفرّجها إلا [1]الحمالة: الغرامة يحملها قوم عن قوم
أو الدية.

فَرَّجَتْهَا عَنْهُمْ، قَالَ: فَلَمْ أُسْرَ إِلَّا قَلِيلًا حَتَّى أَتَيْتَهَا، فَإِذَا حَيٌّ مِنْ بَنِي أَنْمَارِ بْنِ الْهَجِيمِ بْنِ عَمْرِو بْنِ تَمِيمٍ، وَإِذَا أَنَا بِشَيْخٍ حَادِرٍ أَشْعَرَ [1] يُوقِدُهَا فِي مَقْدَمِ بَيْتِهِ، وَالنِّسَاءُ قَدْ اجْتَمَعْنَ إِلَى امْرَأَةٍ مَخْضٍ [2]، قَدْ حَبَسْتَهُنَّ ثَلَاثَ لَيَالٍ.

فَسَلَّمْتُ فَقَالَ الشَّيْخُ: مَنْ أَنْتِ؟ فَقُلْتُ: أَنَا صَعْصَعَةُ بِنْتُ نَاجِيَةَ بْنِ عَقَالٍ، قَالَ: مَرْحَبًا بِسَيِّدِنَا، فَمِمَّ أَنْتِ يَا بِنْتَ أَخِي؟ فَقُلْتُ: فِي بَغَاءٍ نَاقَتَيْنِ لِي فَارَقْتَيْنِ عَمِّي عَلِيًّا أَثْرَهُمَا، فَقَالَ: قَدْ وَجَدْتُهُمَا بَعْدَ أَنْ أَحْيَا اللَّهُ بِهِمَا أَهْلَ بَيْتِ مَنْ قَوْمُكَ، وَ قَدْ نَتَجْنَاهُمَا، وَ عَطَفْتُ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْآخَرَى، وَ هُمَا تَانِكٌ فِي أَدْنَى الْإِبِلِ. قَالَ: قُلْتُ: فَمِمَّ تَوَقَّدُ نَارَكَ مِنْذُ اللَّيْلَةِ؟ قَالَ: أَوْقَدْتُهَا لِامْرَأَةٍ مَخْضٍ قَدْ حَبَسْتُنَا مِنْذُ ثَلَاثِ لَيَالٍ، وَ تَكَلَّمْتُ النِّسَاءَ فَقُلْنَ: قَدْ جَاءَ الْوَلَدُ، فَقَالَ الشَّيْخُ: إِنْ كَانَ غَلَامًا فَوَ اللَّهُ مَا أُدْرِي مَا أَصْنَعُ بِهِ، وَ إِنْ كَانَتْ جَارِيَةً فَلَا أَسْمَعَنَّ صَوْتَهَا-أَيَّ اقْتَلَهَا-فَقُلْتُ: يَا هَذَا ذَرَاهَا فَإِنَّا ابْنَتُكَ، وَ رَزَقَهَا عَلَى اللَّهِ، فَقَالَ: اقْتُلْنَهَا، فَقُلْتُ: أَنْشُدْكَ اللَّهَ، فَقَالَ: إِنِّي أَرَاكَ بِهَا حَفِيًّا، فَاشْتَرَاهَا مِنِّي، فَقُلْتُ: إِنِّي أَشْتَرِيهَا مِنْكَ، فَقَالَ: مَا تَعْطِينِي؟ فَقُلْتُ: أُعْطِيكَ إِحْدَى نَاقَتِي قَالَ: لَا، قُلْتُ: فَأَزِيدُكَ الْآخَرَى، فَنَظَرَ إِلَى جَمَلِي الَّذِي تَحْتِي، فَقَالَ: لَا، إِلَّا أَنْ تَزِيدَنِي/جَمَلِكَ هَذَا، فَإِنِّي أَرَاهُ حَسَنَ اللَّوْنِ شَابَّ السِّنِّ، فَقُلْتُ: هُوَ لَكَ وَ النَّاقَتَانِ عَلَى أَنْ تَبْلُغَنِي أَهْلِي عَلَيْهِ، قَالَ: قَدْ فَعَلْتُ، فَابْتَعْتَهَا مِنْهُ بِلِقُوحَيْنِ [3] وَ جَمَلٍ، وَ أَخَذْتُ عَلَيْهِ عَهْدَ اللَّهِ وَ مِيثَاقَهُ لِيَحْسَنَنَّ بَرَّهَا وَصَلَتْهَا مَا عَاشَتْ، حَتَّى تَبِينَ مِنْهُ، أَوْ يَدْرِكْهَا الْمَوْتَ، فَلَمَّا بَرَزْتُ مِنْ عِنْدِهِ حَدَّثَنِي نَفْسِي وَ قُلْتُ: إِنْ هَذِهِ لِمَكْرَمَةٍ مَا سَبَقَنِي إِلَيْهَا أَحَدٌ مِنَ الْعَرَبِ، فَأَلَيْتُ أَلَّا يَدَّ أَحَدٌ بِنْتًا لَهُ إِلَّا أَشْتَرِيَتْهَا مِنْهُ بِلِقُوحَيْنِ وَ جَمَلٍ، فَبِعْتُ اللَّهَ عَزَّ وَ جَلَّ مُحَمَّدًا عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَ قَدْ أَحْيَيْتُ مَائَةَ مَوْءُودَةٍ إِلَّا أَرْبَعًا، وَ لَمْ يَشَارِكْنِي فِي ذَلِكَ أَحَدٌ، حَتَّى أَنْزَلَ اللَّهُ تَحْرِيمَهُ فِي الْقُرْآنِ، وَ قَدْ فَخِرَ بِذَلِكَ الْفَرَزْدَقُ فِي عِدَّةٍ قِصَائِدٍ مِنْ شَعْرِهِ، وَ مِنْهَا قِصِيدَتُهُ الَّتِي أَوَّلُهَا: أَبِي أَحَدُ الْغَيْثِينَ صَعْصَعَةُ الَّذِي # مَتَى تَخْلَفُ الْجُوزَاءَ وَ الدَّلُو يَمْطُرُ [4]

أَجَارَ بَنَاتِ الْوَائِدِينَ وَ مِنْ يَجْرُ # عَلَى الْفَقْرِ يَعْلَمُ أَنَّهُ غَيْرُ مَخْفَرٍ [5]

عَلَى حِينَ لَا تَحْيَا الْبَنَاتُ وَ إِذْ هُمْ # عَكُوفٌ عَلَى الْأَصْنَامِ حِوَالِ الْمَدُورِ [6]

-[7] الْمَدُورُ: يَعْنِي الدَّوَّارَ الَّذِي حَوْلَ الصَّنَمِ، وَ هُوَ طَوَافُهُمْ [7]-.

أَنَا ابْنُ الَّذِي رَدَّ الْمَنِيَةَ فَضَلَهُ # فَمَا حَسَبَ دَافَعْتَ عَنْهُ بِمَعُورٍ [8]

/و فَارِقُ لَيْلٍ مِنْ نِسَاءِ أَنْتِ أَبِي # تَمَارِسُ رِيحًا لَيْلَهَا غَيْرُ مَقْمَرٍ [9]

[1] حَادِرٌ: سَمِينُ الْجَسْمِ غَلِيظٌ.

[2] ماخض: أدركها المخاض.

[3] بلقوحين: بناقتين حاملتين.

[4] يقصد أن هناك غيثا في السماء و غيثا في الأرض، فغيث السماء المطر، و غيث الأرض أبوه، و أن أباه خير الغيثين، فإنه لا يخلف إذا أخلفت بروج السماء.

[5] غير مخفر: غير ناقض للعهد.

[6] حين بفتح النون و كسرهما، و هم: القوم لا البنات.

(7-7) التكملة من هد، هج.

[8] معور: معيب.

[9] و فارق: «الواو واو رب» ، و الفارق: الناقة أخذها المخاض فندت في الأرض، و المراد هنا المرأة لا الناقة، تمارس ربحا... إلخ: تعاني ليلة مظلمة عاصفة الرياح. -

- فقلت: أجر لي ما ولدت فإنني # أتيتك من هزلى الحمولة مقتر[1]
 /هجف من العنور الرعوس إذا بدت # له ابنة عام يحطم العظم منكر[2]
 رأس الأرض منها راحة فرمى بها # إلى خدد منها إلى شتر مخفر[3]
 فقال لها: فيني فإنني بدمتي # لبتك جار من أبيها القنور[4]

إسلام أبيه على يد الرسول

و وفد غالب بن صعصعة إلى النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ [5] فأسلم و قد كان وفده أبوه صعصعة إلى النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ [5] فأخبره بفعله في الموءودات، فاستحسنه و سأله: هل له في ذلك من أجر؟ قال: نعم فأسلم و عمّر غالب، حتى لحق أمير المؤمنين عليًا صلوات الله عليه بالبصرة، و أدخل إليه الفرزدق، و أظنه مات في إمارة زياد و ملك معاوية.

أخبرني محمد بن الحسين الكندي و هاشم بن محمد الخزاعي، و عبد العزيز بن أحمد عم أبي قالوا: حدثنا الرياشي قال: حدثنا العلاء بن الفضل بن عبد الملك بن أبي سوية، قال: حدثني عقاب بن كسيب أبو الخنساء العنبري، قال: حدثني الطفيل بن عمرو الربيعي، عن ربيعة بن مالك بن حنظلة، عن صعصعة بن ناجية المجاشعي جد الفرزدق قال: قدمت على النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فعرض عليّ الإسلام، فأسلمت، و علمني آيات من القرآن، فقلت: يا رسول الله إني عملت أعمالا في الجاهلية هل لي فيها من أجر؟ فقال: و ما عملت؟ فقلت: إني أضللت ناقتين لي عشراوين، فخرجت أبعيها على جمل، فرفع لي بيتان في فضاء من الأرض، فقصدت قصدهما، فوجدت في أحدهما شيئا كبيرا، فقلت له: هل أحسست من ناقتين عشراوين؟ قال: و ما نارهما؟-يعني السّمة-فقلت: ميسم بني دارم، فقال: قد أصبت ناقتيك و تتجناهما، و ظأرتا [6] على أولادهما/و نعش الله بهما أهل بيت من قومك من العرب من مضر، فبينما هو يخاطبني إذ نادته امرأة من البيت الآخر: قد ولدت، فقال: و ما ولدت؟ إن كان غلاما فقد شركنا في قوتنا، و إن كانت جارية فادفنها، فقلت: هي جارية: أ فأئدها؟ فقلت: و ما هذا المولود؟ قالت: بنت لي، فقلت: إني أشتريها منك، فقال: يا أبا بني تميم، أ تقول لي: أ تبيعني ابنتك و قد أخبرتك أنني من العرب من مضر؟ فقلت: إني لا أشتري منك رقبتها، إنما أشتري دما لها لئلا تقتلها، فقال: و بم تشتريها؟ فقلت: بناقتي هاتين و ولديهما. قال: لا حتى تزيدني هذا البعير الذي تركبه: قلت: نعم، على أن ترسل معي رسولا فإذا بلغت أهلي رددت

إليك البعير[7] ففعل، فلما بلغت أهلي رددت إليه البعير[7]، فلما كان في بعض الليل فكرت في نفسي فقلت: إن هذه مكرمة ما سبقني إليها أحد من العرب، فظهر الإسلام و قد أحييت ثلاثمائة و ستين موعودة، أشتري كل واحدة منهن [1]هزلي الحمولة: من هزل الرجل إذا مات ماشيته، مقتر: فقير مقل.

[2] هذا البيت من هج، هد، ساقط من ب، الهجف: الجافي الغليظ، العثو: جمع أعثى، و هو الأشعر، منكر: صفة لهجف.

[3] منها: من الطفلة، خدد: شقوق.

[4] فيئي: ارجعي و اطمئني: القنور: الشرس الخلق، و في هج: فقال لها فيئي إليك فإنني # لبتك جار من أبيها القنور

(5-5) التكملة من هد.

[6] ظأرتا: عطفتا.

(7-7) التكملة من هد، هج.

بناقتين عشراوين و جمل، فهل لي في ذلك من أجر يا رسول الله؟ فقال عليه السلام: هذا باب من البر، و لك أجره إذ من الله عليك بالإسلام، قال عباد: و مصداق ذلك قول الفرزدق: و جدّي الذي منع الوائدات # و أحيا الوئيد فلم يوأد[1]

أخبرني محمد بن يحيى، عن الغلابيّ، عن العباس بن بكار، عن أبي بكر الهذليّ قال: وفد صعصعة بن ناجية جدّ الفرزدق على رسول الله صلى الله عليه و سلم في وفد من تميم، و كان صعصعة قد منع الوئيد في الجاهلية، فلم يدع تميما تند، و هو يقدر على ذلك، فجاء الإسلام و قد فدى أربعمئة جارية، فقال للنبي صلى الله عليه و سلم: أوصني، فقال: أوصيك بأملك و أهلك و أخيك و أختك و إماءك، قال: زدني، قال: احفظ ما بين لحبيك[2]، و ما بين رجلك.

ثم قال له عليه السلام: ما شيء بلغني عنك فعلته؟ قال: يا رسول الله رأيت الناس يموجون على غير وجه، و لم أدر أين الوجه، غير أنني علمت أنهم ليسوا عليه، و رأيتهم يئدون بناتهم، فعلمت أنّ ربهم لم يأمرهم بذلك، فلم أتركهم يئدون، و فديت من قدرت عليه.

و روى أبو عبيدة أنه قال للنبيّ صلى الله عليه و سلم: إني حملت حمالات في الجاهلية و الإسلام، و عليّ منها ألف بعير، فأديت من ذلك سبعمئة، فقال له: إن الإسلام أمر بالوفاء، و نهى عن الغدر، فقال: حسبي حسبي، و وقى بها.

و روي أنه إنما قال هذا القول لعمر بن الخطاب، و قد وفد إليه في خلافته.

و كان صعصعة شاعرا و هو الذي يقول: أنشدنيه محمد بن يحيى له:

إذا المرء عادى من يوّدك صدره # و كان لمن عاداك خدنا مصافيا

فلا تسألن عما لديه فإنّه # هو الداء لا يخفي بذلك خافيا[3]

أبوه يعطي دون أن يسأل

:

أخبرني محمد بن يحيى، عن محمد بن زكريا؛ عن عبد الله بن الضحاك، عن الهيثم بن عديّ، عن عوانة قال: تراهن نفر من كلب ثلاثة على أن يختاروا من تميم و بكر نفرا ليسائلوهم، فأبهم أعطى، و لم يسألهم عن

نسبهم من هم؟ فهو أفضلهم، فاختر كل رجل منهم رجلاً؛ و الذين اختيروا عمير بن السليك [4]، بن قيس بن مسعود الشيباني، و طلبة بن قيس بن عاصم المنقري، و غالب بن صعصعة المجاشعي أبو الفرزدق، فأتوا ابن السليك فسألوه مائة ناقة، فقال: من أنتم؟ فانصرفوا عنه.

ثم أتوا طلبة بن قيس، فقال لهم مثل قول الشيباني، فأتوا غالباً، فسألوه، /فأعطاهم مائة ناقة و راعيها، و لم يسألهم من هم فساروا بها ليلة، ثم ردّوها، و أخذ صاحب غالب الرهن، و في ذلك يقول الفرزدق: [1] في هج «و المختار» : «الوائدين» بدل الوائدات و المعنى و الوزن لا يتغير.

[2] يعني لسانك.

[3] يريد أن يقول: إن صديق عدوك و عدو صديقك عدو لك.

[4] في هج: «عمر بن السلوك» و في هد: عمر بن السليل.

و إذا ناحبت[1]كلب على الناس أيهم # أحقّ بتاج الماجد المتكّرّم[1]
 على نفر هم من نزار ذوي العلا # و أهل الجرائم التي لم تهذّم[2]
 فلم يجز عن أحسابهم غير غالب # جرى بعنان كلّ أبيض خضرم[3]

سحيم يعجز عن مباراة أبيه في كرمه

:

أخبرني محمد بن الحسن بن دريد قال: حدثنا أبو حاتم، عن أبي عبيدة، عن جهم السليطيّ، عن إياس بن شبة، عن عقال بن صعصعة، قال: أجدبت بلاد تميم، و أصابت بني حنظلة سنة[4] في خلافة عثمان، فبلغهم خصب عن بلاد كلب بن وبرة، فانتجعتها بنو حنظلة، فنزلوا أقصى الوادي، و تسرّع غالب بن صعصعة فيهم وحده دون بني مالك[5] بن حنظلة، و لم يكن مع بني يربوع من بني مالك غير غالب[5]، فنحر ناقته فأطعمهم إياها، فلما وردت إبل سحيم بن وثيل الرّياحيّ حبس منها ناقة، فنحرها من غد، ف قيل لغالب: إنما نحر سحيم مواءمة لك-أي مساواة لك-فضحك غالب، و قال: كلا، و لكنه امرؤ كريم، و سوف أنظر في ذلك، فلما وردت إبل غالب حبس منها ناقتين، فنحرهما، فأطعمهما بني يربوع، فعقر سحيم ناقتين، فقال غالب: الآن علمت أنه يوائمني، فعقر غالب عشرا، فأطعمها بني يربوع فعقر سحيم عشرا، فلما بلغ غالبا فعله ضحك، و كانت إبله ترد لخمس، فلما وردت عقرها كلها عن آخرها، /فالمكثّر يقول: كانت أربعمئة، و المقلّ يقول: كانت مائة، فأمسك سحيم حينئذ؛ ثم إنه عقر في خلافة عليّ بن أبي طالب صلوات الله عليه بكناسة الكوفة مائتي ناقة و بعير، فخرج الناس بالزنايل/و الأطباق و الحبال لأخذ اللحم، و رآهم عليّ عليه السلام، فقال: أيّها الناس لا يحل لكم، إنّما أهل[6] بها لغير الله عزّ و جلّ. قال: فحدثني من حضر ذلك قال: كان الفرزدق يومئذ مع أبيه و هو غلام، فجعل غالب يقول: يا بني، اردد عليّ، و الفرزدق يردها عليه، و يقول له: يا أبت اعقر، قال جهم: فلم يغن عن سحيم فعله، و لم يجعل كغالب إذا لم يطق فعله.

يقيد نفسه حتى يحفظ القرآن

:

حدثني محمد بن يحيى عن محمد بن القاسم-يعني أبا العيناء-عن أبي زيد النحويّ، عن أبي عمرو قال: جاء غالب أبو الفرزدق إلى عليّ بن أبي طالب صلوات الله عليه بالفرزدق بعد الجمل بالبصرة، فقال: إن ابني هذا

من شعراء مضر[7] فاسمع منه، قال: علمه القرآن، فكان ذلك في نفس الفرزدق، فقيّد نفسه في وقت، و آلى: لا يحلّ قيده حتى يحفظ القرآن.

[1] في ب «ناديت» بدل «ناحبت» و ناحبت: راهنت.

[2] الجراثيم: جمع جرثومة، و هي الأصل.

[3] الخضرم: الكريم المعطاء.

[4] سنة: جذب.

(5-5) التكملة من هد، هج.

[6] يقال: أهل الذابح: رفع صوته عند ذبح الضحية باسم من قدمها قربانا له.

[7] في هج، هد: «أن ابني هذا من أشعر مضر، أو شاعر مضر» .

عريق في قرص الشعر

:

قال محمد بن يحيى: فقد صح لنا أن الفرزدق كان شاعرا موصوفاً أربعاً و سبعين سنة، و ندع ما قبل ذلك، لأن مجيئة به بعد الجمل-على الاستظهار-كان في سنة ست و ثلاثين، و توفي الفرزدق في سنة عشر و مائة في أول خلافة هشام هو و جرير و الحسن البصري و ابن سيرين في ستة أشهر، و حكي ذلك عن جماعة، منهم الغلابي عن ابن عائشة عن أبيه.

أخبرني محمد بن يحيى الصولي عن الغلابي، عن ابن عائشة أيضاً، عن أبيه قال: قال الفرزدق أيضاً:

كنت أجيد الهجاء في أيام عثمان، قال: و مات غالب أبو الفرزدق في أول أيام معاوية و دفن بكاطمة فقال الفرزدق يرثيه:

لقد ضمت الأكفان من آل دارم # فتى فائض الكفين محض الضرائب[1]

أيهما أشعر، هو أو جرير؟

:

أخبرني حبيب المهلبى قال: حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال: حدثني محمد بن عمران الضبي، قال: حدثني جعفر بن محمد العنبري، عن خالد بن أم كلثوم، قال:

قيل للمفضل الضبي: الفرزدق أشعر أم جرير؟ قال الفرزدق: قال: قلت: و لم؟ قال: لأنه قال بيتاً هجا فيه قبيلتين و مدح فيه قبيلتين[2] و أحسن في ذلك[2] فقال:

عجبت لعجل إذ تهاجي عبيدها # كما آل يربوع هجوا آل دارم[3]

ف قيل له: قد قال جرير:

إن الفرزدق و البعث و أمه # و أبا البعث لشر ما إستار[4]

فقال: و أي شيء أهون من أن يقول إنسان: فلان و فلان و فلان و الناس كلهم بنو الفاعلة!.

أخبرني عبد الله بن مالك، قال: حدثنا محمد بن حبيب، قال: حدثني موسى بن طلحة، قال: قال أبو عبيدة معمر بن المثنى:

كان الشعراء في الجاهلية من قيس، و ليس في الإسلام مثل حظّ تميم في الشعر، و أشعر تميم جرير و الفرزدق[5]، و من بني تغلب الأخطل[5].

قال يونس بن حبيب: ما ذكر جرير و الفرزدق في مجلس شهدته قط فاتفق المجلس على أحدهما، قال: و كان يونس فرزدقيًا.

[1]محض: خالص، الضرائب: جمع ضريبة بمعنى الطبيعة و السجية، يقول: إن سجايا أبيه و طبائعه خالصة مما يشينها.

(2-2) التكملة من هد، هج.

[3]القبيلتان الممدوحتان: عجل و دارم، و القبيلتان المهجوتان: يربوع و القبيلة التي عبر عنها بقوله: عبيدها.

[4]إستار: لفظ معرب بمعنى أربعة.

(5-5) التكملة من هد.

يغتصب بيتين لابن ميادة

:
أخبرني عمي، عن محمد بن رستم الطبري، عن أبي عثمان المازني
قال: مر الفرزدق/بابن ميادة[1]الرمّاح و الناس حوله[1]و هو ينشد: /

لو أنّ جميع الناس كانوا بربوة # و جئت بجديّ ظالم و ابن ظالم
لظلت رقاب الناس خاضعة لنا # سجودا على أقدامنا بالجمام

فسمعه الفرزدق، فقال: أما و الله يا بن الفارسية لتدعته لي أو لأنبشني
أمك من قبرها، فقال له ابن ميادة: خذه لا بارك الله لك فيه، فقال
الفرزدق: لو أنّ جميع الناس كانوا بربوة # و جئت بجديّ دارم و ابن دارم
لظلت رقاب الناس خاضعة لنا # سجودا على أقدامنا بالجمام

عود إليه هو و جرير

:
أخبرني عمي، عن الكراني، عن أبي فراس الهيثم بن فراس، قال:
حدثني ورقة بن معروف، عن حماد الرواية قال: دخل جرير و الفرزدق على
يزيد بن عبد الملك و عنده بنية له يشمها فقال جرير: ما هذه يا أمير
المؤمنين عندك؟ قال: بنية لي، قال: بارك الله لأمير المؤمنين فيها. فقال
الفرزدق: إن يكن دارم يضرب[2]فيها فهي أكرم العرب، ثم أقبل يزيد على
جرير فقال: مالك و الفرزدق؟ قال: إنه يظلمني و يبغي عليّ، فقال الفرزدق:
وجدت آبائي يظلمون آباءه فسرت فيه بسيرتهم، قال جرير: و أما و
الله[3]لتردّ الكبائر على أسافلها سائر اليوم، فقال الفرزدق: أمّا بك يا
حمار بني كليب فلا، و لكن إن شاء صاحب السرير، فلا و الله ما لي كفاء
غيره، فجعل يزيد يضحك.

أخبرنا عبد الله بن مالك، عن محمد بن حبيب، عن ابن الأعرابي، عن
حماد الرواية قال: أنشدني الفرزدق يوما شعرا له ثم قال لي: أتيت الكلب-
يعني جريرا-قلت: نعم، قال: أ فانا أشعر أم هو؟ قلت: أنت في بعض و هو
في بعض، قال: لم تناصحتني، /قال: قلت: هو أشعر منك إذا أرخي من
خناقة[4]، و أنت أشعر منه إذا خفت أو رجوت، قال[5]: قضيت لي و الله
عليه[5]و هل الشعر إلا في الخبر و الشّر.

قال: و روى عن أبي الزناد عن أبيه قال:

قال لي جرير: يا أبا عبد الرحمن: أنا شعر أم هذا الخبيث-يعني الفرزدق- وناشدني لأخبرته، فقلت: لا والله ما يشاركك و لا يتعلق بك في النسب قال: أوه[6]قضيت والله له عليّ، أنا والله أخبرك: ما دهاني، إلا أنّي (1-1) التكملة من هد، هج.

[2]يريد أنها أكرم العرب إن كان ثمة نسب يصلها بدارم.

[3]في هج: «أما والله لئن شئت لترون. إلخ». و لعل المعنى: لو أردت رددت كبائر أسلافك على أسافلها، أي عليك. و في العبارة غموض.

[4]لعله يريد بقوله: «إذا أرخى من خناقه» أنه أشعر إذا أمن، أو انطلق، و العبارة أيضا يكتنفها غموض.

(5-5) التكملة من هد، هج.

[6]أوه-بفتح الهمزة و سكون الواو و كسر الهاء-: كلمة توجع.

هاجيت كذا و كذا شاعرا، فسَمّي عددا كثيرا، و أنه تفرّد لي وحدي[1].

خبره مع النوار

:

أخبرني عبد الله قال: قال المازني: قال أبو علي الحرمازي: كان من خبر الفرزدق و النوار ابنة أعين بن صعصعة بن ناجية بن عقّال المجاشعي- و كانت ابنة عمه- أنه خطبها رجل من بني عبد الله بن دارم فرضيته، و كان الفرزدق وليّها، فأرسلت إليه أن زوّجني من هذا الرجل، فقال: لا أفعل أو تشهديني أنك قد رضيت بمن زوّجتك، ففعلت، فلما توثق منها، قال: أرسلني إلى القوم فليأتوا، فجاءت بنو عبد الله بن دارم فشحنوا مسجد بني مجاشع و جاء الفرزدق، فحمد الله، و أشى عليه ثم قال: قد علمتم أن النوار قد ولّنتني أمرها، و أشهدكم أنني قد زوجتها نفسي على مائة ناقة حمراء سوداء الحدقة. فنفرت من ذلك و أرادت الشخوص إلى ابن الزبير حين أعيها أهل البصرة[2] ألا يطلقوها من الفرزدق حتى يشهد لها الشهود، و أعيها الشهود أن يشهدوا لها اتقاء الفرزدق، و ابن الزبير يومئذ أمير[3] الحجاز و العراق يدعي له بالخلافة- فلم تجد من يحملها، / و أتت فتية من بني عديّ بن عبد مناة بن أدّ، يقال لهم بنو أمّ التّسير، فسألتهن برحم تجمعهم و إياها- و كانت بينها و بينهم قرابة- فأقسمت عليهم أمها: ليحملنها، فحملوها، فبلغ ذلك الفرزدق، فاستنهض عدّة من أهل البصرة فأنهضوه، و أوقروا له عدة من الإبل، و أعين بنفقة، فتبع النوار، و قال: أطاعت بني أمّ التّسير فأصبحت # على شارف و رقاء صعب ذلولها[4]

و إنّ الذي أمسى يخيب زوجتي # كماش إلى أسد الشّرى يستبيلها[5]

فأدرکها و قد قدمت مكة، فاستجارت بخولة بنت منظور بن زبّان بن سيار الفزاري، و كانت عند عبد الله بن الزبير، فلما قدم الفرزدق مكة اشرب الناس إليه، و نزل على بني عبد الله بن الزبير، فاستنشده، و استحدثوه ثم شفّعوا له إلى أبيهم، فجعل يشفّعهم في الظاهر، حتى إذا صار إلى خولة قلبته عن رأيه، فمال إلى النوار، فقال الفرزدق في ذلك:

صوت

أمّا بنوه فلم تقبل شفاعتهم # و شفّعت بنت منظور بن زبّانا[6]

ليس الشّفيع الذي يأتيك مؤتترا # مثل الشّفيع الذي يأتيك عريانا

لعرب في هذا البيت خفيف رمل.

قال: و سفر بينهما رجال من بني تميم كانوا بمكة، فاصطلحا على أن يرجعا إلى البصرة، و لا يجمعهما ظل و لا كنّ حتى يجمعا في أمرهما ذلك بني تميم، و يصيرا على حكمهم. ففعلا، فلما صارا إلى البصرة رجعت إليه النوار بحكم عشيرتها.

[1] في ب: «وحده» و الصواب «وحددي» كما في هج.

[2] في هج و هد: «حين أعيها أمراء البصرة» .

[3] في هج: «و ابن الزبير يومئذ أمير المؤمنين بالحجاز و العراق» .

[4] الشارف: الناقة المسنة، و الورقاء: ما في لونها بياض إلى سواد.

[5] يخيب زوجتي: يخدعها و يفسدها، يستييلها: يطلب بولها، و في هد: «يستييلها»

أن يطلب نوالها.

[6] ضمير «بنوه» يعود على عبد الله بن الزبير.

/قال: و قال غير الحرمازي: إن ابن الزبير قال للفرزدق: جئني بصداقها
و إلا فرقت بينكما، فقال الفرزدق: أنا في بلاد غربة فكيف أصنع؟ قالوا له:
عليك بسلم بن زياد، فإنه محبوس في السجن يطالبه ابن الزبير بمال، فأتاه
فقصَّ عليه قصته قال: كم صداقها؟ قال: أربعة آلاف درهم، فأمر له بها و
بألفين للنفقة، فقال الفرزدق: دعي مغلقي الأبواب دون فعالهم # و لكن
تمشِّي بي-هبلت-إلى سلم[1]

إلى من يرى المعروف سهلا سبيله # و يفعل أفعال الرجال التي تنمي[2]

قال: فدفعها إليه ابن الزبير، فقال الفرزدق: هلمِّي لابن عمك لا تكوني
كمختار على الفرس الحمارا

قال: فجاء بها إلى البصرة- و قد أحبلها-فقال جرير في ذلك: ألا تلکم
عرس الفرزدق جامحا # و لو رضيت رمح استه لاستقرت[3]
فأجابه الفرزدق، و قال:

و أمك لو لاقيتها بطمرة # و جاءت بها جوف استه لاستقرت[4]

و قال الفرزدق و هو يخاصم النوار:

/

تخاصمني و قد أولجت فيها # كراس الصبّ يلتمس الجراد[5]

/قال الحرمازي: و مكثت النوار عنده زمانا، ترضى عنه أحيانا، و
تخاصمه أحيانا، و كانت النوار امرأة سالحة، فلم تزل تشمئز منه، و تقول
له: ويحك! أنت تعلم أنك إنما تزوجت بي ضغطة[6] و على خدعة، ثم لا تزال
في كل ذلك، حتى حلفت بييمين موثقة، ثم حنثت. و تجنبت فراشه، فتزوج
عليها امرأة يقال لها جهيمة[7] من بني النمر بن قاسط حلفاء لبني الحارث
بن عباد بن ضبيعة[8] و أمها الخميصة من بني الحارث بن عباد، فنافرته
الخميصة، و استعدت عليه فأنكرها الفرزدق، و قال: إنها مني بريء طالق و
طلق ابنتها، و قال: إن الخميصة كانت لي و لا بنتها # مثل الهراسة بين
النعل و القدم[9]

إذا أنت أهلها مني مطلقة # فلن أرد عليها زفرة الندم[10]

[1]الخطاب لناقته و نحوها، مغلقي الأبواب: يجوز فيها فتح لام مغلق و
كسرهما، و على الأول، تكون من قبيل إضافة اسم المفعول إلى نائب فاعله،

و على الثاني تكون من إضافة اسم الفاعل إلى مفعوله و الفعال: الكرم و حسن الصنيع، هبلت: جملة معترضة بمعنى ثكلتك أمك أن لم تطعني.

[2] تنمي: من نما الشيء الشيء بمعنى رفع قدره، و المفعول محذوف، أي تنمي أحسابها بمعنى تزيدها شرفاً.

[3] إضافة الرمح إلى الاست من باب التهكم و السخرية، و من أسماء الذكر «رميح» كزبير.

[4] الطمرة: الفرس السريعة العدو. يقول: لو ألقينا بالفرس في جوف است أمك لا تسع لها.

[5] رأس الضب، يضرب بها المثل في الصلابة، يقال: حر يذيب دماغ الضب، لأن الضب لا يعيش إلا في الصحاري، و من أمثالهم: «حتى يؤلف بين الضب و النوق» .

[6] ضغطة: اضطرار.

[7] في هج: «رهيمة» .

(8-8) تكلمة من «المختار» .

[9] الهراسة: نوع من الشوك، يقول النابغة:

فبت كأن العائدات فرشن لي # هراسا به يعلى فراشي و يقشب

[10] في «النقائض»: أورد البيت على هذا النحو و هو أنسب:

جعل يأتي النوار و به ردع الخلق [1] و عليه الأثر فقالت له النوار: هل تزوجتها إلا هداية-تعني حيا من أزد عمان-فقال الفرزدق في ذلك: تريك نجوم الليل و الشمس حية # كرام بنات الحارث بن عباد [2]

أبوها الذي قاد النعام بعد ما # أبت وائل في الحرب غير تماد [3]

/نساء أبوهن الأعز و لم تكن # من الأزد في جاراتها و هداد

و لم يك في الحي الغموض محلها # و لا في العمانيين رهط زياد [4]

عدلت بها ميل النوار فأصبحت # و قد رضيت بالتصف بعد بعداد [5]

قال: فلم تزل النوار ترققه، و تستعطفه، حتى أجابها إلى طلاقها، و أخذ عليها ألا تفارقه و لا تبرح من منزله، و لا تتزوج رجلا بعده، و لا تمنعه من مالها ما كانت تبذله له، و أخذت عليه أن يشهد الحسن البصري على طلاقها، ففعل ذلك.

قال المازني: و حدثني محمد بن روح العدوي عن أبي شفق راوية الفرزدق قال: ما استصحب الفرزدق أحدا غيري و غير راوية آخر، و قد صحب النوار رجال كثيرة، إلا أنهم كانوا يلوذون بالسواري خوفا من أن يراهم الفرزدق، فأتيا الحسن فقال له الفرزدق: يا أبا سعيد، قال له الحسن: ما تشاء؟ قال: أشهد أن النوار طالق ثلاثا، فقال الحسن: قد شهدنا، فلما انصرفنا قال: يا أبا شفق، قد ندمت، فقلت له: و الله إنني لأظن أن دمك يترقق، أ تدري من أشهدت؟ و الله لئن رجعت لترجمن بأحجارك، فمضى و هو يقول: ندمت ندامة الكسعي لَمَا # غدت مني مطلقا نوار [6]

و لو أتي ملكتي يدي و قلبي # لكان عليّ للفدر الخيار

و كانت جنّتي فخرجت منها # كأدم حين أخرجه الضرار [7]

و كنت كفاقي عيني عمدا # فأصبح ما يضيء له النهار

يخاصم كل من يمد يده لمساعدة النوار

و أخبرني بخبره مع النوار أحمد بن عبد العزيز، قال: حدثنا عمر بن شبة، قال: حدثني محمد بن يحيى، عن

إن تأت بنتك من بيتي مطلقا # فلن تردى عليها زفرة الندم

[1]ردع الخلق: ربح الطيب.

[2] كرام: فاعل تريك. يقول: إنهن كالنجوم يبدون مع الشمس مع أن النجوم لا تظهر معها.

[3] الحارث بن عباد: فارس النعام «فرسه» من بني بكر. ارجع إلى خبره في «الأغاني» عند الكلام عن حرب تغلب و بكر ابني وائل.

[4] الحي الغموض: القبيلة التي تخفي مكائنها.

[5] يريد أنه أدب نوار بزواجه هذا. فرضيت بالنصف (بفتح النون) أي الإنصاف، أو رضيت بالنصف (بكسر النون) ، أي بالقسمة بينها و بين الزوجة الجديدة.

[6] الكسعي: رجل يضرب به المثل في الندامة على كسره قوسه، و كان جربها في عدة طباء، فظن أنها لم تصبهن، ثم اتضح أنها أقصدتهن جميعا.

[7] الضرار، من ضاره، يريد أن مخالفة آدم لأمر ربه أخرجه من الجنة.

-

أبيه يحيى بن علي بن حميد:

أَنَّ النَّوَّارَ لَمَّا كَرِهَتْ الْفِرْزْدِقُ حِينَ زَوَّجَهَا نَفْسَهُ لَجَأَتْ إِلَى بَنِي قَيْسِ
بَنِ عَاصِمٍ [1] الْمَنْقَرِيِّ لِيَمْنَعُوهَا [1] فَقَالَ الْفِرْزْدِقُ فِيهِمْ: بَنِي عَاصِمٍ لَا تَجْنِبُوهَا
فَإِنَّكُمْ # مَلَاجِيءٌ لِلسَّوَاتِ دَسَمِ الْعِمَائِمِ [2]

بني عاصم لو كان حيًّا أبوكم # للام بنيه اليوم قيس بن عاصم [3]

فَبَلَّغَهُمْ ذَلِكَ الشَّعْرَ، فَقَالُوا: وَاللَّهِ لئن زدت على هذين البيتين لنقتلنك
غيلة، [4] و خَلَّوْهُ وَ النَّوَّارِ [4] وَ أَرَادَتْ مَنَافِرَتَهُ [5] إِلَى ابْنِ الزَّبِيرِ، فَلَمْ يَقْدِرْ
أَحَدٌ عَلَى أَنْ يَكْرِيبَهَا [6] [7] خَوْفًا مِنْهُ [7]. ثُمَّ إِنَّ قَوْمًا مِنْ بَنِي عَدِيِّ يُقَالُ لَهُمْ
بَنُو أُمِّ النَّسِيرِ أَكْرَاهَا، فَقَالَ الْفِرْزْدِقُ: وَ لَوْ لَا أَنْ يَقُولُ بَنُو عَدِيِّ # أَلَمْ تَكْ
أُمَّ حَنْظَلَةَ النَّوَّارِ

أَتتكم يا بني ملكان عني # قواف لا تقسمها التجار

و قال فيهم أيضا:

لعمري لقد أردى النَّوَّارِ وَ سَاقَهَا # إِلَى الْبُورِ أَحْلَامَ خِفَافٍ عَقُولَهَا [8]
/ أَطَاعَتْ بَنِي أُمِّ النَّسِيرِ فَأَصْبَحَتْ # عَلَى قَتَبٍ يعلو الفلاة دليلها [9]
وَ قَدْ سَخَطَتْ مَنِّي النَّوَّارِ الَّذِي ارْتَضَى # بِهِ قَبْلَهَا الْأَزْوَاجَ خَابَ رَحِيلَهَا [10]
وَ إِنَّ امْرَأَةً أَمْسَى يَخْتَبِئُ زَوْجَتِي # كَسَاعٍ إِلَى أَسَدِ الشَّرَى يَسْتَبِيلَهَا [11]
وَ مِنْ دُونَ أَبْوَابِ الْأَسْوَدِ بَسَالَةً # وَ بِسَطَّةِ أَيْدٍ يَمْنَعُ الصَّيْمِ طَوْلَهَا [12]
وَ إِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لِعَالَمٍ # بِتَأْوِيلِ مَا وَصَّى الْعِبَادَ رَسُولَهَا [13]

(1-1) التكملة من هد، هج.

[2] في هد، هج: لا تلجئوها، دسم العمائم: من الدسم بمعنى الدنس، أو
من دسم البعير: طلاه بالقار، جمع أدسم.

[3] قيس بن عاصم المشار إليه كان مضرب المثل في الحلم، و منه
تعلم الحلم أحنف بن قيس، و في قيس بن عاصم يقول الشاعر: عليك سلام
الله قيس بن عاصم # و رحمته ما شاء أن يترحمها

فما كان قيس هلكتك واحد # و لكنه بنيان قوم تهدما

(4-4) الزيادة من هد.

[5] منافرتة: مخاصمته.

[6] يكرهها: يعطيها دابة بالكراء.

(7-7) التكملة من هد.

[8] في هد «إلى الغور» بدل «إلى البور» .

[9] القتب: الرجل الصغير على قدر سنام البعير.

[10] في ب «شحطت» و هو تصحيف.

[11] مضى هذا البيت.

[12] في «المختار» :

«و من دون أبوال الأسود»

[13] يشير بذلك إلى وجوب طاعة الزوجة لبعها كما ورد في الشريعة الإسلامية.

فدونكها يا بن الزبير فإنها # مولعة يوهي الحجارة قيلها[1]

و ما جادل الأقوام من ذي خصومة # كورهاء مشنوء إليها حليلها[2]

فلما قدمت مكة نزلت على تماضر بنت منظور بن زبّان زوجة عبد الله بن الزبير، و نزل الفرزدق بحمزة بن عبد الله بن الزبير، و مدحه بقوله: أمسيت قد نزلت بحمزة حاجتي # إن المنوّه باسمه الموثوق

بأبي عمارة خير من وطئ الحصا # و جرت له في الصالحين عروق

بين الحواريّ الأعرّ و هاشم # ثم الخليفة بعد و الصّدّيق[3]

/غنى في هذه الأبيات ابن سريح رملا بالبنصر.

قال: فجعل أمر التّوار يقوى، و أمر الفرزدق يضعف، فقال:

أمّا بنوه فلم تقبل شفاعتهم # و شقّعت بنت منظور بن زبّانا

ملاحاة بينه و بين ابن الزبير

:

و قال ابن الزبير للتّوار: إن شئت فرّقت بينكما، و قتلته، فلا يهجونا أبدا، و إن شئت سيّرته إلى بلاد العدو، فقالت: ما أريد واحدة منهما، فقال لها: فإنه ابن عمك و هو فيك راغب، فأزوّجك إياه، قالت: نعم، فزوجها منه، فكان الفرزدق يقول: خرجنا و نحن متباغضان، فعدنا متحابين.

قال: و كان الفرزدق قال لعبد الله بن الزبير-و قد توجه الحكم عليه- إنما تريد أن أفارقها فتثب عليها، و كان ابن الزبير حديدا[4]، فقال له: هل أنت و قومك إلا جالية[5]العرب؟.

ثم أمر به فأقيم، و أقبل على من حضر، فقال: إن بني تميم كانوا وثبوا على البيت قبل الإسلام بمائة و خمسين سنة، فاستلبوه، فاجتمعت العرب عليها لما انتهكت منه ما لم ينتهكه أحد قط، فأجلتها من أرض تهامة، قال: فلقي الفرزدق بعض الناس، فقال: إيه يعيرنا ابن الزبير بالجلء! اسمع، ثم قال: فإن تغضب قريش أو تغضب # فإنّ الأرض توعبها تميم[6]

/هم عدد النجوم و كلّ حيّ # سواهم لا تعدّ له نجوم

و لو لا بيت مكة ما ثويتم # بها صحّ المنابت و الأروم[7]

[1]فدونكها: فخذها، و الضمير يعود إلى الأبيات، قيلها: قولها.

[2]الورهاء: الحمقاء، مشنوء: مبغض، يقول: إنها تخاصمني إليك، و ما
ذا عسى أن تسمع من حمقاء تكره بعلمها؟.

[3]يقصد أن حمزة سبط الزبير بن العوام حوارى الرسول، و أنه حفيد
هاشم بن عبد مناف، لأن جدته أم الزبير بنت عبد المطلب بن هاشم، و أن
جدته زوجة الزبير ذات النطاقين أسماء بنت أبى بكر الصديق، و أن أباه
الخليفة و فى البيت إقواء.

[4]حديد: سريع الغضب.

[5]الجالية: الذين أجلوا، أى أبعادوا عن أوطانهم.

[6]تغضب الثانية مضارع محذوف إحدى التاءين، معناه تتظاهر
بالغضب، توعبها: تأخذها أجمع، و لا تترك منها شيئاً.

[7]ثويتم: أقتمم. الأروم: جمع أرومة و هى الأصل.

/

بها كثر العديد و طاب منكم # و غيركم أأخذ الريش هيم[1]
 فمها عن تعلل من غدرتم # بخونته و عدبه الحميم[2]
 أعبد الله مهلا عن ذاتي # فإني لا الضعيف و لا الشوم
 و لكنني صفاة لم تدنس # تزل الطير عنها و العصوم[3]
 أنا ابن العافر الخور الصفايا # بضوي حين فتحت العكوم[4]

قال: فبلغ هذا الشعر ابن الزبير، و خرج للصلاة فرأى الفرزدق في طريقه، فغمز عنقه، فكاد يدقها، ثم قال: لقد أصبحت عرس الفرزدق ناشزا # و لو رضيت رمح استه لاستقرت و قال: هذا الشعر لجعفر بن الزبير.

[5] و قيل: إن الذي كان تقرّر عليه عشرة آلاف درهم، و إنّ سلم بن زياد أمر له بعشرين ألف درهم مهرا و نفقة، فقبضها، فقالت له زوجته أم عثمان بنت عبد الله/بن عمرو بن أبي العاص الثقفيّة: أ تعطي عشرين ألف درهم و أنت محبوس[6]؟ فقال: ألا بكرت عرسي تلوم سفاهة # على ما مضى مني و تأمر بالبخل

فقلت لها-و الجود منّي سجيّة-: # و هل يمنع المعروف سوّاله مثلي؟[7]
 ذريني فإني غير تارك شيمتي # و لا مقصر طول الحياة عن البذل
 و لا طارد ضيفي إذا جاء طارقا # و قد طرق الأضياف شيخي من قبلي[8]
 أ أبخل؟ إن البخل ليس بمخلدي # و لا الجود يدينني إلى الموت و القتل
 أبيع بني حرب بآل خويلد! # و ما ذاك عند الله في البيع بالعدل؟[9]

[1]أأخذ الريش: مهيض الجناح، الهيم: النوق العطاش.

[2]تعلل: من تعلل، بمعنى: أبدى الحجة و تمسك بها، كأنه يقول: كفوا يا بني قريش عن ادعائكم الشرف على بني تميم الذين غدرتموهم بخيانتكم إياهم، و كان عذابهم على أيدي محالفيهم و أصدقائهم و في بعض النسخ: فمها عن تذلل من عززتم # بجولته و عزبه الحميم

و المعنى: كفوا عن إذلال من كان سببا في عزتكم، و لعل هذه الرواية أنسب.

[3]الصفة: الصخرة، و العصوم: الأوساخ، يقول: أنا صفاة عالية نقيه لا يعف عليها طير، و لا تعلق بها الأوساخ.

[4]الخور: النوق الغزر، جمع خوارة، الصفايا: المتنقاة، جمع صفيه، العكوم: مجمع عكم-بكسر العين-و هو ما يحمله الرجل على ظهره من طعام، كأنه يقول: أنا ابن من عقر النوق بضوى حين حطت الرجال و حان وقت الطعام و لعله يشير إلى ما نحره أبوه من إبل في خلافة عثمان لبني حنظلة على نحو ما سبق.

[5] (من هنا إلى رقم 6 في الصفحة التالية) تكملة من «المختار» .

[6]يبدو أنه كان في حبس ابن الزبير كما هو واضح من الأبيات التالية.

[7]المعروف: مفعول ثان مقدم ليمنع، و سؤاله: مفعول أول مؤخر.

[8]لعله يعني بشيخه أباه، أو أحد أجداده.

[9]خوبلد: أبو العوام جد عبد الله بن الزبير.

و ليس ابن مروان الخليفة مشيها # لفحل بني العوّام، قَبَّح من فحل
فإن تظهروا لي البخل آل خويلد # فما دأبكم دأبي و لا شكلكم شكلي
و إن تقهروني حين غابت عشيرتي # فمن عجب الأيام أن تقهروا مثلي

فلما اصطلحا، و رضيت به [1]، ساق إليها مهرها، و دخل بها، و أحبلها
قبل أن يخرج من مكة.

ثم خرجا و هما عديلان في محمل.

يستصرخ حمزة بن عبد الله بن الزبير

:

و أخبرني أبو خليفة، عن محمد بن سلام، عن إبراهيم بن حبيب بن
الشَّهيد بنحو من هذه القصة.

/قال عمر بن شبة: قال الفرزدق في خبره: يا حمز هل لك في ذي
حاجة عرضت # أنضأؤه بمكان غير ممطور [2]

فأنت أحرى قريش أن تكون لها # و أنت بين أبي بكر و منظور [3]

بين الحواريّ و الصديق في شعب # ثبتن في طنب الإسلام و الخير [4]

يتقون لسانه

:

أخبرنا أبو خليفة قال: حدثنا محمد بن سلام قال: حدثنا عبد القاهر بن
السريّ السلمي، قال: كان فتى من بني حرام [5] شويعر هجا الفرزدق، قال:
فأخذناه، فأتينا به الفرزدق و قلنا: هذا بين يديك فإن شئت فاضرب، و ان
شئت فاحلق، فلا عدوى عليك و لا قصاص، قد برئنا إليك منه، فحلى سبيله و
قال: فمن يك خائفا لأداة شعري # فقد أمن الهجاء بنو حرام

هم قادوا سفيهم و خافوا # قلائد مثل أطواق الحمام

ليس طريقه إلى جهنم

:

قال ابن سلام: و حدثني عبد القاهر قال: مرّ الفرزدق بمجلسنا مجلس
بني حرام و معنا عنيسة مولى عثمان بن عفان، فقال: يا أبا فراس، متى
تذهب إلى الآخرة؟ قال: و ما حاجتك إلى ذاك يا أخي؟ قال: أكتب معك إلى

أبي، قال: أنا لا أذهب إلى حيث أبوك، أبوك في النار، أكتب إليه مع رباليوه و
اصطقانوس.

يغضب على ابن الكلبي لعدم روايته شعره

:

أخبرني الحسن بن يحيى، عن حماد، عن أبيه قال: أخبرني مخبر، عن
خالد بن كلثوم الكلبي، قال: [1] ضمير رضيت: يعود على النوار.

[2] أنضاء: جمع نضو، وهو المهزول من الإبل، و ذلك كناية عن الجذب
و الحاجة، و في بعض النسخ: «أنضاره» بدل «أنضأؤه» .

[3] يعني منظور بن زبّان جده لأمه.

[4] الخير-بكسر الخاء-: الكرم و الشرف، و في «المختار» : «نبتن في
طيب الإسلام»

[5] في هد: «حزام» بدل «حرام» .

مررت بالفرزدق، و قد كنت دوّنت شيئاً من شعره و شعر جرير، و بلغه ذلك، فاستجلسني، فجلست إليه، و عذت بالله من شره، و جعلت أحدثه/ حديث أبيه و أذكر له ما يعجبه، ثم قلت له: إني لأذكر يوم لقيك بالفرزدق، قال: و أي يوم؟ قلت: مررت به و أنت صبيّ، فقال له بعض من كان يجالسه: كأنّ ابنك هذا الفرزدق دهقان الحيرة في تيهه و أبهته، فسمّاك بذلك، فأعجبه هذا القول، و جعل يستعيد، ثم قال: أنشدني بعض أشعار ابن المراغة فيّ، فجعلت أنشده، حتى انتهيت، ثم قال: فأنشد نقائضها التي أحبته بها، فقلت: /ما أحفظها، فقال: يا خالد، أت حفظ ما قاله فيّ و لا تحفظ نقائضه؟ و الله لأهجونّ كلباً هجاء يتصل عاره بأعقابها إلى يوم القيامة، إن لم تقم حتى تكتب نقائضها أو تحفظها و تنشدينها، فقلت: أفعل فلزمته شهراً، حتى حفظت نقائضها، و أنشدته إياها خوفاً من شره.

يكايد النوار بحدراء فتستعدي عليه جريرا

:

أخبرني عبد الله بن مالك قال: حدثنا محمد بن حبيب، قال: حدثني الأصمعي قال: تزوج الفرزدق حدراء بنت زيق بن بسطام بن قيس الشيباني، و خاصمته التّوار و أخذت بلحيته، فجادبها و خرج عنها مغضبا و هو يقول: قامت نوار إليّ تنتف لحيّتي # تنتاف جعدة لحية الخشخاش

كلتاها أسد إذا ما أغضبت # و إذا رضين فهنّ خير معاش

قال: و الخشخاش رجل من عنزة، و جعدة امرأته، فجاءت جعدة إلى التّوار، فقالت: ما يريد مني الفرزدق؟ أ ما وجد لامرأته أسوة غيري.

و قال الفرزدق للنوار يفصلّ عليها حدراء.

لعمري لأعرايية في مظلة # تظلّ بروقي بيتها الريح تخفق [1]

أحبّ إلينا من ضناك ضفّة # إذا وضعت عنها المراويح تعرق [2]

كريم غزال أو كدرّة غائص # تكاد-إذا مرت-لها الأرض تشرق

/فلما سمعت النوار ذلك أرسلت إليّ جرير، و قالت للفرزدق: و الله لأخزيك يا فاسق فجاء جرير، فقالت له: أما ترى ما قال الفاسق، و شكته إليه، و أنشدته شعره، فقال جرير: أنا أكفيك، و أنشأ يقول: و لست بمطلي الحكم عن شفّ منصب # و لا عن بنات الحنظليين راغب [3]

و هنّ كماء المزن يشفى به الصّدى # و كانت ملاحا غيرهنّ المشارب [4]

[1] روقي: تثنية روق، و من معانيه رواق البيت.

[2] الضناك: الموثق الخلق الشديد (يستوي فيه المذكر و المؤنث) .
الضفنة: الحمقاء الكثيرة اللحم، يقول: إن أعرابية-يقصد حدراء- تخفق في
بيتها الريح أحب من النوار الشديدة الخلق الحمقاء المترهلة التي يتفصد
جسمها عرقا إذا لم تسعفها المراوح.

[3] الشف: الفضل، يقول: إنك لم تعط الحكم على النساء و المفاضلة
بينهن، فليس لك منصب فاضل يؤهلك لذلك، و ليس ثمة من يرغب عن
بنات الحنظليين اللاتي منهن نوار.

[4] ملاحا: من الملوحة لا الملاحه، يقول: إن بنات الحنظليين يروين غلة
الظمان كما ترويه مياه المطر، و غيرهن يروون الظمان ظماً لملوحة مائهن.

لقد كنت أهلاً أن يسوق دياتكم # إلى آل زيق أن يعيبك عائب [1]
 و ما عدلت ذات الصليب طعينة # عتيبة و الردفان منها و حاجب [2]
 أ أهديت يا زيق بن بسطام طيبة # إلى شر من تهدي إليه القرائب [3]
 ألا ربّما لم نعط زيقا بحكمه # و أدّى إلينا الحكم و الغلّ لازب [4]
 /حويّنا أبا زيق و زيقا و عمّه # و جدّه زيق قد حوتها المقانب [5]

فأجابه الفرزدق فقال:

تقول كليب حين منّت سبالها # و أعشب من مروتها كلّ جانب [6]
 لسؤاق أغنام رعتهنّ أمّه # إلى أن علاها الشيب فوق الذوائب [7]
 أ لست إذا القعساء مرت براكب # إلى آل بسطام بن قيس بخاطب [8]
 و قالوا: سمعنا أنّ حدراء زوّجت # على مائة شمّ الدّرى و الغوارب [9]
 فلو كنت من أكفاء حدراء لم تلم # على دارميّ بين ليلي و غالب
 فنل مثلها من مثلهم ثم أمّهم # بملكك من مال مراح و عازب [10]
 و إني لأخشى إن خطبت إليهم # عليك الذي لاقى يسار الكواعب [11]

[1] عائب فاعل يسوق و يعيب (تنازع) يقول: قد كنت حريا أن يسوق ديتك إلى آل زيق عائب على زواجك منهم بدل أن تسوق إليهم أنت المهر، أن يعيبك، خشية أن يعيبك، و في الأصل «لئن» بدل «لقد» و هو تحريف فليس في الكلام جواب لشرط أو قسم.

[2] ذات الصليب: حدراء، فإنها كانت نصرانية، الطعينة: الزوجة، و جملة المصراع الثاني صفة طعينة، عتيبة: هو ابن الحارث بن شهاب، الردفان هما عتاب بن هرمي، و عوف بن عتاب بن هرمي: و حاجب: هو ابن زرارة، و الردف هو خليفة الملك يشرب بعده و ينوب عنه إذا غاب، و إنما أراد بتعداد هؤلاء بيان فضل النوار.

[3] الاستفهام في البيت إنكاري، يريد أنه لا يؤمن على القرائب من النساء، فما بالك بغيرهن، و منع بسطاما من الصرف للضرورة، و في بعض النسخ: أ أهديت يا زيق بن زيق غريبة # إلى شر من تهدي إليه الغرائب؟

[4] زيق: أبو حدراء، ضرة النوار، و الغلّ: القيد، و لازب: لازم، يريد أن زيقا-و قد كان نصرانيا-شرب كأس المهانة و الذل من أيدينا و البيت من «المختار» و ساقط من نسخ «الأغاني» .

[5]المقانب: جمع مقنب، و هو جماعة الخيل و البيت من «المختار» ساقط من «الأغاني» .

[6]مئت: أخصيت، سبالها: سنايل زرعتها، مروت: جمع مرت، و هو القفز لا نبات به، و قد تضاربت الأصول في ألفاظ هذا البيت كل تضارب، و هذا ما اخترناه منها.

[7]هذا البيت من هد و يقصد بسائق الأغنام جريرا نفسه.

[8]القعساء: من قعس الفرس إذا اطمأنت صهوته، و ارتفعت قطاته، و الأبيات الثلاثة مسوقة سياق التهكم، يقول: تقول كليب قبيلة جرير الراعي ابن الراعية إذا رآته سائقا فرسه: هل تريد أن تخطب من آل بسطام؟.

[9]شم الذرى و الغوارب: عالية الأسنمة و الظهور.

[10]تكملة من «المختار» ، هد.

[11]يشير بقوله: يسار الكواعب إلى قصة رجل يحمل هذا الاسم، كان عبدا لسيدة من بني غدانة، فطمع فيها، و طلب يدها، فردته مرارا، فجعل يلج عليها، فتظاهرت بالقبول، و قالت: حتى أجمرك، ثم استحضرت مجمره و أخفت في ثيابها مدية حادة، و جعلت تجمره، ثم مدت يدها إلى قضيبه، فظن أنها تداعبه، و لكنها أخرجت المدية من ثيابها، و استأصلته فجعل يصيح: «مرحبا بمجامر الكرام» فذهبت مثلا.

و لو تنكح الشمس النجوم بناتها # نكحنا بنات الشمس قبل الكواكب

[1]/ و في المناقصات التي دارت بين الفرزدق و جرير حول زواج بنت زيق، قال جرير أبياته التي أولها: يا زيق أنكحت قينا في استه حمم # يا زيق ويحك من أنكحت يا زيق[2]

أين الألى أنزلوا النعمان ضاحية # أم أين أبناء شيان الغرائيق؟[3]
يا ربّ قائلة بعد البناء بها: # لا الصهر راض و لا ابن القين معشوق
غاب المثني فلم يشهد نجيكما # و الحوفزان و لم يشهدك مفروق[4]

و الفرزدق يقول لجرير:

إن كان أنفك قد أعياك محمله # فاركب أتانك ثم اخطب إلى زيق[1]

خبران عن ولديه

:

أخبرني الحسن بن يحيى، عن حماد، عن أبيه، عن الهيثم بن عدي، عن زكريا بن ثبابة الثقفي[5] قال: أنشدني الفرزدق قصيدته التي رثى فيها ابنه، فلما انتهى إلى قوله: بفي الشامتين الصخر إن كان مسني # رزية شبل مخدر في الصراغم[6]

[7]/[فلما فرغ] قال: يا أبا يحيى، أ رأيت ابني؟ قلت: لا، قال: و الله ما كان يساوي عباءته.

بنو تغلب أعطوا ابنه مائة ناقة

:

قال إسحاق: حدثني أبو محمد العبدي، عن اليربوعي، عن أبي نصر قال: قدم لبطة بن الفرزدق الحيرة، فمر بقوم من بني تغلب فاستقراهم فقروه، ثم قالوا له: من أنت؟ قال: ابن شاعركم و مادحكم، و أنا و الله ابن الذي يقول فيكم: أضحى لتغلب من تميم شاعر # يرمي الأعادي بالقريض الأثقل

(1-1) ساقط من «الأغاني» و أثبتناه من «المختار» .

[2]القين: الحداد، و يطلق على كل صانع، و كانت العرب تعتبر ذلك مهانة، و الحمم: الفحم و كل ما بقي من آثار الاحتراق، كأنه يرمي الفرزدق

بسواد استه، و رواية ابن سلام تفيد أن البيت ملفق من بيتين هما: يا زيق قد كنت من شيبان في حسب # يا زيق ويحك من أنكحت يا زيق!

أنكحت ويحك قينا باسته حمم # يا زيق ويحك هل بارت بك السوق!

[3] يريد أن قومه من شيبان قهروا النعمان بن المنذر، و الغرائيق جمع غرنوق: الشاب الممتلئ الناعم و في رواية: «استنزلوا النعمان مقتسرا»

بدل

«أنزلوا النعمان صاحية»

، و يلاحظ أن الفرزدق هنا يشيد بزيق و قومه، بعد ما هبط بهم إلى الحضيض في قوله: «حونا أبا زيق و زيقا و أمه...»

إلخ ما تقدم» .

[4] يعدد في هذا البيت أقطاب شيبان-و المثني: هو المثني بن حارثة بطل الحروب الفارسية في عهد أبي بكر، و الحوفزان، هو الحارث بن شريك بن الصلب، و مفروق: هو النعمان بن عمرو الأصم.

[5] في هد: «زكريا بن هشام الثقفي» .

[6] بفي: بقم، و هو خبر مقدم عن الصخر، و الجملة دعائية، مخدر: ملازم خدره، و الخدر من معانيه مقر الأسد، يعني أنه لم يتأثر بموت ابنه هذا، ففيم يشمت الشامتون، ملأت الصخور أفواههم.

[7] زيادة من الطبعة البولاقية.

إن غاب كعب بنى جعيل عنهم # و تنمّر الشعراء بعد الأخطل[1]

يتباشرون بموته و وراءهم # مئى لهم قطع العذاب المرسل

فقالوا له: فأنت ابن الفرزدق إذا، قال: أنا هو، فتنادوا: يا آل تغلب، اقضوا حق شاعركم و الذائد عنكم في ابنه، فجعلوا له مائة ناقة، و ساقوها إليه، فانصرف بها.

عمرو بن عفراء يتحداه

:

أخبرنا أبو خليفة، عن محمد بن سلام قال: أتى الفرزدق عبد الله بن مسلم الباهليّ فسأله فثقل عليه الكثير، و خشية في القليل، و عنده عمرو بن عفراء الصّبّيّ رواية الفرزدق و قد كان هجاه جرير لروايته للفرزدق في قوله: و نبئت جؤابا و سلما يسبني # و عمرو بن عفري. لا سلام على عمرو[2]

فقال ابن عفراء للباهليّ: لا يهولك أمره، أنا أرضيه عنك فأرضاه بدون ما كان همّ له به، فأعطاه ثلاثمائة درهم، فقبلها الفرزدق و رضي عنه، فبلغه بعد ذلك صنيع عمرو فقال: /

ستعلم يا عمرو بن عفري من الذي # يلام إذا ما الأمر عبّت عواقبه[3]

نهيت ابن عفري أن يعقر أمّه # كعفر السّلا إذ جرّته نعاله[4]

فلو كنت ضيّبا صفحت و لو سرت # على قدمي حيّاته و عقاربه[5]

و لكن ديافيّ أبوه و أمّه # بحوران يعصرن السليط أقرابه[6]

و لما رأى الدّهن رمته جبالها # و قالت ديافيّ مع الشام جانبه[7]

فإن تغضب الدهنا عليك فما بها # طريق لمرتاد تقاد ركائبه[8]

تضنّ بمال الباهليّ كأنما # تضنّ على المال الذي أنت كاسبه

و إنّ امرأ يغتابني لم أطأ له # حريما و لا ينهاه عنيّ أقرابه[9]

كمحتطب يوما أساود هضبة # أتاه بها في ظلمة الليل حاطبه[10]

أ حين التقى ناباي و ابيضّ مسحلي # و أطرق إطراق الكرى من يجانبه[11]

[1] كعب بنى جميل و الأخطل: شاعران تغليبان، يقصد أنه المنافح عنهم بعد موت هذين الشعارين.

[2] في «الديوان» :

« و سڪنا يسيني »

و في «المختار»

« وشيكا يسيني »

[3] غبت عواقبه: بلغ مداه.

[4] تكملة من هد، و السلا: غشاء يحيط بالجنين عند ولادته.

[5] يريد أنه لو كان ضيًّا لاغتر له الإساءة مهما تعظم.

[6] دياف: بلد بالشام، السليط: ما يستخرج من الحبوب من الزيوت، و قد جرى في قوله «يعصرن» على لغة أكلوني البراغيث.

[7] الدهنا: مقصور الدهناء: موضع لبني تميم.

[8] في هد، هج «لزيات» بدل «لمرتاد» .

[9] في «المختار» «يعتابني» أي يعينني. و في ف: «تجاربه» بدل: «أقاربه» .

[10] الأسود: جمع أسود، و هو الحية العظيمة.

[11] المسحل: جانب اللحية، يقول: أ يسيئي حين التقى ناباي، و شابت لحيتي، و نام عدوي بعد أن كان يجفوه النوم، و في هد، هج: «من أحاربه» بدل من «يجانبه» . -

فقال ابن عفراء، و أتاه في نادي قومه: أجهد جهدك، هل هو إلا أن تسبني، و الله لا أدع لك مساءة إلا أتيها، و لا تأمرني بشيء إلا اجتنبتة و لا تنهاني عن شيء إلا ركبتة، قال: فاشهدوا أنني أنهاه أن ينيك أمه، فضحك القوم و خجل ابن عفري.

يتطفل فيجاز

:

أخبرنا أبو خليفة، عن محمد بن سلام، قال: حدثنا شعيب بن صخر قال: تزوج ذبيان بن أبي ذبيان العدوي من بلعدوية، فدعا الناس في وليمته، فدعا ابن أبي شيخ الفقيمي، فألقى الفرزدق عنده، فقال له: يا أبا فراس، انهض، قال: إنه لم يدعني، قال: إن ابن ذبيان يؤتى و إن لم يدع، ثم لا تخرج من عنده إلا بجائزة فأتيه، فقال الفرزدق حين دخل: كم قال لي ابن أبي شيخ و قلت له: # كيف السبيل إلى معروف ذبيان

إِنَّ القلوص إذا ألفت جآئها # قدام بابك لم نرحل بحرمان[1]

قال: أجل يا أبا فراس فدخل فتغدى عنده، و أعطاه ثلاثمائة درهم.

يريد أن يتحدى الناس الموت

:

أخبرني أبو خليفة عن محمد بن سلام قال: حدثني أبو بكر المدني قال: دخل الفرزدق المدينة فوافق فيها موت طلحة بن عبد الرحمن بن عوف الزهري- و كان سيدا سخيا شريفا- فقال: يا أهل المدينة، أنتم أذل قوم لله، قالوا: و ما ذاك يا أبا فراس؟ قال: غلبكم الموت على طلحة حتى أخذه[2] منكم.

يعطي عروضاً بدل النقد

:

و أتى مكة، فأتى عمرو بن عبد الله بن صفوان بن أمية بن خلف الجمحي- و هو سيد أهل مكة يومئذ- و ليس عنده نقد حاضر، و هو يتوقع أعطيته و أعطية ولده و أهله، فقال: و الله يا أبا فراس، ما وافقت عندنا نقدا، و لكن عروضاً[3] إن شئت، فعندنا رقيق فرهة[4]، فإن شئت أخذتهم، قال: نعم، فأرسل له بوصفاء من بنيه و بني أخيه، فقال: هم لك عندنا حتى تشخص، و جاءه العطاء، فأخبره الخبر و فداهم، فقال الفرزدق و نظر إلى

عبد العزيز بن عبد الله بن خالد بن أسيد و كان يطوف بالبيت الحرام يتبختر:
/

تمشي تبختر حول البيت منتخبا # لو كنت عمرو بن عبد الله لم تزد[5]

يحتج بشعره

:

أخبرنا أبو خليفة، عن محمد بن سلام، قال: حدثنا عامر بن أبي عامر-و هو صالح بن رستم الخراز-قال: أخبرني أبو بكر الهذلي قال:

[1]الجآجئ: جمع جؤجؤ، و هو عظام الصدر، و إلقاء جآجئ الناقة كناية عن بروكها.

[2]كأنه كان يريد من أهل المدينة أن يقاوموا الموت، و هذا من أبلغ الرثاء لطلحة بن عبد الرحمن.

[3]العروض: جمع عرض-بفتح و سكون-و هو ما سوى النقد من المتاع.

[4]يريد عبدا و جوارى حسانا.

[5]تبختر: مضارع محذوف أحد التاءين، و المقصود بالبيت أن عمرا هذا هو وحده الجدير بالتية و الخيلاء.

إنا لجلوس عند الحسن إذ جاء الفرزدق يتخطى حتى جلس إلى جنبه، فجاء رجل، فقال: يا أبا سعيد: الرجل يقول: لا والله، بلى والله في كلامه، قال: لا يريد اليمين، فقال الفرزدق: أ و ما سمعت ما قلت في ذلك؟ قال الحسن: ما كل ما قلت سمعوا فما قلت؟ قال: قلت: و لست بماخوذ بلغو تقوله # إذا لم تعمّد عاقدات العزائم[1]

قال: فلم ينشب أن جاء رجل آخر، فقال: يا أبا سعيد. نكون في هذه المغازي فنصب المرأة لها زوج، أ فيحل غشيانها و إن لم يطلقها زوجها؟ فقال الفرزدق: أ و ما سمعت ما قلت في ذلك؟ قال الحسن: ما كل ما قلت سمعوا فيما قلت؟ قال: قلت: و ذات حليل أنكحتنا رماحنا # حلالا لمن بيني بها لم تطلق[2]

يهجو إبليس

:

قال أبو خليفة: أخبرني محمد بن سلام، و أخبرني محمد بن جعفر قال: أتى الفرزدق الحسن[3]، فقال: إني هجوت إبليس فاسمع؟ قال لا حاجة لنا بما تقول، قال: لتسمعن أو لأخرجن، فأقول للناس: إن الحسن ينهى عن هجاء إبليس، قال: اسكت فإنك بلسانه تنطق.

الحسن يتمثل بالشعر

:

قال محمد بن سلام: أخبرني سلام أبو المنذر، عن علي بن زيد قال: ما سمعت الحسن يتمثلا شعرا قط إلا بيتا واحدا و هو قوله: الموت باب و كل الناس داخله # فليت شعري بعد الباب ما الدار؟

قال: و قال لي يوما: ما تقول في قول الشاعر:

لو لا جرير هلكت بجيلة # نعم الفتى و بئست القبيلة

أ هجاه أم مدحه؟ قلت: مدحه و هجا قومه، قال: ما مدح من هجي قومه.

و قال جرير بن حازم: / و لم أسمعه ذكر شعرا قط إلا:

ليس من مات فاستراح بميت # إنما الميت ميت الأحياء

هل ينقض الشعر الوضوء

:

و قال رجل لابن سيرين و هو قائم يستقبل القبلة يريد أن يكبر: أ
يتوصاً[4]من الشعر؟فانصرف بوجهه إليه فقال: ألا أصبحت عرس الفرزدق
ناشزا # و لو رضيت رمح استه لاستقرت

[1]يريد أن بيته يتطابق مع قوله تعالى: **لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ***

[2]ذات: مفعول مقدم لأنكحتنا، و يريد أن سبايا الحرب إماء يحل
الاستمتاع بهن.

[3]يريد الحسن البصري.

[4]يقصد: هل يعتبر الشعر من نواقض الوضوء؟ و قد أجابه ابن سيرين
عملا لا قولا، إذ نطق بيت الفرزدق الفاحش، ثم كبر.

ثم كبر.

من أبياته السيارة

:

قال ابن سلام: و كان الفرزدق أكثرهم بيتا مقلدا-و المقلد:
المغني[1]المشهور الذي يضرب به المثل-من ذلك قوله: فيا عجا حتى
كليب تسبني # كأن أباه نهشل أو مجاشع[2]

[3] و قوله:

ليس الكرام بناحليك أباهم # حتى يرّد إلى عطية نهشل[3]

/و قوله:

و كئا إذا الجبار صعر خده # ضربناه حتى تستقيم الأخادع[4]

و قوله:

و كنت كذئب السوء لما رأى دما # بصاحبه يوما أحال على الدّم[5]

و قوله:

ترجّي ربيع أن تجيء صغارها # بخير و قد أعي ربيعا كبارها

و قوله:

أكلت دوابرها الإكام فمشيها # مما و جئن كمشية الإعياء[6]

و قوله:

قوارص تأتيني و تحتقرونها # و قد يملأ القطر الإناء فيفعم

و قوله:

أحلامنا تزن الجبال رزاة # و تخالنا جنا إذا ما نهشل[7]

.

و قوله[8]

و إنك إذ تسعى لتدرك دارما # لأنت المعنى يا جرير المكلف[8]

و قوله:

فإن تنج مني تنج من ذي عزيمة # و إلا فإني لا إخالك ناجيا

و قوله:

ترى كل مظلوم إلينا فراره # و يهرب منا جهده كلّ ظالم

و قوله:

ترى الناس ما سرنا يسيرون حولنا # و إن نحن أومأنا إلى الناس وقّفوا

و قوله:

فسيف بني عيس و قد ضربوا به # نبا بيدي ورفاء عن رأس خالد[9]

كذاك سيوف الهند تنبو طباتها # و يقطعن أحيانا مناط القلائد

[1] في هد، هج؛ و المقلد: «البيت المستغني» بدل «المغني» .

[2] كليب: قبيلة جرير، نهشل و مجاشع: من أجداد الفرزدق.

(3-3) تكلمة من هد، هج. و عطية: أبو جرير، يقول: لن تعد من الكرام
إلا إذا ثبت أن جدي نهشلا من صلب عطية أبيك، و في بعض النسخ «تعتل»
بمعنى تجر جرا عنيفا بدل «نهشل» و هو تحريف.

[4] صعر خده: أماله تكبرا، الأخادع: جمع أخدع: و هو أحد عرقين في
جانب العنق.

[5] أحال على الدم: أقبل عليه، و يضرب هذا البيت مثلا لمن إن نزلت
بصاحبه مصيبة استغلها لمصلحته بدل أن يفرجها عنه.

[6] دوابر: جمع دابرة، و هي العرقوب، و الأكام: جمع أكمة، و جئن، من
الوجا، و هو رقة الحافر أو الخف من كثرة المشي، و البيت وصف للناقة
يضمها السير و في هد، هج،

«كمشية الأطفال»

[7] في هج «و المختار» بدل المصراع الثاني: «و يزيد جاهلنا على
الجهال»

و المثبت في «الديوان» 717 و ما جاء في هج «و المختار» من
قصيدة أخرى في «الديوان»: 730.

(8-8) التكملة من هج، هد. ف.

[9] يشير إلى مقتل زهير بن جذيمة حين أمسك به خالد غريمه فحاول
ورقة بن زهير إنقاذ أبيه، فضرب خالدا، فنيا سيفه، و ضرب أحد أنصار خالد
زهيرا ففلق رأسه.

/و كان يداخل الكلام، و كان ذلك يعجب [1]أصحاب النحو، من ذلك قوله يمدح هشام بن إسماعيل المخزوميّ خال هشام بن عبد الملك: و أصبح ما في الناس إلا مملّكا # أبو أمه حيّ أبوه يقاربه [2]

و قوله:

تالله قد سفهت أمية رأيا # فاستجهلت سفهاؤها حلماها [3]

و قوله:

أ لستم عائجين بنا لعنا # نرى العرصات أو أثر الخيام [4]
فقالوا: إن فعلت فأغن عنا # دموعا غير راقئة السّجام [5]

و قوله:

فهل أنت إن ماتت أتانك راحل # إلى آل بسطام بن قيس فخطب [6]

و قوله:

فقل مثلها من مثلهم ثم دلّهم # على دارميّ بين ليلي و غالب [7]

و قوله:

تعال فإن عاهدتني لا تخونني # نكن مثل من-يا ذئب-يصطحبان [8]

/و قوله:

إنا و إياك إن بلّغن أرحلنا # كمن بواديه بعد المحل ممطور [9]

و قوله:

بنى الفارق أمك و ابن أروى # به عثمان مروان المصابا [10]

/و قوله:

إلى ملك ما أمّه من محارب # أبوه و لا كانت كليب تصاهره [11]

و قوله:

إليك أمير المؤمنين رمت بنا # هموم المنا و الهوجل المتعسّف [12]

و عضّ زمان يا بن مروان لم يدع # من المال إلا مسحتا أو مجلّف [13]

[1] لا نعتقد أن هذا التداخل كان يعجب النحاة و إنما كانوا يستشهدون به، أما علماء البلاغة فيستشهدون بهذا التداخل على التعقيد اللفظي الذي ينافي الفصاحة.

[2] أصل تركيب البيت «و أصبح ما في الناس حي يقاربه إلا مملكا أبو أمه أبوه» هاء يقاربه تعود على خال هشام بن عبد الملك و هاء أمه تعود على هشام بن عبد الملك، و هاء «أبوه» تعود على خال هشام، أي لا حي يشابه خال الملك إلا الملك الذي جده أبو خاله.

و في رواية: «و ما مثله» بدل «و أصبح» و البيت على تعقيده تافه المعنى، و لو قال: و أصبح ما في الناس إلا مملكا # أبو أمه أبوه حي يقاربه لكان أقل تعقيدا مع استقامة الوزن.

[3] سفه رأيه: حمله على السفه.

[4] لعنا، أصلها «لعلنا» و هذا هو موضع الشاهد.

[5] غير راقئة السجام: «دائمة الهملان» .

[6] و في رواية «فاتت» بدل «ماتت» و البيت متعلق بالمساجلة التي دارت بينه و بين جرير بشأن حدراء، و قد تقدم ذكرها، و إن لم يرد فيها هذا البيت.

[7] تقدم هذا البيت في المساجلة المشار إليها برواية أخرى، و الأولى أصح.

[8] الخطاب للذئب، و المداخلة هنا هي فصله بين الموصول «من» وصلته «يصطحبان» بالنداء.

[9] ضمير «إياك» للممدوح، «و نون بلغن» للرواحل، ممطور: خبر مبتدأ محذوف، تقديره هو، يعني إذا بلغناك كنا كمن أمطر واديه بعد الجذب.

[10] في بعض النسخ «نما» بدل «بنى» و في بعضها «فما» و الذي نختاره على ما فيه من معازلة هو رواية «الديوان»: هو السيف الذي نصر ابن أروى # به عثمان مروان المصابا

على أن يكون «مروان» بدلا من ابن أروى، و «عثمان» مفعولا به، و «المصابا» صفته.

[11] لعل تركيب البيت السليم إلى ملك أبوه محارب، ما أمه من كليب و لا كانت تصاهره، و ليس بعد ذلك تعسف.

(12-13) الهوجل المتعسف: الدليل المتعسف، المسحت: الكسب الخبيث، المجلف: الموقع صاحبه في الجذب، و في البيتين إقواء.

و قوله:

و لقد دنت لك بالتخلف إذ دنت # منها بلا بخل و لا مبذول[1]
و كأنّ لون رضاب فيها إذ بدا # برد بفرع بشامة مصقول[2]

و قوله فيها لمالك بن المنذر:

إنّ ابن ضبّاري ربيعة مالكا # لله سيف صنيعة مسلول[3]
ما نال من آل المعلّى قبله # سيف لكل خليفة و رسول[4]
/ ما من يدي رجل أحقّ بما أتى # من مكرمات عطاية الأخطار[5]
من راحتين يزيد يقدر زنده # كفاهما و يشدّ عقد جوار[6]

و قوله:

إذا جئت أعطاك عفوا و لم يكن # على ماله حال الندى منك سائله[7]
لدى ملك لا تنصف النعل ساقه # أجل لا، و إن كانت طوالا حمائله[8]

و قوله:

و الشيب ينهض في الشباب كأنه # ليل يسير بجانيه نهار

لا يكذب في مدحه

:

قال أبو خليفة: أخبرنا محمد بن سلام قال: حدثني شعيب بن صخر، عن محمد بن زياد، و أخبرني به الجوهري و لحظة عن ابن شبة، عن محمد بن سلام، و كان محمد في زمام الحجاج زمانا قال: انتهيت إلى الفرزدق بعد موت الحجاج بالرّدم[9] و هو قائم و الناس حوله[9] ينشد مديح سليمان بن عبد الملك: و كم أطلقت كفاك من غلّ بئس # و من عقدة ما كان يرجى انحلالها

كثيرا من الأيدي التي قد تكتفت # فككت و أعناقها غلالها[10]

قال: قلت: أنا و الله أحدهم، فأخذ بيدي و قال: أيها الناس سلوه عما أقول و الله ما كذبت قط.

يأبى حين يريد

:

أخبرني جحظة قال: حدثني ابن شبة، عن محمد بن سلام فذكر مثله و قال فيه: و الله ما كذبت قط و لا أكذب أبدا.

(1-2) دنت، أي حبيته، البشام: نوع من الشجر، و البيتان شاهد أيضا على الإقواء.

(3-4) في هج «جباري» و في أخرى «جباري» ، و في هد، هج، «ما زال» بدل «ما نال» «مالكا» بدل من ابن، رسول في البيت الثاني عطف على سيف، فإن عطف على خليفة كان في البيت إقواء.

(5-6) يمدح رجلا فيقول: لا يدين أحق بالمكرمات من يده اللتين يستعين بهما يزيد و يشد بهما عقد جواره.

[7]ف: «الردى» تحريف لكلمة «الندى» و المعنى إذا جئته أعطاك عفوا، و لم يكن منك سائل له عند العطاء.

[8] لا تنصف النعل ساقه: لا تبلغ نصفها، كناية عن قصر النعل، و إن كانت طوالة حمائله: كناية عن طول القامة، يريد أنه قصير النعل، لكيلا تعوقه عن الحركة، و إن كان طويل القامة، و قوله «أجل» تأكيد لمضمون الجملة، و قوله: «لا» تأكيد «للا» في المصراع الأول، و هذان البيتان و ما قبلهما تكملة من هج، هد.

(9-9) التكملة من هد.

[10] كثيرا مفعول مقدم لفككت، و الغلال: جمع غل، و هو الطوق و جاء في «اللسان»: جمع الغل أغلال لا يكسر على غير ذلك.

قال أبو خليفة: قال ابن سلام: و سمعت الحارث بن محمد بن زياد يقول: كتب يزيد بن المهلب لما فتح جرجان إلى أخيه مدركة أو مروان: أحمل إليّ الفرزدق، فإذا شخص فأعط أهله كذا و كذا؛ ذكر عشرة آلاف درهم، فقال له الفرزدق: ادفعها إليّ، قال: اشخص و أدفعها إلى أهلك، فأبى، و خرج و هو يقول: دعاني إلى جرجان و الرّيّ دونه # لآتيه إنّي إذا لزعور[1]

لآتي من آل المهلب ثائرا # بأعراضهم و الدّائرات تدور[2]
سآبى و تأبى لي تميم و ربما # أبيت فلم يقدر عليّ أمير

لم يستطع أهله منعه

:

قال أبو خليفة: قال ابن سلام:

و سمعت سلمة بن عيّاش قال: حبست في السجن، فإذا فيه الفرزدق قد حبسه مالك بن المنذر بن الجارود، فكان يريد أن يقول البيت فيقول صدره و أسبقه إلى القافية، و يجيء إلى القافية فأسبقه إلى الصدر، فقال لي: ممّن أنت؟ قلت: من قريش قال: كلّ أير حمار من قريش، من أيّهم أنت؟ قلت: من بني عامر بن لؤي، قال: لئام و الله أذلة، جاورتهم فكانوا شرّ جيران، قلت: أ لا أخبرك بأذلّ منهم و أأمّ؟ قال: من؟ قلت: بنو مجاشع، قال: و لم ويلك! قلت: أنت سيدهم و شاعرهم و ابن سيدهم، جاءك شرطي مالك، حتى أدخلك السجن، لم يمنعوك. قال: قاتلك الله.

قال أبو خليفة: قال ابن سلام:

يهجو عمر بن هبيرة

:

و كان مسلمة بن/عبد الملك على العراق بعد قتل يزيد بن المهلب فلبث بها غير كثير، ثم عزله يزيد بن عبد الملك، و استعمل عمر بن هبيرة على العراق فأساء عزل مسلمة، فقال الفرزدق و أنشدنيه يونس: /

ولت بمسلمة الركاب موّدعا # فارعي فزارة لا هناك المرتع[3]

فسد الزمان و بدّلت أعلامه # حتى أمية عن فزارة تنزع[4]

و لقد علمت إذا فزارة أمّرت # أن سوف تطمع في الإمارة أشجع[5]

و بحقّ ربك ما لهم و لمثلهم # في مثل ما نالت فزارة مطمع[6]

عزل ابن بشر و ابن عمرو قبله # و أخو هراة لمثلها يتوَّع

ابن بشر: عبد الملك بن بشر بن مروان، كان على البصرة، أمره عليها مسلمة. و ابن عمرو: سعيد بن [1] فاعل دعاني ضمير يزيد بن المهلب، الري: بلد معروف، و يكنى بذلك عن بعد الشقة، زعور: مبالغة من الزيارة.

[2] في بعض النسخ «زائرا» ، و المعنى دعوني لأمدحهم و أثار لأعراضهم، و قد يعرضني ذلك للخطر مستقبلا.

[3] يشير إلى أن عمر بن هبيرة، من بني فزارة.

[4] تنزع: تكف أذاها عنها و تجاملها.

[5] أشجع: قبيلة خاملة لا شأن لها يقول: ما دامت فزارة و ليت الإمارة فسوف تليها أحقر القبائل.

[6] يعني أنه ما كان لأشجع و مثلها مطمع في الإمارة فأصبحوا الآن يطمعون فيها، و في بعض النسخ

«و لخلق مثلك»

حذيفة بن عمرو بن الوليد بن عقبة بن أبي معيط، و أخو هراة: عبد العزيز بن الحكم بن أبي العاص.

و يروى للفرزدق في ابن هبيرة:

أمير المؤمنين و أنت عفّ # كريم لست بالطّيع الحريص[1]
 أولّيت العراق و رافديه # فزارياً أحدّ يد القميص[2]
 و لم يك قبلها راعي مخاض # لتأمنه على و ركي قلوص[3]
 تفنّن بالعراق أبو المثنيّ # و علّم أهله أكل الخبيص[4]

/و أنشدني له يونس:

جّهز فإنك ممتار و مبتعث # إلى فزارة عيرا تحمل الكمرا[5]
 إنّ الفزاريّ لو يعمى فأطعمه # أير الحمار طيب أبرأ البصرا
 إن الفزاريّ لا يشفيه من قرم # أطائب العير حتى ينهش الدّكرا
 يقول لمّا رأى ما في إنائهم: # لله ضيف الفزاريين ما انتظرا[6]

فلما قدم خالد بن عبد الله القسريّ واليا على ابن هبيرة حبسه في السجن، فنقب له سرب، فخرج منه، فهرب إلى الشام، فقال فيه الفرزدق يذكر خروجه: و لما رأيت الأرض قد سدّ ظهرها # و لم تر إلا بطنها لك مخرجا

دعوت الذي ناداه يونس بعد ما # ثوى في ثلاث مظلمات ففرّجا[7]
 فأصبحت تحت الأرض قد سرت ليلة # و ما سار سار مثلها حين أدلجا
 خرجت و لم تمنن عليك شفاعة # سوى ربذ التقريب من آل أعوجا[8]
 أغرّ من الحوّ اللهاميم إذ جرى # جرى بك محبوبك القرى غير أفحجا[9]
 جرى بك عريان الحماتين ليله # به عنك أرخى الله ما كان أشرجا[10]

[1]الطبع كحذر: «الذنيء اللثيم» .

[2]أخذ: مقطوع، يد القميص: كمه، يكنى بقطع الكم عن قطع اليد أو قصرها.

[3]يريد أنه لم يكن يملك إبلا، فكيف يؤتمن الآن على ورك ناقة.

[4]أبو المثني هو عمر بن هبيرة و في رواية «تعتق» بدل «تفنن» ، و المعنى ترفه و تنعم بعد جوع و شظف.

[5]ممتار: طالب ميرة، عيرا: مفعول جهز، الكمر: جمع كمره، و هي رأس القضيب.

[6]فاعل يقول ضمير الطيب، و قد يكون ضمير العير.

[7]يشير إلى دعاء يونس ربه و هو في بطن الجوت.

[8]ربذ التقريب: خفيف الجري، أعوج: حصان عتيق تنسب العرب إليه جياذ الخيل، يقول له خرجت بلا شفاعه، و لم ينجدك إلا جواد كريم.

[9]من الحو: من الجياذ السمر الألوان، اللهاميم: جمع لهموم، و هو السريع العدو، القرى: الظهر، أفحج، من الفحج، و هو تداني صدور قدمي الفرس و تباعد عقبه.

[10]الحماتان: لحتان في ساقى الفرس، أشرح، من أشرح العيبة: أحكم شدها.

و ما احتال محتال كحيلته التي # بها نفسه تحت الصّريمة أولجا [1]
 /و ظلماء تحت الأرض قد خضت هولها # و ليل كلون الطيلسانيّ أدعجا [2]
 هما ظلمتا ليل و أرض تلاقنا # على جامع من همّه ما تعوّجا [3]

يهجو خالد بن عبد الله القسري أيضا

:

/فحدثني جابر بن جندل قال: ف قيل لابن هبيرة: من سيد العراق؟ قال:
 الفرزدق هجاني أميرا و مدحني سوقة و قال الفرزدق لخالد القسري حين
 قدم العراق أميرا لهشام: ألا قطع الرحمن ظهر مطية # أتتنا تمطى من
 دمشق بخالد [4]

و كيف يؤمّ المسلمين و أمّه # تدين بأنّ الله ليس بواحد
 بنى بيعة فيها الصليب لأمة # و هدم من كفر منار المساجد

و قال أيضا:

نزلت بجيلة واسطا فتمكّنت # و نفت فزارة عن قرار المنزل [5]

و قال أيضا:

لعمرى لئن كانت بجيلة زانها # جرير لقد أخزى بجيلة خالد

فلما قدم العراق خالد أميرا أمر على شرطة البصرة مالك بن المنذر
 بن الجارود، و كان عبد الأعلى بن عبد الله بن عامر يدّعي على مالك
 قرية [6]، فأبطلها خالد، و حفر النهر الذي سماه المبارك، فاعترض عليه
 الفرزدق، فقال: أهلك مال الله في غير حقّه # على النهر المشئوم غير
 المبارك

و تضرب أقواما صحاحا ظهورهم # و تترك حقّ الله في ظهر مالك [7]

/إنفاق مال الله في غير كنهه # و منعا لحقّ المرملة الضرائك؟ [8]

مهر حدراء و مصرعها

:

أخبرني عبد الله بن مالك قال: حدثنا محمد بن حبيب، عن الأصمعيّ
 قال: قال أعين بن لبطة: دخل الفرزدق على الحجاج لما تزوج حدراء
 يستميحه مهرها، فقال له: تزوّجت أعرابية على مائة بعير، فقال

[1]الصريمة: القطعة من الليل أو القطعة من الرمل، يريد أنه أدخل نفسه في الليل، أو في منفذ رملي نقب له.

[2]الطيلساني: فيه طلسة، وهي السواد، أدعج: شديد الظلمة.

[3]يقول: إنه برغم ظلمتي السجن و الليل عرف طريق الهرب، و لم يتعوج أو يضل. و في ب: «تعرجا» بالراء.

[4]تمطى أصله تتمطى. و في «المختار» :

«أتنا تخطى»

[5]بجيلة: قبيلة خالد، و في الأصل «فزار» و هو تصحيف «قرار» .

[6]قرية: اسم يطلق على عدة أماكن في العراق، و المراد أحدها.

[7]يريد أنك تحدّ قوما برآء، و تترك مالكا الذي وليته أميرا للشرطة، و هو أحق بأن يحدّ.

[8]الاستفهام في البيت إنكاري. المرملات: من أرملت المرأة إذا فقدت زوجها، الضرائك: جمع ضريكة، وهي الفقيرة. -

له عنبسة بن سعيد: إنما هي فرائض قيمتها ألفا درهم، -الفريضة عشرون درهما- فقال له الحجاج: ليس غيرها، يا كعب، أعط الفرزدق ألفي درهم.

قال: و قدم الفضيل العنزيّ بصدقات بكر بن وائل، [1] فاشترى الفرزدق مائة بعير بألفين و خمسمائة درهم على أن يثبتها له في الديوان، قال الفرزدق: فصليت مع الحجاج الظهر حتى إذا سلم، خرجت فوقفت في الدار فرأني، فقال مهيم [2]، فقلت: إن الفضيل العنزي قدم بصدقات بكر بن وائل [1]، و قد اشتريت منه مائة بعير بألفين و خمسمائة درهم على أن تحتسب له في الديوان، فإن رأى الأمير أن يأمر لي بإثباتها له فعل، فأمر أبا كعب أن يثبت للفضيل ألفين و خمسمائة درهم، و نسي ما كان أمر له به [3]، قال: فلما جاء الفرزدق بالإبل قالت له النوار: خسرت صفقتك، أ تنزوج أعرابية نصرانية سوداء مهزولة خمشاء [4] الساقين على مائة من الإبل؟ فقال يعرض بالنوار و كانت أمها وليدة: لجارية بين السليل عروقتها # و بين أبي الصّهباء من آل خالد [5]

أحقّ بإغلاء المهور من التي # ربت تتردى في حجور الولائد

/ فأبت النوار عليه أن يسوقها كلها، فحبس بعضها، و امتار [6] عليه ما يحتاج إليه أهل البادية، و مضى و معه دليل يقال له أوفى بن خنزير، قال أعين: فلما كان في أدنى الحي رأوا كبشا مذبوحا، فقال الفرزدق: يا أوفى، هلكت و الله حدراء، قال: و ما علمك بذلك؟ قال: و يقال: إن أوفى قال للفرزدق: يا أبا فراس لن ترى حدراء، فمضوا حتى وقفوا على نادي زيق، و هو جالس، فرحب به، و قال له: انزل فإن حدراء قد ماتت، و كان زيق نصرانيا فقال: قد عرفنا أن نصيبك/ من ميراثها في دينكم النصف، و هو لك عندنا، فقال له الفرزدق: و الله لا أرزؤك منه قطميرا، فقال زيق: يا بني دارم، ما صاهرنا أكرم منكم في الحياة و لا أكرم منكم شركة في الممات، فقال الفرزدق: عجت لحادينا المقحّم سيره # بنا موجعات من كلال و ظلعا [7]

ليديننا ممن إلينا لقاءه # حبيب و من دار أردنا لتجمعا

و لو نعلم الغيب الذي من أمامنا # لكربنا الحادي المطي فأسرعا [8]

يقولون: زر حدراء و التّرب دونها # و كيف بشيء وصله قد تقطعا

(1-1) التكملة من هج.

- [2] مهيم: كلمة استفهام بمعنى ما شأنك؟.
- [3] يعني الدراهم الألفين التي أمر عبسة بإعطائه إياها.
- [4] خمشاء الساقين: مجرحتهما مشوهتهما.
- [5] السليل و أبو الصهباء: من أجداد حدراء.
- [6] أمتار: طلب الميرة، و هي الطعام يجمع للسفر و نحوه.
- [7] المقحم من قحم-بالتشديد-الفرس الراكب، دخل به في أرض مخوفة، موجعات: مفعول مقحم، ظلعا: معطوف على موجعات، جمع ظالع بمعنى أعرج، و المعنى عجبت لحادينا الذي يسوق إبلنا الكليلة في أرض مخوفة و في بعض النسخ

«المقسم سيره»

بدل

«المقحم سيره»

- و في بعضها «و المختار»: «مزحفات» بدل «موجعات» من أزحف البعير: أعيأ و كل.
- [8] يريد لو نعلم بوفاة حدراء لعدنا أدراجنا مسرعين.

[1]

يقول ابن خنزير: بكيت و لم تكن # على امرأة عيني إخال لتدمعا
 و أهون رزء لامرئ غير جازع # رزيئة مرتج الروادف أفرعا[1]
 و لست-و إن عزّت-عليّ بزائر # ترابا على مرموسة قد تضععا[2]

[3]/ و قيل إن التّوار كانت استعانت بأم هاشم لا بتماضر، و أم هاشم
 أخت تماضر؛ لأن تماضر ماتت عند عبد الله بعد أن ولدت له خبيبا و ثابتا
 ابني عبد الله بن الزبير، و تزوّج بعدها أختها أم هاشم، فولدت له هاشما و
 حمزة و عبّادا، و في أم هاشم يقول الفرزدق: تروّحت الرّكبان يا أمّ هاشم
 # و هنّ مناخات لهنّ حنين

و حبّسن حتّى ليس فيهنّ نافع # لبيع و لا مركوبهنّ سمين[3]

زوجة أخرى تنشر منه

:

أخبرنا عبد الله قال: حدثنا محمد بن حبيب قال: حدّثني الأصمعيّ قال:
 نشزت رهيمة بنت غنيّ بن درهم التّمريّة بالفرزدق فطلقها، و قال يهجوها
 بقوله: لا ينكحن بعدي فتى نمريّة # مرملّة من بعلاها لبعاد[4]

و بيضاء زعراء المفارق شخّته # مولّعة في خضرة و سواد[5]

لها بشر شئن كأن مصنّه # إذا عانقت بعلا مضمّ قتاد[6]

قرنت بنفسي الشؤم في ورد حوضها # فجرّته ملحا بماء رماد

و ما زلت-حتى فرّق الله بيننا # له الحمد-منها في أذى و جهاد

تجدّد لي ذكرى عذاب جهنّم # ثلاثا تمسّيني بها و تغادي[7]

يبكي ولدا له من سفاح

:

أخبرني الحسن بن علي قال: حدّثني الحسين[8] بن موسى قال: قال
 المدائني: لقي الفرزدق جارية لبني نهشل، فجعل ينظر إليها نظرا شديدا،
 فقالت له: مالك تنظر؟ فوالله لو كان لي ألف حر ما طمعت في واحد منها،
 قال: و لم يا لخناء[9]؟ قالت: لأنك قبيح المنظر سيئ المخبر فيما أرى،
 فقال: أما والله لو جرّبنتي لعقّي خبري (1-1) تكملة من «المختار» .

[2] مرموسة: ساكنة الرمس تضعضع: قل، يريد أن الريح سفت ما فوق قبرها من التراب فقل.

(3-3) تكملة من «المختار» . و ضمير «هن» في البيت الأول يعود على الإبل المفهوم من المقام. و البيتان في شكوى الزمان و سوء الحال.

[4] فتى: فاعل ينكحن، مرملة لبعاد: لم يمت عنها زوجها، و لكنه فارقها.

[5] بيضاء: يريد بياض البرص لا بياض الجمال، زعراء المفارق: قليلة الشعر، شخنة، نحيفة، و في الأصل «شجنه» و هو تصحيف، مولعة في خضرة و سواد: تعالج برصها بمختلف الألوان.

[6] لها بشر ششن: لها جلد خشن غليظ.

[7] ثلاثا: لعله يعني ثلاث سنوات.

[8] في هد، ف: «محمد بن موسى» بدل الحسين بن موسى.

[9] اللخناء: القبيحة الكلام.

على منظري، قال: ثم كشف لها عن مثل ذراع البكر، فتضبعت[1] له عن مثل سنام البكر[2] فعالجها، فقالت: أ نكاح بنسيئة؟ هذا شر القضية، قال: ويحك، ما معي إلا جيتي، أ فتسليبنني إياها ثم تسنمها، فقال: أولجت فيها كذراع البكر # مد ملك الرأس شديد الأسر[3]

زاد على شبر و نصف شبر # كأنني أولجته في جمر

يطير عنه نفيان الشعر # نفى شعور الناس يوم النحر[4]

قال: فحملت منه، ثم ماتت، فبكاها و بكى ولده منها.

و غمد سلاح قد رزئت فلم أنح # عليه و لم أبعث عليه البواكيا

و في جوفه من دارم ذو حفيظة # لو أن المنايا أنسأته لياليا

و لكن ريب الدهر يعثر بالفتى # فلم يستطع ردًا لما كان جائيًا[5]

و كم مثله في مثلها قد وضعته # و ما زلت وثابا أجر المخازبا[6]

/فقال جرير يعيره:

و/كم لك يا بن القين إن جاء سائل # من ابن قصير الباع مثلك حامله[7]

و آخر لم تشعر به قد أضعته # و أوردته رحما كثيرا غوائله[8]

يتزوج طيبة فيعجز عن إتيانها

:

أخبرني الحسن بن علي الخفاف قال: حدثنا محمد بن موسى، قال: حدثني محمد بن سليمان الكوفي[9] عن أبيه قال: تزوج الفرزدق طيبة ابنة حالم من بني مجاشع بعد أن أسر، فضعف، و تركها عند أمها بالبادية سنة، و لم يكن صداقها عنده، فكتب إلى أبان بن الوليد البجليّ- و هو على فارس عامل لخالد بن عبد الله القسريّ- فأعطاه ما سأل و أرضاه، فقال يمدحه: فلو جمعوا من الخلل ألفا # فقالوا: أعطنا بهم أبانا

لقلت لهم: إذا لغبتموني # و كيف أبيع من شرط الزمانا[10]

[1] تضبعت: تكشفت.

[2] في هد: عن مثل سنام «الناب» بدل «البكر» .

[3] مدملك الرأس: رأسه كالثدي الناهد، شديد الأسر: قوي محكم.

[4] نفيان الشعر: ما طار منه: يريد أنه يطير شعر العانة كما يطير الشعر من رعوس الحجاج، أو من جلود الأضاحي.

[5] في هد «و المختار»

«و لا يستطيع رد ما كان جائيا»

[6] ضمير مثله يعود على ولده، و ضمير مثلها يعود على جارية بني نهشل.

[7] إن جاء سائل: إن جاء من يسأل عن ذريتك، حاملة: كذا بالأصل، و نرجح أنها حاملة: من الخمول، أي خامل الباع و عليه يكون لفظ خامله صفة لابن تبعاً، للأصل لا لحركة حرف الجر الزائد.

[8] في الأصل «جما» و الصواب «رحما» و هو موضع تكون الجنين.

[9] في هد: «علي بن سليمان المكي» .

[10] في بعض النسخ:

«ما تغينوني»

بدل

«لغبتموني»

و في بعضها «الضمانا» بدل «الزمانا» ، و شرط الضمان: التزم به، و المراد المهر.

خليل لا يرى المائة الصفايا # و لا الخيل الجياد و لا القيانا
عطاء دون أضعاف عليها # و يطعم ضيفه العبط السمانا

العبط: الإبل التي لا وجع بها.

فما أرجو لطبية غير ربّي # و غير أبي الوليد بما أعانا[1]
/أعان بهجمة أرضت أباهـا # و كانت عنده غلقا رهانا[2]

و قال أيضا في ذلك:

لقد طال ما استودعت ظبية أمّها # و هذا زمان ردّ فيه الودائع

و قال حين أراد أن يبني بها:

أبادر سوّالا بظبية أنني # أتتني بها الأهوال من كل جانب[3]
بمائة الحجلين لو أنّ ميّنا # و لو كان في الأموات تحت النصاب[4]
دعته لألقى التّرب عند انتفاضه # - و لو كان تحت الراسيات الرواسب-[5]

فلما ابتنى منها عجز عنها فقال:

يا لهف نفسي على نعظ فجعت به # حين التقى الرّكب المحلوق و الرّكب[6]

و قال جرير:

و تقول ظبية إذ رأتك محوقلا # -حوق الحمار-من الخبال الخابل[7]
إنّ البليّة و هي كلّ بلية # شيخ يعلّل عرسه بالباطل
لو قد علقت من المهاجر سلّما # لنجوت منه بالقضاء الفاصل[8]

/قال: فنشزت فيه، و نافرتة إلى المهاجر، و بلغه قول جرير فقال
المهاجر: لو أتتني بالملائكة معها لقضيت للفرزدق عليها.

يشيد بابنته مكية و أمها الزنجية:

قال: و كان للفرزدق ابنة يقال لها مكية، و كانت زنجية، و كان إذا حمي
الوطيس، و بلغ منه الهجاء يكتنى بها، و يقول: [1]أبو الوليد كنية أبان و في
«المختار»: «و غير ابن الوليد»

[2]الهجمة: عدد كبير من الإبل، يقال: غلق الرهن: استحق لمن هو
عنده بعد مضي ميعاده، و هذا هو المراد بقوله: «و كانت عنده غلقا رهانا»

- يعني أنها كادت تكون من حق أبيها لا من حقه لعجزه عن مهرها.
- [3] لعله يريد بالأهوال ما كان فيه من العسر و العجز عن سداد المهر.
- [4] الحجل: الخلل، و مائة الحجلين: كناية عن امتلاء الساقين،
النصائب: الأحجار تنصب حول الحوض.
- [5] المراد بالراسيات الرواسب الجبال.
- [6] الركب: العانة أو منبتها، أو أصل الفرج.
- [7] محوقلا: من حوقل بمعنى ضعف و أعياء، حوق الحمار: منادى، و هو لقب للفرزدق.
- [8] المهاجر كان إذ ذاك-على ما يبدو-قاضيا أو واليا.

ذاكم إذا ما كنت ذا محميّه # بدارميّ أمّه ضيّبه [1]
صمحمح يكنى أبا مكّيّة

و قال في أمها:

/

يا ربّ خود من بنات الرّنج # تحمل تّورا شديد الوهج [2]
أقعب مثل القدح الخلنج # يزداد طيبا عند طول الهرج [3]
مخجتها بالأبر أيّ مخج [4]

فقال له النوار: ربحها مثل ربحك.

و قال في أم مكّيّة يخاطب التّوار:

فإن يك خالها من آل كسرى # فكسرى كان خيرا من عقال
و أكثر جزية تهدي إليه # و أصبر عند مختلف العوالي

/قال: و كانت أم التّوار [5] خراسانية، فقال لها في أم مكّيّة: أغرك منها
أدمة عربيّة # علت لونها إن البجاديّ أحمر [6]

يمدح سعيدا فيغضب مروان

:

حدثني محمد بن الحسن بن دريد قال: حدثنا السكن بن سعيد، عن
محمد بن عباد، عن ابن الكلبي قال: دخل الفرزدق على سعيد بن العاص و
هو والي المدينة لمعاوية فأنشده: نرى الغرّ الجحاجح من قريش # إذا ما
الخطب في الحدثن غالا [7]

وقوفا ينظرون إلى سعيد # كأنهم يرون به هلالا

و عنده كعب بن جعيل، فلما فرغ من إنشاده قال كعب: هذه و الله
رؤياي البارحة، رأيت كأنّ ابن مرّة في نواحي المدينة و أنا أضم
ذلاذلي [8] خوفا منه، فلما خرج الفرزدق خرج مروان في أثره فقال: لم
ترض أن تكون قعودا حتى جعلتنا قياما في قولك: [1] الأبيات من مشطور
الرجز، و ربما كان في البيت الأول منها لحن أو تحريف، و الذي نراه فيها
على وضعها هذا هو ما يلي، ذاكم: أذاك يحدث لي، إذا ما كنت ذا أعراض
محمية بدارمي... إلخ، و الصمحمح: القوي الشديد المجتمع الألواح، و يعني
بالدرامي الذي أمه ضيبه نفسه.

[2]الخود: الشابة الناعمة الحسنة الخلق، تنورا شديد الوهج، كناية عن حرها.

[3]أفعب: شبيه بالقعب، و هو القدح الكبير، الخلنج: نوع من الشجر، الهرج: كثرة النكاح.

[4]مخجتها: أتيتها.

[5]لعل الصواب أن يقول: و كانت أم مكية خراسانية، حتى يستقيم الكلام مع البيتين السابقين، إلا إذا كان يعني أن كليهما من أم فارسية، أو أن أم النوار عربية من خراسان.

[6]الأدمة: من الأديم، و هو الجلد الأحمر، البجادي: نوع مخطط من الأكسية العربية.

[7]الججاج: جمع ججاج، و هو السيد الكريم.

[8]الذلاذل: أسافل القميص الطويل. و في ب، ف: كأن ابن قتره.

قيامًا ينظرون إلى سعيد # كأنهم يرون به هلالاً

فقال له: يا أبا عبد الملك إنك من بينهم صافن [1]، فحقد عليه مروان ذلك، و لم تطل الأيام حتى عزل سعيد، و ولي مروان فلم يجد على الفرزدق متقدماً [2] حتى قال قصيدته التي قال فيها: /

هما دلتاني من ثمانين قامة # كما انقضّ باز أقتم الريش كاسره

فلما استوت رجلاي في الأرض قالتا # أحيّ يرّجى أم قتيل نحاذره

فقلت: ارفعا الأمراس لا يشعروا بنا # و أقبلت في أعقاب ليل أبادره [3]

أبادر بؤابن لم يشعروا بنا # و أحمر من ساج تلوح مسامره [4]

فقال له مروان: أ تقول هذا بين أزواج رسول الله صلى الله عليه و سلم، أخرج عن المدينة فذلك قول جرير: تدليت تزني من ثمانين قامة # و قصرت عن باع الندى و المكارم [5]

أخبرنا [6] ابن دريد، قال: أخبرنا الرياشي، عن محمد بن سلام، قال:

رواية أخرى للخبر السابق

:

دخل الفرزدق المدينة هاربا من زياد، و عليها سعيد بن العاص بن أمية بن عبد شمس أميرا من قبل معاوية، فدخل على سعيد، و مثل بين يديه، و هو معتم [7]، و في مجلس سعيد الحطيئة و كعب بن جعيل التغلبي، و صاح الفرزدق: أصلح الله الأمير، أنا عائد بالله و بك، أنا رجل من تميم، ثم أحد بني دارم، أنا الفرزدق بن غالب، قال: فأطرق سعيد مليّا، فلم يجبه، فقال الفرزدق: رجل لم يصب دما حراما، و لا مالا حراما، فقال سعيد: إن كنت كذلك فقد أمنت، فأنشده: /

إليك فررت منك و من زياد # و لم أحسب دمي لكما حلالا [8]

و لكنّي هجوت و قد هجاني # معاشر قد رضخت لهم سجالا [9]

فإن يكن الهجاء أحلّ فتلي # فقد قلنا لشاعرهم و قالا

[1] صفن الرجل: صف قدميه، كأنه يريد أن يقول له: إنك من بينهم لست واقفا فحسب، بل حسن الوقوف منتصب القامة، بدليل غضبه عليه.

[2] لم يجد على الفرزدق متقدما، أي سببا يستقدم من أجله ليحاكم، و في بعض الأصول «مقدما» بدل «متقدما» .

[3]الأمراس: الحبال، و قد جاء في ب بدل هذا البيت و ما بعده.

فقلت ارفعوا الأسباب لا يشعروا بنا # و أحمر من ساج تلوح مسامره

و التصويب من هد «و المختار» .

[4]و أحمر من ساج: يريد الباب.

[5]في هد:

«و قصرت عن باع العلا و المكارم»

[6]هذا الخبر-على طوله-ساقط من الأصول، و لكنه مثبت عند ابن سلام، «و المختار» ح 8 ص 115 و ما بعدها.

[7]كذا في «المختار» ، و عند ابن سلام: «و هو معهم» .

[8]كذا في «المختار» ، و في الأصول: ضللا.

[9]رضخت لهم، من قولهم: رضخت التيوس إذا أخذت في النطاح، أي أخذت أساجلهم النطاح.

أرقت فلم أنم ليلا طويلا # أراقب هل أرى التّسرين زالا[1]
 عليك بني أمية فاستجرهم # و خذ منهم لما تخشى حبالا
 فإنّ بني أمية في قريش # بنوا لبيوتهم عمدا طوالا
 ترى الغرّ الجحاح من قريش # إذا ما الأمر في الحدّان غالا
 قياما ينظرون إلى سعيد # كأنهم يرون به هلالا

قال: فلما قال هذا البيت، قال الحطيئة لسعيد: هذا والله الشعر، لا ما كنت تعلل به منذ اليوم، فقال كعب بن جعيل: فضلت على نفسك[2]، فلا تفضله على غيرك، قال: بلى والله إنه ليفضلني وغيري، يا غلام، أدركت من قبلك، و سبقت من بعدك، و لئن طال عمرك لتبرزنّ.

ثم عبث الحطيئة بالفرزدق، فقال: يا غلام، أنجدت أمك؟ قال: لا بل أبي، أراد الحطيئة: إن كانت أمك أنجدت فقد أصبتها فولدتك إذ شابهتني في الشعر، فقال الفرزدق: لا بل أبي[3]، فوجده لقنا.

بينه و بين مخنث

:

أخبرني ابن دريد قال: قال لنا أبو حاتم: قال الأصمعي:
 /و من عبثات الفرزدق أنه لقي مخنثا فقال له: من أين راحت عمتنا؟
 فقال له المخنث: نفاها الأعر بن عبد العزيز يريد قول جرير: نفاك الأعرّ ابن
 عبد العزيز # و حقك تنفى من المسجد

جرير يعترف له بالغبلة

:

أخبرنا ابن دريد عن الرياشي، عن النضر بن شميل قال: قال جرير: ما قال لي ابن القين بيتا إلا و قد اكتفأته، أي قلبته إلا قوله: ليس الكرام بناحليك أباهم # حتى يرد إلى عطية تعتل[4]
 /فإني لا أدري كيف أقول فيها.

جرير يلقبه بالعزير

:

و أخبرني ابن دريد قال: حدثنا السكن بن سعيد، عن محمد بن عباد، عن ابن الكلبي، عن عوانة بن الحكم، قال: بينما جرير واقف في المربد و

قد ركبہ الناس و عمر بن لجأ مواقفه[5]فأنشده عمر جواب قوله:
[1]النسرین: کوکبان.

[2]إنما فضله الحطيئة على نفسه لقوله لسعيد: هذا هو الشعر، لا ما
كنت تعلق به منذ اليوم، أي لا ما كنت تتساقاه في هذا اليوم، و كان بين ما
روى في هذا اليوم من الشعر شعر الحطيئة نفسه، و من هنا جاء التفضيل.
[3]يريد الفرزدق أن أباه هو الذي أنجد، فوقع على أم الحطيئة فجاء به
شبيها له في الشعر.

[4]و هذا البيت في خبر سابق في الترجمة نفسها.

[5]ب: «مواقفه» .

يا تيم تيم عدِّي لا أبا لكم # لا يقذفنكم في سوءة عمر
أ حين صرت سماما يا بني لجأ # و خاطرت بي عن أحسابها مضر[1]

فقال عمر جواب هذا:

لقد كذبت و شرّ القول أكذبه # ما خاطرت بك عن أحسابها مضر
أ لست نزوة خوار على أمة؟ # لا يسبق الحلبات اللؤم و الخور[2]

/و قد كان الفرزدق رفته بهذين البيتين في هذه القصيدة، فقال جرير
لما سمعها: قبحا لك يا بن لجأ، أ هذا شعرك، كذبت و الله و لو مت[3]، هذا
شعر حنظلي، هذا شعر العزيز[4] يعني الفرزدق فأبلس عمر فما ردّ جوابا.

يلقب جريرا بالقرم

:

و خرج غنيم بن أبي الرّقراق حتى أتى الفرزدق، فضحك، و قال: إيه يا
بن أبي الرقراق، و إن عندك لخبرا، قلت: خزي أخوك ابن قتب، فحدثته،
فضحك، حتى فحص برجليه، ثم قال في ساعته: و ما أنت إن قرما تميم
تساميا # أأخا التّيم إلا كالوشيفة في العظم[5]

فلو كنت مولى الظلم أو في ثيابه # ظلمت و لكن لا يدي لك بالظلم[6]

فلما بلغ هذان البيتان جريرا قال: ما أنصفتني في شعر قط قبل هذا
يعني قوله: ... إن قرما تميم تساميا

يغتصب شعر الشعراء

:

أخبرنا ابن دريد قال: أخبرنا الرياشي قال:

كان الفرزدق مهيبا تخافه الشعراء، فمر يوما بالشمردل، و هو ينشد
قصيدته حتى بلغ إلى قوله: و ما بين من لم يعط سمعا و طاعة # و بين
تميم غير حرّ الغلاصم[7]

/قال: و الله لتتركنّ هذا البيت أو لتتركنّ عرضك، قال: خذه على كره
مني، فهو في قصيدة الفرزدق التي أولها قوله: تحنّ بزوراء المدينة ناقتي
[1]خاطرت: رافعت، و لعل متعلق الظرف «حين» في أبيات تالية لم

تذكر.

[2] الحلبات جمع حلبة بمعنى الميدان، و في هج: أ لست نزوة خوار على أمة # لا تسبق الخلتان اللؤم و الخور؟
و كأنه يعني بالخوار أباه و بالأمة أمه.

[3] «و لومت» كذا بالأصل، و نرجح أنها تحريف «و لؤمت» من اللؤم.

[4] في رواية أخرى «هذا شعر الفريد» بالفاء، و في رواية ثالثة: «هذا شعر القريد» بالقاف، و كأنه تصغير قرد.

[5] في الأصل «العزم» بدل «العظم» و لا معنى له، و التصويب من هد، هج، الوشيطة: شظية زائدة في أصل العظم.

[6] لا يدي لك بالظلم: لا قدرة لك عليه، و إنما حذف النون من يدين لتقدير إضافتها إلى كاف لك، كما قالوا في
«لا أبا لك»

و في

«يا أبا من لا أبا له»

[7] الغلاصم: جمع غلصمة، و هي رأس الحلقوم، أو اللحم بين الرأس و العنق.

قال: و كان الفرزدق يقول: خير السرقة ما لا يجب فيه القطع يعني سرقة الشعر.

أخبرنا ابن دريد عن أبي حاتم، عن أبي عبيدة، عن الضحاك بن بهلول الفقيمي قال: بينما أنا بكازمة و ذو الرمة ينشد قصيدته التي يقول فيها:

أ حين أعادت بي تميم نساءها # و جرّدت تجريد اليماني من الغمد

إذا راكبان قد تدلّيا من نعف كازمة متقنعان، فوقفا، فلما و فرغ ذو الرمة حسر الفرزدق عن وجهه، و قال: يا عبيد، اضممها إليك-يعني راويته-و هو عبيد أخو بني ربيعة ابن حنظلة، فقال ذو الرمة: نشدتك الله يا أبا فراس إن فعلت، قال: دع ذا عنك، فانتحلها في قصيدته و هي أربعة أبيات: أ حين أعادت بي تميم نساءها # و جرّدت تجريد اليماني من الغمد

و مدت بضبعي الرّباب و مالك # و عمرو، و شالت من ورائي بنو سعد[1]

/و من آل يربوع زهاء كأنه # دجى الليل محمود التكاية و الورد[2]

و كئا إذا الجبار صغر خده # ضربناه فوق الأنثيين على الكردي[3]

يحوز السبق في الفخر

:

أخبرنا ابن دريد قال: أخبرنا أبو حاتم، عن أبي عبيدة قال:

/اجتمع الفرزدق، و جرير و كثير و ابن الرّاقع عند سليمان بن عبد الملك، فقال: أنشدونا من فخركم شيئا حسنا، فبدرهم الفرزدق، فقال: و ما قوم إذا العلماء عدّت # عروق الأكرمين إلى التراب[4]

بمختلفين إن فضّلتونا # عليهم في القديم و لا غضاب

و لو رفع السحاب إليه قوما # علونا في السماء إلى السحاب

فقال سليمان: لا تنطقوا، فو الله ما ترك لكم مقالا.

يتعصب لابنته مكية

:

أخبرنا عبد الله بن مالك قال: حدثنا محمد بن عمران الضبي، عن سليمان بن أبي سليمان الجوزجاني قال: غاب الفرزدق فكتبت النوار تشكو إليه مكية[5] و كتب إليه أهله يشكون سوء خلقها و تبدّيا عليهم فكتب

إليهم: [1] بضبعي: تثنية ضبع، و هو ما بين الإبط إلى منتصف العضد من أعلاها، و مدت بضبعي: أعانتني، و الرباب و مالك و عمرو و بنو سعد: قبائل.

[2] الزهاء: العدد الكثير، و المراد بالورد ورد دم الحروب.

[3] الأثنيان: الأذنان، الكرد: العنق، أو أصل العنق، صعر خده: أماله صلفا و تكبرا. و في «المختار»: «ضربناه حتى يستقيم على الكرد»

[4] يريد بقوله: إلى التراب الكرام السالفين الذين أصبحوا عظما رميما.

[5] مكية: هي ابنة الفرزدق، كما تقدم. -

كتبتم عليها أنها ظلمتكم # كذبتم و بيت الله بل تظلمونها
 فإلا تعدّوا أنها من نساءكم # فإن ابن ليلى والد لا يشينها[1]
 وإن لها أعمام صدق و أخوة # و شيخا إذا شاءت تنمر دونها[2]

يعقه ابنه

:

قال: و كان للفرزدق ثلاثة أولاد يقال لواحد منه لبطة، و الآخر حبطة، و الثالث، سبطة، و كان لبطة من العققة فقال له الفرزدق: أ إن أرعشت كفاً أبيك و أصبحت # يداك يدي ليث فإنك جادبه

إذا غالب ابن بالشباب أبا له # كبيرا فإن الله لا بدّ غالبه
 / رأيت تباشير العقوق هي التي # من ابن امرئ ما إن يزال يعاتبه[3]
 و لما رأني قد كبرت و أنني # أخو الحي و استغنى عن المسح شاربه[4]
 أصاخ لغربان التّجّيّ و إنه # لأزور عن بعض المقالة جانبه[5]

قال[6] أبو عبيدة في «كتاب النقائص»: قال رؤبة بن العجاج: حج سليمان بن عبد الملك، و حجت معه الشعراء، فمر بالمدينة منصرفاً، فأتي بأسرى من الروم نحو أربعمائة، فقعده سليمان، و عنده عبد الله بن حسن بن حسن-عليهم السلام- و عليه ثوبان ممصّران[7]، و هو أقربهم منه مجلساً، فأدنوا إليه بطريقهم، و هو في جامعة[8]، فقال لعبد الله بن حسن: قم، فاضرب عنقه فقام، فما أعطاه أحد سيفاً، حتى دفع إليه حرسيّ سيفاً كليلاً، فضربه، فأبان عنقه و ذراعه، و أطرن[9] ساعده و بعض الغلّ، فقال له سليمان: و الله ما ضربته بسيفك و لكن بحسبك، و جعل يدفع الأسرى إلى الوجوه، فيقتلونهم، حتى دفع إلى جرير رجلاً منهم، فدست إليه بنو عبس سيفاً قاطعاً في قراب أبيض، فضربه، فأبان رأسه، و دفع إلى الفرزدق أسير، فدست إليه القيسيّة سيفاً كليلاً، فضرب به الأسير ضربات، فلم يصنع شيئاً، فضحك سليمان و ضحك الناس معه. و قيل: إن سليمان لما دفع إليه الأسير دفع إليه سيفاً، و قال: اقتله به، فقال: لا، بل أقتله بسيف مجاشع[10]، و اخترط سيفه، فضربه، فلم يغن شيئاً، فقال سليمان: أما و الله لقد بقى عليك عارها و شئارها، فقال جرير قصيدته التي يهجوها فيها، و أولها: [1] في البيت أقواء.

[2] يريد بالشيخ نفسه.

[3] يقول: إن تباشير العقوق بدأت من ابنه له بكثرة العتاب أولاً.

[4] أخو الحي: لعله يقصد أنه هرم فأصبح ملازماً للحي، و يريد بقوله: استغنى عن المسح شاربه أنه استوى و بلغ أشده، كأن الطفل يحتاج إلى من يمسخ له شاربه من أثر الطعام و شرب اللبن و نحو ذلك.

[5] غربان النجي: قرناء السوء، و في بعض النسخ: «عربان» بالياء المثناة، و قد أثرنا ما أثبتناه على تشبيه قرناء السوء بالغربان، أزور: معرض، يريد أنه يصغي لقرناء السوء، و لا يعير نصائحه هو التفاتاً.

[6] ورد في «المختار» من أول هذا الخبر إلى صفحة 330 و لم تشر إليه الأصول التي بأيدينا.

[7] ممصران: مصبوغان بصيغ أصفر.

[8] جامعة: قيد يجمع اليدين إلى الرجلين.

[9] أطن: قطع.

[10] مجاشع: أحد أجداد الفرزدق.

ألا حيي ريع المنزل المتقادم # و ما حلّ مذ حلّت به أمّ سالم

منها:

ألم تشهد الجونين و الشّعب ذا الغضى # و كزّات قيس يوم دير الجماجم؟ [1]

تحرّض يا بن القين قيسا ليجعلوا # لقومك يوما مثل يوم الأراقم [2]

بسيف أبي رغوان سيف مجاشع # ضربت و لم تضرب بسيف ابن ظالم [3]

ضربت به عند الإمام فأرعشت # يداك و قالوا: محدث غير صارم

فقال الفرزدق يجيب جريرا عن قوله:

و هل ضربة الرّوميّ جاعلة لكم # أبا عن كليب أو أبا مثل دارم [4]

كذاك سيوف الهند تنبو ظباتها # و تقطع أحيانا مناط التمام [5]

و لا تقتل الأسرى و لكن نفكّهم # إذا أثقل الأعناق حمل المغارم

و قال يعرّض بسليمان، و يعيّرهُ نبوّ سيف و رقاء بن زهير العبسي عن
خالد بن جعفر، و بنو عبس هم أخوال سليمان: /

فإن يك سيف خان أو قدر أبي # بتعجيل نفس حتفها غير شاهد [6]

فسيف بني عبس و قد ضربوا به # نبا بيدي و رقاء عن رأس خالد [7]

كذاك سيوف الهند تنبو ظباتها # و تقطع أحيانا مناط القلائد

و أولها:

تباشر يربوع بنبوة ضربة # ضربت بها بين الطّلا و المحارذ [8]

و لو شئت قد السيف ما بين عنقه # إلى علق بين الحجاين جامد [9]

و قيل: إن الفرزدق قال لسليمان: يا أمير المؤمنين، هب لي هذا
الأسير، فوهبه له، فأعتقه، و قال الأبيات التي منها: [1] الجونان: عمرو و
معاوية ابنا الجون، و يوم دير الجماجم يوم مشهور كان بين محمد بن
الأسقف الخارج على بني أمية و جيوش بني أمية.

[2] يوم الأراقم كان بين قيس و بني تغلب.

[3] أبو رغوان: كنية مجاشع جد الفرزدق، و ابن ظالم: الحارث بن
ظالم من فتاك العرب المشهورين، و كان له سيف ماض يسمى ذا الحيات.

[4] كليب: جد جرير، و دارم: جد الفرزدق.

[5] ظباتها: جمع ظبة: حد السيف، مناط التمام: كناية عن الأعناق.

[6]حتفها غير شاهد: لم يحن ميعاد أجلها بعد.

[7]يشير إلى مقتل زهير بن جذيمة حينما اعتنقه خالد بن جعفر، فحاول ورقاء قتل خالد، فنها سيفه.

[8]تباشر: أصله تتباشر، و يربوع: قبيلة جرير، الطلا: الأعناق، و المحارد: مفاصل الأعناق.

[9]العلق: ما تجمد من الدم.

و لا نقتل الأسرى و لكن نفكهم # إذا أثقل الأعناق حمل المغارم

ثم أقبل على راويته، فقال: كأني بابن المراغة، و قد بلغه خبري، فقال:
بسيف أبي رغوان سيف مجاشع # ضربت و لم تضرب بسيف ابن ظالم

ضربت به عند الإمام فأرعشت # يداك و قالوا محدث غير صارم

فما لبثنا إلا أياما يسيرة، حتى جاءتنا القصيدة، و فيها البيتان، فعجبنا
من فطنة الفرزدق: و قال أيضا في ذلك:

أ يعجب الناس أن أضحكت خيرهم # خليفة الله يستسقى به المطر

/فما نبا السيف عن جين و عن دهش # عند الإمام و لكن أحر القدر

و لو ضربت به عمدا مقلده # لخرّ جثمانه ما فوقه شعر[1]

و ما يقدّم نفسا قبل ميبتها # جمع اليمين و لا الصمصامة الذكر[2]

من شعره في سجنه

:

و أخبرني عبد الله بن مالك قال: حدثنا محمد بن حبيب، عن أبي
عبيدة، قال: هجا الفرزدق خالدا القسريّ و ذكر المبارك: النهر الذي حفره
بواسط، فبلغه ذلك، و كتب خالد إلى مالك بن المنذر أن احبس الفرزدق
فإنه هجا نهر أمير المؤمنين بقوله: و أهلكت مال الله في غير حقه # على
نهرك المشئوم غير المبارك

الأبيات، فأرسل مالك إلى أيوب بن عيسى الصّبّي، فقال: ائتني
بالفرزدق، فلم يزل يعمل فيه حتى أخذه، فطلب إليهم أن يمروا به على بني
حنيفة، فقال الفرزدق: ما زلت أرجو أن أنجو حتى جاوزت بني حنيفة، فلما
قيل لمالك: هذا الفرزدق انتفخ وريد مالك غضبا، فلما أدخل عليه قال: أقول
لنفسي حين غصت بريقها # ألا ليت شعري مالها عند مالك؟

لها عنده أن يرجع الله روحها # إليها و تنجو من جميع المهالك[3]

و أنت ابن حباري ربيعة أدركت # بك الشمس و الخضراء ذات الحباثك[4]

/فسكن مالك، و أمر به إلى السجن، فقال يهجو أيوب بن عيسى
الصّبّي: فلو كنت قيسيا إذا ما حبستني # و لكن زنجيا غليظا مشافره[5]

[1] ما فوقه شعر: كناية عن انفصال الرأس الذي هو موضع الشعر عن

الجسد.

[2]الصمصامة: السيف الذي لا يثنيه الضراب، و هو أيضا اسم سيف عمرو بن معد يكرب الزبيدي البطل المعروف، و إلى هنا ينتهي ما في «المختار» .

[3]في هد، هج:

«عظيم المهالك»

بدل

«جميع المهالك»

و سكن واو «تنجو» للضرورة.

[4]الذي نرجحه أن «جباري» تصحيف «جباري» بالجيم لا بالحاء، و أنه يشير إلى جدين بارزين من أجداده، و في هد، هج «أدركا» بدل «أدركت» و الخضراء: السماء، و الحياثك: جمع حبيكة، و هي مسير النجم، و منه قوله تعالى: **وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ** .

[5]في هد و هج: «ضيبا» بدل «قيسيا» و خبر لكن محذوف تقديره أنت، أو الأصل: و لكنك كنت زنجيا... إلخ.

متت له بالرحم بيني و بينه # فألفيته مني بعيدا أوأصره[1]
 و قلت: امرؤ من آل ضبة فاعتزى # لغيرهم لون استه و محاجره[2]
 فسوف يرى النوبي ما اجترحت له # يداه إذا ما الشعر عيبت نوافره[3]
 ستلقي عليك الخنفساء إذا فست # عليك من الشعر الذي أنت حاذره[4]
 و تأتي ابن رب الخنفساء قصيدة # تكون له مني عذابا يباشره
 تعذرت يا بن الخنفساء و لم تكن # لتقبل لابن الخنفساء معاذره
 فإنكما يا بني يسار نزوتما # على ثفرها ما حن للزيت عاصره[5]
 لزنجة بظراء شقق بظرها # زحير بأيوب شديد زوافره[6]
 ثم مدح خالد بن عبد الله و مالك بن المنذر و هو محبوس مديحا كثيرا،
 فأنشدني يونس في كلمة له طويلة.

/

يا مال هل هو مهلكي ما لم أقل # و ليعلمن من القصائد قبلي[7]
 يا مال هل لك في كبير قد أتت # تسعون فوق يديه غير قليل
 فتجير ناصيتي و تفرج كربتتي # عني و تطلق لي يداك كبولي
 و لقد بنى لكم المعلى ذروة # رفعت بناءك في أشم طويل
 و الخيل تعلم في جذيمة أنها # تردى بكل سميدع بهلول[8]
 فاسقوا فقد ملأ المعلى حوضكم # بذنوب ملتهم الرباب سجيل[9]
 [10] و قال يمدح مالكا و كانت أم مالك هذا بنت مالك بن مسمع:
 و قرم بين أولاد المعلى # و أولاد المسامعة الكرام
 تخمط في ربيعة بين بكر # و عبد القيس في الحسب اللهم[10]

فلما لم تنفعه مديحة مالك، قال يمدح هشام بن عبد الملك، و يعتذر
 إليه: ألكني إلى راعي البرية و الذي # له العدل في الأرض العريضة
 نورا[11]

[1]مت إليه: انتسب، الرحم: الصلة و القرابة، يجوز فيه إسكان الحاء
 مع تشديد الراء و كسرهما أو فتحها.

[2]يقول: ظننته ضيبا فإذا عيناه و لون بشرته تنم على أنه نوبي لا

ضبي.

[3] إذا ما الشعر عيت نوافره: إذا استعصى على غيري فإنه لا يستعصي علي.

[4] في هد، هج: «التي فست» بدل «إذا فست» و يريد بالخنفساء أمه.

[5] الثفر: مسلك القضيب في المرأة، يقول: من ثفرها خرجتما و عليه نزوتما، كما يشرب الزيت من يعصره.

[6] الزنجية خبر ثان لأنكما في البيت السابق، بطراء: طوبلة البظر، الزحير: أنين المرأة عند المخاض، و أيوب هو ابن عيسى الذي يهجو.

[7] مال: مرخم مالك، و هو ضمير الشأن، أو عائد على «ما» الموصولة بعده، قبلي: بمعنى قولي نائب فاعل «يعلمن» .

[8] تردى: تضرب الأرض بحوافرها، السמידع: السيد الكريم، البهلول: السيد الجامع لكل خير.

[9] الذنوب: الدلو، و الرباب: السحاب الأبيض، السجيل: العظيم من الدلاء، بذنوب: متعلق بقوله: فاسقوا، لا بقوله: ملأ.

(10-10) من «المختار» و تخمط، أصله تتخمط بمعنى تتكبر و تتعالى، الحسب اللهام: الذي يلتهم كل حسب غيره، و يغطى عليه.

[11] ألكني: أحمل عني ألوكة؛ رسالة.

فإن تنكروا شعري إذا خرجت له # بوادر لو يرمى بها لتفقرًا [1]
 ثبير و لو مست حراء لحزكت # به الراسيات الصم حتى تكورا [2]
 /إذا قال غاو من معدّ قصيدة # بها حرب كانت وبالا مدمرا [3]
 أ ينطقها غيري و أرمى بجرمها # فكيف ألوم الدهر أن يتغيرا
 لئن صبرت نفسي لقد أمرت به # و خير عباد الله من كان أصبرا
 و كنت ابن أحذار و لو كنت خائفا # لكنت من العصماء في الطود أحذرا [4]
 و لكن أتوني آمنا لا أخافهم # نهارا و كان الله ما شاء قدرا

أخبرني أبو خليفة، عن محمد بن سلام قال: حدثني أبو يحيى قال:

قال الفرزدق لابنه لبطة و هو محبوبس اشخص إلى هشام، و أمدحه
 بقصيدة، و قال: استعن بالقيسية، و لا يمنعك قولي فيهم فإنهم سيغضبون
 لك و قال: بكت عين محزون ففاض سجامها # و طالت ليالي ساهر لا
 ينامها

فإن تبك لا تبك المصيبات إذ أتى # بها الدهر و الأيام جمّ خصامها [5]
 و لكنما تبكي تهتك خالد # محارم منّا لا يحل حرامها
 فقل لبني مروان: ما بال ذمة # و حرمة حقّ ليس يرعى ذمامها
 أ نقتل فيكم أن قتلنا عدوكم # على دينكم و الحرب باق قتامها [6]
 أتاك بقتل ابن المهلب خالد # و فينا بقيات الهدى و إمامها [7]
 فغير-أمير المؤمنين-فإنها # يمانية حمقاء و أنت هشامها [8]
 أرى مضر المضرين قد ذلّ نصرها # و لكن عسى أن لا يذلّ شأمها [9]
 /فمن مبلغ بالشام قيسا و خندفا # أحاديث ما يشفى ببراء سقامها
 أحاديث منا نشتكها إليهم # و مظلمة يغشى الوجوه قتامها
 فإن من بها لم ينكر الصيم منهم # فيغضب منها كهلها و غلافها [10]

[1] جواب الشرط إذا خرجت له، نائب فاعل يرمي «ثبير» في البيت
 التالي، تفقر، تقسم فقرا.

[2] تكور: تهدم، و صار كالكرة، ثبير و حراء: جيلان معروفان.

[3] الحرب: الويل و الهلاك، و يريد بقوله: كانت وبالا أنها وبال عليه هو
 بدليل البيت التالي.

[4] و كنت ابن أذار: ابن حزم و تحرز، العصماء: التي في جسمها بياض، يقصد الطيور العصماء، يريد أنه خدع، و أخذ على غرة.

[5] جواب الشرط «لا تبك» و تنمة معنى البيت فيما يليه، و محارم في البيت التالي مفعول لتهتك.

[6] على دينكم متعلق بقتلنا، و المعنى أ نقتل إن قتلنا عدوكم سائرين على مذهبكم؟.

[7] أتاك. في س: «أثار» و كأنه تخفيف «أثار» بمعنى اطلب الأثر.

[8] يحض الخليفة على عزل خالد القسري، و يشير إلى أنها حركة يمانية ضد المضربة.

[9] لعله يريد بالمضرين الحجاز و العراق، و يستعدي المضربين في الشام. و فيهم الخلافة-على اليمانيين.

[10] «من» فاعل لفعل محذوف تقديره «فإن لم ينكر من بها الضيم، و ضمير بها يعود على الشام» .

نمت مثلها من مثلهم و تنكّلوا # فيعلم أهل الجور كيف انتقامها[1]
 بغلباء من جمهورنا مضرّبة # يزايل فيها أذرع القوم هامها[2]
 و بيض على هام الرجال كأثها # كواكب يحولها لسار ظلامها
 غضبنا لكم يا آل مروان فاغضبوا # عسى أنّ أرواحا يسوغ طعامها
 و لا تقطعوا الأرحام منا فإنها # ذنوب من الأعمال يخشى أاثها[3]
 أ لم تك في الأرحام مئا و منكم # حواجز أيام عزيز مرامها
 فترعى قريش من تميم قرابة # و نجزي بأيام عزيز مرامها
 لقد علمت أبناء خندف أننا # ذراها و أنا عرّها و سنامها
 و قد علم الأحياء من كل موطن # إذا عدّت الأحياء أنا كرامها
 و أنّا إذا الحرب العوان تصرّمت # نليها إذا ما الحرب شبّ ضرامها
 قوام قوى الإسلام و الأمر كلّه # و هل طاعة إلا تميم قوامها
 /تميم التي تخشى معدّ و غيرها # إذا ما أبي أن يستقيم همامها[4]
 إلى الله تشكو عرّنا الأرض فوقها # و تعلم أنا ثقلها و غرامها
 شكتنا إلى الله العزيز فأسمعت # قريبا، و أعياء من سواه كلامها
 نصول بحول الله في الأمر كلّه # إذا خيف من مصدوعة ما التأمها[5]

فأعانتة القيسية و قالوا: كلما كان ناب من مضر أو شاعر أو سيد وثب عليه خالد.

و قال الفرزدق أبياتا كتب بها إلى سيد بن الوليد الأبرش و كلم له هشاما: إلى الأبرش الكلبيّ أسندت حاجة # تواكلها حيّا تميم و وائل[6]
 على حين أن زلت بي النعل زلّة # فأخلف ظنّي كلّ حاف و ناعل
 فدونكها يا بن الوليد فإنها # مفصّلة أصحابها في المحافل[7]

[1]

«نمت مثلها من مثلهم»

: تفاقمت ثورة أخرى منهم، و في رواية

«تعد مثلها من مثلهم»

و على كل فالفعل جواب الشرط في البيت المتقدم، و تنكّلوا: عطف على الشرط في البيت السابق

«لم ينكر الضيم»

و المعنى: إن لم تنكروا الضيم، و تنكلوا بهم شبت لهم ثورة أخرى، و الضمير في انتقامها يعود على المضربة المفهومة من المقام، و المراد بأهل الجود: اليمانية، و في البيتين التواء ظاهر.

[2] بغلباء: بكتيبة غلباء، أو بحرب غلباء: كثيرة العدد، متعلق بقوله: «تنكلوا» في البيت السابق، أي إن لم تؤدبوهم بكتيبة غلباء... إلخ.

[3] الأثام: جزاء الإثم، و ضمير إنها يعود على القطيعة المفهومة من قوله: «و لا تقطعوا الأرحام»

[4] في ألفاظ هذا البيت خلط و اضطراب بين مختلف النسخ و قد آثرنا ما أثبتناه منها، و هو الذي يستقيم معه المعنى، و عائد الموصول «التي» محذوف تقديره «تميم التي تخشاها معد و غيرها» .

[5] ما صفة مصدوعة، التثام: نائب فاعل «خيف» و في الكلام قلب، و كان القياس

«إذا خيف من ملتئمة تصدعها»

فينبغي أن يكون في العبارة مضاف محذوف و التقدير: إذا خيف من مصدوعة ما عدم التثامها حتى يستقيم المعنى.

[6] حيا: تشية حي محذوف النون للإضافة.

[7] هذه رواية هج «فدونكها» و هي أصح أي فخذها و قم بها، و الضمير للحاجة و يريد بقوله: «مفضلة أصحابها في المحافل»

أن

و دونكها يا بن الوليد فقم بها # فقام امرئ في قومه غير حامل

فكلم هشاما و أمر بتخليته فقال يمدح الأبرش: /

لقد وثب الكلبى وثبة حازم # إلى خير خلق الله نفسا و عنصرا

إلى خير أبناء الخليفة لم يجد # لحاجته من دونها متأخرا

أبى حلف كلب في تميم و عقدها # كما سنت الآباء أن يتغيرا

/و كان هذا الحلف حلفا قديما بين تميم و كلب في الجاهلية، و ذلك قول جرير بن الخطفى في الحلف: تميم إلى كلب و كلب إليهم # أحقّ و أدنى من صداء و حميرا

و قال الفرزدق:

أشدّ حبال بين حيين مرّة # حبال أمّرت من تميم و من كلب[1]

و ليس قضاعى لدينا بخائف # و لو أصبحت تغلي القدور من الحرب

و قال أيضا:

ألم تر قيسا قيس عيلان شمّرت # لنصري و حاطتني هناك قرومها

فقد حالفت قيس على النأي كلّهم # تميما فهم منها و منها تميمها[2]

و عادت عدوّي إن قيسا لأسرتي # و قومي إذا ما الناس عدّ صميمها

شرطيان يعبشان به

:

أخبرني ابن دريد: قال حدثني أبو جاتم، عن أبي عبيدة، قال: بينما الفرزدق جالس بالبصرة أيام زياد في سكة ليس لها منفذ إذ مرّ به رجلان من قومه كانا في الشرطة و هما راكبان، فقال أحدهما لصاحبه: هل لك أن أفزعه- و كان جبانا- فحرّكا دابّتيهما نحوه فأدبر موليا فعثر من طرف برده فشقه، و انقطع شسع نعله، و انصرفا عنه، و عرف أنهما هزئا منه فقال: لقد خار إذ يجري عليّ حماره # ضرار الخنا و العنبري بن أخوقا[3]

و ما كنت لو خوّفتماني كلاكما # بأميكما عريانتين لأفرقا

/و لكنما خوّفتماني بخادر # شتيم إذا ما صادف القرن مرّقا[4]

حديثه مع توبة و ليلى الأخيلية

:

أخبرني عبد الله بن مالك، قال: حدثنا محمد بن موسى، قال: حدثنا القحذمي عن بعض ولد قتيبة بن مسلم أصحاب هذه الحاجة قوم كرام، يعني نفسه.

[1] المرة: إحكام القتل.

[2] المصراع الثاني منقول عن هد، و في ب

«لأسرى لقومي قيسها و تميمها»

و لا معنى له.

[3] لا موضع للخور هنا، و نرجح أن «خار» تحريف «خاب» و ضرار و ابن أخوق: الشرطيان اللذان سخرا به.

[4] الخادر الشتيم: الأسد، و أراد به حمارهما على سبيل التهكم، و في بعض النسخ بدل «مزقا» «فرقا» و في بعضها: «مرقا» .

عن ابن زالان المازنيّ، قال: حدثني الفرزدق، قال: لما طردني زياد أتيت المدينة و عليها مروان بن الحكم، فبلغه أنني خرجت من دار ابن صياد، و هو رجل يزعم أهل المدينة أنه الدجال، فليس يكلمه أحد، و لا يجالسه أحد، و لم أكن عرفت خبره، فأرسل إليّ مروان فقال: أ تدري ما مثلك؟ حديث تحدث به العرب: أن ضبعا مرت بحي قوم، و قد رحلوا، فوجدت امرأة، فنظرت وجهها فيها، فلما نظرت قبح وجهها ألفتها، و قالت: من شر ما أطرحك أهلك، و لكن من شر ما أطرحك أميرك [1]، فلا تقيمن بالمدينة بعد ثلاثة أيام، قال: فخرجت أريد اليمن، حتى إذا صرت بأعلى ذي قسيّ- و هو طريق اليمن من البصرة- فإذا رجل مقبل، فقلت: من أين أوضع الراكب [2]؟ قال: من البصرة، قلت: فما الخبر وراءك؟ قال: أتانا أن زيادا مات بالكوفة، قال: فنزلت عن راحلتي، فسجدت، و قلت: لو رجعت، فمدحت عبيد الله بن زياد، و هجوت مروان بن الحكم، فقلت: وقفت بأعلى ذي قسيّ مطيّي # أمثل في مروان و ابن زياد

/فقلت: عبيد الله خيرهما لنا # و أدناهما من رافة و سداد [3]

و مضيت لوجهي، حتى وطئت بلاد بني عقيل فوردت ما بين مياهم [4] فإذا بيت عظيم و إذا فيه امرأة سافرة لم أر كحسبها و هيئتها قط، فدنوت، فقلت: أ تأذنين/ في الظل؟ قالت: أنزل فلك الظل و القرى، فأنخت، و جلست إليها، قال: فدعت جارية لها سوداء كالراعية، فقالت: ألطفه [5] شيئا و اسعي إلى الرّاعي، فردّي عليّ شاة، فاذبحها له، و أخرجت إليّ تمرا و زبدا، قال: و حادثتها فو الله ما رأيت مثلها قط، ما أنشدتها شعرا إلا أنشدتني أحسن منه، قال: فأعجبني المجلس و الحديث إذ أقبل رجل بين بردين، فلما رآته رمت ببرقعها على وجهها، و جلس [6] و أقبلت عليه بوجهها و حديثها، فدخلني من ذلك غيظ، فقلت للحين: هل لك في الصراع؟ فقال: سواة لك [7]، إنّ الرجل لا يصارع ضيفه، قال: فألححت عليه، فقالت له: ما عليك لو لا عبت ابن عمك؟ فقام، و قمت، فلما رمى ببرده، إذا خلق عجيب، فقلت: هكلت و ربّ الكعبة، فقبض على يدي، ثم اختلجني [8] إليه، فصرت في صدره، ثم حملني، قال: فو الله ما أتّقت الأرض إلا بظهر كبدي و جلس على صدري، فما ملكت نفسي أن اضطرت ضرورة منكرا، قال: و ثرت إلى جملي فقال: أنشدك الله [9]، فقالت المرأة: عافاك الله الظل [10] و القرى، فقلت: أخزى الله ظلّمك و قراكم، و مضيت، فبينما أسير إذ لحقني الفتى على نجيب يجنب بختيا [11] برحله [1] «و لكن من شر ما أطرحك أميرك» : كلام جديد ليس من تنمة المثل، و

لعل مروان يعني أن الفرزدق كالمرآة التي ترى القبيح قبحه، و ذلك لكثرة أحاجيه و ذكره معايب الناس.

[2]يقال: أوضع الراكب الدابة: حملها على المسير.

[3]في هد:

«خيرهمو أبا و أدناهمو»

بدل

«خيرهما لنا و أدناهما»

[4]في هد، هج: «فوردت ماء من مياهم» .

[5]ألطف فلان فلانا: أتحفه و بره.

[6]في بعض النسخ: «و جلست» .

[7]سوأة لك: أتيت عملا شائنا.

[8]اختلجه: جذبه، و انتزعه.

[9]يقسم عليه ألا يرحل.

[10]تريد انتظر ما طلبته لك من الظل و القرى.

[11]في هج: يجنب نجيبا. البختي: واحد البخت، و هي الإبل

الخراسانية، و المعنى على كلا الحالين أنه لحقه بجمل فاره إلى جانبه. -

و زمامه، و كان رحله من أحسن الرجال، فقال: يا هذا، و الله ما سرني ما كان، و قد أراك أبدعت أي كلت ركابك، فخذ هذا النجيب، و إياك أن تخذع عنه، فقد و الله أعطيت به مائتي دينار قلت: نعم آخذه، و لكن أخبرني من أنت؟ و من هذه المرأة؟ قال: أنا توبة بن الحمير، و تلك ليلي الأخيلىة، /و قد أخبرني بهذا الخبر عمي.

رواية أخرى في الخبر السابق

:

قال: حدثني القاسم بن محمد الأنباري، قال: حدثني أحمد بن عبيد، عن الأصمعي، قال:

كانت امرأة من عقيل يقال لها ليلي، يتحدث إليها الشباب، فدخل الفرزدق إليها، فجعل يحدثها، و أقبل فتى من قومها، كانت تألفه، و دخل إليها فأقبلت عليه بحديثها، و تركت الفرزدق، فغاضه ذلك، فقال للرجل:

أ تصارعني؟ قال: ذلك إليك، فقام إليه الرجل فلم يلبث أن أخذ الفرزدق مثل الكرة فصرعه، و جلس على صدره، فصرط الفرزدق، فوثب عنه الرجل خجلا، و قال له الرجل: يا أبا فراس، هذا مقام العائذ بك، و الله ما أردت بك ما جرى، فقال: وبحك، ما بي أن صرعتني، و لكن كأي بابن الأتان جرير، و قد بلغه خبري هذا، فقال يهجوني:

جلسست إلى ليلي لتحطى بقربها # فخانك دبر لا يزال يخون

فلو كنت ذا حزم شددت وكاءها # كما شدّ خرتا للدّلاص قيون[1]

قالوا: فو الله ما مضت أيام حتى بلغ جريرا الخبر، فقال فيه هذين البيتين.

يقضي يوما كيوم دارة جلجل

:

أخبرنا عبد الله بن مالك، قال: حدثني محمد بن موسى، قال: حدثني القحذمي، قال: حدثني بعض أصحابنا، عن عبد الله بن زالان التميمي رواية الفرزدق، أن الفرزدق قال: أصابنا بالبصرة مطر[2] جود ليلا، فإذا أنا بأثر دوابٍ قد خرجت ناحية البرية، فظننت قوما قد خرجوا لنزهة، فقلت: خليق أن تكون معهم سفرة و شراب.

فقصت أثرهم، حتى وقفت إلى بغال عليها رحائل/موقوفة على غدير، فأغذت[3]السير نحو الغدير، فإذا نسوة مستنقعات في الماء، فقلت: لم أر كالיום قط، /و لا يوم دارة جلجل[4]، و انصرفت مستحيا منهن، فنادينني:

بالله يا صاحب البغلة، ارجع نسألك عن شيء، فانصرفت إليهن، و هن في الماء إلى حلوقهن، فقلن: بالله إلا ما خبرتنا بحديث دارة جلجل، فقلت: إن امرأ القيس كان عاشقا لابنة عم له يقال لها عنيزة، فطلبها زمانا، فلم يصل إليها، و كان في طلب عرّة من أهلها؛ ليزورها، فلم يقض له، حتى كان يوم الغدير، و هو يوم دارة جلجل، و ذلك أن الحي احتملوا[5]، فتقدم الرجال، و تخلف النساء و الخدم و الثقل[6]، فلما رأى ذلك امرؤ القيس تخلف بعد ما سار مع قومه غلوة، فكمن في غيابة من الأرض، حتى مر به النساء فإذا فتيات، و فيهن عنيزة، فلما وردن الغدير قلن: لو نزلنا فذهب عنا بعض الكلال، فنزلن إليه، و نحّين العبيد عنهن، ثم تجردن فاغتسن في الغدير، كهيتكن [1]الوكاء: الخيط الذي تربط به الصرة أو الكيس و نحوهما، الخرت: الثقب. الدلاص: الدرع اللينة، قيون: جمع قين، و هو الحداد.

[2]المطر الجود: المطر الغزير.

[3]أغذ السير: أسرع.

[4]دارة جلجل: مكان، و هو المشار إليه في معلقة امرئ القيس

بقوله:

ألا ربّ يوم لك منهن صالح # و لا سيما يوم بدارة جلجل

[5]احتملوا: رحلوا.

[6]الثقل-بفتح القاف-: المتاع.

الساعة، فأتاهن امرؤ القيس محتالا كنعو ما أتيتكن، و هن غوافل، فأخذ ثيابهن، فجمعها- و رمى الفرزدق بنفسه عن بغلته فأخذ بعض أثوابهن، فجمعها، و وضعها على صدره- و قال[1]لهن كما أقول لكن: و الله لا أعطي جارية منكن ثوبها، و لو أقامت في الغدير يومها، حتى تخرج مجردة، قال الفرزدق: فقالت إحداهن، و كانت أمجنهن: ذلك كان عاشقا لابنة عمه، أ فعاشق أنت لبعضنا؟ قال: لا و الله، ما أعشق منكن واحدة، و لكن أشتهيكن، قال: فنعرن[2]، و صفقن بأيديهن، و قلن: خذ في حديثك، فليست منصرفا إلا بما تحب، قال الفرزدق في حديث امرئ القيس: فتأبين ذلك عليه حتى تعالى النهار، ثم خشين أن يقصّرُن دون المنزل الذي أردنه، فخرجت إحداهن، فوضع لها ثوبها ناحية! فأخذته فلبسته، ثم تتابعن/على ذلك حتى بقيت عنيزة، فناشدته الله أن يطرح إليها ثوبها، فقال: دعينا منك؛ فأنا حرام[3]إن أخذت ثوبك إلا بيدك، فخرجت فنظر إليها مقبلة و مدبرة، فوضع لها ثوبها، فأخذته، و أقبلن عليه يلمنه، و يعذلنه، و يقلن: عرّيتنا، و حبستنا، و جوّعتنا، قال: فإن نحرت لكنّ مطيتي أ تأكلن منها؟ قلن: نعم، فاخترط[4]سيفه، فعقرها، و نحرها، و كشطها، و صاح بالخدم، فجمعوا له حطباً، فأجج نارا عظيمة، ثم جعل يقطع لهنّ من سنامها و أطايبها و كبدها، فيلقيا على الجمر، فيأكلن، و يأكل معهن، و يشرب من ركوة[5]كانت معه و يغنيهن، و ينبذ إلى العبيد و الخدم من الكباب، حتى شبعن، و طربن، فلما أراد الرّحيل قالت إحداهن: أنا أحمل طنفسته[6]، و قالت الأخرى: أنا أحمل رحله، و قالت الأخرى: أنا أحمل حشيتّه و أنساعه[7]، فتقسّمن متاع راحلته بينهن، و بقيت عنيزة لم يحمّلها شيئا، فقال لها امرؤ القيس: يا ابنة الكرام، لا بد لك أن تحمليني معك؛ فإنني لا أطيق المشي، و ليس من عادتني، فحملته على غارب بغيرها، فكان يدخل رأسه في خدرها، فيقبّلها، فإذا امتنعت مال حدجها[8]، فتقول: يا مرأ القيس، عقرت بعيري، فانزل، فذلك قوله: تقول و قد مال الغبيط بنا معا: # عقرت بعيري يا مرأ القيس فانزل

فلما فرغ الفرزدق من الحديث قالت تلك الماجنة: قاتلك الله، ما أحسن حديثك يا فتى/و أظرفك، فمن أنت؟ قال: قلت: من مضر، قالت: و من أيها؟ فقلت: من أيها؟ قلت: إلى هاهنا انتهى الكلام، قالت: إخالك و الله الفرزدق قلت: الفرزدق شاعر و أنا راوية، قالت: دعنا من توريتك على نسبك[9]، أسألك بالله، أنت هو؟ قال: أنا هو و الله، قالت: فإن كنت أنت هو[10]فلا أحسبك مفارقا ثيابنا إلا عن رضا، قلت: أجل، قالت: فاصرف وجهك عنا ساعة و همست إلى صويحباتها بشيء لم أفهمه،

فغططن في الماء، فتواربن، و أبدين رءوسهن، و خرجن، و مع كل واحدة منهن ملء كفيها طينا، و جعلن يتعادين نحوي، فضربن بذلك الطين [1]فاعل «قال» ضمير امرئ القيس.

[2]نعرن: صوتن بخياشيمهن أصواتا فيها غنة.

[3]العبرة في معنى القسم، أو المراد: أنا مرتكب حرام.

[4]اخترط سيفه: سله من غمده.

[5]الركوة: إناء صغير من جلد يشرب فيه الماء، أو الدلو الصغيرة.

[6]الطنفسة-بضم الطاء و الفاء، أو فتح الطاء مع كسر الفاء و فتحها، أو كسر الطاء مع فتح الفاء و كسرهما-الوسادة الصغيرة تجعل تحت الرجل.

[7]الأنساع: سيور طويلة عريضة تشد بها الحقائب و الرجال.

[8]الحدج: مركب من مراكب النساء، كالهودج و المحفة.

[9]في هج: «عن نفسك» بدل «على نسبك» .

[10]أنت هنا ليست تأكيدا للتاء، و إلا لوجب أن يقول: فإن كنت إياه. و إنما جملة «أنت هو» خبر كان.

و الحمأة[1] وجهي، و ملآن عيني و ثيابي، فوقعت على وجهي، فصرت مشغولا بعيني و ما فيها، و شددن على ثيابهن، فأخذنها، و ركبت الماجنة بغلتي، و تركتني منبطحا بأسوا حال و أخزاها و هي تقول: زعم الفتى أنه لا بد أن ينيكنا، فما زلت[2] من ذلك المكان حتى غسلت وجهي و ثيابي، و جففتها، و انصرفت عند مجيء الظلام إلى منزلي على قدمي، و بغلتي قد وجهن بها إلى منزلي مع رسول لهن، و قلن: قل له تقول لك أخواتك: طلبت منّا ما لم يمكننا، و قد وجهنا إليك بزوجتك، فنكها سائر ليلتك و هذا كسر[3] درهم لحمامك إذا أصبحت، فكان إذا حدث بهذا الحديث يقول: ما منيت بمثلهن.

يهجو من يرثي زيادا

:

أخبرني عبد الله بن مالك، قال: حدثنا أبو مسلم الحرّاني، قال: حدثني الأصمعي، قال: حدثنا العلاء بن أسلم، قال: /لما مات زياد رثاه مسكين الدرامي، فقال الفرزدق: أمسكين أبكى الله عينيك إنما # جرى في ضلال دمعها إذ تحدّرا

بكيت امرأ من آل ميسان كافرا # ككسرى على عدّانه أو كقيصرا[4]

أقول له لَمّا أتاني نعيّه # به لا بطبي بالصّريمة أعفرا[5]

يهجو و يمدح آل المهلب

:

أخبرنا عبد الله بن مالك، عن أبي مسلم الحرّاني، قال: حدثنا الأصمعي، قال: حدثنا العلاء بن أسلم، قال: لما أراد المهلب الخروج إلى الأزارقة[6] لقي الفرزدق جريرا، فقال له: يا أبا فراس، هل لك أن تكلم المهلب، حتى يضع عني البحث، و أعطيك ألف درهم، فكلم المهلب، فأجابه فلامه جذيع، رجل من عشيرته، و شكّا ذلك إلى خيرة امرأة المهلب و قال لها: لا يزال الآن الرجل يجيء فيسأل في عشيرته و صديقه، فلامته خيرة بنت ضمرة القشيرية، فقال المهلب. إنما اشتريت عرضي منه، فبلغ ذلك الفرزدق، فقال يهجو جذيعا.

إن تبين دارك يا جذيع فما بنى # لك يا جذيع أبوك من بنيان

و أبوك ملتزم السفينة عاقد # خصيه فوق بناق التبان[7]

و يطلّ يدفع باسته متفاعسا # في البحر معتمدا على السّكان[8]

- [1] الحمأة: الطين الأسود الكريه الرائحة.
- [2] ما زلت هنا تامة لا خبر لها بمعنى ما انتقلت.
- [3] الكسر: القليل.
- [4] ميسان: كورة بين البصرة و واسط، العدان: العهد و الزمان، و انظر «اللسان» (عدد) .
- [5] الصريمة: القطعة المنعزلة من الرمل، الأعفر من الأطباء: ما يعلو بياضه حمرة، و المعنى: به الهلاك لا بطبي أعفر، كأن الطبي خير منه.
- [6] الأزارقة: أتباع نافع بن الأزرق من الخوارج.
- [7] بنائق: جمع بنيقة، و هي الزيق يخاط في جيب القميص تثبت فيه الأزرار، التبان: سراويل يلبسها الملاحون و الفلاحون و نحوهم، يعيره بأن أباه ملاح في سفينة.
- [8] التقاعس: بروز الصدر و دخول الظهر في الجسم.

لا تحسبن دارهما جمعتها # تمحو مخازيك التي بعمان

/و قال يهجو خيرة.

ألا قشر الإله بني قشير # كقشر عصا المنقح من معال[1]

أرى رهطا لخيرة لم يتوبوا # بسهم في اليمين و لا الشمال[2]

/إذا رهزت رأيت بني قشير # من الخيلاء منتفشي السبال

فغضب بنو المهلب لما هجا جذيعا و خيرة، فنالوا منه، فهجاهم، فقال:
و كائن للمهلب من نسيب # يرى بلبانة أثر الزبار[3]

بخارك لم يقدر فرسا و لكن # يقود الساج بالمسد المغار[4]

عمي بالتائف حين يضحى # دليل الليل في اللج الغمار[5]

و ما لله يسجد إذ يصلي # و لكن يسجدون لكل نار

فلما ولي يزيد بن المهلب خراسان و العراق بعد أبيه-ولاه سليمان بن
عبد الملك-خاف الفرزدق من بني المهلب، فقال يمدحهم: فلأمدحن بني
المهلب مدحة # غراء قاهرة على الأشعار

/مثل النجوم أمامها قمرؤها # تجلو العمى و تضيء ليل الساري[6]

ورثوا الطعان عن المهلب و القرى # و خلافا كتدقق الأنهار

كان المهلب للعراق وقاية # و حيا الزبيع و معقل الفزار

و إذا الرجال رأوا يزيد رأيتهم # خضع الرقاب نواكس الأبصار

ما زال مذ شدد الإزار بكفه # و دنا فأدرك خمسة الأشبار[7]

أيزيد إنك للمهلب أدركت # كفاك خير خلائق الأخبار

[1]يقال: نفح العود: قشره، معال: أعلى، يقول: قشر الله بني قشير
كقشر عصا العود المقشور من أعلاه.

[2]في هد، هج:

«فلو لا رهز خيرة لم يتوبوا»

و نرجح أن رهز تحريف «رعز» و الرعز: الجماع، يقول: إن بني قشير
يستمدون مجدهم من مصاهرتهم للمهلب و مواقفته خيرة ابنتهم.

[3]نسيب: قريب ينتسب إليه، اللبان: الصدر، الزيار: ما يشد به الرجل
إلى صدر البعير، يعيره بأن أهله فلاحون. يرى أثر جر حبال المراكب في

صدورهم.

[4] في الأصل «نجارك» و هو تصحيف بخارك، و خارك: جزيرة فارسية كان أبو المهلب منها، الساج: شجر تتخذ منه المراكب، المغار: المحكم القتل يقول: إن للمهلب في خارك أقارب لا يقودون خيلا، بل يجرون السفن بالحيال، و في بعض النسخ «تخاذل» بدل «بخارك» و هو تصحيف أيضا.

[5] التنائف: جمع تنوفة، و هي الفلاة: يقول: إن أهله لا عهد لهم بالصحارى فلا يعرفونها في النهار، و يعرفون شواطئ المياه ليلا، و في الأصول «ذليل» و هي تصحيف «دليل» .

[6] القمرء: ضوء القمر.

[7] خبر «ما زال» مفهوم من المقام، أي ما زال كريما مهيبا و نحو

ذلك.

يخشى بأس يزيد بن المهلب

:

أخبرنا عبد الله بن مالك، قال: حدثنا محمد بن حبيب، قال: حدثني الأصمعي، قال: لما قدم يزيد بن المهلب واسطا قال لأمية بن الجعد-و كان صديق الفرزدق-: إني لأحب أن تأتيني بالفرزدق، فقال للفرزدق: ما ذا فاتك من يزيد أعظم الناس عفوا، و أسخى الناس كفا، قال: صدقت، و لكن أخشى أن آتية فأجد العمانيّة ببابه فيقوم إليّ رجل منهم فيقول: هذا الفرزدق الذي هجانا، فيضرب عنقي، فيبعث إليه يزيد، فيضرب عنقه، و يبعث إلى أهلي ديتي، فإذا يزيد قد صار أوفى العرب، و إذا الفرزدق فيما بين ذلك قد ذهب، قال[1]: لا و الله لا أفعل، فأخبر يزيد بما قال، فقال: أمّا إذ قد وقع هذا بنفسه فدعه لعنه الله.

ماجن يريد أن ينزو عليه

:

قال ابن حبيب: و حدثنا يعقوب بن محمد الزهرّي عن أبيه عن جده قال: دخل الفرزدق مع فتیان من آل المهلب في بركة يتبرّدون فيها، و معهم ابن أبي علقمة الماجن، فجعل يتفّلت إلى الفرزدق، فيقول: دعوني أنكحه، حتى لا يهجونا/أبدا، و كان الفرزدق من أجبن الناس، فجعل يستغيث، و يقول: ويلكم! لا يمسنّ جلده جلدي، فيبلغ ذلك جريرا، فيوجب عليّ أنه قد كان منه الذي يقول، فلم يزل يناشدهم حتى كفوه عنه.

يفخر بالمضربة أمام حاكم يمانى

:

أخبرني عبيد الله قال: حدثني محمد بن حبيب قال: حدثني موسى بن طلحة قال: لما ولي خالد بن عبد الله العراق، فقدمها و كان من أشد خلق الله عصبيّة على نزار فقال[2]لبطة بن الفرزدق: فليس أبي من صالح ثيابه؛ و خرج يريد السلام عليه، فقلت له: يا أبت، إن هذا الرجل يمانى، و فيه من العصبيّة ما قد علمت، فلو[3]دخلت إليه فأنشدته مدائحك أهل اليمن لعل الله أن يأتيك منه بخير، فإنك قد كبرت على الرحلة، فجعل/لا يردّ عليّ شيئا؛ حتى دفعنا إلى البواب؛ فأذن له؛ فدخل؛ و سلم؛ فاستجلسه[4]؛ ثم قال: إيه يا أبا فراس، أنشدنا مما أحدثت، فأنشدته: يختلف الناس ما لم نجتمع لهم # و لا خلاف إذا ما أجمعت مضر

فيما الكواهل و الأعناق تقدمها # فيها الرءوس و فيها السّمع و البصر[5]

و لا نحالف غير الله من أحد # إلا السيوف إذا ما اغرورق النظر[6]

و من يمل يمل المأثور قلته # بحيث يلقي حفافي رأسه الشعر[7]

[1] فاعل «قال» ضمير الفرزدق، و في بعض النسخ «ثم قال» .
[2] كذا في الأصول، و نرى حذف الفاء من «فقال» أو حذف لما من أول الجملة.

[3] «لو» هنا ليست شرطية، بل هي للترجي.

[4] فاعل «فاستجلسه» ضمير خالد بن عبد الله.

[5] ضمير فيها يعود على الأعناق، و الكلام على تشبيه عليه القوم بالكواهل و الأعناق.

[6] في الأصول و لا «يخالف» و هو تصحيف، و الصواب «نحالف» من المحالفة لا من المخالفة، اغرورق النظر: امتلأت العين بالدموع، يكنى بذلك عن احتدام الحرب في لفحة الحر.

[7] المأثور: السيف، قلته: رأسه، حفافا الشيء: جانباه، و المصراع الثاني، كناية عن الموت، كأنه شعر الحي تتجه أعاليه للهواء، فإذا صرع التف بجانب الرأس.

أما الملوك فإننا لا نلين لهم # حتى يلين لضرس الماضغ الحجر

/ثم قام، فخرجنا، قلت: أ هكذا أوصيتك[1]؟ قال: اسكت، لا أم لك فما كنت قط أملاً لقلبه مني الساعة.

يفحم المنذر بن الجارود

:

أخبرني عبد الله: قال حدثني محمد بن حبيب، عن موسى بن طلحة قال: كان الفرزدق في حلقة في المسجد الجامع، و فيها المنذر بن الجارود العبدي، فقال المنذر: من الذي يقول: وجدنا في كتاب بني تميم # أحق الخيل بالركض المعار[2]

فقال الفرزدق: يا أبا الحكم هو الذي يقول: أ شارب قهوة و خدين زير # و عبيدٍ لفسوته بخار[3]

وجدنا الخيل في أبناء بكر # و أفضل خيلهم خشب وقار[4]

قال: فخلج المنذر، حتى ما قدر على الكلام.

خليفة أموي بفضله و يصله

:

أخبرني عبد الله بن مالك: قال: حدثني محمد بن موسى قال: حدثنا الأصمعي قال: دخل الفرزدق على بعض خلفاء بني مروان ففاخره قوم من الشعراء فأنشأ يقول: ما حملت ناقة من معشر رجلا # مثلى إذا الريح لقتني على الكور[5]

أعز قومًا و أوفى عند مكرمة # لمعظم من دماء القوم مهجور[6]

/فقال له: إيه، فقال:

إلا قريشا فإن الله فضّلها # على البرية بالإسلام و الخير[7]

تلقى وجوه بني مروان تحسبها # عند اللقاء مشوفات الدنانير[8]

ففضّله عليهم، و وصله.

عيسى بن حصيلة يعينه على الفرار من زياد

:

قال ابن حبيب: و كان الفرزدق يهاجي الأشهب بن رميلة النهشليّ و بني فقيم، فأرقت[9]بهم، فاستعدوا عليه [1]ينكر لبطة على أبيه فخره بالمضربة، مع أنه أوصاه بمدح اليمانية.

[2]يريد أن التميميين يحافظون على خيولهم، و لا يبقون على خيول غيرهم إذا استعاروها.

[3]الزير: أحد أوتار العود، و يريد بالمصراع الأول أنه رجل خمر و لهو و طرب، أما المصراع الثاني فقد اختلفت الأصول فيه اختلافا كبيرا، و الذي أثبتناه هو ما رجحناه. ففي بعض الأصول

«لنسوته يخار»

بدل

«لفسوته بخار»

و في بعضها «و صراء» بدل «و عبدي» .

[4]يكنى بالخشب و القار عن السفن، كأنه يعيرهم بالملاحه.

[5]الكور: الرجل.

[6]يريد بقوله:

«من دماء القوم مهجور»

أنه لا يطالب بتره، كما يقول المتنبي: «و كل دم أراقته جبار» ، و في هد: «مبهور» و في هج: «مشهور» .

[7]الخير-بكسر الخاء-الكرم و الشرف.

[8]مشوفات الدنانير: الدنانير المجلوة اللامعة.

[9]أرقت: أفحش.

زيادا، فحدثني جابر بن جندل: قال: فأتى عيسى بن حصيلة بن مغيث بن نصر بن خالد السلمي ثم من بني بهز، فقال: يا أبا حصيلة، إن هذا الرجل قد أخافني؛ و قد لفظني جميع من كنت أرجو، قال: فمرحبا بك يا أبا فراس، فكان عنده ليالي، ثم قال: إني أريد أن ألحق بالشام، قال: إن أقمت ففي الرّحب و السّعة، و إن شخّصت فهذه ناقة أرحبيّة [1] أمّتك بها، و ألف درهم، فركب الناقة، و خرج من عنده ليلا، فأرسل عيسى معه من أجازة من البيوت؛ فأصبح و قد جاوز مسيرة ثلاث، فقال يمدحه: كفاني بها البهزيّ حملان من أبي # من الناس، و الجاني تخاف جرائمه [2]

فتى الجود عيسى و المكارم و العلا # إذا المال لم ينفع بخيلا كرائمه
 /و من كان يا عيسى يؤّتب ضيفه # فضيفك يا عيسى هنيء مطاعمه [3]
 /و قال: تعلّم أنها أرحبيّة # و أنّ لك الليل الذي أنت جاشمه [4]
 فأصبحت و الملقى ورائي و حنبل # و ما صدرت حتى علا النجم عاتمه [5]
 تزاور في آل الحقيق كأنها # ظليم تبارى جنح ليل نعائمه [6]
 رأّت دون عينيها ثويّة فانجلى # لها الصبح عن صعل أسيل مخاطمه [7]

و قال:

تداركني أسباب عيسى من الرّدى # و من يك مولاه فليس بواحد
 نمته النواصي من سليم إلى العلا # و أعراق صدق بين نصر و خالد
 سأنتني بما أوليتني و أربّه # إذا القوم عدّوا فضلهم في المشاهد
 فلما بلغ زيادا شخوصه أتبعه عليّ بن زهدم الفقيميّ: أحد بني
 موألة [8] فلم يلحقه فقال الفرزدق: فإنك لو لا لاقيتني بن زهدم # لأبت
 شعاعيا على غير تمثال [9]

يلجأ إلى بكر بن وائل

:

فأتى بكر بن وائل، فجاورهم، فأمن، فقال:
 [1] أرحبية: نسبة إلى أرحب، و هو فحل أو مكان أو قبيلة تنسب إليها
 الإبل الممتازة.

[2] ضمير بها يعود على الناقة المهداة إليه، البهزي: لقب عيسى بن
 حصيلة، الحملان-بضم الحاء-الدواب تحمل عليها الهدايا، يقول: كفاني بهذه

الناقة أن أستهدي من يأبى إهدائي ناقة تحملني، و من كان جانبا مثله
تحاشاه الناس.

[3] هنيئا: مفعول مطلق لفعل محذوف، و في هد، هج: «فضيفك محبور
هنيء مطاعمه»

[4] أرحبية: انظر هامش 4 ص 349، جاشمة: متكلف السير فيه، يريد
أن هذه الناقة تعينه على السير ليلا.

[5] الملقى و حنبل: مكانان، عاتمه: مظلمه، و في بعض النسخ: «تلا
الليل» بدل «علا النجم» .

[6] تزاور: أصله تتزاور بمعنى تميل، و الحقيق: مكان، و في بعض
النسخ: «الحفير» و هو مكان أيضا. الظليم: ذكر النعام، تبارى: أصله تتبارى،
و لا مانع من اعتباره فعلا ماضيا، و المراد التباري في العدو.

[7] ثوبة: مكان، و في بعض النسخ «روية» ، الصعل: ما دق رأسه من
النعام، أسيل: ناعم، مخاطم: جمع مخطم، و هو مقدم الأنف.

و في ف: «تخاطمه» .

[8] في بعض النسخ: «أحد بني سواة» و في بعضها «موألة» و في
بعضها: «سواة» .

[9] شعاعيا: نسبة إلى الشعاع بمعنى التفرق، يريد: لتطايرت جوارحك
أو نفسك، فلم يكن لك تمثال، و في بعض النسخ

«على شر تمثال»

و في بعضها:

«على قبر تمثال»

-

/

و قد مثلت أين المسير فلم تجد # لعودتها كالحَيِّ بكر بن وائل [1]
 و سارت إلى الأَجفان خمسا فأصبحت # مكان الثريا من يد المتناول [2]
 و ما ضرها إذ جاورت في بلادها # بني الحصن ما كان اختلاف القبائل
 الحصن بن ثعلبة بن عكابة بن صعب بن علي بن بكر بن وائل.

يأمن زيادا في حمى سعيد بن العاص

:

و هرب الفرزدق من زيادا، فأتى سعيد بن العاص بن سعيد بن العاص
 بن أمية، و هو على المدينة لمعاوية بن أبي سفيان، فأمنه سعيد، فبلغ
 الفرزدق أن زيادا قال: لو أتاني أمّنته، و أعطيته، فقال في كلمة له: دعاني
 زيادا للعتاء و لم أكن # لآتيه ما ساق ذو حسب و قرا [3]

و عند زيادا لو أراد عطاءهم # رجال كثير قد يرى بهم فقرا [4]
 قعود لدى الأبواب طلباً حاجة # عوان من الحاجات أو حاجة بكر [5]
 فلما خشيت أن يكون عطاؤه # أداهم سودا أو محدرجة سمرا [6]
 نميت إلى حرف أضّر بنيها # سرى الليل و استعراضها البلد القفرا [7]

/ فلما اطمأن عند سعيد بن العاصي بالمدينة قال:

ألا من مبلغ عني زيادا # مغلغة يخبّ بها البريد [8]
 بأنّ قد فررت إلى سعيد # و لا يسطاع ما يحمي سعيد
 فررت إليه من ليث هزبر # تفادي عن فريسته الأسود [9]
 فإن شئت انتميت إلى النصارى # و ناسيني و ناسبت اليهود
 و إن شئت انتسبت إلى فقيم # و ناسيني و ناسبت القرود
 و أبغضهم إليّ بنو فقيم # و لكن سوف آتي ما تريد [10]

[1] مثلت: زالت عن موضعها، و فاعل مثلت ضمير الناقه، أين المسير:
 استفهام، و هو مقول قول محذوف، أي، تنقلت الناقه قائلة: أين المسير؟
 فلم تجد من يعيذها كهذا الحي.

[2] الأَجفان: جمع جفن، و من معانيه أصل الكرم، أو قضبانه، أو نوع
 من العنب، أو شجر طيب الرائحة، و كل هذه المعاني محتملة.

- [3]الوقر: الحمل، و المراد أنه لن يذهب إليه البتة.
- [4]ضمير «عطاءهم» يعود على رجال، و هو متأخر لفظا لا رتبة، و ذلك جائز.
- [5]العوان: من سبق لها الزواج من النساء، و أراد هنا الحاجة المتكررة، و كان القياس «عوانا» بالنصب على التبعية لحاجة باعتبار المعنى، حتى لا يكون في البيت إقواء.
- [6]أداهم: جمع أدهم، يريد القيد، المحدوجة: السياط.
- [7]نميت إلى حرف: من نمى الصيد إذا غاب و تباعد، و الحرف: الناقة، و النبي: الشحم، يقول: لما خفت قيود زياد و سياطه لجأت إلى ناقة أكل السير و السري شحمها.
- [8]مغلغلة، أي رسالة مغلغلة: محمولة من بلد إلى بلد.
- [9]من هنا بيانية، فالمشبهه بالأسد سعيد لا زياد الذي فر منه.
- [10]في هج:

«و لكن سوف آتي ما يكيد»

و لعل هذه الرواية أنسب.

فأقام الفرزدق بالمدينة؛ فكان يدخل بها على القيان. فقال:

إذا شئت غنّاني من العاج قاصف # على معصم ربّان لم يتحدّد [1]
/ليبضاء من أهل المدينة لم تعش # بيؤس و لم تتبع حمولة مجحد [2]
و قامت تخشّيني زيادا و أجفلت # حوالّي في بردي يمان و مجسد [3]
فقلت: دعيني من زياد فإنتي # أرى الموت وقّاعا على كل مرصد

بينه و بين مسكين الدارامي

:

فلما هلك زياد رثاه مسكين بن عامر بن شريح بن عمرو بن عدي بن
عدس بن عبد الله بن دارم، فقال: /

رأيت زيادة الإسلام ولّت # جهارا حين فارقتها زياد

فبلغ ذلك الفرزدق، فقال:

أمسكين أبكى الله عينك إثمّا # جرى في ضلال دمعها فتحذّرا [4]
أ تبكي امرأ من آل ميسان كافرا # ككسرى على عدّانه أو كقيصرا
أقول له لما أتاني نعيّه: # به لا بطبي بالصّريمة أعفرا

فقال مسكين:

ألا أيها المرء الذي لست قائما # و لا قاعدا في القوم إلاّ انبرى ليا
فجنّني بعمّ مثل عمّي أو أب # كمثل أبي أو خال صدق كخاليا
بعمرو بن عمرو أوزارة ذي الندى # سموت به حتى فرعت الرّوايا

فأمسك الفرزدق عنه، و كان يقول: نجوت من أن يهجونني مسكين،
فإن أجبتة ذهبت بشطر فخري، و إن أمسكت عنه كانت و صمة على مدى
الدهر.

عائذة بقبر أبيه

:

أخبرني [5] أبو خليفة، فقال: أخبرنا ابن سلام، قال: حدثني الحكم بن
محمد المازني، قال: كان تميم بن زيد القضاعي، ثمّ أحد بني القين بن جسر
غزا الهند في جيش، فجمّرههم [6]؛ و في جيشه رجل يقال له حبيش، فلما
طالت غيبته على أمه اشتاقته، فسألت عنم يكلم لها تميم بن زيد أن يقفل

ابنها، ف قيل لها: عليك بالفرزدق، فاستجيري بقبر أبيه، فأنت قبر غالب
بكاطمة، حتى علم الفرزدق مكانها.

[1] قاصف من العاج: مزهر أو نحوه من آلات الغناء متخذ من العاج، و
هو من القصف بمعنى اللهو، على معصم ريان لم يتحدد: على معصم ممتلئ
أملس لا تشقق فيه.

[2] المجحد: القليل الخير، يريد أنها جارية ناشئة في نعمة.

[3] مجسد: مطلي بالجساد، و هو الزعفران أو العصفر و نحوهما مما
كانوا يطلون به الثياب، تخشيني زيادا: تخوفني إياه.

[4] تقدمت هذه الأبيات في الترجمة نفسها، فارجع إليها.

[5] هذا الخبر و الخبران اللذان بعده ساقطة من الأصل، و قد نقلناها
من هد، هج.

[6] جمرهم: أطال مدة غزوهم.

/ثمّ أتته، و طلبت إليه حاجتها، فكتب إلى تميم بن زيد هذه الأبيات: هب لي حبيشا و اتخذ فيه مئة # لغصّة أمّ ما يسوغ شرابها

أنتني فعادت يا تميم بغالب # و بالحفرة السافي عليها ترابها

تميم بن زيد لا تكوننّ حاجتي # بظهر فلا يخفى عليّ جوابها

فلما أتاه كتابه لم يدر ما اسمه حبيش أو حنيش، فأخرج «ديوانه» ، و أقفل كل حبيش و حنيش في جيشه، و هم عدّة، و أنفذهم إلى الفرزدق.

عائذ بقبر أبيه

:

قال أبو خليفة: قال ابن سلام، و حدّثني أبو يحيى الضبي، قال: ضرب مكاتب لبني منقر بساطا على قبر غالب أبي الفرزدق؛ فقدم الناس على الفرزدق، فأخبروه بمكانه عند قبر أبيه.

ثم قدم عليه فقال:

بقبر ابن ليلي غالب عدت بعد ما # خشيت الرّدى أو أن أرّد على قسر

فأخبرني قبر ابن ليلي فقال لي: # فكاكك أن تأتي الفرزدق بالمصر[1]

فقال الفرزدق: صدق أبي؛ أنخ؛ ثم طاف له في الناس؛ حتى جمع له مكاتبته و فضلا.

عائذة أخرى بقبر أبيه

:

و كان نفيع ذو الأهدام: أحد بني جعفر بن كلاب يتعصب لجريير بمدحه قيسا؛ فهجاه الفرزدق، فاستجارت أمه بقبر غالب؛ و عازت من هجاء الفرزدق؛ فقال: /

و نبئت ذا الأهدام يعوى و دونه # من الشّام زراعاتها و قصورها

على حين لم أترك على الأرض حيّة # و لا نابحا إلا استقرّ عقورها

كلاب نبحن الحيّ من كل جانب # فعاد عواء بعد نبح هريرها[2]

عجوز تصلي الخمس عازت بغالب # فلا و الذي عازت به لا أضرها

لئن نافع لم يرع أرحام أمّه # و كانت كدلو لا يزال يعيرها[3]

لبئس دم المولود بلّ ثيابها # عشية نادى بالغلام بشيرها

وإني على إشفاقها من مخافتني # و إن عقّها بي نافع لمجيرها
و لو أنّ أمّ الناس حوّاء جاورت # تميم بن مرّ لم تجد من يجيرها[4]

[1]سكن ياء تأتي للضرورة.

[2]يريد بقوله

«عاد عواء بعد نبج»

أنها عادت تئن بعد أن كانت تصول.

[3]عار يعير: عاب أو أتلّف، يريد أنه يسبب لأمه المتاعب.

[4]يريد أن حواء لو استجارت ببني تميم منه لم تجد من يجيرها.

و هذا البيت يروى لغيره في غير هذه القصيدة [1].

جرير يبنز

:

أخبرني عبد الله بن مالك، قال: حدثنا محمد بن حبيب، قال: حدثنا أحمد بن حاتم المعروف بابن نصر، عن الأصمعي، قال:

كان عبد الله بن عطية راوية الفرزدق و جرير، قال: فدعاني الفرزدق يوماً، فقال: إني قلت بيت شعر و التّوار طالق إن نقضه ابن المراغة [2]، قلت: ما هو؟ قال: قلت:

فإني أنا الموت الذي هو نازل # بنفسك فانظر كيف أنت تحاوله [3]

ارحل إليه بالبيت، قال: فرحلت إلى اليمامة، قال: و لقيت جريراً بفناء بيته يعبث بالرمل، فقلت: إن الفرزدق قال بيتاً، و حلف بطلاق النوار أنك لا تنقضه، قال: هيه، / أظنّ و الله ذلك؟ ما هو؟ ويلك، فأنشدته إياه، فجعل يتمرغ في الرمل، و يحثوه على رأسه و صدره، حتى كادت الشمس تغرب، ثم قال: أنا أبو حزرة، طلقت امرأة الفاسق، و قال:

أنا الدهر يفني الموت و الدهر خالد # فجئني بمثل الدهر شيئاً يطاوله

ارحل إلى الفاسق، قال: فقدمت على الفرزدق، فأنشدته إياه، و أعلمته بما قال، فقال: أقسمت عليك لما سترت هذا الحديث.

هناك من هو أجفى منه

:

أخبرني عبد الله، قال: أخبرني محمد بن حبيب، قال: حدثنا الأصمعي و أبو عبيدة، قال:

دخل الفرزدق على بلال بن أبي بردة و عنده ناس من اليمامة، فضحكوا فقال: يا أبا فراس أتدري ممّ ضحكوا؟ قال: لا، قال: من جفائك، قال: أصلح الله الأمير، حججت، فإذا أنا برجل منهم على عاتقه الأيمن صبي، و على عاتقه الأيسر صبي؛ و إذا امرأة آخذه بمئزره؛ و هو يقول:

أنت وهبت زائدا و مزيدا # و كهلة أولج فيها الأجراد [4]

/ و المرأة تقول من خلفه: إذا شئت، فسألت: ممن هو؟ فقيل: من الأشعريين، أ فأنا أجفى أم ذلك؟ فقال بلال: لا حيّاك الله، قد علمت أنهم لن

يفلتوا منك.

تهزمه امرأة

:

أخبرني عبد الله بن مالك، قال: حدثني محمد بن حبيب، قال: حدثنا موسى بن طلحة، عن أبي زيد الأنصاري، قال:

[1] آخر التكملة من هد و هج.

[2] المراغة: الأتان.

[3] في بعض النسخ يروى هذا البيت هكذا:

و إني أنا الموت الذي هو لاحق # بنفسك فانظر كيف أنت محاوله

[4] الخطاب في قوله: «أنت» لله جل جلاله، و زائد و مزيد: ولداه و يريد بالكهلة أمهما.

ركب الفرزدق بغلته، فمر بنسوة؛ فلما حاذهنّ لم تتمالك البغلة أن
 ضرطت، فضحك منه، فالتفت إليهنّ، فقال: لا تضحكن، فما حملتني أنثى إلا
 ضرطت، فقالت له/إحداهن: ما حملتك أنثى أكثر من أمك، فأراها قاست
 منك ضراطا كثيرا، فحرك بغلته، و هرب منهن، و بهذا الإسناد قال:

يهجو إبليس

:

أتى الفرزدق الحسن البصري؛ فقال: إني قد هجوت إبليس، فقال:
 كيف تهجوه و عن لسانه تنطق؟.

يسأل الفرزدق فيفحمه:

و بهذا الإسناد قال حمزة بن بيض للفرزدق: يا أبا فراس، أسألك عن
 مسألة، قال: سل عما أحببت، قال:

أيما أحبّ إليك؟ أ تسبق الخير أم يسبقك؟ قال: إن سبقني فاتني، و إن
 سبقته فثّ، و لكن نكون معا، لا يسبقني، و لا أسبقه، و لكن أسألك عن
 مسألة. قال ابن بيض: سل، قال: أيما أحبّ إليك؟ أن تنصرف إلى منزلك،
 فتجد امرأتك قابضة على أير رجل، أم تراه قابضا على عنها، قال: فتحير، و
 كان قد نهى عنه، فلم يقبل.

لا صلح بينه و بين جرير

:

أخبرني عبد الله قال: حدثني محمد بن عمران الضبي، قال: حدثني
 الأصمعي، قال: اجتمع الفرزدق و جرير عند بشر بن مروان فرجا أن يصلح
 بينهما حتى يتكافأ، فقال لهما: ويحكما! قد بلغت من السن ما قد بلغتما، و
 قربت آجالكما؛ فلو اصطلحتما و وهب كل واحد منكما لصاحبه ذنبه، فقال
 جرير: [1]أصلح الله الأمير، إنه يظلمني، و يتعدى عليّ، فقال الفرزدق:
 [1]أصلح الله الأمير إني وجدت آبائي يظلمون آباءه، فسلكت طريقهم في
 ظلمه، فقال بشر: عليكم لعنة الله، لا تصطلحان و الله أبدا.

يهزأ به و بهجائه

:

و أخبرني عبد الله بن مالك، قال: حدثنا محمد بن عمران الضبيّ، قال: حدثنا الأصمعيّ: قال الفرزدق:

ما أعياني جواب أحد ما أعياني جواب دهقان مرة قال لي: أنت الفرزدق الشاعر؟ قلت: نعم؛ قال: أ فأموت إن هجوتني؟ قلت: لا، قال: / أ فتموت عيشونة ابنتي؟ قلت: لا، قال: فرجلي إلى عنقي في حر أمك، قال [2]:

قلت: وبيك! لم تركت رأسك؟ قال: حتى أنظر أي شيء تصنع؟.

يأمره مجنون فيطيع

:

أخبرني عبد الله، قال: حدثنا محمد بن حبيب عن الأصمعي، قال: مرّ الفرزدق بمأجل [3] فيه ماء، فأشرع بغلته فيه، فقال له مجنون بالبصرة: يقال له حريش: نجّ بغلتك، جذ الله رجلك، قال: و لم؟ وبيك، قال: لأنك كذوب الحنجرة، زاني الكمرة، فقال الفرزدق لبغلته: عدس و مضى، و كره أن يسمع قوله الناس.

هو و غيره يؤثرون القصار

:

(1-1) تكملة من هد، هج.

[2] فاعل «قال» ضمير الأصمعي.

[3] المأجل: كل ماء في أصل جبل أو واد.

أخبرنا عبد الله بن مالك، عن ابن حبيب، عن سعدان بن المبارك، قال: قيل للفرزدق: ما اختارك في شعرك للقصار؟ قال: لأنني رأيتها أثبت في الصدور، و في المحافل أجول؛ قال: و قيل للحطيئة: ما بال قصارك أكثر من طوالك؟ قال: لأنها في الآذان أولج، و في أفواه الناس أعلق.

أخبرني عبد الله بن حبيب، عن سعدان بن المبارك، قال: قيل لعقيل بن علفة: مالك تقصّر في هجائك؟ قال: حسبك من القلادة ما أحاط بالرقبة.

يتندر باسمه فيلقمه حجرا

:

أخبرني عبد الله، عن محمد بن علي بن سعيد الترمذي، عن أحمد بن حاتم: أبي نصر، قال: قال الجهم بن سويد بن المنذر الجرمي للفرزدق: أما وجدت أمك اسما لك إلا الفرزدق الذي تكسره النساء في سويقها[1]؟ قال: و العرب تسمى خبز الفتوت الفرزدق فأقبل/الفرزدق على قوم معه في المجلس. فقال: ما اسمه؟ فلم يخبروه باسمه، فقال: و الله لئن لم تخبروني لأهجونكم كلكم، قال: الجهم بن سويد بن المنذر، فقال الفرزدق: /أحقّ الناس ألا يتكلّم في هذا أنت؛ لأن اسمك اسم متاع المرأة، و اسم أبيك اسم الحمار و اسم جدك اسم الكلب[2].

بيتان يثيرانه

:

أخبرنا عبد الله بن مالك، عن الزبير عن عمه عن بعض القرويين، قال: قدم علينا الفرزدق، فقلنا له: قدم علينا جرير، فأنشدنا قصيدة يمدح بها هؤلاء القوم، و مضى يريدهم، فقال: أنشدونيها، فأنشدناه قصيدة كثير التي يقول فيها[3].

و ما زالت رفاك تسلّ ضغني # و تخرج من مكانها ضبابي[4]

و يرقيني لك الحاؤون حتى # أجابك حية تحت الحجاب[5]

قال: فجعل وجهه يتغير، و عندنا كانون، و نحن في الشتاء، فلما رأينا ما به قلنا: هوّن عليك يا أبا فراس، فإنما هي لابن أبي جمعة[6]، فانشئ سريعا ليسجد، فأصاب ناحية الكانون وجهه فأدماه.

هو و الحسين بن علي

:

أخبرني عبد الله بن مالك، عن محمد بن موسى، قال: أخبرني القحزمي، قال: [1]السويق: طعام يتخذ من مدقوق الحنطة و الشعير.

[2]ليس فيما بين أيدينا من المعجمات ما ورد فيه إطلاق هذه الأسماء على تلك المسميات فإن صح ذلك فما أحرأها أن تضاف إليها، لأن اللغة من أمثال هؤلاء استمدت.

[3]يبدو أنهم أرادوا أن يثيروا الفرزدق بنسبة هذين البيتين إلى جرير و قد أثاروه فعلا و لم يفرخ روعه إلا حينما علم أنهما ليسا لجرير و لا مقولين فيه أما سر ثورة الفرزدق فهو ما تضمناه من فحش في أسلوب بارع، و انظر التعليق عليهما.

[4]رقاك: جمع رقية و هي ما يرقى به المريض و نحوه. الضباب: جمع ضب و هو الحقد الكامن في الصدر.

[5]يريد بالحية تحت الحجاب ذكره، و المعنى: كنت غاضبا عليك لا آتيك فما زلت تتودد إلي، و يسعى الساعون في سل بغضي لك من صدري، حتى نشطت إليك، و عاودت إتيانك.

[6]يبدو أن ابن أبي جمعة هو كثير نفسه.

لقي الفرزدق الحسين بن علي عليهما السلام متوجها إلى الكوفة خارجا من مكة في اليوم السادس من ذي الحجة فقال له الحسين-صلوات الله عليه وآله:- ما وراءك؟ قال: يا بن رسول الله، أنفس الناس معك، / وأيديهم عليك؛ قال: ويحك، معي وقر بعير من كتبهم يدعونني، و يناشدونني الله، قال: فلما قتل الحسين -صلوات الله عليه- قال الفرزدق: انظروا فإن غضبت العرب لابن سيدها و خيرها فاعلموا أنه سيدوم عزها، و تبقى هيبتها، و إن صبرت عليه، و لم تتغير لم يزلها الله إلا ذلاً إلى آخر الدهر، و أنشد في ذلك: فإن أنتم لم تتأروا لابن خيركم # فألقوا السلاح و اغزلوا بالمغازل

حافضة الفرزدق

:
أخبرنا عبد الله بن مالك: قال: أخبرني أبو مسلم؛ قال: حدثني الأصمعي، قال: أنشد الراعي الفرزدق أربع قصائد، فقال له الفرزدق: أعيدتها عليك، لقد أتى علي زمان، و لو سمعت بيت شعر و أنا أهوي في بئر ما ذهب عني[1].

يشرب الخمر ممزوجة باللبن

:
أخبرني عبد الله بن مالك قال حدثني أبو مسلم الحراني عن الأصمعي، قال: تغدّى الفرزدق عند صديق له. ثم انصرف فمر ببني أسد، فحدثهم ساعة ثم استسقى ماء، فقال فتى منهم: أو لبنا، فقال: لبنا، فقام إلى عس[2]، فصب فيه رطلا من خمر، ثم حلب، و ناوله إياه، فلما كرع فيه انتفخت أوداجه[3]، و احمر وجهه ثم رد العس، و قال: جزاك الله خيرا، فإنني ما علمتك تحب أن تحفي[4] صديقك، و تخفي معروفك ثم مضى.

يزني بامراته

:
و أخبرنا عبد الله بن مالك، عن محمد بن موسى، عن القحزمي، قال: كان الفرزدق أراد امرأة شريفة علي نفسها، فامتنعت عليه، و تهددها بالهزاء و الفضيحة، فاستغاث بالنوار امرأته، و قصّت عليها القصة، فقالت لها: واعدية ليلة، ثم أعلميني، ففعلت، / و جاءت النوار، فدخلت الحجلة مع المرأة، فلما دخل الفرزدق البيت أمرت الجارية، فأطفت السراج، و غادرت[5] المرأة الحجلة، و اتبعها[6] الفرزدق، فصار إلى الحجلة، و قد

انسَلَّت المرأة خلف الحجلة، و بقيت النوار فيها، فوقع بالنوار و هو لا يشك أنها صاحبتة، فلما فرغ قالت له: يا عدو الله، يا فاسق، فعرف نغمتها، و أنه خدع، فقال/لها: و أنت هي يا سبحان الله! ما أطيبك حراما، و أردأك[7]حلالا.

[1]في هد، هج: «و أنا أهوي في بئر لحفظنه و ذلك أن الإنسان إذا هوي في بئر ذهب عقله» .

[2]العس: القدح الكبير.

[3]الأوداج: جمع ودج، و هو عرق في العنق يقطعه الذابح، فيذهب بالحياة.

[4]في الأصول «تخفي» و هو تصحيف «تحفي» يريد أنه يحتفى بضيفه، و يذهب بلبه، فلا يعرف قيمة ما أسدى إليه من معروف.

[5]في النسخ «بادرت» و نرجح أنها تحريف «غادرت» .

[6]و اتبعها: اتبع الحجلة، لا المرأة.

[7]في هد: «و أر ذلك» بدل «و أردأك» .

يضمن عليه ابن سيرة بجارية فيهبوه

:
أخبرني عبد الله بن مالك. قال: حدثني محمد بن موسى، قال: حدثني القحذمي قال: استعمل الحجاج الخيار بن سيرة المجاشعي على عمان، فكتب إليه الفرزدق يستهديه جارية فكتب إليه الخيار: كتبت إليّ تستهدي الجواري # لقد أنعظت من بلد بعيد فأجابه الفرزدق:

أ لا قال الخيار و كان جهلا # قد استهدى الفرزدق من بعيد[1]
فلو لا أن أمك كان عمي # أباه كنت أحرص بالنشيد[2]
و أنّ أبي لعمّ أبيك لجا # و أنك حين أغضب من أسودي[3]
إذا لشددت شدّة أعوجي # يدقّ شكيم مجدول الحديد[4]

لا يستسيغ خطأ في القرآن

:
أخبرنا عبد الله بن مالك عن الأصمعي قال:
سمع الفرزدق رجلاً يقرأ: **وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِنَ اللَّهِ وَ اللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ** فقال[5]: لا ينبغي أن يكون هذا هكذا، قال: ف قيل له: إنما هو **عَزِيزٌ حَكِيمٌ** قال: هكذا ينبغي أن يكون.

يمدح أسماء بن خارجة

:
أخبرنا عبد الله بن مالك، قال: حدثنا أبو مسلم، قال: حدثنا الأصمعي: قال: مرّ أسماء بن خارجة الفزاريّ على الفرزدق، و هو يهناً[6] بعيرا له بنفسه، فقال له أسماء: يا فرزدق كسد شعرك، و اطرحتك الملوك، فصرت إلى مهنة إبلك، فقد أمرت لك بمائة بعير، فقال الفرزدق فيه يمدحه: إنّ السّماح الذي في الناس كلهم # قد حازه الله للمفضال أسماء

يعطي الجزيل بلا منّ يكدره # عفوا و يتبع آلاء بنعماء[7]
ما ضرّ قوما إذا أمسى يجاورهم # ألا يكونوا ذوي إبل و لا شاء

هل شاخ شعره بشيخوته

:

أخبرني عبد الله بن مالك [8] عن محمد بن موسى بن طلحة، قال: قال أبو عبيدة: [1] اسم كان ضمير القول المفهوم من المقام.

[2] يريد: لو لا أن أمك ابنة عمي لأخرستك عن قول الشعر بهجائي لك، أو كنت أنت أخرس بالنشيد، أي لأخرستك عن قول الشعر.

[3] لحا: من لحت القرابة إذا دنت، و التصقت، و لعله يريد بقوله: «من أسودي» أنه من أنصاره الشجعان حين يغضب.

[4] الأعوجي: الجواد المنسوب إلى أعوج، و هو جواد أصيل ينسب إليه الخيول الجيدة، و لعله يريد بتلك الشاة أنه يهجو.

[5] في هج: هد: فقال الفرزدق: **فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا** و الله غفور رحيم و لا ينبغي... إلخ و العبارة ساقطة من ب.

[6] يهنأ بعيرا: يطلية بالهناءة، و هي القار.

[7] جر نعماء بالكسرة للضرورة، و لو قال: «آلاء بآلاء» لسلم منها.

[8] في هد، هج: «أخبرني عبد الله بن مالك، قال: حدثنا أبو مسلم عن محمد... إلخ، و في رواية أخرى نسبة هذا الخبر إلى الأصمعي. -

دخل الفرزدق على بلال بن أبي بردة، فأنشده قصيدته المشهورة فيهم التي يقول فيها: فإن أبا موسى خليل محمد # و كفاه يمنى للهدى و شمالها فقال ابن أبي بردة: هلكت و الله يا أبا فراس، فارتاع الشيخ، و قال: كيف/ذاك؟ قال ذهب شعرك، أين مثل شعرك في سعيد، و في العباس بن الوليد، و سمى قوما فقال: جنني بحسب مثل أحسابهم، حتى أقول فيك كقولي فيهم، فغضب بلال حتى [1] دزّت أوداجه [1] و دعي له بطست [2] فيه ماء بارد، فوضع يده فيها، حتى سكن، فكلمه فيه جلساؤه و قالوا: قد كفاك الشيخ نفسه و قل ما يبقى حتى يموت، فلم يحل عليه الحول حتى مات.

قواد له من أصحابه

:

أخبرنا عبد الله بن مالك، عن محمد بن موسى، عن سعيد بن همام اليمامي، قال: شرب الفرزدق شرايا باليمامة و هو يريد العراق، فقال لصاحب له: إن الغلطة قد أدتني [3] فأكسبني بغيا، قال: من أين أصيب لك هاهنا بغيا؟ قال: فلا بد لك من أن تحتال، قال: فمضى الرجل إلى القرية، و ترك الفرزدق ناحية؛ فقال: هل من امرأة تقبل [4]، فإن معي امرأتي و قد أخذها الطلق فبعثوا معه امرأة، فأدخلها الفرزدق، و قد غطاه، فلما دنت منه واثبها. ثم ارتحل مبادرا، و قال: كأني بابن الخبيثة [5] يعني جريرا لو قد بلغه الخبر قد قال: /

و كنت إذا حللت بدار قوم # رحلت بخزية و تركت عارا

قال: فبلغ جريرا الخبر، فهجاه بهذا الشعر.

يغتصب بيتا

:

و أخبرنا عبد الله بن مالك، عن محمد بن موسى، قال: قال أبو نهشل: حدثنا بعض أصحابنا: قال: وقف الفرزدق على الشمردل، و هو ينشد قصيدة له، فمر هذا البيت في بعض قوله: و ما بين من لم يعط سمعا و طاعة # و بين جرير غير حرّ الحلاقم [6]

فقال الفرزدق: يا شمردل، لتتركن هذا البيت لي أو لتتركن عرضك؛ قال: خذه، لا بارك الله لك فيه فهو في قصيدته التي ذكر فيها قتيبة بن

مسلم، و هي التي أولها قوله: تحنّ إلى زورا اليمامة ناقتي # حنين عجول
تبتغي البوّ رائم[7]

(1-1) التكملة من هد، هج، در العرق: امتلاً دما، الأوداج: جمع ودج، و
هو عرق يقطعه الذابح في العنق، فيذهب بالحياة.

[2] في الأصل: «بطشت» بالشين، و هي لغة و الشائع «طست»
بالسين، معرب عن «تشت» يؤنث و يذكر.

[3] في هد: «قتلنتي» بدل «أذنتي» .

[4] تقبل: تشتغل قابلة، أي مولدة.

[5] في هد: «كأني بالخبيث» .

[6] مر هذا الخبر برواية «الغلاصم» بدل «الحلاقم» .

[7] في هد، هج

«تحن بزوراء اليمامة...»

إلخ» البو: جلد يحشى تبنا على هيئة الحوار يتخذ لتدر الناقة اللبن حين
تراه، رائم: عطوف.

تستعيز بقبر أبيه

:
أخبرنا عبد الله بن مالك قال: حدثنا محمد بن حبيب، عن الأصمعي، قال: جاءت امرأة إلى قبر غالب أبي الفرزدق؛ فضربت عليه فسطاطا. فأتاها فسألها عن أمرها. فقالت: إني عائذة بقبر غالب من أمر نزل بي، قال لها: و ما هو، قد ضمننت خلاصك منه، قالت: إن ابنا لي أغزى إلى السند مع تميم بن زيد[1]؛ و هو واحدني قال: انصرفي، فعليّ انصرافه إليك إن شاء الله، قال: و كتب من وقته إلى تميم[2] بقوله: تميم بن زيد لا تكونن حاجتي # بظهر فلا يخفى عليّ جوابها

/وهب لي حبيشا و اتّخذ قيه مئة # لحرمة أمّ ما يسوع شرابها

أتنتي فعادت يا تميم بغالب # و بالحفرة السّافي عليها ترابها

قال: فعرض تميم جميع من معه من الجند، فلم يدع أحدا اسمه حبيش، و لا حنيش إلا وصله، و أذن له في الانصراف إلى أهله.

ما ذا يشتهي

:
أخبرنا عبد الله بن مالك، قال: أخبرنا محمد بن حبيب، عن الأصمعي، قال: مرّ الفرزدق بصديق له، فقال له: ما تشتهي يا أبا فراس؟ قال: أشتهي شواء رشراشا، و نبذا سعيرا، و غناء يفتق السمع. الرشراش: الرّطب، و السّعير: الكثير.

يتبرم بعشاق شعره

:
أخبرنا عبد الله بن مالك. قال: حدثنا محمد بن حبيب: قال: حدثني السعديّ، عن أبي مالك الزبدي[3].

قال:

أتينا الفرزدق لنسمع منه شيئا، فجلسنا ببابه ننتظر، إذ خرج علينا في ملحفة. فقال لنا: يا أعداء الله، ما اجتماعكم بيابي؟ و الله لو أردت أن أزني ما قدرت.

يعاني في قرص الشعر

:

أخبرني عبد الله بن مالك، قال: حدثنا أبو مسلم، قال حدثنا الأصمعي عن هشام بن القاسم، قال: قال الفرزدق: قد علم الناس أنني فحل الشعراء، وربما أتت عليّ الساعة لقلع ضرس من أضراسي أهون عليّ من قول بيت شعر.

يهجو راويته فلا ينقض كلامه

:

حدثنا عبد الله بن مالك عن أبي مسلم، عن الأصمعي، قال: [1]مر هذا الخبر، و آثرنا أن نثبته، كما في الأصول لقصره.

[2] في هد: تميم بن زائدة.

[3] في هد، هج: «عن أبي مالك النهري» .

كان الفرزدق و أبو شقفل راويته في المسجد؛ فدخلت امرأة، فسألت عن مسألة، و توسّمت؛ فرأت هيئة أبي شقفل، فسألته عن مسألتها، فقال الفرزدق: أبو شقفل شيخ عن الحق جائر # بباب الهدى و الرّشد غير بصير /فقلت المرأة: سبحان الله؟ أ تقول هذا لمثل هذا الشيخ؟ فقال أبو شقفل: دعيه فهو أعلم بي.

سكينة بنت الحسين تجرحه و تأسوه

:

أخبرنا عبد الله بن مالك، قال: حدثنا محمد بن موسى، قال: حدثنا المدائني، قال: خرج الفرزدق حاجا، فمر بالمدينة، فأتى سكينة بنت الحسين صلوات الله عليه و آله، فقالت: يا فرزدق. /من أشعر الناس؟ قال: أنا، قالت: كذبت؛ أشعر منك الذي يقول: بنفسي من تجنبه عزيز # عليّ و من زيارته لمام

و من أمسي و أصبح لا أراه # و يطرقني إذا هجع النيام[1]

فقال: و الله لو أذنت لي لأسمعتك أحسن منه. فقالت: أقيموه: فأخرج. ثم عاد إليها في اليوم الثاني. فقالت له: يا فرزدق. من أشعر الناس؟ قال: أنا. قالت: كذبت؛ أشعر منك الذي يقول: لو لا الحياء لها جني استعبار # و لزرت قبرك و الحبيب يزار

لا يلبث القرفاء أن يتفرّقوا # ليل يكرّ عليهم و نهار

كانت إذا هجر الضجيع فراشها # كتم الحديث و عقت الأسرار[2]

قال: أ فأسمعك[3] أحسن منه؟ قالت: اخرج.

ثم عاد إليها في اليوم الثالث و على رأسها جارية كأنها طيبة، فاشتد عجبه بها. فقالت: يا فرزدق، من أشعر الناس؟ قال: أنا. قالت: كذبت. أشعر منك الذي يقول: /

إنّ العيون التي في طرفها مرض # قتلنا ثم لم يحيين قتلانا[4]

يصرعن ذا اللبّ حتى لا حراك له # و هنّ أضعف خلق الله أركاناً[5]

ثم قالت: قم فأخرج. فقال لها: يا بنت رسول الله، إن لي عليك لحقاً. إذ كنت إنما جئت مسلماً عليك، فكان من تكذيبك إيّاي و صنيعك[6] بي حين أردت أن أسمعك شيئاً من شعري ما ضاق به صدري. و المنايا تغدو و تروح،

و لا أدري، لعلني لا أفارق المدينة حتى أموت. فإن متّ فمري من يدفني في حر هذه الجارية التي على رأسك، فضحكت سكيئة، حتى كادت تخرج من ثيابها، و أمرت له بالجارية، و قالت: أحسن صحبتها؛ فقد آثرتك [1] هذان البيتان لجرير.

[2] و هذه الأبيات لجرير أيضا، من قصيدة يرثي فيها زوجته.

[3] أ فأسمعك: الفاء هنا عاطفة على معطوف محذوف، أي أنشدك، فأسمعك أو نحو ذلك.

[4] و هذان البيتان لجرير أيضا، و يعدهما مؤرخو الأدب أبرع ما قيل في الغزل، و كثير من الروايات «حور» بدل «مرض» .

[5] في كثير من الروايات «إنسانا» بدل «أركانا» ..

[6] في هد «و منعك أن أسمعك شيئا من شعري» .

بها على نفسي، قال: فخرج و هو آخذ بربطتها[1].

يطلب معاوية بتراث عمه

:

أخبرنا عبد الله بن مالك، قال: حدثنا محمد بن موسى، قال: حدثنا المدائني قال: و قد الحتات عمّ الفرزدق على معاوية، فخرجت جوائزهم، فانصرفوا، و مرض الحتات، فأقام عند معاوية حتى مات، فأمر معاوية بماله، فأدخل بيت المال، فخرج الفرزدق إلى معاوية، و هو غلام، فلما أذن للناس دخل بين السماطين[2]، و مثل بين يدي معاوية، فقال: أبوك و عمّي يا معاوي ورّثا # تراثا فيحتاز التّراث أقاربه[3]

/فما بال ميراث الحتات أكلته # و ميراث حرب جامد لي ذائبه؟[4]

فلو كان هذا الأمر في جاهليّة # علمت من المولى القليل حلائبه[5]

و لو كان هذا الأمر في ملك غيركم # لأداه لي أو غصّ بالماء شاربه[6]

فقال له معاوية: من أنت؟ قال: أنا الفرزدق قال: ادفعوا إليه ميراث عمه الحتات، و كان ألف دينار، فدفع إليه.

امرأة تهجوه فتوجه

:

أخبرنا عبد الله بن مالك، عن أبي حمزة الأنصاري، قال: أخبرنا أبو زيد، قال: قال أبو عبيدة.

انصرف الفرزدق من عند بعض الأمراء في غداة باردة، و أمر بجزور، فنحرت ثمّ قسّمت، فأغفل امرأة من بني فقيم، نسيها، فرجّزت به، فقالت:

فيشلة هدلاء ذات شقشق # مشرفة اليافوخ و المحوّق[7]

مدمجة ذات حفاف أخلق # نيطت بحقوي قطم عشّق[8]

أولجتها في سبّه الفرزدق[9]

[1]الربطة: الملاءة كلها نسيج واحد و قطعة واحدة، أو كل ثوب لين

رقيق.

[2]السماطين: الصفيين.

[3] يحتاز: يحوز، أقاربه: أقارب التراث، أو أقارب الميت المفهوم من المقام.

[4] كأنه يريد أن يقول له: ما دمت أكلت عمي فدعني آكل تراث أبيك حرب بن أمية.

[5] المولى: القريب، حلائب: جمع حلوبة، يريد أن عمه لو مات في الجاهلية لآل ميراثه إليه، و لا سيما أنه محتاج إلى قليل من النوق.
[6] يريد بقوله:

«أو غص بالماء شاربه»

تهديد من يأكل ميراثه.

[7] هدلاء: طويلة، من قولهم: هدل الجمل: طالت مشافره، الشقشق: شيء كالرئة يخرج الجمل من فيه إذا هدر. مشرفة اليافوخ: طويل أعلاها، المحوق: من الحوق، وهو ما أحاط بالكمرة من حوافيها..

[8] الحفاف: ما أحاط بالشيء، أخلق: صلب مصمت لا يؤثر فيه شيء، الحقو: الخصر، قطم: مجيد للنكاح مشتته له، عشنق: طويل.

[9] السبة: الاست و جملة أولجتها في سبة الفرزدق «خبر فيشله» في صدر الأبيات، ... و ما بينهما صفات لها.

قال أبو عبيدة: فبلغني أنه هرب منها، فدخل في بيت حماد بن الهيثم [1]، ثم إن الفرزدق قال فيها بعد ذلك: /

قتلت قتيلًا لم ير الناس مثله # أقلبته ذا تومتين مسؤرا [2]

حملت عليه حملتين بطعنة # فغادرته فوق الحشايا مكورا [3]

تري جرحه من بعد ما قد طعنته # يفوح كمثل المسك خالط عنبرا [4]

و ما هو يوم الزحف بارز قرنه # و لا هو ولى يوم لاقى فأدبرا

بني دارم ما تأمرون بشاعر # برود التنايا ما يزال مزعفرا [5]

إذا ما هو استلقى رأيت جهازه # كمقطع عنق الناب أسود أحمر [6]

و كيف أهاجي شاعرا رمحه استه # أعد ليوم الروع درعا و مجمر [7]

فقلت المرأة: ألا لا أرى الرجال يذكرون مني هذا، و عاهدت الله ألا تقول شعرا.

كأنه يريد أن يؤتى

:

أخبرنا عبد الله بن مالك بن مسلم، عن الأصمعيّ قال: مرّ الفرزدق يوما في الأزدي، فوثب عليه ابن أبي علقمة لينكحه، و أعانه على ذلك سفهاؤهم، / فجاءت مشايخ الأزدي و أولو النهى منهم، فصاحوا بابن أبي علقمة و بأولئك السفهاء، فقال لهم ابن أبي علقمة: ويلكم! أطيعوني اليوم، و اعصوني الدهر؛ هذا شاعر مضر و لسانها، قد شتم أعراضكم، و هجا ساداتكم، و الله لا تنالون من مضر مثلها أبدا، فجالوا بينه و بينه، فكان الفرزدق يقول بعد ذلك: قاتله الله. إي و الله، لقد كان أشار عليهم بالرأي.

أنصاري يتحداه بشعر حسان بن ثابت

:

أخبرني عبد الله بن مالك، قال: حدثنا محمد بن حبيب، قال: قال الكلبي: قال إبراهيم بن محمد بن سعد بن أبي وقاص. و أخبرنا بهذا الخبر محمد بن العباس اليزيديّ و الأخفش جميعا، عن السكريّ، عن ابن حبيب، عن أبي عبيدة و الكلبيّ: قال: و أخبرنا به إبراهيم بن سعدان، عن أبيه، عن أبي عبيدة، قالوا جميعا: قدم الفرزدق المدينة في إمارة أبان بن عثمان، فأتى الفرزدق و كثير عزة، فبينما هما يتناشدان الأشعار إذ طلع [1] في هد: «حماد بن القسم» .

[2] التومة: لؤلؤة تتحلى بها المرأة، مسورا: لابسا أساور، يريد أنه صرع بهجائه محاربا من النساء.

[3] في هد:

حملت عليه حملة قطعته # فغادرته فوق الفراش مكورا

و في هج:

حملت إليه طعنتي قطعته # فغادرته بين الحشايا مكورا

و المعاني متقاربة.

[4] يريد أن المطعون جميل، يتضوع دمه مسكا و عنبرا.

[5] في الأصول «برود» بالياء المثناة، و هو تصحيف «برود» بالباء الموحدة، يصف غريمه بأنه عذب الرضاب بارده..

[6] يريد بالجهاز بضع المرأة، و الناب: الناقة المسنة.

[7] اختلفت الأصول في رواية هذا البيت اختلافا كثيرا، و قد اخترنا رواية هد، هج، غير أننا نرى أن «درعا» تحريف «ردعا» بمعنى زعفران، و المعنى: كيف أهاجي امرأة سلاحها ما بين أفخاذها، تعد للحرب طيبا و بخورا؟.

عليهما غلام شخت[1] رقيق الأدمة، في ثوبين ممصرين، فقصد نحونا، فلم يسلم، و قال: أيكم الفرزدق؟ فقلت[2] مخافة أن يكون من قريش: أ هكذا تقول لسيد العرب و شاعرها؟ فقال: لو كان كذلك لم أقل هذا، فقال له الفرزدق: من أنت لا أم لك، قال: رجل من الأنصار، ثم من بني النجار، ثم أنا ابن أبي بكر بن حزم، بلغني أنك تزعم أنك أشعر العرب، و تزعمه مضر، و قد قال شاعرنا حسان بن ثابت شعرا، فأردت أن أعرضه عليك، و أوْجلك سنة، فإن قلت مثله فأنت أشعر العرب، كما قيل، و إلا فأنت منتحل كذاب، ثم أنشده: أ لم تسأل الرّبع الجديد التكلما

حتى بلغ إلى قوله:

و أبقى لنا مّرّ الحروب و رزؤها # سيوفا و أدراعا و جمّا عرمرما[3]
 /متى ما تردنا من معدّ عصابة # و غسان نمنع حوضنا أن يهدّما
 /لنا حاضر فعم و باد كأنه # شماريخ رضوى عزة و تكّرما[4]
 أبى فعلنا المعروف أن ننطق الخنا # و قائلنا بالعرف إلا تكّلما[5]
 بكل فتى عاري الأشجاع لاحة # قراع الكماء يرشح المسك و الدّما[6]
 ولدنا بني العنقاء و ابني محرّق # فأكرم بذا خالا و أكرم بذا ابنا[7]
 يسوّد ذا المال القليل إذا بدت # مروءته فينا و إن كان معدما[8]
 و إنا لنقري الضيف إن جاء طارقا # من الشحم ما أمسى صحيحا مسلّما[9]
 لنا الجفناات الغرّ يلمعن بالصّحى # و أسيافنا يقطرن من نجدة دما[10]

فأنشده القصيدة، و هي نيّف و ثلاثون بيتا، و قال له: قد أجلتك في جوابها حولا، فانصرف الفرزدق مغضبا، يسحب رداءه، و ما يدري أئبة طريقه[11] حتى خرج من المسجد، فأقبل على كثير، فقال له: قاتل الله الأنصار[12] ما أفصح لهجتهم، و أوضح حجّتهم، و أجود شعرهم، فلم نزل في حديث الأنصار و الفرزدق بقية يومنا، حتى إذا كان /من الغد خرجت من منزلي إلى المسجد الذي كنت فيه بالأمس، فأتى كثير، فجلس معي، و إنّنا لتتذاكر الفرزدق، [1]الشخت: الضامر النحيف خلقة، و في بعض النسخ: «شخت اللون» و كان الأنسب أن يقال: «شخت الجسم» .

[2]التاء من قلت: ضمير راوي الخبر، و في هذا الخبر بعض الالتواء، و لكنه هكذا في الأصول.

[3]جما عرمرما: جيشا كثير العدد. و في ف: «جمعا عرمرما»

[4] فعم: ممتلئ، و المراد مفاخر.

[5] هذا البيت تكملة من «المختار» .

[6] الأشاجع: أصول الأصابع، أو عروق ظاهر الكف، و يكنى بعريها عن كثرة قبضها على السلاح، لاه: أهزله و أضمره، و يكنى بقوله: «يرشح المسك و الدم»

عن أنه مترف وقت السلم، شجاع وقت الحرب.

[7] ولدنا: ولدت أوائلنا، ابنما-بفتح النون-تميز، و هو أحد اسمين يتبع ما قبل آخره في الأعراب آخره، و هما «امرؤ و ابنم» .

[8] في ب: «منا» بدل: «فينا» .

[9] يريد أنه إذا قرى لا يعمد إلى الهزيل أو السقيم من نوقه فيذبحه.

[10] البيت مشهور، و له قصة طويلة بين الخنساء و حسان و النابغة، ارجع إليها في كتب الأدب.

[11] كذا في النسخ و المقام يستدعي زيادة كلمة «يسلك» بعد «أية طرقه» و في «المختار»: «يذهب» .

[12] في بعض النسخ: «قاتل الله الأنصاري، ما أفصح لهجته... إلخ، بضمير الواحد» .

و نقول: ليت شعري ما صنع؟ إذ طلع علينا في حلّة أفواف[1]، قد أرخى غديرته، حتى جلس في مجلسه بالأمس، ثم قال: ما فعل الأنصاري؟ فنلنا منه، و شتمناه، فقال: قاتله الله: ما منيت بمثله، و لا سمعت بمثل شعره، فارقتة، و أتيت منزلي، فأقبلت أصعدّ و أصوب في كل فن من الشعر، فكأنني مفحم لم أقل شعرا قط، حتى إذا نادى المنادي بالفجر رحلت ناقتي، و أخذت بزمامها حتى أتيت ربّانا[2]، و هو جبل بالمدينة، ثم ناديت بأعلى صوتي: أخاكم أخاكم، يعني شيطانه، فجاش صدري كما يجيش المرجل، فعقلت ناقتي و توسدت ذراعها، فما عتمت[3] حتى قلت مائة بيت من الشعر و ثلاثة عشر بيتا، فينا هو ينشد إذ طلع الأنصاري، حتى إذا انتهى إلينا سلم علينا، ثم قال: إني لم آتك لأعجلك عن الأجل الذي وقّته لك، و لكني أحببت ألا أراك إلا سألتك: إيش[4] صنعت؟ فقال: اجلس، و أنشده قوله:

عزفت بأعشاش و ما كنت تعزف # و أنكرت من حدراء ما كنت تعرف
و لّج بك الهجران حتى كأنما # ترى الموت في البيت الذي كنت تألف

في رواية ابن حبيب: تيلف[5] حتى بلغ إلى قوله:

ترى الناس ما سرنا يسبيرون خلفنا # و إن نحن أومأنا إلى الناس و وقّوا

/و أنشدها الفرزدق، حتى بلغ إلى آخرها، فقام الأنصاري كئيبا، فلما توارى طلع أبوه أبو بكر بن خزم في مشيخة من الأنصار، فسلموا عليه، و قالوا: يا أبا فراس، قد عرفت حالنا و مكاننا من رسول الله صلى الله عليه و سلم، و قد بلغنا أن سفيها من سفهائنا ربما تعرض لك، فنبسألك بحق الله و حق رسوله لما حفظت فينا وصية رسول الله صلى الله عليه و سلم، و وهبتنا له، و لم تفضحنا.

قال محمد بن إبراهيم: فأقبلت عليه أكلمه، فلما أكثرنا عليه، قال: اذهبوا، فقد وهبتكم لهذا القرشي.

[قال سليمان بن عبد الملك للفرزدق: أنشدني أجود شعر عملته، فأنشده: عزفت بأعشاش و ما كدت تعزف[6]

فقال: زدني: فأنشده:

ثلاث و اثنتان فتلك خمس # و واحدة تميل إلى السّمام[7]

فيتن بجانب مصرّعات # و بتّ أفصّ أغلاق الختام[8]

[1] أفواف: ثياب رفاق موشاة مخططة.

[2] هكذا في ب «ريانا» و الصواب «ريان» بالمنع من الصرف، لأنه من الري و ربما كان من الرين، فتكون نونه أصلية، و حينئذ فلا مانع من صرفه، و في «المختار»: «ذبابا» بدل «ريانا» .

[3] ما عتمت: ما أبطأت.

[4] إيش: لفظ منحوت من «أي شيء» و هو عربي فصيح.

[5] و كذا في «الديوان»: 551 و «النقائض» و هي لهجة تميمية في تألف.

[6] تقدمت الأبيات التي تبتدئ بهذا المصراع.

[7] يريد بهذا العدد: من عبث بهن من النساء، و الشامام: القبل و الترشف و ما إليهما.

[8] كنى بفض أغلاق الختام عن المضاجعة و المواقعة...

فقال له سليمان: ما أراك إلا قد أحللت نفسك للعقوبة، أقررت بالزنى عندي، و أنا إمام، و لا تريد مني إقامة الحد عليك، فقال: إن أخذت فيّ بقول الله عزّ و جلّ لم تفعل. قال: و ما قال؟. قال: قال الله تبارك و تعالى:

وَ الشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ، أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ، وَ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ، فضحك سليمان و قال:

تلافيتها و درأت عنك الحدّ و خلع عليه و أجازة[1].

يجتمع هو و جرير بالشام

:
أخبرنا عبد الله بن مالك، قال: حدثنا محمد بن حبيب، عن الأصمعي، قال:

قدم الفرزدق الشام و بها جرير بن الخطفي، فقال له جرير: ما ظننتك تقدم بلدا أنا فيه، فقال له/الفرزدق: إني طالما أخلفت ظن العاجز.

أخبرنا عبد الله بن مالك قال: حدثنا محمد بن موسى بن طلحة: قال: قال أبو مخنف:

الفرزدق لعنة و جرير شهاب

:
كان الفرزدق[2]لعنة، أي يتلّعن به كأنه لعنة على قوم، و كان جرير شهابا من شهب النار.

يتندر بمحمد بن وكيع

:
أخبرنا عبد الله بن مالك، قال: حدثنا الأزديّ: قال: حدثنا عمرو بن أبي عمرو عن أبيه، قال: قال أبو عمرو ابن العلاء[2]:

مر الفرزدق بمحمد بن وكيع بن أبي سود، و هو على ناقة فقال له: غدّني، قال: ما يحضرني غداء، قال:

فاسقني سويقا، قال: ما هو عندي، قال: فاسقني نبيذا، قال: أو صاحب نبيذ عهدتني، قال: فما يحضرني غداء، قال:

فاسقني سوبقا، قال: ما هو عندي، قال: فاسقني نبیذا، قال: أو صاحب نبیذ عهدتني، قال: فما يقعدك في الظل؟ قال: فما أصنع؟ قال: أطل وجهك بدبس[3]، ثم تحوّل إلى الشمس، و أقعد فيها، حتى يشبه لونك لون أبيك الذي تزعمه، قال أبو عمرو: فما زال ولد محمد يسبّون بذلك من قول الفرزدق انتهى.

هاشم بن القاسم يتجاهله

:

أخبرنا عبد الله بن مالك، عن ابن حبيب، عن موسى بن طلحة، عن أبي عبيدة، عن أبي العلاء: قال: أخبرني هاشم بن القاسم العنزي أنه قال:

جمعني و الفرزدق مجلس، فتجاهلت عليه، فقلت له: من أنت؟ قال: أنا ما تعرفني؟ قلت: لا، قال: فأنا أبو فراس، قلت: و من أبو فراس، قال: أنا الفرزدق، قلت: و من الفرزدق؟ قال: أ و ما تعرف الفرزدق؟ قلت: أعرف الفرزدق/أنه شيء يتخذہ النساء عندنا، يتسمن به و هو الفتوت، فضحك و قال: الحمد لله الذي جعلني في بطون نسائكم.

الكلبيون يعبثون به

:

أخبرني عبد الله بن مالك، عن محمد بن حبيب، عن النضر بن حديد، قال:

[1]تكملة من «المختار» .

(2-2) تكملة من هج و لعل المراد أن الأول لعنة على من يهجو، و الثاني يرمم من يهجو كما يرمم الشهاب.

[3]الدبس: الأسود من كل شيء. -

مر الفرزدق بماء لبني كليب مجتازا، فأخذوه، و كان جبانا، فقالوا: و الله لتلقيننا منا ما تكره، أو لتنكحن هذه الأتان، و أتوه بأتان، فقال: و بلكم! اتقوا الله، فإنه شيء ما فعلته قط، فقالوا: إنه لا ينجيك و الله إلا الفعل قال: أمّا إذا أبيتم فأتوني بالصخرة التي يقوم عليها [1] عطية، فضحكوا، و قالوا: اذهب لأصحابك الله.

أسود يستخف به

:
أخبرنا عبد الله بن مالك، عن محمد بن موسى، عن العتبي قال:
دخل الفرزدق على قوم يشربون عند رجل بالبصرة، و في صدر مجلسهم فتى أسود، و على رأسه إكليل؛ فلم يحفل بالفرزدق، و لم يحف به تهاونا، فغضب الفرزدق من ذلك و قال: جلوسك في صدر الفراش مذلة # و رأسك في الإكليل إحدى الكبائر

و ما نطفت كأس و لا لآطعما # ضربت على حافاتها بالمشافر [2]

يرثي وكيعا، فينسى مشيعه الاستغفار له

:
أخبرني عبد الله بن مالك عن محمد بن موسى، عن العتبي قال:
لما مات وكيع بن أبي سود أقبل الفرزدق حين أخرج، و عليه قميص أسود، و قد شقه إلى سرتة و هو يقول: فمات و لم يوتر و ما من قبيلة # من الناس إلا قد أباأت على وتر [3]

و إنّ الذي لاقى وكيعا و ناله # تناول صديق النبيّ أبا بكر [4]

/قال: فعلق الناس الشعر، فجعلوا ينشدونه، حتى دفن، و تركوا الاستغفار له.

ميمته المأثورة في علي بن الحسين

:
أخبرنا عبد الله بن علي بن الحسن الهاشمي، عن حيان بن علي العنزي، عن مجالد، عن الشعبي قال: حج الفرزدق بعد ما كبر، و قد أتت له سبعون سنة، و كان هشام بن عبد الملك قد حج في ذلك العام فرأى عليّ بن الحسين في غمار الناس في الطواف، فقال: من هذا الشاب الذي تبرق

أسرة وجهه كأنه مرآة صينية تتراءى فيها عذارى إحي وجوهها؟ فقالوا: هذا عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب صلوات الله عليهم، فقال الفرزدق: هذا الذي تعرف البطحاء وطأته # و البيت يعرفه و الحلّ و الحرم

/هذا ابن خير عباد الله كلهم # هذا النقيّ النقيّ الطاهر العلم

هذا ابن فاطمة إن كنت جاهله # بجده أنبياء الله قد ختموا[5]

و ليس قولك: من هذا بضائره # العرب تعرف من أنكرت و العجم

إذا رآته قريش قال قائلها: # إلى مكارم هذا ينتهي الكرم

[1] يريد عطية أبا جرير، و معروف أنه كان يلقب جريرا بابن المراغة.

[2] نطفت الكأس: قطرت، و المصراع الثاني صفة لكأس مع الفصل بين الصفة و الموصوف.

[3] في ب: «أبأت» و في نسخة أخرى «أثابت» و كلاهما بمعنى «رجع» المتعدي كأنه يريد رجعت نفسها إلى الأخذ بالثأر.

[4] ظاهر البيتين يفيد أن وكيعا مات قتيلا، و أنه كان ذا صلة بالخليفة أبي بكر.

[5] نون «فاطمة» للضرورة.

يغضي حياء و يغضي من مهابته # فما يكلم إلا حين يتسم
 بكفه خيزران ريحها عبق # من كفّ أروع في عرينه شمم[1]
 يكاد يمسكه عرفان راحته # ركن الحطيم إذا ما جاء يستلم[2]
 الله شرّفه قدما و عظّمه # جرى بذاك له في لوحه القلم
 /أيّ الخلائق ليست في رقابهم # لأوليّة هذا أوله نعم؟[3]
 من يشكر الله يشكر أوليّة ذا # فالدين من بيت هذا ناله الأمم
 ينمي إلى ذروة الدين التي قصرت # عنها الأكفّ و عن إدراكها القدم
 من جدّه دان فضل الأنبياء له # و فضل أمته دانت له الأمم
 مشتقة من رسول الله نبعته # طابت مغارسه و الخيم و الشّيم[4]
 ينشقّ ثوب الدجى عن نور غرّته # كالشمس تنجاب عن إشراقها الظلم
 من معشر حبّهم دين، و بغضهم # كفر و قربهم منجى و معتصم
 مقدّم بعد ذكر الله ذكرهم # في كلّ بدء و مختوم به الكلم
 إن عدّ أهل التّقى كانوا أئمتهم # أو قيل من خير أهل الأرض قيل: هم
 لا يستطيع جواد كنه جودهم # و لا يدانيهم قوم و إن كرموا
 يستدفع الشّرّ و البلوى بحبّهم # و يستربّ به الإحسان و التّعّم[5]

[6] و قد حدثني بهذا الخبر أحمد بن الجعد، قال: حدثنا أحمد بن القاسم البرتيّ، قال: حدثنا إسحاق بن محمد النخعيّ، فذكر أن هشاما حجّ في حياة أبيه، فرأى عليّ بن الحسين رضي الله تعالى عنهم يطوف بالبيت و الناس يفرجون له. فقال: من هذا؟ فقال الأبرش الكلبي: ما أعرفه، فقال الفرزدق: و لكنني أعرفه، فقال: من هو؟ فقال: هذا الذي تعرف البطحاء و طأته

و ذكر الأبيات... إلخ[6].

/قال: فغضب هشام فحبسه بين مكة و المدينة فقال: أ تحبسني بين المدينة و التي # إليها قلوب الناس يهوى منيها[7]

[1]العربين: الألف.

[2]عرفان: مفعول لأجله، أي يكاد ركن الحطيم يقبض على راحته عند استلامها إياه، لأن الركن يعرف هذه الكف.

[3] نعم اسم ليس، أي، ما في الخلائق مخلوق لا يدين بالنعمة له أو لأوليته: جدوده السابقين، و في نسخة أخرى: أي الخلائق إلا في رقابهم، و عليه تكون «نعم» مبتدأ مؤخرًا لقوله: «في رقابهم» .

[4] النبعة: شجرة صلبة الألياف تتخذ منها القسي، و كنى بها عن الأصل و الأرومة، و الخيم: الأصل و الشرف.

[5] يسترب: يستزاد و ينمى.

(6-6) تكملة من هد، هج.

[7] كنى بقوله:

«و التي...»

إلخ» عن مكة.

يقلّب رأساً لم يكن رأس سيّد # و عينا له حولاء باد عيوبها[1]

فبلغ شعره هشاماً، فوجّه، فأطلقه.

بينه و بين مالك بن المنذر

:

أخبرنا عبد الله بن مالك، عن محمد بن موسى، عن الهيثم بن عديّ، قال: أخبرنا أبو روح الراسبيّ، قال: لما ولي خالد بن عبد الله العراق ولى مالك بن المنذر شرطة البصرة، فقال الفرزدق: يبغض فينا شرطة المصر أنني # رأيت عليها مالكا عقب الكلب

قال، فقال مالك: عليّ به، فمضوا به إليه، فقال: أقول لنفسي إذ تغصّ بريقها # ألا ليت شعري ما لها عند مالك؟

قال: فسمع قوله حائك يطلع من [2] طرازه، فقال: لها عنده أن يرجع الله ريقها # إليها و تنجو من عظيم المهالك [3]

فقال الفرزدق هذا أشعر الناس، و ليعودنّ مجنونا، يصيح الصبيان في أثره [4] فقال: فأروه بعد ذلك مجنونا يصيح الصبيان في أثره [4].

/أخبرنا/ عبد الله بن مالك قال: حدثنا محمد بن علي بن سعيد، قال حدثنا القحذميّ: قال: فلما أتوا مالك بن المنذر بالفرزدق قال: هيه عقب الكلب، قال: ليس هذا هكذا قلت، و إنما قلت: أ لم ترني ناديت بالصوت مالكا # ليسمع لما غصّ من ريقه الفم

أعوذ بقبر فيه أكفان منذر # فهن لأيدي المستجيرين محرم [5]

قال: قد عذت بمعاذ [6]، و خلّي سبيله.

أخبرنا عبد الله قال: حدثني محمد بن موسى، قال: كتب خالد القسريّ إلى مالك بن المنذر يأمره بطلب الفرزدق، و يذكر أنه بلغه أنه هجاه، و هجا نهره المبارك [7]، و هو النهر الذي بواسط الذي كان خالد حفره، [8] فاشتد مالك في طلبه حتى ظفر به في البراجم [8] فأخذه و حبسه و مرّوا به على بني مجاشع، فقال: يا قوم، اشهدوا أنه لا خاتم بيدي، و ذلك أنه [9] أخذ عمر بن [1] فاعل يقلب، ضمير هشام، و كانت عينه حولاء و كان القياس «باديا عيوبها»، و لا يصح أن يكون «باد» خبرا مقدما عن «عيوب» لأنه مفرد.

[2]هد: «يطلع من طراز له»: دكان الحائك.

[3]سكن واو «تنجو» للضرورة.

(4-4) تكملة من هد، هج.

[5]منذر: أبو مالك، و ضمير هن يعود على الأكفان.

[6]بمعاذ: بذي حرمة، يعوذ من استعاذ به.

[7]تقدم هذا الخبر برواية أخرى.

(8-8) تكملة من هد، هج.

[9]فاعل أخذ: ضمير المنذر.

يزيد بن أسيد، ثم أمر به فلويت عنقه، ثم أخرجوه ليلا إلى السجن، فجعل رأسه يتقلب، و الأعوان يقولون له: قَوْمُ رَأْسِكَ، فلما أتوا به السَّجَّان قال: لا أتسلمه منكم ميتا، فأخذوا المفاتيح منه، و أدخلوه الحبس، و أصبح ميتا، فسمَّعوا أنه مصَّ خاتمه و كان فيه سم، فمات، و تكلم الناس في أمره، فدخل لبطة بن الفرزدق على أبيه، فقال: يا بني، هل كان من خبر؟ قال: نعم، عمر بن يزيد مصَّ خاتمه في الحبس، و كان فيه سم، فمات، فقال الفرزدق: و الله يا بني لئن لم تلحق بواسطة ليمص [1] أبوك خاتمه، و قال في ذلك: /

أ لم يك قتل عبد الله ظلما # أبا حفص من الحرم العظام [2]

قتيل عداوة لم يجن ذنبا # يقطع و هو يهتف للإمام

قال: و كان عمر عارض خالدا و هو يصف لهشام طاعة أهل اليمن و حسن موالاتهم و نصيحتهم، فصَّق عمرو بن يزيد إحدى يديه على الأخرى، حتى سمع له في الإيوان دوي، ثم قال: كذب و الله يا أمير المؤمنين، ما أطاعت اليمانية، و لا نصحت، أ ليس [3] هم أعداؤك و أصحاب يزيد بن المهلب و ابن الأشعث؟ و الله ما ينعم ناعم إلا أسرعوا الوثبة إليه، فاحذرهم يا أمير المؤمنين [4] قال: فتبين ذلك في وجه هشام [4] و وثب رجل من بني أمية، فقال لعمر بن يزيد: وصل الله رحمك و أحسن جزاءك، فلقد شددت من أنفس قومك، و انتهزت الفرصة في وقتها، و لكن أحسب هذا الرجل سيلى العراق، و هو منكر حسود، و ليس [5] يخار لك إن ولى، فلم يرتدع عمر بقوله، و ظن أنه لا يقدم عليه، فلما ولى لم تكن له همة غيره، حتى قتله، قال:

جرير يشفع له

:

ثم إن مالكا وجّه الفرزدق إلى خالد، فلما قدم به عليه وجده قد حج، و استخلف أخاه أسد بن عبد الله على العراق، فحبسه أسد، و وافق عنده جريرا، فوثب يشفع له، و قال: إن رأى الأمير أن يهبه لي، فقال أسد: أتشفع له يا جرير؟ فقال: إن ذلك أذلّ له-أصلحك الله- و كلم أسدا ابنه المنذر، فخلّى سبيله، فقال الفرزدق في ذلك: لا فضل إلا فضل أمّ على ابنها # كفضل أبي الأشبال عند الفرزدق [6]

تداركني من هوة دون قعرها # ثمانون باعا للطوال العشتق [7]

/و قال جرير يذكر شفاعته له:

و هل لك في عان و ليس بشاكر # فتطلق عنه عصّ مسّ الحدائد[8]

[1] «ليمص» كذا في النسخ، و القياس «ليمصن» بنون التوكيد، و مراد الفرزدق أنه سيقتل، و يدعي عليه أنه مص خاتمته، لا أنه يمص مصا حقيقيا.

[2]أبا حفص: مفعول «قتل» .

[3]اسم ليس هنا ضمير الشان، و جملة «هم أعداؤك» خبر ليس.

(4-4) فتبين ذلك، أي أثر ذلك الكلام، و التكملة من هد.

[5]و ليس يخار لك: ليس يختار لك ما يرضيك، و الجملة يراد بها التحذير.

[6]البيت من الطويل دخله الخرم، أبو الأشبال: يراد به أسد بن المنذر، الجار و المجرور «كفضل» خبر لا، و أصل التركيب: لا فضل كفضل أبي الأشبال إلا فضل أم على ابنها.

[7]الطوال-بضم الطاء-الطويل، و العشق: الطويل أيضا، فهو من باب التكرار للتأكيد.

[8]يريد بالحدائد القيود، و يلاحظ أن جريرا لم ينس النيل من الفرزدق في بيته حتى في مقام الشفاعة له.

يعود و كان الخبث منه سجية # و إن قال: إني منته غير عائد

يهجو بني فقيم

:

/أخبرني عبيد الله، عن محمد بن موسى، عن القحذمي، قال:
كان سبب هرب الفرزدق من زياد، و هو على العراق، أنه كان هجا بني
فقيم، فقال فيهم أبياتا منها: و آب الوفد وفد بني فقيم # بأخبث ما تئوب به
الوفود

أتونا بالقرود معادليها # فصار الجدّ للجدّ السعيد[1]

و قال يهجو زيد بن مسعود الفقيمي و الأشهب بن رميلة بأبيات، منها
قوله: تمّنى ابن مسعود لقائي سفاهة # لقد قال مينا يوم ذاك و منكر[2]

غناء قليل عن فقيم و نهشل # مقام هجين ساعة ثم أدبرا[3]

يعني الأشهب بن رميلة، و كان الأشهب خطب إلى بني فقيم، فردوه، و
قالوا له: اهج الفرزدق حتى نزوّجك، فرجز به الأشهب، فقال: /

يا عجبا هل يركب القين الفرس # و عرق القين على الخيل نجس؟[4]

و إنما سلاحه إذا جلس # الكلبتان و العلاء و القبس[5]

يهرب من زياد

:

فلما بلغ الفرزدق قوله هجاه، فأرثت[6]له، و ألح الفرزدق على
النهشليين بالهجاء، فشكوه إلى زياد، و كان يزيد بن مسعود ذا منزلة عند
زياد، فطلبه زياد، فهرب، فأتى بكر بن وائل، فأجاروه، فقال الفرزدق
يمدحهم بأبيات: إني و إن كانت تميم عمارتي # و كنت إلى القرموس منها
القماقم[7]

لمثن على أبناء بكر بن وائل # ثناء يوافي ركبهم في المواسم[8]

همو يوم ذي قار أناخوا فجالدوا # برأس به تدمى رءوس الصّلام[9]

[1]معادليها: حال من الواو، أي أتونا بالقرود و هم مشابهون لها، و في
الأصل: «قصار المجد للجد السعيد»

و لا معنى له، فضلا عما فيه من الإقواء، و قد اخترنا رواية ف

«فصار الجد للجد السعيد»

على أن الجد الأولى بمعنى الحظ، و الجد الثانية-يفتح الجيم أو ضمها-
بمعنى الرجل المجدود، و السعيد صفة الجد الأولى، و المعنى: رجعوا هم
بالقروء، و رجع المحظوظ بالخط السعيد.

[2] في هج: «حينا» بدل «ميتا» و في غيرها «ميتا» و هو تصحيف.

[3] الهجين: غير صريح النسب، و في البيت عطف الفعل على الاسم،
و المعنى: أقام ساعة ثم أدبرا.

[4] القين: الحداد.

[5] الكلبتان: آلة من آلات الحداد، و العلاة: السندان، و القيس: ما
يستعمله الحداد من النيران في إلانة الحديد.

[6] أرفث: أفحش.

[7] البيت من الطويل دخله الخرم، العمارة: الحي دون القبيلة،
القرموس، السيد الرئيس، القماقم: الجواد ذو الفضل الغزير.

[8] لمثن: خبر «إني» في البيت السابق.

[9] يوم ذي قار: يوم مشهور، كان للعرب على الفرس، و لعل يعني
بالرأس هانئ بن مسعود بطل ذلك اليوم، الصلادم: جمع صلدم بمعنى الأسد
أو الحجر الصلب، و المعنى يستقيم على كلا المعنيين.

و هرب، حتى أتى سعيد بن العاص، فأقام بالمدينة يشرب، و يدخل إلى
القيان، و قال: إذا شئت غنّاني من العاج قاصف # على معصم ريان لم
يتخذد [1]

لبيضاء من أهل المدينة لم تعش # بيؤس و لم تتبع حمولة مجحد
و قامت تخشيني زيادا و أجفلت # حوالِي في برد يمان و مجسد
فقلت: دعيني من زياد فإنتي # أرى الموت و قافا على كل مرصد

مروان ينفيه ثم يجيزه

:

فبلغ شعره مروان، فدعاه، و توعده، و أجّله ثلاثا، و قال: اخرج عني،
فأنشأ يقول الفرزدق: دعانا ثم أجلنا ثلاثا # كما وعدت لمهلكها ثمود [2]

قال مروان [3]: قولوا له عني: إني أجبته، فقلت:

قل للفرزدق و الشفاهة كاسمها # إن كنت تارك ما أمرتك فاجلس [4]

ودع المدينة إنها محظورة # و الحق بمكة أو بيت المقدس

قال: و عزم على الشخوص إلى مكة، فكتب له مروان إلى بعض
عماله، ما بين مكة و المدينة بمائتي دينار، فارتاب بكتاب مروان، فجاء به
إليه و قال: مروان إن مطيتي معقولة # ترجو الحباء و ربّها لم ييأس

أتيتني بصحيفة مختومة # يخشى عليّ بها حياء التّقرس [5]

/ ألق الصحيفة يا فرزدق لا تكن # نكراء مثل صحيفة المتلمّس [6]

قال: و رمى بها إلى مروان، فضحك، و قال: ويحك! إنك أمي، لا تقرأ،
فاذهب بها إلى من يقرؤها، ثم ردّها، حتى أختمها، فذهب بها، فلما قرئت إذا
فيها جائزة، قال: فردّها إلى مروان، فختمها، و أمر له الحسين بن عليّ
عليهما السلام بمائتي دينار، قال: و لما بلغ جريرا أنه أخرج عن المدينة قال:

إذا حلّ المدينة فارجموه # و لا تدنوه من جدث الرسول [7]

فما يحمى عليه شراب حدّ # و لا ورهاء غائبة الحليل [8]

فأجابه الفرزدق، فقال:

[1] تقدمت هذه الأبيات في الترجمة نفسها. فارجع إليها.

[2] في هج

«دعاني ثم أجلني»

[3] ليس فيما قاله الفرزدق ما يستدعي عدول مروان عن عقوبته،
فلعل هنا خرما، أو لعل بعد البيت السابق أبيات استعطاف لم تذكر.

[4] الشعر لمروان: و لم نستطع التوفيق بين قوله: «اجلس» في البيت
الأول و قوله: «و دع المدينة»

في البيت الثاني، ربما كانت «اجلس» تصحيف «اجلس» -بالحاء-
بمعنى ضع المجلس على دابتك و ارحل، و المجلس: القتب أو السرج و
نحوهما.

[5] النقرس: الهلاك، أو الداهية، أو وجع في مفاصل الكعبيين.

[6] صحيفة المتلمس: صحيفة حملها تتضمن هلاكه، و قصتها مشهورة،
و المتلمس الشاعر المعروف.

[7] في هج

«إذا حل الفرزدق»

[8] في هد «يخفى» بدل «يحمى» و الورهاء: الحمقاء، و المراد أنه
مدمن زير نساء.

نعت لنا من الورهاء نعتا # قعدت به لأمك بالسبيل
فلا تبغي إذا ما غاب عنها # عطية غير نعتك من حليل[1]

يموت بذات الجنب

:
أخبرنا عبد الله بن مالك، قال: حدثني محمد بن موسى، قال: حدثنا أبو عكرمة الضبي عن أبي حاتم السجستاني، عن محمد بن عبد الله الأنصاري، قال أبو عكرمة: و حكى لنا عن لبطة بن الفرزدق أن أباه أصابته ذات الجنب، فكانت سبب وفاته.

قال: و وصف له أن يشرب اللّفط الأبيض، فجعلناه له في قدح، و سقناه إياه، فقال: يا بني عجلت لأبيك شراب أهل النار، فقلت له: يا أبت، قل: لا إله إلا الله، فجعلت أكررها عليه مرارا، فنظر إليّ و جعل يقول: فضلت تعالى باليفاع كأنها # رماح نحاها وجهه الرّيح راکز[2]
فكان ذا هجّيراه حتى مات.

أخبرني أبو خليفة، عن محمد بن سلام، قال: حدثني شعيب بن صخر، قال: دخل بلال بن أبي بردة على الفرزدق في مرضه الذي مات فيه، و هو يقول: أروني من يقوم لكم مقامي # إذا ما الأمر جلّ عن الخطاب
/البيتين[3]، فقال بلال: إلى الله، إلى الله.

يتمرد في مرض موته

:
أخبرني الحسين بن يحيى، عن حماد، عن أبيه، عن الأصمعيّ، قال: كان الفرزدق قد دبر عبدا له، و أوصى بعقّهم بعد موته، و يدفع شيء من ماله إليهم، فلما احتضر جمع سائر أهل بيته، و أنشأ يقول: أروني من يقوم لكم مقامي # إذا ما الأمر جلّ عن الخطاب

إلى من تفرعون إذا حثوتم # بأيديكم عليّ من التراب

فقال له بعض عبده-الذين أمر بعقّهم-: إلى الله، فأمر بيعه قبل وفاته، و أبطل وصيته فيه، و الله أعلم.

أخبرني الحسن بن عليّ، عن بشر بن مروان، عن الحميديّ، عن سفيان، عن لبطة بن الفرزدق قال: لمّا احتضر أبو فراس قال-أي لبطة: أبغني كتابا أكتب فيه وصيتي، فأتيته بكتاب فكتب وصيّته: أروني من يقوم لكم مقامي

البيتين، فقالت مولاة له-قد كان أوصى لها بوصية-: إلى الله عزّ وجلّ، فقال: يا لبطة، امحها من الوصية.

[1] يريد بالبيتين أن أم جرير هي الورهاء التي لا يخفى مكانها عليه حين يغيب حليلها عطية.

[2] تعالى: أصله تتعالى، و لعل ضمير «ظلت» يعود على خيل، أو إبل، أو نحو ذلك، و كأن الفرزدق صرف هذا الضمير إلى روحه التي تصاعدت حتى بلغت حلقومه.

[3] لم يتقدم ذكر البيتين، بل ذكر بيتا واحدا، على أنه سيعيدهما بعد أسطر.

قال سفيان: نعم ما قالت و بنس ما قال أبو فراس.

ينظم وصيته شعرا

:

و قال عوانة: قيل للفرزدق في مرضه الذي مات فيه أوص، فقال:

أوصي تميما إن قضاة ساقها # ندى الغيث عن دار بدومة أو جدب [1]

/فإنكم الأكفاء و الغيث دولة # يكون بشرق من بلاد و من غرب [2]

إذا انتجعت كلب عليكم فوسّعوا # لها الدار في سهل المقامة و الرّحب

فأعظم من أحلام عاد حلومهم # و أكثرهم عند العديد من التّرب

أشدّ حبال بعد حيين مرّة # حبال أمّرت من تميم و من كلب [3]

يسبقه إلى الآخرة غلام له

:

قال: و توفي للفرزدق ابن صغير قبل وفاته بأيام، و صلّى عليه، ثم التفت إلى الناس، فقال: و ما نحن إلا مثلهم غير أنّنا # أقمنا قليلا بعدهم و تقدّموا

قال: فلم يلبث إلا أياما حتى مات.

أنشد عند موته:

و قال المدائني: قال لبطة: أغمي على أبي، فبكينا، ففتح عينيه، و قال: أ عليّ تكون؟ قلنا: نعم، أ فعلى ابن المراغة نبكي؟ فقال: وبحكم! أ هذا موضع ذكره؟ و قال: إذا ما دبّت الأنقاء فوقي # و صاح صدى عليّ مع الظلام [4]

فقد شمتت أعاديكم و قالت: # أدانيكم من أين لنا المحامي؟

وقع نعيه على جرير

:

أخبرني أبو خليفة الفضل بن الحباب إجازة، قال: حدثنا محمد بن سلام، قال: حدثنا أبو العرف، قال: نعي الفرزدق لجرير، و هو عند المهاجر بن عبد الله باليمامة، فقال: /

مات الفرزدق بعد ما جرّعته # ليت الفرزدق كان عاش قليلا [5]

فقال له المهاجر: بئس ما قلت، أ تهجو ابن عمك بعد ما مات! و لو رثيته كان أحسن بك. فقال: و الله إني لأعلم أن بقائي بعده لقليل، و أن نجمي لموافق لنجمه، أ فلا أرثيه؟ قال: أبعد ما قيل لك: الو كنت بكيته ما نسيته العرب.

[1]قضاة: مفعول به لفعل محذوف تقديره: «إن ساق ندى الغيث قضاة» ، دومة: اسم مكان بعينه.

[2]دولة: متداولة، لا تستقر على حال.

[3]المرّة: إحكام الفتل.

[4]في ب: «الأفياء» . ، و النقا: الكثيب من الرمل، و الصدى: رجع الصوت من الجبل و نحوه، أو هو طائر يخرج من رأس القليل، و يقول: اسقوني حتى يؤخذ بثأره، و ليس المراد أنه مات قتيلًا بل المراد أنه مجاور لهذا الطائر و أمثاله.

[5]جرعته: سقيته المر و نحوه، و في، هج: «جدعته» بالبدال المشددة بمعنى قطعت أنفه. -

قال أبو خليفة: قال ابن سلام: فأنشدني معاوية بن عمرو، قال: أنشدني عمارة بن عقيل لجريير يرثي الفرزدق بأبيات منها:

فلا ولدت بعد الفرزدق حامل # و لا ذات بعل من نفاس تعلت [1]

هو الوافد المأمون و الرّاتق الثّأى # إذا النعل يوما بالعشيرة زلت [2]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز، عن ابن شبة بخبر جريير لما بلغه وفاة الفرزدق، و هو عند المهاجر، فذكر نحوه مما ذكره ابن سلام، و زاد فيه، قال: ثم قال، و بكى، و ندم، و قال: ما تقارب رجلان في أمر قط، فمات أحدهما إلا أوشك صاحبه أن يتبعه.

في أي سنة مات

:

قال أبو زيد: مات الحسن و ابن سيرين و الفرزدق و جريير في سنة عشر و مائة، فقبّر الفرزدق بالبصرة، و قبر جريير و أيوب السّختياني و مالك بن دينار باليمامة في موضع واحد.

و هذا غلط من أبي زيد عمر بن شبة، لأن الفرزدق مات بعد يوم كاظمة، و كان ذلك في سنة اثنتي عشرة و مائة، و قد قال فيه الفرزدق شعرا، و ذكره في مواضع من قصائده، و يقوّي ذلك ما أخبرنا به وكيع، قال:

/حدثنا عمر بن محمد بن عبد الملك الزيات، قال: حدثني ابن النّطّاح، عن المدائنيّ، عن أبي اليقظان و أبي همام المجاشعيّ:

أن الفرزدق مات سنة أربع عشرة و مائة.

جريير ينعي نفسه و يرثيه

:

قال أبو عبيدة:

حدثني أبو أيوب بن كسيب من آل الخطفي، و أمه ابنة جريير بن عطية،

قال:

بينما جريير في مجلس بفناء داره بحجر إذ راكب قد أقبل، فقال له جريير: من أين وضح الراكب [3]؟ قال: من البصرة، فسأل عن الخبر، فأخبره بموت الفرزدق، فقال:

مات الفرزدق بعد ما جرّعه # ليت الفرزدق كان عاش قليلا

ثم سكت ساعة، فظنّاه يقول شعرا، فدمعت عيناه، فقال القوم:
سبحان الله، أتبكي على الفرزدق! فقال:

و الله ما أبكي إلا على نفسي، أما و الله إن بقائي؛ خلافه [4] لقليل، إنه
قل ما كان مثلنا رجلا ن يجتمعان على خير أو شر إلا كان أمد ما بينهما قريبا،
ثم أنشأ يقول:

فجعنا بحمّال الدّيات ابن غالب # و حامي تميم كلّها و البراجم

[1] تعلت المرأة من نفاسها: انقضت عنها مدته.

[2] الثأى: الفتق.

[3] من أين وضع الراكب؟: من أين طلع؟ و في بعض النسخ «أوضح»
بدل «وضح» و هما بمعنى واحد.

[4] خلافه: بعده، و منه قوله تعالى: **لَا يَلْبُثُونَ خِلافَكَ إِلَّا قَلِيلًا** .

بكيناك حدثان الفراق و إنما # بكيناك شجوا للأمور العظامم[1]
فلا حملت بعد ابن ليلى مهيرة # و لا شند أنساع المطبيّ الرّواسم[2]

يموت بالدبيلة

:

/و قال البلاذريّ: حدثنا أبو عدنان[3]، عن أبي اليقظان، قال: أسنّ الفرزدق حتى قارب المائة فأصابته الدبيلة[4]، و هو بالبادية فقدم إلى البصرة؛ فأتي برجل من بني قيس متطيب؛ فأشار بأن يكوى، و يشرب التّفط الأبيض، فقال: أ تعجلّون لي طعام أهل النار في الدنيا؟ و جعل يقول: أروني من يقوم لكم مقامي # إذا ما الأمر جلّ عن الخطاب

أبو ليلى المجاشعي يرثيه

:

و قال أبو ليلى المجاشعيّ يرثى الفرزدق:

لعمري لقد أشجعى تميما و هدّها # على نكبات الدهر موت الفرزدق
عشيّة قدنا للفرزدق نعشه # إلى جدث في هوة الأرض معمق
لقد غيّبوا في اللحد من كان ينتمي # إلى كل بدر في السماء محلّق
ثوى حامل الأثقال عن كل مثقل # و دقّاع سلطان الغشوم السملق[5]
لسان تميم كلّها و عمادها # و ناطقها المعروف عند المختق[6]
فمن لتميم بعد موت ابن غالب # إذا حل يوم مظلم غير مشرق
لتبك النساء المعولات ابن غالب # لجان و عان في السلاسل موثق

أعلام ماتوا سنة موته

:

و قال ابن زكريا الغلابيّ، عن ابن عائشة، قال:

مات الفرزدق و جرير في سنة عشرة و مائة، و مات جرير بعده بستة أشهر، و مات في هذه السنة الحسن البصريّ و ابن سيرين، قال: /فقال امرأة من أهل البصرة: كيف يفلح بلد مات فقيهاه و شاعراه في سنة؟ و نسبت جريرا إلى البصرة لكثرة قدومه إليها من اليمامة، و قبر جرير باليمامة، و بها مات، و قبر الأعشى أيضا باليمامة: أعشى بني قيس بن

ثعلبة، و قبر الفرزدق بالبصرة في مقابر بني تميم: [1]حدثان الفراق: أول الفراق و ابتداءه.

[2]المهيرة: من غولي في مهرها، أنساع: جمع نسع، و هو سير عريض تشد به الحقائب و العيب و نحوها، الرواسم: الإبل التي تؤثر في الأرض.

[3]في هج: «أبو هفان» بدل «أبو عدنان» .

[4]الديلة: داء من الأدواء التي تصيب الجوف.

[5]في هج: «و حمال» بدل «و دفاع» . السملق: الشرس السيئ الخلق.

[6]عند المخنق: عند ما يعيا المتكلم عن الكلام كأنه مختنق.

و قال جرير لما بلغه موت الفرزدق: قلّما تصاول فحلان، فمات أحدهما إلا أسرع لحاق الآخر به.

و رثاهما جماعة، فمنهم أبو ليلي الأبيض[1]، من بني الأبيض بن مجاشع فقال فيهما: لعمري لئن قرما تميم تتابعا # مجيين للدّاعي الذي قد دعاهما

لربّ عدوّ فرّق الدهر بينه # و بينهما لم تشوه ضغمتاهما[2]

يتراءى في المنام

:

أخبرني ابن عمار، عن يعقوب بن إسرائيل، عن قعنب بن المحرز الباهلي، عن الأصمعي، عن جرير يعني أبا حازم[3] قال: رئي الفرزدق و جرير في النوم، فرئي الفرزدق بخير، و جرير معلق[4].

قال قعنب: و أخبرني الأصمعي، عن روح الطائي[5]، قال: رئي الفرزدق في النوم، فذكر/أنه غفر له بتكبيره كبرها في المقبرة عند قبر غالب.

/قال قعنب: و أخبرني أبو عبيدة النحويّ و كيسان بن المعروف النحوي، عن لبطة بن الفرزدق، قال: رأيت أبي فيما يرى النائم، فقلت له: ما فعل الله بك؟ قال. نفعني الكلمة التي نازعنيها[6]الحسن على القبر.

هو و الحسن في جنازة النوار

:

أخبرني وكيع، عن محمد بن إسماعيل الحسانيّ، عن عليّ بن عاصم، عن سفيان بن الحسن، و أخبرني أبو خليفة عن محمد بن سلام-و الرواية قريب بعضها من بعض-: أنّ النّوار لما حضرها الموت أوصت الفرزدق-و هو ابن عمها-أن يصلي عليها الحسن البصريّ، فأخبره الفرزدق، فقال: إذا فرغتم منها فأعلمني، و أخرجت، و جاءها الحسن، و سبقهما الناس، فانتظروهما، فأقبلا، و الناس ينتظرون، فقال الحسن: ما للناس؟ فقال: ينتظرون خير الناس و شرّ الناس، فقال: إني لست بخيرهم، و لست بشرهم، و قال له الحسن على قبرها: ما أعددت لهذا المضجع، فقال: شهادة أن لا إله إلا الله منذ سبعين سنة.

هذا لفظ محمد بن سلام. و قال وكيع في خبره: فتشاغل الفرزدق بدفنها، و جلس الحسن يعظ الناس، فلما فرغ الفرزدق وقف على

حلقة [7] الحسن، و قال: [1] في هج: «الأبيضي» بدل «الأبيض» .
[2] في الأصل

«لم يثوه ضيفاهما»

و لا معنى له، فضلا عن اختلال وزن البيت.
و في هد:

«لم تشوه صحفتاهما»

و ليس بشيء، و في هج:

«لم تشوه صنعتهما»

و ليس بشيء أيضا، و الذي نرجحه

«لم تشوه ضغمتاهما»

من أشوى الصائد الصيد: أخطأه، و الضغمة: العض العنيف، و المعنى:
أن يموتا قرب عدو عضّناه، فلم يخطئنا مقتله، و ربما كانت

«لم تشوه سعدتاهما»

و الصعدة: الرمح.

[3] في هد، هج: «ابن حازم» بدل «أبا حازم» .

[4] في هد، هج: «محتبس» بدل «معلق» .

[5] في هد: «الكلبي» بدل «الطائي» .

[6] يعنى بهذه الكلمة «شهادة أن لا إله إلا الله منذ سبعين عاما» على
نحو ما سيأتي تفصيله فيما بعد.

[7] ب: «على حلقة الناس» .

لقد خاب من أولاد آدم من مشى # إلى الناس مغلول القلادة أزرقا[1]
 أخاف وراء القبر إن لم يعافني # أشد من القبر التهابا و أضيقا
 /إذا جاءنى يوم القيامة قائد # عنيف و سواق يقود الفرزدقا[2]

رواية أخرى له مع الحسن

:
 أخبرنا أحمد: قال: حدثنا عمر بن شبة قال: حدثنا حيان[3] بن هلال:
 قال: حدثنا خالد بن الحر: قال: رأيت الحسن في جنازة أبي رجاء العطاردي،
 فقال للفرزدق: ما أعددت لهذا اليوم؟ فقال: شهادة أن لا إله إلا الله منذ
 بضع و تسعين[4] سنة، قال إذا تنجو إن صدقت. قال: و قال الفرزدق: في
 هذه الجنازة خير الناس و شر الناس، فقال الحسن: لست بخير الناس و
 لست بشرهم.

يذكر ذنوبه فينشج

:
 أخبرنا ابن عمار، عن أحمد بن إسرائيل، عن عبيد الله بن محمد
 القرشي بطوس، قال: حدثني يزيد بن هاشم العبدي: قال: حدثنا أبي: قال:
 حدثنا فضيل الرقاشي قال: خرجت في ليلة باردة، فدخلت المسجد،
 فسمعت نشيجا و بكاء كثيرا، فلم أعلم من صاحب ذلك، إلى أن أسفر
 الصبح، فإذا الفرزدق، فقلت: يا أبا فراس، تركت[5] التوار، و هي لينة الدثار
 دفئة الشعار، قال: إني و الله ذكرت ذنوبي، فأقلقتني، ففزعت إلى الله عز
 و جل.

تنجيه شيبته من النار

:
 أخبرني وكيع، عن أبي العباس مسعود بن عمرو بن مسعود الجحدري
 قال: حدثني هلال بن يحيى[6] الرازي: قال: حدثني شيخ كان ينزل سكة
 قريش: قال: رأيت الفرزدق في النوم فقلت: يا أبا فراس، ما فعل الله بك؟
 قال: غفر لي بإخلاصي يوم الحسن، و قال: لو لا شيبتك لعدبتك بالنار.

رواية أخرى في لقائه مع الحسين

:

أخبرني هاشم الخزاعي عن دماذ، عن أبي عبيدة، عن لبطة بن الفرزدق، عن أبيه: قال: لقيت الحسين بن عليّ-صلوات الله عليهما- وأصحابه بالصّفاح، و قد ركبوا الإبل، و جنّبوا الخيل، متقلّدين السيوف، متنكبين القسيّ، عليهم يلامق[7] من الديباج، فسلمت عليه، و قلت: أين تريد؟ قال: العراق، فكيف تركت الناس؟ قال: تركت الناس قلوبهم معك، و سيوفهم عليك، و الدنيا مطلوبة، و هي في أيدي/بني أمية، و الأمر [1]يراد بالقلادة الطوق، و بغلها إطباقها، و يراد بقوله: «أزرقا» ما ورد في التنزيل من أن المجرمين يحشرون إلى جهنم زرقا.

[2] في هج: «يسوق» بدل «يقود» .

[3] في هج: «حسان» بدل «حيان» .

[4] في هج: «و ثمانين» بدل «و تسعين» .

[5] يريد أنه يبكي لفراق النوار.

[6] في هج: «هلال بن عيسى» بدل «هلا بن يحيى» .

[7] في هج: «يلانق» و هو تحريف «يلامق» و واحدة «يلمق» و هو

القباء: فارسي معرب.

إلى الله عز و جل، و القضاء ينزل من السماء بما شاء.

أبو هريرة يعظه

:

أخبرني حبيب بن نصر المهلبيّ، و أحمد بن عبد العزيز، عن ابن شبة قال: حدثني هارون بن عمر، عن ضمرة بن شاذب قال: قيل لأبي هريرة: هذا الفرزدق، قال: هذا الذي يقذف المحصنات، ثم قال له: إني أرى عظمك رقيقا و عرقك [1]دقيقا، و لا طاقة لك بالنار، فتب، فإن التوبة مقبولة من ابن آدم حتى يطير غرابه [2].

أخبرني هاشم بن محمد، عن الرياشيّ، عن المنهال بن بحر بن أبي سلمة، عن صالح المريّ، عن حبيب بن أبي محمد، قال: رأيت الفرزدق بالشام، فقال: قال لي أبو هريرة: إنه سيأتيك قوم يؤيسونك من رحمة الله، فلا تيأس.

موازنة بينه و بين جرير و الأخطل

:

قال أبو الفرج: و الفرزدق مقدّم على الشعراء الإسلاميين هو و جرير و الأخطل، /و محله في الشعر أكبر من أن ينبّه عليه بقول، أو يدلّ على مكانه بوصف؛ لأن الخاص و العام يعرفانه بالاسم، و يعلمان تقدّمه بالخبر الشائع علما يستغنى به عن الإطالة في الوصف، و قد تكلم الناس في هذا قديما و حديثا، و تعصّبوا، و احتجوا بما لا مزيد فيه، و اختلفوا بعد اجتماعهم على تقديم هذه الطبقة في أيّهم أحقّ بالتقدم على سائرهما، فأما قدماء أهل العلم و الرواة فلم يسوّوا بينهما و بين الأخطل؛ لأنه لم يلحق شأوهما في الشعر، و لا له مثل ما لهما من فنونه، و لا تصرّف كتصرّفهما في سائرهما، و زعموا أن ربيعة أفرطت فيه، حتى ألحقته بهما، و هم في ذلك طريقتان، أما من كان يميل إلى جزالة الشعر، و فخامته، و شدّة أسره، فيقدّم الفرزدق، و أما من كان يميل إلى أشعار المطبوعين، و إلى الكلام السّمح السهل الغزل فيقدّم جريرا.

أخبرنا أبو خليفة: قال حدثنا محمد بن سلام، قال: سمعت يونس بن حبيب يقول: ما شهدت مشهدا [3]قط ذكر فيه الفرزدق و جرير، فاجتمع أهل ذلك المجلس على أحدهما. قال ابن سلام: و كان يونس يقدم الفرزدق تقدمة بغير إفراط، و كان المفضل يقدمه تقدمة شديدة.

قال ابن سلام: و قال ابن دأب، و سئل عنهما، فقال: الفرزدق أشعر
خاصّة و جرير أشعر عامّة.

أخبرني الجوهريّ و حبيب المهلبيّ عن ابن شبة، عن العلاء بن الفضل:
قال: قال لي أبو البيداء: يا أبا الهذيل، أيُّهما أشعر؟ أ جرير أم الفرزدق؟ قال:
قلت: ذاك إليك، ثم قال: أ لم تسمعه يقول: /

ما حمّلت ناقة من معشر رجلا # مثلي إذا الريح لفتني على الكور[4]

إلا قريشا فإن الله فضّلها # مع النبوة بالإسلام و الخير

[1] في هج: «و جلدك» بدل «و عرقك» .

[2] طيران الغراب: كناية عن الشيب، و هي كناية قائمة على تشبيه
سواد الشعر بسواد الغراب.

[3] في هج: «ما شهدت مجلسا» .

[4] تقدم هذان البيتان.

و يقول جرير:

لا تحسبنّ مراسم الحرب إذ لقت # شرب الكيس و أكل الخبز بالصير؟[1]

سلح و الله أبو حزره.

ثالث اللغة من شعره

:

أخبرني هاشم الخزاعي، عن أبي حاتم السجستاني، عن أبي عبيدة، قال: سمعت يونس يقول: لو لا شعر الفرزدق لذهب ثلث لغة العرب

يقرض الشعر في خلافة عثمان و علي

:

أخبرني هاشم الخزاعي، عن أبي غسان، عن أبي عبيدة قال: قال يونس أبو البيداء: قال الفرزدق: كنت أهاجي شعراء قومي، و أنا غلام في خلافة عثمان بن عفان، فكان قومي يخشون معرّة لساني منذ يومئذ، و وفد بي أبي إلى علي بن أبي طالب صلوات الله عليه عام الجمل، فقال له: إن ابني هذا يقول الشعر، فقال: علمه القرآن، فهو[2] خير له.

يسلخ خمسا و سبعين سنة من عمره في الهجاء

:

قال أبو عبيدة: و مات الفرزدق في سنة عشر و مائة، و قد تيّف على التسعين سنة، كان منها خمسة[3] و سبعين سنة يباري الشعراء، و يهجو الأشراف فيغصّهم، ما ثبت له أحد منهم قط، إلا جريرا.

يرث الشعر عن خاله

:

أخبرني محمد بن عمران الصّيرفي: قال: حدثنا الحسن بن عليل العنزي، قال: حدثني محمد بن معاوية الأسدي، قال: حدثنا ابن الرازي، عن خالد بن كلثوم قال: قيل للفرزدق: مالك و للشعر؟ فو الله ما كان أبوك غالب شاعرا، و لا كان صعصعة شاعرا، فمن أين لك هذا؟ قال: من قبل خالي، قيل: أيّ أخوالك؟ قال: خالي العلاء بن قرظة[4] الذي يقول: إذا ما الدهر جرّ على أناس # بكلكلة أناخ بأخربنا[5]

فقل للشامتين بنا أفيقوا # سيلقى الشامتون كما لقينا

يؤنبه أخواله فيمن عليهم

:

أخبرني عمِّي قال: حدثنا الكرانيُّ. عن العمريِّ، عن الهيثم بن عديِّ، عن حمّاد الراوية، و أخبرني هاشم الخزاعي: قال: حدثنا دماذ، عن أبي عبيدة قال: [1]الكسيس: شراب يتخذ من الشعير و الذرة، الصير: السمكات المملوحة، و في هد: «الكشيش» بالشين، و هو تصحيف، و في ب: «بالصبر» بالباء الموحدة بدل بالصير «بالياء المثناة» و هو تصحيف أيضا.

[2]تقدم هذا الخبر في أول الترجمة.

[3]اسم كان ضمير الفرزدق، و خمسة منصوب على الظرفية.

[4]في هد، هج: «قرطة» بالطاء المهملة.

[5]في هج: «كلاكلة» بدل «بكلكلة» ، و الكلاكل: عظام الصدر.

دخل قوم من بني ضبّة على الفرزدق فقالوا له: قَبِّحْكَ اللَّهُ من ابن أخت! قد عرّضتنا لهذا الكلب السفیه -يعنون جريرا- حتى يشتم أعراضنا، و يذكر نساءنا، فغضب الفرزدق، و قال: بل قَبِّحْكَ اللَّهُ من أخوال! فو الله لقد [1] شرفكم من فخري أكثر مما غصّكم من هجاء جرير، أ فأنا وبلکم عرّضتكم لسويد بن أبي كاهل حيث يقول: لقد زرقت عيناك يا بن مكعبر # كما كلّ ضبّي من اللؤم أزرق

ترى اللؤم فيهم لائحاً في وجوههم # كما لاح في خيل الحلائب أبلق [2]

أو أنا عرّضتكم للأغلب العجليّ حيث يقول: لن تجد الضبّي إلاّ فلاّ # عبدا إذانا و لقوم ذلاً [3]

/مثل قفا المدية أو أكلاً # حتى يكون الألام الأقلّ

أو أنا عرّضتكم له حيث يقول:

إذا رأيت رجلاً من ضبّه # فنكه عمدا في سواء السبّه [4]

إن اليمانيّ عقاص الرّبّه [5]

أو أنا عرضتكم لمالك بن نويرة حيث يقول:

و لو يذبح الضبّي بالسيف لم تجد # من اللؤم للضبّي لحما و لا دما!

و الله لما ذكرت من شرفكم، و أظهرت من أيامكم أكثر، أ لست القاتل: و أنا ابن حنظلة الأغرّ و إنني # في آل ضبّة للمعمّ المخول

فرعان قد بلغ السّماء ذراهما # و إليهما من كل خوف يعقل [6]

بنو حرام يخشون لسانه

:

أخبرنا أبو خليفة، عن ابن سلام، عن أبي بكر محمد بن واسع و عبد القاهر قالاً: كان [7] فتى في بني حرام بن سماك شويعر، قد هجا الفرزدق، فأخذناه، فأتينا به الفرزدق، و قلنا: هو بين يديك، فإن شئت فاضرب، و إن شئت فاحلق، لا عدوى عليك و لا قصاص، فحلى عنه و قال: فمن يك خائفا لأداة قولي # فقد أمن الهجاء بنو حرام

هم قادوا سفيهم و خافوا # قلائد مثل أطواق الحمام

[1] في هج: «لما شرفكم» بدل «لقد شرفكم» .

[2] الحلائب: خيول السباق، و الأبلق من الخيل و نحوها: ما اجتمع فيه سواد و بياض.

[3] الفل: المنهزم، للواحد و الجمع، إذانا: مصدر مفعول لفعل محذوف من آذنه إذا أخذ بأذنه، لأن العبد كان يأخذه النخاس بأذنه، و في الأصل

«و أقواما ذلا»

و قد رجحنا أنها محرفة عن

«و لقوم ذلا»

[4] السواء: الوسط، السبّة: الدبر.

[5] العقاص: خيط تربط به الضفيرة، الرّبة: نرجح أنها إدغام زببه- بالتحريك- جمع زب، و على ذلك يكون المعنى إن دبر اليماني تجمع الأيور كما يجمع الخيط الشعر.

[6] يعقل: يلجأ و يفزع «بالبناء للمجهول» .

[7] تقدم هذا الخبر في الترجمة نفسها.

لائذة بقبر أبيه

:

/أخبرنا أبو خليفة، عن محمد بن سلام، قال: حدثني الحكم بن محمد، قال: /كان رجل من قضاة ثم من بني القين على السُّنْد، و في حبه رجل يقال له حبيش-أو خنيش-و طالت غيبته عن أهله، فأنت أمه قبر غالب بكازمة، فأقامت عليه، حتى علم الفرزدق بمكانها، ثم إنها أتت فطلبت إليه في[1]أمر ابنها، فكتب إلى تميم القضاعيّ.

هب لي خنيسا و اتخذ فيه مئة # لغصة أم ما يسوع شرابها

أتني فعادت يا تميم بغالب # و بالحفرة السّافي عليه ترابها

تميم بن زيد لا تكوننّ حاجتي # بظهر فلا يخفى عليّ جوابها[2]

فلما أتاه الكتاب لم يدر: أ خنيس أم حبيش! فأطلقهما جميعا.

لائذ آخر بقبر أبيه

:

أخبرني أبو خليفة: قال: حدثنا محمد بن سلام: قال: حدثني أبو يحيى الصّببيّ قال: ضرب مكاتب لبني منقر خيمة على قبر غالب، فقدم الناس على الفرزدق فأخبروه أنهم رأوا بناء على قبر غالب أبيه، ثم قدم عليه، و هو بالمربد فقال: بقبر ابن ليلي غالب عدت بعد ما # خشيت الرّدى أو أن أرّد على قسر[3]

فخاطبني قبر ابن ليلي و قال لي: # فكاكك أن تلقى الفرزدق بالمصر

فقال له الفرزدق: صدق أبي، أنخ أنخ، ثم طاف في الناس، حتى جمع له كتابته و فضلا.

يعتذر عن مناقضته نفسه

:

أخبرني ابن خلف وكيع، عن هارون بن الزيات، عن أحمد بن حماد بن الجميل، قال: حدثنا القحذميّ، عن ابن عياش: قال: /لقيت الفرزدق فقلت له: يا أبا فراس، أنت الذي تقول:

فليت الأكفّ الدافنات ابن يوسف # يقطعن إذ غيّن تحت السقائف[4]

فقال: نعم، أنا، فقلت له: ثم قلت بعد ذلك له:

لئن نفر الحجاج آل معتب # لقوا دولة كان العدو يدالها[5]

[1] بعض الأصول تحذف «في» .

[2] تقدمت هذه الأبيات، كما تقدمت القصة نفسها، و إنما أثبتناها تمشياً مع الأصول-على ما في ذلك من تكرار-لما قد يكون في المكرر من اختلاف في الأسلوب أو السند أو نحو ذلك.

[3] شأن هذه الأبيات مع قصتها شأن سابقتها من التكرار.

[4] ابن يوسف هو الحجاج، و ابن مفعول الدافنات، السقائف: جمع سقيفة، و المراد بها هنا ما يسقف به القبر من حجر و نحوه، يدعو على الأيدي التي دفنت الحجاج بالقطع في معرض رثائه، و في هج، هد «يحثين» بدل «غيبين» من حثى التراب يحثيه، و هي لغة في حثاه يحثوه.

[5] نفر: فاعل فعل محذوف، تقديره لئن لقي نفر الحجاج، آل معتب بدل من نفر الحجاج، الدولة: الغلبة، كان العدو يدالها: كانت -

لقد أصبح الأحياء منهم أدلة # و في الناس موتاهم كلوحا سبالتها[1]

قال: فقال الفرزدق: نعم، نكون مع الواحد منهم ما كان الله معه، فإذا تخلى منه انقلبنا عليه.

هل أجاز إياس شهادته؟

أخبرنا هاشم بن محمد، عن عبد الرحمن بن أخي الأصمعي، عن عمه، عن بعض أشياخه قال: شهد الفرزدق عند إياس بن معاوية، فقال: أجزنا شهادة الفرزدق أبي فراس، و زيدونا شهودا، فقام الفرزدق فرحا، فقيل له: أما[2] و الله ما أجاز شهادتك قال: بلى، قد سمعته يقول: قد قبلنا شهادة أبي فراس، قالوا: أ فما سمعته يستزيد شاهدا آخر؟ فقال: و ما يمنعه[3] ألا يقبل شهادتي، و قد قذفت ألف محصنة!.

يسترده هبته

أخبرنا ابن دريد، عن أبي حاتم، عن أبي عبيدة، عن يونس: قال: كان عطية بن جعال الغداني[4] صديقا و نديما للفرزدق، فبلغ الفرزدق أن رجلا/ من بني غدانة هجاه و عاون جريرا عليه، و أنه أراد أن يهجو بني غدانة، فأتاه عطية بن جعال فسأله أن يصفح له عن قومه، و يهب له أعراضهم، ففعل، ثم قال: أ بني غدانة إنني حررتكم # فوهبتكم لعطية بن جعال

لو لا عطية لاجتدعت أنوفكم # من بين أأم أعين و سبال[5]

فبلغ ذلك عطية، فقال: ما أسرع ما ارتجع أخي[6] هبته، قبها الله من هبة ممنونة مرتجعة.

مجنون يريد أن ينزو عليه

/أخبرني وكيع، عن هارون بن محمد: قال: حدثني قبيصة بن معاوية المهلب، عن المدائني، عن محمد بن النضر: أن الفرزدق[7] مرّ بباب المفضل بن المهلب، فأرسل إليه غلما، فاحتملوه، حتى أدخل إليه بواسطة، و قد خرج من تيار ماء كان فيه، فأمر به، فألقى فيه، بشيابه، و عنده ابن أبي علقمة اليمدني المجنون، فسعى إلي الفرزدق، فقال له المفضل: ما تريد؟ قال: أريد أن أنيكة و أفضحه، فو الله لا يهجو بعدها أحدا من الأزد، فصاح تتاح للعدو، و في هج: «كان الزمان أزالها»

و هو تحريف يغير المعنى فضلا عما فيه من الإقواء.

[1] هذا البيت جواب القسم في البيت الأول، و ضمير منهم يعود على نفر الحجاج، كلوحا: جمع كالح، بمعنى عابس، السبال: جمع سبلة، و هي طرف الشارب، أو طرف اللحية، و البيتان من قصيدة يمدح بها الخليفة، و يهجو الحجاج، و في بعض النسخ: و في النار ماثوهم بدل «موتاهم» .

[2] في الأصل: (أنا) بدل (أما) و هو تحريف.

[3] كأنه عدل رأيه في إجازة إياس شهادته، و علل عدم قبولها.

[4] في الأصل: «العدواني» بدل «الغداني» و هو تحريف.

[5] ب، «الديوان» ، «النقائض» : «الأم أنف» و هذه الرواية مرجوحة؛ لأنه لا معنى لأن يكون الأنف بين الأنف و السبال، و ما أثبتناه من «هج» و «المختار» .

[6] يريد أنه هجاهم هجاء مقذعا في معرض العفو عنهم و ذكر هبتهم لصديقه.

[7] هذا من باب تكرار أخبار أبي الفرج مع تغيير في الأسلوب أو في السند، فقد تقدمت هذه القصة.

الفرزدق: الله [1] الله أيها الأمير فيي، أنا في جوارك و ذمتك؛ فممنع عنه ابن أبي علقمة، فلما خرج قال: قاتل الله مجنونهم؛ و الله لو مسّ ثوبه ثوبي لقام بها جرير و قعد؛ و فضحني في العرب فلم يبق لي فيهم باقية.

و أخبرني بنحو هذا الخبر حبيب المهليي، عن ابن شبة، عن محمد بن يحيى، عن عبد الحميد، عن أبيه، عن جده: قال أبو زيد: و أخبرني أبو عاصم عن الحسن بن دينار، قال: قال لي الفرزدق: /ما مر بي يوم قط أشد علي من يوم دخلت فيه على أبي عينة بن المهلب- و كان يوما شديد الحر-فما متا أحد إلا جلس في أبن [2]. فقلنا له: إن أردت أن تنفعا فابعث إلى ابن أبي علقمة، فقال: لا تريدوه؛ فإنه يكدر علينا مجلسنا، فقلنا: لا بد منه، فأرسل إليه، فلما دخل فرأني؛ قال الفرزدق و الله. و وثب إلي، و قد أنعظ أيره، و جعل يصيح: و الله لأنيكته؛ فقلت لأبي عينة: الله الله فيي، أنا في جوارك، فو الله لئن دنا إلي لا تبقى له باقية مع جرير؛ فلم يتكلم أبو عينة؛ و لم تكن لي همة إلا أن عدوت حتى صعدت إلى السطح، فافتحمت الحائط، ف قيل له: و لا يوم زياد [3] كان مثل يومئذ، فقال: و لا مثل يوم زياد [3].

عمر بن عبد العزيز يجيره، ثم ينفيه

:

أخبرني عمي، عن ابن أبي سعد، عن أحمد بن عمر، عن إسحاق بن مروان مولى جهينة و كان يقال له: كوزا الرواية؛ قال أحمد بن عمر: و أخبرني عثمان بن خالد العثماني [4]: أن الفرزدق قدم المدينة في سنة مجدبة حصاء [5] فمشى أهل المدينة إلى عمر بن عبد العزيز، فقالوا له: أيها الأمير، إن الفرزدق قدم مدينتنا هذه في هذه السنة الجدية التي أهلكت عامة الأموال التي لأهل المدينة، و ليس عند أحد منهم ما يعطيه شاعرا، فلو أن الأمير بعث إليه، فأرضاه، و تقدم إليه [6] ألا يعرض لأحد بمدح و لا هجاء؛ فبعث إليه عمر: إنك يا فرزدق قدمت مدينتنا هذه في هذه السنة الجدية، و ليس عند أحد ما يعطيه شاعرا، و قد أمرت لك بأربعة آلاف درهم؛ فخذها، و لا تعرض لأحد بمدح و لا هجاء، فأخذها الفرزدق، و مرّ بعبد الله بن عمرو بن عثمان، و هو جالس في سقيفة داره، و عليه مطرف [7] خزّ أحمر و جبة خزّ أحمر، فوقف عليه، و قال: أعبد الله أنت أحقّ ماش # و ساع بالجماهير الكبار

نما الفاروق أمك و ابن أروى # أبوك فأنت منصدع النهار [8]

هما قمرا السماء و أنت نجم # به في الليل يدلج كل سار

[1]اللّه: مفعول فعل محذوف تقديره «ارع» أو «اتق» و نحو ذلك.
[2]الأبزن: حوض يشبه «البانيو» عندنا، كان يتخذ من المعدن و نحوه للاستحمام، و هو لفظ معرب.
(3-3) التكملة من هد، هج، و قد تقدم أن زيادا طرده، و أنه هجا مسكينا الدارمي لراثه آياه في الأبيات التي يقول فيها: «به لا بظبي في الصريمة أعفرا»

[4]في هد، هج: «عمر بن خالد العماني» .
[5]الحصاء: السنة الجرداء لا خير فيها.
[6]تقدم إليه: أمره، أو طلب منه.
[7]المطرف-بكسر الميم و ضمها مع سكون الطاء و فتح الراء-رداء من خز مربع ذو أعلام.
[8]يريد أنه ينسب إلى الخليفتين عمر و عثمان، منصدع: مصدر ميمي، أو اسم مكان من الصدع، بمعنى انشق و تبلج، و أروى: أم عثمان بن عفان.

فخلع عليه الجبة و العمامة و المطرف، و أمر له بعشرة آلاف درهم، فخرج رجل كان حضر عبد الله و الفرزدق عنده، و رأى ما أعطاه آياه، و سمع ما أمره عمر به من ألا يعرض لأحد، فدخل إلى عمر بن عبد العزيز؛ فأخبره، فبعث إليه عمر: أ لم أتقدم إليك يا فرزدق ألا تعرض لأحد بمدح و لا هجاء؟ أخرج، فقد أجلتك ثلاثا، فإن وجدتك بعد ثلاث نكّلت بك؛ / فخرج و هو يقول: فأجلني و واعدني ثلاثا # كأوعدت لمهلكها ثمود[1]

قال: و قال جرير فيه:

نفاك الأعرّ ابن عبد العزيز # و مثلك ينفي من المسجد

و شبهت نفسك أشقى ثمود # فقالوا: ضللت و لم تهتد[2]

يهجو من يستكثر عليه الجائزة

:

أخبرني[3] حبيب المهلبّي، عن ابن أبي سعد، عن صباح، عن النوفليّ بن خاقان، عن يونس النحويّ قال: /مدح الفرزدق عمر بن مسلم الباهلي، فأمر له بثلاثمائة درهم، و كان عمرو بن عفراء الصّبّيّ صديقا لعمر، فلامه، و قال: أ تعطي الفرزدق ثلاثمائة درهم، و إنّما كان يكفيه عشرون درهما، فبلغه ذلك فقال: نهيت ابن عفرى أن يعقر أمّه # كعقر السّلا إذا جرّته ثعالبه

و إنّ امرأ يغتابني لم أطأ له # حريما فلا ينهاه عنيّ أقرابه

كمحتطب يوما أساود هضبة # أتاه بها في ظلمة الليل حاطبه

ألما استوى ناباي و ابيضّ مسحلي # و أطرق إطراق الكرى من أحاربه؟

فلو كان صبّيّا صفحت و لو سرت # على قدمي حيّاته و عقاربه

و لكن ديافيّ أبوه و أمه # بحوران يعصرن السّليط قرائبه

صوت

و مقالها بالتّعف نعف محسّر # لفتاتها: هل تعرفين المعرضا؟[4]

ذاك الذي أعطى موائق عهده # ألا يخون و خلت أن لن ينقضا

فلئن ظفرت بمثلها من مثله # يوما ليعترفنّ ما قد أقرضا[5]

الشعر لخالد القسريّ، و الناس ينسبونه إلى عمر بن أبي ربيعة، و الغناء للغريص، ثقيل أول بالوسطى، عن [1] مر هذا البيت في غير هذا

الموضع.

[2] سبق هذان البيتان أيضا في غير هذا الموضع.

[3] مرت هذه القصة أيضا و سبق معالجة الأبيات الواردة فيها.

[4] مقالها: معطوف على كلام سابق، أو مبتدأ محذوف الخبر، تقديره: و عجيب مقالها و نحو ذلك، و النعف: مكان مرتفع يكون فيه صعود و هبوط، محسر: مكان.

[5] أقرض: أسلف، و في البيت توعد، أي ليعرفن نتيجة إعراضه و نقضه لعهوده.

الهشامي و ابن المكي و حبش. و قبل أن أذكر أخباره و نسبه فإني أذكر الرواية في أنّ هذا الشعر له.

قصة تتعلق بأبيات هذا الصوت

:

أخبرنا محمد بن خلف و كيع: قال: أخبرني عبد الواحد بن سعيد، قال: حدثني أبو بشر [1]، محمد بن خالد البجليّ: قال: حدثني أبو الخطاب بن يزيد بن عبد الرحمن: قال: سمعت أبي يحدث: قال: حدثني مسمع بن مالك بن جحوش البجليّ، قال: ركب خالد بن عبد الله، و هو أمير العراق، و هو يومئذ بالكوفة إلى ضيعته التي يقال لها المكرخة، و هي من الكوفة على أربعة فراسخ، و ركبت معه في زورق، فقال لي: نشدتك الله يا بن جحوش، هل سمعت غريض مكة يتغنى: و مقالها بالنعف نعف محسّر # لفتاتها: هل تعرفين المعرضاً

قل: قلت: نعم، قال: الشعر و الله لي، و الغناء لغريض مكة، و ما وجدت هذا الشعر في شيء من دواوين عمر بن أبي ربيعة التي رواها المدنيون و المكيون؛ و إنما يوجد في الكتب المحدثه و الإسنادات المنقطعة، ثم نرجع الآن إلى ذكره.

فهرس موضوعات الجزء الحادي و العشرون

الموضوع الصفحة

- أخبار المنخل و نسبه 5
 أخبار أمية بن الأسكر و نسبه 11
 نسب عبدة بن الطيب و أخباره 21
 أخبار الأغلب و نسبه 23
 أخبار البحري و نسبه 28
 ذكر نتف من أخبار عريب مستحسنة 40
 ذكر معقل بن عيسى 65
 الأحوص و بعض أخباره 67
 ذكر عبد الله بن الحسن بن الحسن عليهم السلام و نسبه و أخباره و
 خبر هذا الشعر 78
 أخبار تأبط شرا و نسبه 86
 عمرو بن براق 116
 أخبار الشنفرى و نسبه 118
 أخبار الخليل و نسبه 129
 أخبار علقمة و نسبه 132
 ذكر أبى خراش الهذلى و أخباره 136
 أخبار ابن دارة و نسبه 151
 أخبار مسعود بن خرشة 163
 أخبار بحر و نسبه 165
 أخبار هدبة بن خشرم و نسبه 166
 نسب الفرزدق و أخباره و ذكر مناقضاته 180